جَمْعُ المَقَالِ

في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال

عشر رسائل تراثية لكبار العلماء

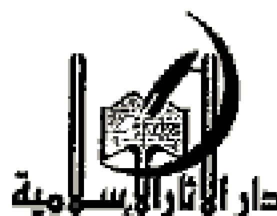
تقريظ

فضيلة الشيخ أحمد بن الشيخ محمد مصطفى القادري
النبوي الشافعي البربلي السيلاني



الأستاذ الدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدي
أستاذ التفسير، عميد كلية القرآن الكريم بالأزهر الشريف

جمع وتحقيق
الشيخ أحمد فريد المزيدي



دار الآثار الإسلامية
للطباعة والنشر
بريلي - سريلانكا



Email: daarulathaar786@yahoo.co.in

الكتاب: جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال

المؤلف: أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الآثار الإسلامية، بريلي، سريلانكا

الطبعة الأولى: ٢٠٠٦

رقم الإيداع: ٢٠٨٩٦/٢٠٠٦

الترقيم الدولي: 977-6156-35-5

طبع في القاهرة

التوزيع: دارة الكرز للنشر والتوزيع
١٧ش منشية البكري
مصر الجديدة، القاهرة
تليفون: ٤٥٥١٣٠٤
Email: darkaraz@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

لفضيلة الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد السميع بن الشيخ محمد بن الإمام الكامل والولي الكبير العارف بالله المدفون بجنة المُعَلّى المحقق الشيخ مصطفى ابن باوا آدم القادري النبوي الشافعي البربلي السيلاني.

الحمد لله نحمده حمدًا مستمرًا على الدوام، ونثني عليه ثناء المعترفين بوحدانيته على مرِّ الدهور والأيام، ونشكره فهو الذي تفضَّل علينا بأنواع العلوم بين الأنام، ووهب قومًا من خواص عباده نورًا يهتدون به بين النجباء العظام الفخام، فصاروا أقمارًا في سماء العنايات يتلألئون بين النجوم الأعلام، فهم القوم الذين بزغت لهم شموس الحقائق والمعارف فاضمحلَّ دُجَى الجهل والظلام، وارتفعت بحار الشريعة فسارت سفينة التحقيق مقلعة في تيار الغرام.

وصلاةً وسلامًا على سيدنا محمد مركز دائرة الجود، ونقطة حروف حقائق الوجود، وعلى آله الذين هم حملة أسراره، وأصحابه الذين هم مظاهر أقماره، وعلى ورثته الناظرين بالعينين الماحين نقطة الغين.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ننجو بها يوم لقائه من الفزع الأكبر، وأن تكون وسيلة للأمن من أليم عذابه.

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله نُور الحق، صاحب الوسيلة والشفاعة، ما خاب من لاذ بجنابه.

وبعد..

فبعد طول تفكير، وعزم وتأن وتدبير، وسؤال وبحث واستشارة، وذلك كما أدّبنا إمام المصطفين والأخيار أنه «**ما خاب من استخار، وما ندم من استشار**»، خاصة وأنّا قد رأينا الجهل والإنكار يتسللان بين العباد ويدفعان بكل معاند مكابر ليخوض في عقيدة السادة الأكابر، وأخذ أولئك المنكرين في تنفير الناس من الزيارة بل حتى في الاعتقاد في أولياء الله سواءً في حال حياتهم أو بعد انتقالهم، غافلين مكرًا أوجهالة عن إثباتات كضياء الشمس ساطعة وكنور القمر لامعة، ولكنهم عمّوا وتعامَوا وغلّقوا قلوبهم وتهاوَوا، وصدق الله تعالى حين قال في أمثالهم:

﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦].

حين رأيت ذلك، وأدركت أن القلوب إن خوت وجد الجهل له فيها مرتعًا، وبحثت فلم أجد كتابًا واحدًا جامعًا وشاملاً يضم أقوال العلماء وأدلتهم في إثبات كرامة الأولياء خاصةً بعد الانتقال.

وعلى هذا عقدنا العزم وتوكلنا على الحق المعين وقمنا بدعوة الشيخ أحمد فريد المزيدي بتحقيق هذه الرسائل العشرة التي جمعها في هذا الموضوع المهم، حتى يهتدي به الباحث للحق والحقيقة بين ظلمات الجهل والإنكار، تاركين هؤلاء المنكرين لبارئهم، إن شاء هداهم وإن شاء تركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾.

واعلم أن القطبَ في كل عصر واحد، وهو الإنسان الكامل ومعه تحت لوائه مائة وأربعة وعشرون ألفا من الأولياء؛ بل أزيد، وأما الأعداء فلا يُحصى عددهم.

وأخيرًا فقد استطعنا بفضل الله أن نخرج هذا الكتاب الذي بين يديك وهو دون فخر ولا افتخار من جلائل الأسفار التي تحدثت عن الكرامات وأتت بجمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال.. وهو ما استقرّ عليه تسميته، ويعتبر من نفائس التراث الإسلامي، الأول من نوعه في شكله ومحتواه، حيث يحوي عشرة رسائل من أجل وأعظم أعمال العلماء الأولياء الأكابر، والتي تعينك على استيضاح عقيدتك والتمسك بها والاعتقاد في الأولياء الصالحين، وذلك أمام تلك الحملة من المنكرين في هذا الزمان هداهم الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسدّد خطانا آمين.

كتبه:

العبد الحقير الفقير إلى الله السميع البصير الراجي عفو الله العلي الكبير

بجاه سيدنا البشير النذير ﷺ

تُراب أقدام أصحاب الوراثة المحمدية

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد السميع بن الشيخ محمد بن الشيخ مصطفى بن باوَا آدم القادري النبوي الشافعي البَرْبَلي السَّيلاني

شيخ الطريقة القادرية النبوية

حفظه الله تعالى ونفع به العلم والعلماء

٣٠ مارس ٢٠٠٦

الموافق ١ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

تقريظ

لفضيلة الأستاذ الدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدي عميد كلية القرآن الكريم بالأزهر الشريف وشيخ الطريقة النقشبندية الخالدية الجودية:

الحمد لله رب العالمين، سبحانه جعل العادة حجابًا وجعل خرقها دليلاً صوابًا، واختص بها نفرًا منهم، فمن نبي له المعجزة، ومن ولي له الكرامة. واقتضت حكمته تعالى ألا يسوى بين أصحاب الصراط السوي وأصحاب العِوج، فكانت المعجزة دليل صدق النبي في دعواه النبوة والكرامة دليل تصديق للولي في اتباعه للنبوة، فبها عرف الناس من به يقتدون ومن يتركون، وعُرِف بها المستحق لوصف الاتباع من الجدير بوصف الابتداع.

وأسأله تعالى أن يصلي ويسلم على سيدنا ومولانا محمد القائل: «إنما أنا قاسم والله يعطي»، فكان هو مظهر المنِّ والإنعام على الأنبياء و الأولياء العظام:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ذوي الكرامات الباهرات وسلم، صلاة وسلامًا لا غاية لهما ولا نفاد.

أما بعد..

يأتي هذا الكتاب الجامع لرسائل قيمة في كرامات الصالحين في وقت تشتد فيه الهجمة على المفاهيم الصحيحة للتصوف الإسلامي التي كان لها الأثر الكبير في تثبيت إيمان الناس عبر القرون، وما ظننا بمن يعطون لسيدنا خالد بن الوليد السُّم فيشربه أمامهم دون أن يؤثر ذلك فيه شيئًا أو بمن يرى وليًا تسكن الوحوش بين يديه ولا يصيبه أدنى خوف أو فرَق، وغير ذلك مما تمتلئ به دواوين الإسلام لا كتب الصوفية فحسب. وتأتي هذه الهجمة ممن انخدعوا بمفاهيم العلم وحقائقه المادية وظنوا أن الكرامة تناقض العلم، وما هو إلا قصور نظر، فالله تعالى هو الذي خلق العلوم وربط الأشياء بمسبباتها، فكمال قدرته تعالى وحاكميته في الكون تقتضي خرق هذه القوانين في بعض الأحيان تنبيهًا للناس على حقائق الإيمان.

وليت أمر الإنكار اقتصر على أدعياء العلم هؤلاء، بل خرج نفر من الأمة يزعمون التصديق بخرق العادات للأولياء ثم إذا ذكرت كرامة لولي يأتون عليها تقريعًا وسخرية. وما هو إلا الحسد والعجز، فلما رأوا أن قصورهم في هذا الباب يكذب دعواهم أنهم على منهج السلف الصالح وأنهم أهل السنة الحقيقيون، وكانوا من أصحاب القلوب المريضة المستعصية الشفاء، لم يسعهم إلا أن يصدقوا وقوع الكرامات بألسنتهم ثم يكذبوا وقوع كل كرامة عرضت عليهم

لأنها تلزمهم ترك ما هم فيه من تزكية أنفسهم بالباطل وتضطرهم إلى الخروج عن عقائدهم البدعية وسوء ظنهم بالسادة الصوفية.

لذا يأتي هذا السفر العظيم مسفراً عن حقيقة كرامات الأولياء في حياقم وبعد انتقالهم، فلا فرق عند المحققين بين صدور الكرامة من الولي حيًّا ومنتقلاً لكون الله تعالى هو الفاعل على حقيقة في الحالين، ولا تنسب لنبي ولا لولي استقلالاً بالفعل لا في حياته ولا بعد مماته، بل كل شيء من الله صدر، وبإرادته وقدرته وقع وقُدِر، فلا يخدعنك أيها الباحث عن الحقيقة تهويلات المنكرين وكلامهم الأجوف وإن بدا لك حُسنه الزائف ودعاوى التمسك بالتوحيد الخادعة.

وتذكر أخي المسلم أن إنكار كرامة الأولياء فرع عن إنكار معجزة الأنبياء لتعلق الكل بالله، وهو من علامات إعراض الله تعالى عن العبد ووقوعه في عين المقت، وإن كان إنكار الكرامة جملة لا يقتضي كفراً كما يقتضيه تكذيب المعجزة.

وإني في ختام هذا التقريظ لأُحي الباحث المحقق الأستاذ أحمد فريد المزيدي على إخراجه هذه الرسائل العلمية القيمة إلى القراء في وقت تشتد فيه الحاجة إليها وأشكر له دأبه ومثابرته في إخراجها وإخراج غيرها من كنوز العلم والتصوف.

كما أُحي فضيلة الشيخ أحمد بن الشيخ محمد مصطفى القادري النبوي الشافعي السيلاني رئيس دار الآثار الإسلامية على نشر هذا الكتاب وغيره من الكتب القيمة وتيسيرها للناس داعيًا المولى – عز وجل- وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته وحسنات كل من سعى في نشر العلم الحقيقي الأصيل لا المغشوش الدخيل.

الأستاذ الدكتور
جودة محمد أبو اليزيد المهدي
أستاذ التفسير وعميد كلية القرآن الكريم
عضو اللجنة العلمية الدائمة بالأزهر الشريف
من الرحاب الأحمدي البدوي بطنطا
ليلة ٢٧ رمضان سنة ١٤٢٧ هـ

معرفة أولياء الله تعالى وأنهم لا ينقطعون

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، فالأولياء جمع: ولِي، وهو كما قال المحقق ابن حجر المكي: فعيل بمعنى فاعل؛ لأنه والى الله تعالى ورسوله، فلم يخرجْ عن أمرهما ونهيهما إلى ما يغضبهما، أو مفعول؛ لأن الله تعالى والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد إمداده وكرمه، وضابط الولي أنه المداوم على فضلِ الطاعات، واجتناب المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللّذات، كذا قالوه.

قال رحمه الله تعالى: ويتجه أن هذا ضابط الولي الكامل، وأن أصل الولاية يحصل لمن وُجدت فيه صفة العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء.

قلت: وهذا منْ فضلِ الله تعالى كثيرٌ في هذه الأمَّة في كل زمانٍ ببركة نبيِّنا محمَّد سيد الأكوان ﷺ في كل حينٍ وآن.

قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

قال الإمام ناصر الدين البيضاوي: دلّت الآية على خيرهم فيما مضى، ولم تدل على انقطاع وطرد.

وقال نبيُّنا ﷺ: «لا يزالُ من أمَّتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ الله لا يَضرُّهم مَنْ خذلهم ولا مَنْ خالفهم حتَّى يأتِي أمرُ الله وهم على ذلك[1]» رواه البخاري.

وقال ﷺ: «لا تسبُّوا أهلَ الشام؛ فإن فيهم الأبدالُ[2]» ذكره السيوطي في «الجامع الصغير»، وزاد الشارح المناوي: وفي رواية: «وبِهم تُنصرون، وبِهم تُرزقون[3]».

وقال رحمه الله تعالى: وفيه ردٌّ على مَنْ أنكر وجود الأبدال كابن تيمية انتهى.

وفي كتاب «الأبدال» عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «البدلاءُ أربعون».

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٣١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٨/٦٥)، وابن المبارك في الجهاد (١/١٥٢)، وذكره المناوي في فيض القدير (٦/٤٠٠).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٨/٦٥)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥/٣٠٠).

وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال: لولا البدلاء لخسف بالأرض، وخرَّج السمرقندي فيه قال: لما قُبض النبي ﷺ شكت الأرض إلى ربِّها ﷻ أنه ما بقي يمشي عليَّ نبيٌّ من الأنبياء إلى يوم القيامة، فأوحى الله تبارك وتعالى إليها أنّي جاعلٌ مِنْ هذه الأمة رجالاً قلوبهم كقلوب الأنبياء.

قال العلامة ابن حجر في شرح الهمزية»: إن الله تعالى خصَّ هذه الأمة في التوراة بخصائص لم يؤتها لغيرهم تكرمةً لنبيهم، وزيادةً في شرفه، ثم عدَّ منها إلى أن قال: وإن فيهم أقطابًا، وأوتادًا، ونقباء، ونجباء، وأبدالًا: أي لا ينقطعون[1].

وكان الشيخ محيي الدين العربي قُدِّس سرُّه يقول: ومن أين لعامَّة الناس أن يعلموا أسرار الحق تعالى في خواص عباده من الأولياء، وشروق نوره في قلوبهم، ولذلك لم يجعلهم إلا مستورين عن غالب خلقه؛ لجلالتهم عنده، ولو كانوا ظاهرين فيما بينهم وآذاهم إنسانٌ لكان قد بارز الحق تعالى بالمحاربة، فأهلكه الله تعالى، فكان سترهم على الخلق شفقةً على من آذاهم.

ومن ظهر من الأولياء للخلق إنما ظهر لهم من حيث ظاهر علمه ودلالته، وأمَّا من حيث سرِّ ولايته فهو باطنٌ لم يزل.

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه يقول: لكل وليٍّ سترٌ أو أستارٌ نظير السبعين حجابًا التي وردت في حق الحق سبحانه وتعالى، حتى أنه لم يعرف إلا مِنْ ورائها فكذلك الولي.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: سمعت سيدي عليًّا الخوَّاص رحمه الله تعالى يقول: إذا علم الفقير من أمراء الجور أنهم يقبلون نُصحَه لهم وشفاعته عندهم وَجبَ عليه صحبتهم والدخول عليهم.

وصاحب النور يعرف ما يأتي وما يذر.

وقال رحمه الله تعالى: وَمِنْ الأولياء مَنْ يكون سترهُ قبوله من الخلق ما يعطونه من الهدايا والصدقات، ويمدح الذين أعطوه بالكرم، وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله تعالى؛ فإن الرجل إذا قَبِلَ من الخلق صغُر في أعين الناس ضرورةً، كما أن مَنْ ردَّ عليهم كبُر في أعينهم، ولعلَّ ذلك الرادَّ إنما ردَّ رياء وسمعة واستئلافًا لقلوب الناس؛ ليتوجهوا إليه بالتعظيم

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٥/٢٢٠)، والحكيم الترمذي في النوادر (١/٢٦١)، وابن حبان في المجروحين (٢/١٨٠).

والتبجيل، ويطلقوا ألسنتهم بالثناء الحسن.

وقال الشيخ محيي الدين العَربي قُدِّس سرُّه: ومما يفتح باب قلة الاعتقاد في أولياء الله تعالى وقوع زلة ممن تزيَّى بزيِّهم، وانتسب إلى مثل طريقهم والوقوف مع ذلك من أكبر القواطعِ عند الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]، فمن أين يلزم من إساءة واحد أن يكون جميع أهل حرفته كذلك؟! ما هذا إلا محض عناد، وتعصبٌ بباطلٍ.

قال الشيخ عبدُ الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: وَمِنْ أشدِّ حجاب عن معرفتنا أولياء الله تعالى شهود المماثلة والمشاكلة، وهو حجابٌ عظيمٌ قد حَجَبَ الله تعالى به الأكثرين من الأوَّلين والآخرين كما قال تعالى حاكيًا عن قوم: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٧]، ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون:٣٣]، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ [القمر:٢٤]، ونحو ذلك ولكن إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يُعرِّف عبدًا من عباده بولي من أوليائه ليأخذ عنه الأدب ويقتدي به في الأخلاق طوى عنه شهود بشريَّته، وأشهد وجه الخصوصية فيه، فيعتقده بلا شكٍّ، ويحبُّه أشد المحبَّة، وأكثر الناس الذين يصحبون الأولياء لا يشهدون منهم إلا وجه البشرية، فلذلك قلَّ نفعهم، وعاشوا عمرهم كله معهم ولم ينتفعوا منهم بشيء.

قال الشيخ أبو الحسن الشَّاذلي قُدِّس سرُّه: ولقد ابتلى الله تعالى هذه الطائفة الشريفة بالخلق خصوصًا بأهل الجدل، فقلَّ أن تجد منهم أحدًا شَرَحَ الله صدره للتصديق بولي مُعين؛ بل يقول لك: نعم، إن لله تعالى أولياء وأصفياء موجودين ولكن أين هم؟ فلا تذكر أحدًا إلا ويأخذ بدفعه، ويردُّ خصوصية الله تعالى له، ويطلق اللسان على كونه غير وليٍّ لله تعالى، وغاب عنه أن الولي لا يَعْرِف صفاته إلا الأولياء، فمن أين لغير الولي نفي الولاية عن إنسان؟ ما ذاك إلا محْضَ تعصبٍ كما ترى في زماننا من إنكار ابن تيمية علينا وعلى إخواننا العارفين.

فاحذر يا أخي ممن كان هذا وصفه، وفرَّ من مجالسته فرارك من السبع الضاري، جعلنا الله تعالى وإيَّاكم من المُصدِّقين لأوليائه، المؤمنين بكرامتهم بمَنِّهِ وكرمِهِ، آمين.

صفات الأولياء
وما أعدَّ الله لهم من كل خير

قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ [يونس:٦٢]: أي الذين يتولونه بالطاعة، ويتولاهم بالكرامة، ولا خوف عليهم من لحوق مكروه، ولا هم يحزنون فوات مأمول، والآية كمجملٍ فسَّره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣].

قال الواحدي في الوسيط: قال الأزهري: اتفق العلماء أن الإيمان معناه التصديق، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف:١٧]: أي بمصدِّقٍ لنا، ومعنى التصديق هو اعتقاد السامع صدق المخبر فيما يُخبر.

فمن صدَّق الله تعالى فيما أخبَرَ به في كتابه وصدَّق الرسول فيما أخبر معتقدًا في القلب تصديقهما فهو مؤمنٌ.

ومعنى الاتقاء في اللغة: الحجز بين الشيئين، يقال: اتقاه بترسه: أي جعل الترس حاجزًا بينهُ وبينهِ، ومنه: التقية في الدين يجعل ما يظهره حاجزًا بينه وبين ما يخشاه من المكروه، ومنه الحديث: **كنَّا إذا احمرَّ البأسُ: أي اشتدت الحرب اتقينا برسول الله ﷺ، فكان أقربَنا إلى العدو**[(١)].

فالمتقي هو الذي يتحرَّز بطاعته عن العقوبة، ويجعل احتنابه عمَّا نُهي عنه، وَفِعْلَهُ ما أُمر به حاجزًا بينه وبين العقوبة التي توعَّد بها العصاة.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس:٦٤]، وهو ما بشَّر به المتقين في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ وما يريهم في الرؤية الصالحة، وما يسنح لهم من المكاشفات، وبشرى الملائكة عندَ النـزعِ، وفي الآخرةِ بتلقي الملائكة إيَّاهم مسلمين مُبشَّرين بالفوز والكرامة[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (١٤٠١/٣)، وأحمد (١٥٦/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٢٦/٦).

(٢) فائدة: قال الشيخ الشرقاوي: وأما الأولياء فحضرتهم العبودية المحضة فهم ساعون دائمًا في ستر مقامهم وحالهم لربهم لا لأنفسهم، فعُلِمَ أن أعلى طوائف العبيد من لا مقام له، وذلك لأن المقامات حاكمة على من كان فيها، والرجل من له الحكم، لا من يحكم عليه، فأصحاب المقامات هم الذين =

ومحل الذين آمنوا النصب أو الرفع على المدح، أو على وصف الأولياء أو الابتداء وخبره: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾، و﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس:٦٤]، لأقواله، ولا إخلاف لمواعيده، ذلك إشارةٌ إلى كونهم مُبشَّرين في الدارين، هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

هذه الجملة والتي قبلها اعتراضٌ لتحقُّق المبشَّر به، وتعظيم شأنه، وليس من شرطه أن يقع بعده كلامٌ يتصل بما قبله، كذا ذكره البيضاوي.

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه قال: كنت عند النبي ﷺ إذ قال:

إنَّ لله تعالى عبادًا ليسُوا بأولياءَ ولا شهداءَ يغبطهم النبيُّون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله تعالى يوم القيامة.

فقال أعرابيٌّ: حَدِّثنا يا رسول الله مَنْ هم؟ فقال:

«هُمْ عبادٌ من عبادِ الله من بلدان شتَّى لم يكن بينهم أرحامٌ يتواصلون بها، ولا دنيا يتبَاذلون بها، يتحابُّون بروح الله، يجعل الله وجوههم نورًا، ويجعل لهم منابر من نورٍ قدَّامِ عرش الرحمن، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون[١]».

وقال ﷺ: «أحبُّ العبادِ إلى الله تعالى الأتقياءُ، الأسخياءُ، الأخفياءُ»:

=

انحصرت هممهم إلى غاياتٍ ونهايات، فإذا وصلوا إلى تلك الغايات تجرَّدت لهم من قلوبهم غايات أخرى تكون تلك الغايات التي وصلوا إليها بداية هذه الغايات، ولا يزال لهم هذا الأمر دائمًا، وأما العبيد فما لهم التفات إلى هذا الحكم ولا هذا الحصر؛ لأنهم علموا اتساع الحق وأنه ليس له غاية في نفسه ينتهي إليها، فلا غاية لهم في شهودهم؛ لأن الحق مشهودهم، ولذا كان القطب المحمدي ﷺ لا يتميز عن غيره إلا بأنه لا مقام له يتعيَّن، فمقامه أن لا مقام، ونسبة المقامات إليه نسبة الأسماء إلى الله، فلا يتعيَّن في مقام ينسب إليه، بل هو في كل نفسٍ وفي كل زمانٍ وفي كالِ حالٍ بصورة ما يقتضيه ذلك النفس أو الزمان أو الحال ولا يتميز تقييده؛ لأن الأحكام الإلهية تختلف في كل زمانٍ فكما أنه تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩] كذلك القطب المحمدي.

(١) رواه أبو داود (٣/٢٨٨)، والترمذي (٤/٥٩٧)، وأحمد (٥/٣٤١).

أي: المُبالغين في ستر عبادتهم، وتنـزيهها عن شوائب الأغراض الفانية، والأخلاق الدَنيَّة. «**الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا شهدوا**- أي: حضروا- **لم يعرفوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم**[1]» رواه الطبراني.

وقال ﷺ: «**رُبَّ أشعثِ الأثواب مدفوعٌ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه**[2]». رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**يَدخلُ الجنّةَ مِنْ أمّتي سبعون ألفًا بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيَّرون، وعلى ربِّهم يتوكّلون**[3]»، رواه البخاري ومسلم.

وأخرج السمرقندي في كتاب الأبدال أن عليَّ بن أبي طالبٍ ﷺ وكرَّم وجهه سأل النبي ﷺ عن الأبدال، فقال: «**هم ستون رجلاً**».

قلت: يا رسول الله، صِفهُم لي. فقال: «**ليسوا بالمتنطِّعين، ولا بالمتعمِّقين، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة، ولا صيامٍ، ولا صدقة إلا سخاء النفس، وسلامة القلوب والنصيحة لأمَّتهم، إنهم يا عليُّ أعزُّ من الكبريت الأحمر**[4]».

ورُوي عن أبي ذرٍّ ﷺ أنه قال: لما ذهبتْ النبوة وكانوا أوتاد الأرض أخلفَ الله تعالى مكانهم أربعين رجلاً من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال، لا يموت الرجل منهم حتى يُنشئ الله تعالى مكانه آخر يخلفه، وهم أوتاد الأرض، ثلاثون منهم على يقين إبراهيم ﷺ، لم يفضلوا الناس بكثرة صلاةٍ ولا صيامٍ ولا بحسن الحلية، لكن بصدق الوَرَع وحسن النيَّة، وسلامة القلوبِ والنصيحة للمسلمين ابتغاء مرضات الله تعالى بصبرٍ وخيرٍ، ولبٍّ، وحلمٍ، وتواضعٍ في غير مذلة[5].

---

(١) رواه القضاعي في الشهاب (٢/٢٥٢)، والطبراني في الكبير (٢٠/٣٦)، وفي الأوسط (٥/١٦٣)، والدارمي في السنن (١/٩٣).

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٢٤)، والبيهقي في الشعب (٧/٣٣١).

(٣) رواه البخاري (٥/٢٣٧٥)، ومسلم (١/١٩٧)، وأحمد (١/٣٢١).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الأولياء (١/١٢).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الأولياء (١/٢٧).

وقال رسول الله ﷺ: «لا يزالُ من أمَّتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ الله تعالى لا يضرُّهم مَنْ خذلهم، ولا مَنْ خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك[١] » رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: «**وهم بالشام**[٢]».

وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**طُوبَى للشام!** قلنا: لأي شيءٍ ذلك يا رسول الله؟ قال: «**لأن ملائكة الرحمن باسطةٌ أجنحتها عليها**[٣]». رواه الإمام أحمد والترمذي.

وقال ﷺ: «**مِنْ أشدِّ أُمتِي حُبًّا لي ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله**[٤]». رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**وددتُ أنّي قد رأيتُ إخواننا قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعدُ، وأنا فرطُهم على الحوض**[٥]» رواه البغوي.

وأنا أرجو الله سبحانه وتعالى حيث مَنَّ عليَّ بالانتماء إلى مذاهب أوليائه الكرام والانتساب إلى كريم مناسب أصفيائه ذوي الاحترام ورزقني شيئًا من تعظيمهم وحبِّهم وقسطًا من تكريمهم وبرِّهم ألا يحرمني من شفاعتهم، ولا يُخرجني من كنف ولايتهم، ولا يطردني عن بابهم الكريم، ولا يصرفني عن منهجهم القويم، فهمُ القومُ الذين لا يشقى بهم جليسُهم:

لِـي سـادةٌ مِـنْ عـزِّهِم أقـدامُهم فـوقَ الجـباه

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٣)، ومسلم (٣/١٥٢٤)، والترمذي (٤/٤٨٥)، وأحمد (٤/١٠١)، وابن ماجه (١/٤).

(٢) رواه البخاري (٣/١٣٣١)، والروياني في مسنده (١/١٢٤).

(٣) رواه الترمذي (٥/٧٣٤)، وأحمد (٥/١٨٤)، والطبراني في الكبير (٥/١٥٨)، والحاكم في المستدرك (٢/٢٤٩).

(٤) رواه مسلم (٤/٢١٧٨)، وأحمد (٢/٤١٧)، والديلمي في الفردوس (١/٢١٢).

(٥) رواه النسائي في الكبرى (١/٩٥)، وأحمد (٢/٣٠٠)، ومالك في الموطأ (١/٢٩).

إنْ لَمْ أكنْ منهم فلي ... فِي ذِكرهمِ عزٌّ وجاه

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم، وأفاض علينا من دُرَرِهم، آمين.

***

نفع محبتهم والتعلُّق بهم قربة إلى الله

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ**﴾ [الزخرف:٦٧]: أي بعض الذين يتحابُّون في معصية الله تعالى ﴿**لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾.

فإن خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعةً لهم أبدَ الآباد، ﴿**يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ [الزخرف:٦٨]، حكايةً لما ينادي ربَّه، المتقون المتحابون في الله يومئذ، ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا**﴾ صفة للمنادي، ﴿**وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ [الزخرف:٦٩] حال من الواو في الذين آمنوا مخلصين، غير أن هذه العبارة آكد: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ**﴾ [الزخرف:٧٠]: نساؤكم المؤمنات، ﴿**تُحْبَرُونَ**﴾: تسرُّون سرورًا يظهر حباره: أي أثره على وجوهكم، أو تزيَّنون من الحبر، وهو حسن الهيئة، أو تكرمون إكرامًا يبالغ فيه، **والحبرة**: المبالغة فيما وصف بجميل.

﴿**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ**﴾ [الزخرف:٧١] **الصحاف**: جمع: صحفة، وهي: القصعة الواسعة، والأكواب جمع: كوب، وهو: كوز لا عروة له، ﴿**وَفِيهَا**﴾: أي في الجنة: ﴿**مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ**﴾، فسَّر نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الأصل، والباقون بخلاف الهاء، ﴿**وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ**﴾ بمشاهدته، وذلك تعميمٌ بعد تخصيصٌ، والمراد: ما يعدُّ من الزوائد في التنعُّم والتلذُّذ، ﴿**وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.

فإن كل نعيم زائلٌ موجبٌ لكلفة الحفظ، وخوف الزوال، ومستعقبٌ للتحسُّر في ثاني لحال: ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [الزخرف:٧٢، ٧٣]، بعضها تأكلون لكثرتها، أو دوام نوعها، ولعل تفصيل التنعم بالمُطاعم والملابس وتكريره في

القرآن وهو حقيرٌ بالإضافة إلى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة، كذا ذكره البيضاوي.

وقال نبيّنا ﷺ: «**الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدةٌ، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلف**[1]»، رواه البخاري ومسلم.

قال الإمام محيي السنة: في هذا الحديث الشريف بيان أن الأرواح خُلقت قبل الأجساد، وأنها مخلوقةٌ على الائتلاف والاختلاف كالجنود المجندة إذا تقابلت، وذلك على حسب ما جعلت عليه من التشاكل والتنافر في بدءِ الخلق، فيرى البَرُّ الخير يحبُّ مثله، والفاجر يألف من شاكله، وينفي كل واحدٍ من ضده.

قلت: وفيه حثٌّ على محبةِ الصالحين، وزجرٌ عظيمٌ عن محبة الفاسقين، وأن ذلك يدل على علامة السوء، والعياذ بالله ربِّ العالمين.

وعن أنس ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «**ويلك! ما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أنّي أحبُّ الله ورسوله، قال: أنت مع مَنْ أحببتَ**[2]».

قال أنس ﷺ: فما رأيت المسلمينَ فرحوا بشيءٍ بعد الإسلام فرحتهم بها، رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية قال أنس ﷺ: «**فأنا أحبُّ النبي، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم بمحبتي إيّاهم، وإن كنت لا أعمل بأعمالهم**[3]».

وقال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: المتحابُّون فِي جلالِي لهم منابرُ من نورٍ، يغبطهم النبيون والشهداء**[4]» رواه الترمذي.

---

(١) رواه البخاري (١٢١٣/٣)، ومسلم (٢٠٣١/٤)، وأبو داود (٢٦٠/٤)، وأحمد (٢٩٥/٢).

(٢) رواه البخاري (٢٢٨٢/٥)، ومسلم (٢٠٣٢/٤)، والترمذي (٥٩٥/٤)، وأحمد (١٠٤/٣)، والطبراني في الكبير (١٨٣/٣).

(٣) رواه البخاري (١٣٤٩/٣).

(٤) رواه الترمذي (٥٩٧/٤)، وأحمد (٢٣٩/٥)، وابن ماجه (١٤٥٠/٢).

وقال ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي؟ اليوم أظلُّهم في ظلّي يوم لا ظلَّ إلا ظلّي**[(١)]» رواه مسلم.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجلٍ أحبَّ قومًا ولم يلحق بهم، أي: لم يُدرِكهم في العمل؟ فقال ﷺ: «**المرءُ مع مَنْ أَحبَّ: أي يُحشر مع محبُوبه**[(٢)]» رواهُ مسلم.

قال الإمام النووي في شرح مسلم: لا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم؛ إذ لو عمله لكان مثلهم، ولا يلزم مِنْ كونه معهم أن يكون منـــزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه انتهى.

وفي شرح الجامع الصغير للمناوي في قوله ﷺ: «**مَنْ أحبَّ قومًا حشره الله تعالى في زمرتهم**[(٣)]».

وقال: «**مَنْ أحبَّ أولياء الرحمن فهو معهم في الْجِنان، وَمَنْ أحبَّ حزب الشيطان فهو معهم في النِّيران**[(٤)]».

وفيه بشارةٌ عظيمةٌ لمن أحبَّ الصوفية، أو تشبَّه بهم؛ فإنه يكون مع تفريطه في القيام بما هو عليه في الجنة، ومَنْ تشبَّه بهم إنما فعل ذلك لمحبته إيَّاهم، ومحبته لهم لا تكون إلا لتنبُّه روحه لما تنبَّهت له أرواحهم؛ لأن محبة الله تعالى محبة أمره وما يقرِّب إليه، ومَنْ تقرَّب منهم يكون بجاذب الروح، لكن التشبُّه تعوَّق بظلمة النفس، والصوفي خلص من ذلك انتهى.

وعن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أنه قال: عند ذكر الصالحين تنـــزل الرحمة، اللَّهُمَّ إنَّا نتوسل إليك بحبِّهم، فإنهم أحبُّوك ولم يُحبُّوك حتى أحببتهم، فبحبِّكَ إيَّاهم وصلوا إلى حُبِّكَ، ونحن لم نصل إلى حبِّهم فيك إلا بحظنا منك، فتمِّم لنا ذلك حتى نلقاك يا أرحم الراحمين.

---

(١) رواه مسلم (١٩٨٨/٤)، وأحمد (٢٣٧/٢)، والدارمي في السنن (٤٠٣/٢).

(٢) رواه البخاري (٢٢٨٣/٥)، ومسلم (٢٠٣٢/٤)، والترمذي (٥٩٥/٤)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٤٤/٦).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١٩/٣)، وابن عدي في الكامل (٣٠٣/١).

(٤) ذكره المناوي في فيض القدير (٣٢/٦).

ضرر معاداتهم والوقيعة فيهم والإنكار عليهم

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب:٥٨].

قال مجاهد: يقعون فيهم، ويرموهم بغير جُرمٍ، ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾.

ورُوي عن نبيِّنا ﷺ أنه قال: «المؤمنُ أفضلُ من الكعبةِ، والمؤمن طيِّبٌ طاهرٌ، والمؤمنُ أكرمُ على الله تعالى من الملائكة».

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول: مَنْ عادى لِي وليًّا فقد آذنته بالحرب: أي أعلمته أنِّي محاربٌ له، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، وإن استعاذني -روي بالنون والياء- لأُعيذنَّه، وما ترددت في شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدَّ منه[١]» رواه البخاري.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوتٍ رفيعٍ فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفضِ الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيِّروهم: أي لا تعيِّبوهم يعني: لا تنسبوهم إلى عيب، ولا تَصفوهم بعيب، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته[٢]» رواه الترمذي.

وقال ﷺ: «لما عَرَجَ بِي ربِّي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يُخمِّشون وجوههم وصدورهم. فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون

---

(١) رواه البخاري (٢٣٨٤/٥)، وابن حبان (٥٨/٢)، والطبراني في الكبير (١٤٥/١٢).

(٢) ورواه الطبراني في الكبير (١٨٦/١١)، وابن أبي حاتم في العلل (٣٠٦/٢).

لحم الناس ويقعون في أعراضهم[1]» رواه أبو داود.

وفي الحديث الطويل لأنس ﷺ قال ﷺ: «إنّ الله شرّف الكعبة وعظّمها، ولو أنّ عبدًا هدمها حجرًا حجرًا ثم أحرقها ما بلغ جُرم مَنْ استخفّ بوليّ من أولياء الله تعالى. قال الأعرابي: ومَنْ أولياء الله تعالى؟ قال: المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى.

أما سمعت قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧][2]».

تنبيه:

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: اعلم أن طريق القوم مشيَّدةٌ بالكتاب والسنة، وأنها مبنيَّةٌ على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء، وأنها لا تكون مذمومةً إلا إذا خالفت صريح القرآن أو السنة أو الإجماع لا غير، وأمّا إذا لم تخالف فغاية الأمر أنه فهمٌ أوتيه رجلٌ مسلمٌ، فمن شاء فليعمل به، ومن شاء تركه.

ونظير الفهم في ذلك الأفعال وما بقي الإنكار في ذلك إلا سوء الظن بهم، وحملهم على الرياء، وذلك لا يجوز شرعًا، ثم أن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحَّر فيها أعطاه الله تعالى هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حدٍّ سواءٍ، فيستنبط في الطريق واجباتٍ ومندوباتٍ وآدابًا ومحرَّماتٍ ومكروهاتٍ نظيرَ ما فعله المجتهدون، وليس إيجابُ مجتهدٍ باجتهاده شيئًا لم تصرِّح الشريعةُ بوجوبه أولى من إيجاب وليّ الله تعالى حكمًا في الطريق لم تصرِّح الشريعة بوجوبه.

وإيضاح ذلك أنهم كلهم عدولٌ في الشرع اختارهم الله تعالى لدينهم، فمن دقّق النظر علم أنه لا يخرج شيءٌ من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي وسيلتهم إلى الله تعالى في كل لحظة! ولكن أصل استغراب من لا إلمام له بأهل الطريق أن علم التصوف من عينِ الشريعة كونهُ لم يتبحَّر في علم الشريعة.

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٩/٤)، وأحمد في المسند (٢٢٤/٣).

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢٧٨/١).

ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى: علمُنا هذا مشيَّدٌ بالكتاب والسنَّة[١].

ردًّا على مَنْ توهَّم خروجه عنها في ذلك الزمن أو غيره، وما بلغنا قطُّ عن أحد من القوم أنه نهى أحدًا عن الصلاةِ أو الزكاةِ أو الصومِ أو الحجِ أبدًا، ولا تَعرَّض لمعارضة شيءٍ من الشرع، وكيف يترك الولي ما كان سببًا لوصوله إلى حضرة ربِّه؟ وإنما يحثُّ الناس على الإكثار من أسباب الوصول، فما بقي وجه الإنكار إلا على مواجيدهم وأفهامهم، وتلك أمورٌ لا تُعارض شيئًا من صريح السنَّة.

والأمر في ذلك سهلٌ، فمن شاء فليصدِّقهم، ويقتدِ بهم كمقلدي المذاهب، ومن شاء فليسكت ولا ينكر؛ لأنهم مجتهدون في الطريق، والمجتهد لا يقتدي وإن كان على مجتهد آخر.

وبالجملة فما أنكر على الصوفية إلا مَنْ جهلَ حالهم.

كان الشيخ عليٌّ الخواص –رحمه الله تعالى– يقول: إيَّاك أن تُصغي لقول منكرٍ على أحدٍ من طائفة العلماء والفقراء فتسقط من عين رعاية الله ﷻ، وتستوجب المقتَ من الله تعالى.

وقال الشيخ محيي الدين العربي قُدِّس سرُّه: أصل منازعة الناس في المعارف الإلهية والإشارات الربَّانية كونها خارجةً عن طور العقول، ومجيئها بغتةً من غير تفكُّرٍ ونظرٍ ومن غير طريق العقل، فتنكَّرت على الناس من حيثُ طريقها، فأنكروها، ومَنْ أنكر طريقًا من الطرق عادى أهلها ضرورةً؛ لاعتقاده فسادها، وفساد عقائد أهلها، وقد غاب عن المنكر أن الأولياء والعلماء العاملين قد جلسوا مع الله سبحانه وتعالى على حقيقة التصديق، وعلى الصدق، والتسليم، والإخلاص، والوفاء بالعهود، وعلى مراقبة النفوس مع الله ﷻ حتى سلَّموا انقيادهم إليه، وألقوا نفوسهم سَلَمًا بين يديه، وتركوا الانتصارِ لنفوسهم في

---

(١) انظر: كتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص١٤٥)، واللمع (ص١٤٤)، والرسالة (١٠٧/١)، وتاريخ بغداد (٢٤٣/٧)، وسير أعلام النبلاء (٦٧/١٤)، ومدارج السالكين لابن قيم (١١٩/٣)، وروضة الحبور (ص١٢١) بتحقيقنا.

وقتٍ من الأوقات حياءً من رُبُوبيةِ ربِّهم، واكتفاءً بقيُّوميَّتهِ عليهم، فقام لهم فيما يقومون لأنفسهم؛ بل أعظم.

وكان سبحانه وتعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب لمن غالبهم.

وقال قُدِّس سرُّه في باب الوصايا من الفتوحات: إيَّاكم! ومعاداة أهل لا إله إلا الله؛ فإن لهم من الله تعالى الولاية العامة؛ فهم أولياء الله تعالى، ولو أخطأوا وجاءوا بترابِ الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئًا فإن الله تعالى يلقى جميعهم بمثلها مغفرةً، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته، وإنما جاز هجر أحدٍ من الذاكرين الله تعالى لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه، ونزدريه، وأطال في ذلك.

قلت: ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث القدسي الطويل الذي رواهُ مسلم: «**قال الله تعالى: ومَنْ لقيني بترابِ الأرض خطيئةً لا يُشرك بي شيئًا لقيتُه بمثلها مغفرةً**[1]».

ثم قال قُدِّس سرُّه: وإذا عمل أحدكم عملاً توعَّد الله تعالى عليه بالنار فليختمه بالتوحيد؛ فإن التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بدَّ من ذلك.

قلت: ويؤيده ما روي عن أبي ذرٍّ أنه قال:

يا رسول الله، أوصني. قال: «**أُوصيك بتقوى الله تعالى، وإذا عملت سيئةً فاتبعها بحسنة تَمحُها. قلت: يا رسول الله، أمِنَ الحسنات قول لا إله إلا الله؟ قال: مِنْ أفضلِ الحسنات**[2]» ذكره في شروح أم البراهين.

وكان الشيخ أبو تراب النَّخشبي رحمه الله تعالى يقول: إذا أَلِفَ القلب الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وذلك لأنه لو كان من المُقبلين بقلوبهم على حضرة ربهم سبحانه وتعالى لشمَّ روائح أهل حضرة ربه تعالى، فتأدَّب معهم ومدحهم وأحبَّهم، وخَدمَ نعالهم حتى يقرِّبوه إلى حضرته سبحانه تعالى، ويصير مثلهم كما هو شأنُ مَنْ يريد التقرُّب إلى ملوك الدنيا.

---

(١) رواه مسلم (٢٠٦٨/٤)، وابن ماجه (١٢٥٥/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠١/٤).

(٢) رواه الدارقطني في العلل (٢٦٨/٦).

وكان الشيخ أبو عبد الله القرشي رحمه الله تعالى يقول: مَنْ بَغَضَ وليًّا لله تعالى ضُرِبَ في قلبه بسهمٍ مسمومٍ، ولم يَمتْ حتى تفسد عقيدته، ويُخاف عليه من سوء الخاتمة.

وكان الشيخ زكريا الأنصاريُّ رحمه الله تعالى يقول: الاعتقاد صنيعةٌ، والانتقاد حرمانٌ.

وقال الإمام الشافعي ﷺ: الإنكار فرعُ النفاق.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وذلك لأن المنافقين لو لم ينكروا على رسول الله ﷺ لآمنوا به ظاهرًا وباطنًا.

وكان الشيخ الجنيد قدَّس الله تعالى سرَّه يقول: مَنْ قعد مع هؤلاء الفقراء وخالفهم في شيءٍ مما يتحقّقون به نزع الله تعالى منه نور الإيمان(١).

وقد رُوي في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني قدَّس الله تعالى سرَّه بأسانيد متعددة:

عن أبي سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عصرون التميمي الشافعي قال:

دخلتُ وأنا شابٌّ إلى بغداد في طلب العلم، وكانَ ابن السقّا يومئذ رفيقي في الاشتغال في النظامية، وكنّا نتعبد، ونزور الصالحين، وكان يومئذ ببغداد رجلٌ يقال له: الغوث، وكان يقال عنه: أنه يَظهرُ إذا شاء، ويختفي إذا شاء، فقصدت زيارته أنا وابن السقّا والشيخ عبد القادر وهو يومئذ شابٌّ، فقال ابن السقا ونحن في الطريق: اليوم أسأله عن مسألة لا يدري لها جوابًا. فقلت: أنا أسأله عن مسألة، فأنظر ما يقول فيها. فقال الشيخ عبد القادر: معاذ الله! معاذ الله! أن أسأله شيئًا وأنا بين يديه، إذًا أنتظرُ بركات رؤيته. فلما دخلنا عليه لم نره في مكانه، فمكثنا ساعةً فإذا هو جالسٌ، فنظر إلى ابن السقّا مغضبًا، وقال: ويحك يا ابن السقا! تسألني عن مسألةٍ لا أدري لها جوابًا، هي كذا، وجوابها

---

(١) انظر: كتابنا الإمام الجنيد (ص٣٤) عن رويم (ص٣٥٥) عن الجنيد بنحوه.

كذا، وإني لأرى نار الكفر تتلهَّبُ فيكَ، ثم نظر إليَّ، وقال: يا عبد الله، تسألني عن مسألة لتنظر ما أقول فيها! هي كذا، وجوابها كذا، ولتأخذنَّكَ الدنيا إلى شحمتيَ أذنَيك بإساءة أدبك. ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني، وأدناه منه، وأكرمه، وقال: يا عبد القادر، لقد أرضيتَ الله ورسوله بأدبك، فكأنّي أراك ببغداد، وقد صعدتَ على الكرسي متكلمًا على الملإ، وقلتُ: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حَنوا رقابهم إجلالاً لك، ثم غابَ عنَّا لوقته فلم نرهُ بعدُ ذلك.

فأمَّا الشيخ عبد القادر: فإنه ظهرت أمارات قربهُ مِنْ الله ﷻ، وأجمع عليه الخاص والعام، وقال: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، وأقرَّت الأولياء بفضله في وقته.

وأما ابن السقّا: فإنه اشتغل بالعلوم الفرعية حتى برعَ فيها، وفاق بها كثيرًا من أهلِ زمانه، واشتهر بقطعِ من يناظره في جميع العلوم، وكان ذا لسان فصيحٍ، وسمتٍ بهيٍّ، فأدناه الخليفة منه، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم، فرآهُ الملك ذا فنونٍ، وفصاحة، وسمت فأُعجب به، وجمع له القسِّيسين والعلماء بدين النصرانية، وناظروه، فأفحمهم عجزًا، فعظُمَ عند الملك، ثم رأى بنتًا للملك حسناء ففُتِن، وسأل أباها أن يُزوِّجها منه، فأبى إلا أن يتَنصَّر، فأجابه، وتزوج بها فذكر ابن السقّا كلام الغوث، وعلم أنه أُصيبَ.

وأما الشيخ الأبشيهي فقال: فجئت إلى دمشق، وأحضرني السلطان نور الدين الشهيد، وأكرهني على ولاية الأوقاف فوليتُها، وأقبلتُ على الدنيا إقبالاً كثيرًا، وَصدَقَ قول الغوث فينا كلنا نعوذ بالله تعالى من غضبه، ونسأله حُسن الخاتمة، آمين.

وذكرَ اليافعي رحمه الله تعالى في كتابه «نشر المحاسن» قال:

أخبرني بعض الصالحين من ذرية الشيخ أبي الحسن بن حرزهم: أنه لما وقف أبو الحسن المذكور على كتاب «الإحياء» نظر فيه، وتأمله، ثم قال: هذا بدعةٌ مُخالفةٌ للسنَّة، وكان مطاعًا في جميع بلاد الغرب، فأمر بإحضار كل ما

فيها مِنْ نسخ الإحياء، وطلب من السلطان أن يلزم الناس ذلك، فأرسل السلطان إلى جميع النواحي، ونودي فيها: لعنةُ الله على مَنْ عنده شيءٌ من كتاب «الإحياء» ولا يحضرهُ، فأحضر الناس ما عندهم من ذلك، واجتمع الفقهاء، ونظروا فيه، ثم أجمعوا على إحراقه يوم الجمعة، وكان اجتماعهم يوم الخميس، فلمَّا كان ليلة الجمعة رأى أبو الحسن المذكور في المنام كأنه دخل من باب الجامع الذي عادته يدخل منه، فرأى في ركن المسجد نورًا، وإذا بالنبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما جلوسٌ، والإمام أبو حامد الغزالي قائمٌ وبيده كتاب الإحياء، فقال: يا رسول الله، هذا خصمي، ثم جثا على ركبتيه، وزحف عليهما إلى أن وصل إلى النبي ﷺ، فناوله كتاب الإحياء، وقال: يا رسول الله، انظر فيه، فإن كان بدعةً مخالفةً لسنَّتك كما زعم تُبت إلى الله تعالى، وإن كان شيئًا تستحسنه جُعل لي من بركتك، فانصفني مِنْ خصمي. فنظر فيه رسول الله ﷺ ورقةً ورقةً إلى آخره، ثم قال: «والله إنَّ هذا الشيء حسنٌ». ثم ناوله أبا بكر، فنظر فيه كذلك قال: «والذي بعثك بالحق يا رسول الله إنه لحسنٌ». ثم ناوله عمر، فنظر فيه كذلك قال كما قال أبو بكر، فأمر رسول الله ﷺ بتجريد أبي الحسن من ثيابه، وضَربِهِ حدَّ الافتراء، فجُرِّد من ثيابه، وَضُرِب، ثم شفع فيه أبو بكر ﷺ بعد خمسة أسواط، وقال: يا رسول الله، إنما فعل هذا اجتهادًا في سنَّتك، وتعظيمًا لها، فغفرَ له أبو حامد عند ذلك، فلمَّا استيقظ مِنْ منامه وأصبح أعلم أصحابه بما جرى له، ومكث قريبًا من شهر وَجعًا من ذلك الضرب، ثم نظر بعد ذلك في الإحياء فرأى أمرًا آخر، وفهمه فهمًا مخالفًا للفهم الأول، فرآه موافقًا للكتاب والسنة، ورأى النبي ﷺ مسحَ على ظهرِهِ بيده المباركة الكريمة، فشُفي جسمه وقلبه بعد خمسة وعشرين يومًا، ثم فُتح عليه بعد ذلك، ونال من المعرفة بالله تعالى والحظ العظيم ما نال، وصحبه الشيخ أبو مدين فربَّاه، ثم قال له: قد فتحت لك ستة أقفالٍ وبقي سابعٌ يفتحه لك الشيخ أبو يعزى؛ فاذهب إليه. فلمَّا رآه الشيخ أبو يعزى قال له: قال لك الشيخ أبو الحسن أني أفتح لك القفل السابع، ها أنا أفتحه بإذنه، ففتحه له، ففتح، وكان

من أمر الشيخ أبو مدين وعظم شأنه ما كان -رضي الله تعالى عنهم- أجمعين.

ولولا أن هذا الشيخ أدركه اللطف والعناية بالتوبة والهداية وتشفّع فيه الصدِّيق ﷺ لكان يموت على ذلك الحال، ويلقى العذاب والنَّكال، نسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة، آمين.

وذكر الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه «كشف النور» قال:

حكى الشيخ عبد الله بن زين الإشبيلي: أنه قرأ ليلةً تأليف أبي القاسم بن أحمد في الردّ على الغزالي فعمي، فسجد لله تعالى من حينه، وتضرَّع، وأقسم أنه لا يقرأه أبدًا، ويذهبه الله سبحانه وتعالى، فردَّ الله سبحانه وتعالى بصره.

وقد حكى الشيخ الفقيه خير الدين الرملي الحنفي: أن بعض المنكرين رأى أن القيامة قد قامت ونصبت أوانٍ في غاية الكِبَر، وأغلي فيها ماءٌ تطاير منه الشرر، وجيء بجماعة، فسلقوا فيه حتى تمرَّى اللحم والعظم. فقال: ما هؤلاء؟ قال: الذين يُنكرون على ابن العربي وابن الفارض رضي الله تعالى عنهما.

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «العهود المحمدية» قال:

حكى لي شيخي الإمام المحدِّث الشيخ إمام الدين إمام جامع الغمري بمصر عن شيخ الإسلام صالح البلقيني: أن سراج الدين البلقيني مرَّ يومًا بـــ «باب اللوق» فوجد هناك زحمةً، فقال: ما هذه الزحمة؟ فقالوا: شخصٌ من أولياء الله تعالى يبيع الحشيش. فقال: لو خرج الدجال حينئذ في مصر لاعتقدوه من شدَّة جهلهم، كيف يكون حشَّاشٌ منْ أولياء الله تعالى؟ إنما هؤلاء حرافيش، ثم ولَّى، فسُلب جميع ما معه حتى الفاتحة، فتنكّرت عليه أحواله وصارت الفتاوى تأتي إليه فلا يعرف شيئًا، ونسي ما قاله في حق الحشَّاش، فمكث كذلك في مدرسته بحارة بهاء الدين، ثلاثة أيام، فدخل عليه فقيرٌ، فشكا إليه حاله، وأفشى له سرَّه، فقال: هذا من الحشَّاش الذي أنكرت عليه، فإن الفقراء أجلسوه هناك يُتوِّب الناس عن أكل الحشيش فلا يأخذها أحدٌ من يده، ويعود يأكلها أبدًا حتى يموت، فأرسل: استغفر له يُردَّ عليك حالك، فأرسل له، فبمجرد ما أقبل الرسول أنشده الشيخ:

نحنُ الحرافيشُ لا نسكنُ علالِي الدُّور ... ولا نرائِـي ولا نشهدُ شهادةَ زورْ
نقـنعُ بلقمةٍ وخِرقةٍ بمسجدٍ مهجورٍ ... مَـنْ كان ذا الحال حالهُ ذنبهُ مغفورْ

فلو كنَّا عصاةً نبيع الحشيش ما أقدرنا على سلب شيخ الإسلام، ثم قال: سَلِّمْ على شيخ الإسلام، وقل: اعمل أربعة خراف معاليف شواء، وأربعمائة رغيف، وتعال اجلس عندي كلُّ مَنْ بعته قطعة حشيشٍ زن له رطلاً، وأعطه رغيفاً.

فشقَّ ذلك على شيخ الإسلام، فما زال به أصحابه حتى فعل ذلك، وصار يزن لكل واحد الرطل، ويعطيه الرغيف والشيخ يتبسَّم، ويقول: نحن نحلِّيهم في الباطن، وأنتَ تحلِّيهم في الظاهر إلى أن فرغ.

ثم قال له: اذهب إلى الدِّيك الذي فوق سطح مدرستك فاذبحه، وكُلْ قلبه يُردَّ لك علمك، فبالله عليك كيف تتكبَّر على المسلمين بعلمٍ حمله الديك في قلبه، فمن ذلك اليوم ما أنكر البلقيني على أحدٍ من أرباب الأحوال. هذه حكاية الشيخ أمين الدين عن ولد الشيخ سراج الدين.

وكان قبل ذلك ينكر على سيدي عليٍّ بن وفا أشد الإنكار، فلمَّا وقعت له هذه الواقعة من الحشَّاش تاب إلى الله تعالى عن الإنكار، وأوصى سيدي عليَّ بن وفا أن يصبَّ عليه الماء إذا مات، ففعل له ذلك، وقال: والله لقد رجع أمرك إلى سلامة.

وكان الشيخ عليٌّ الخواص رحمه الله تعالى يقول: لو أن كمال الدُّعاة إلى الله تعالى كان موقوفًا على أطباق الخلق كلهم على تصديقهم لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ والأنبياء عليهم السلام قبله صدَّقهم قومٌ، فهداهم الله تعالى بفضله، وحُرم آخرون، فأشقاهم الله تعالى بعدلِه.

ولما كان الأولياء والعلماء على أقدام الرُّسل في مقام التأسِّي بهم انقسم الناس فيهم فريقين: فريقٌ معتقدٌ مُصدِّقٌ، وفريقٌ منتقدٌ مُكَذِّبٌ، كما وقع للرسل عليهم السلام؛ ليحقق الله تعالى بذلك ميراثهم، فلا يُصدِّقهم ويعتقد صحة علومهم وأسرارهم إلا مَنْ أراد الله تعالى أن يلحقه بهم ولو بعد حينٍ.

وأما المكذّب لهم المنكر عليهم فهو مطرودٌ عن حضرتهم لا يزيده الله تعالى بذلك إلا بُعدًا.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه: ولما عَلِمَ الله تعالى ما سيقال في هذه الطائفة على حسب ما سبق به العلم القديم بدأ بنفسه، فقضى على قومٍ أعرضوا عنه بالشقاء، فنسبوا إليه زوجةً وولدًا وفقرًا وغير ذلك، سبحانه وتعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا، فإذا ضاق ذرع الولي أو الصدِّيق لأجل كلامٍ قيل فيه: من كفرٍ، وزندقةٍ، وسحرٍ، وجنونٍ وغير ذلك نادته هواتف الحق تعالى في سرِّه: أما ترى إخوتك من بني آدم كيف وقعوا في جنابي، ونسبوا إليّ ما لا ينبغي لي؟ فإن لم ينشرح لما قيل فيه نادته هواتف الحق سبحانه وتعالى: أما لك أُسوةٌ بي، فقد قيل فيَّ، وقيل في حبيبـــي محمد، وفي إخوانه من الأنبياء والرسل ما لا يليق بمرتبتهم من السحر والجنون وغير ذلك، فيسكن قلبه عند ذلك.

فالحاصل: الإنكار على أولياء الله تعالى لا يكون إلا من سُوء النيَّة، وخبث الطويَّة.

* * *

علاج داء الاعتراض على الأولياء للنجاة من وقوع البلاء

وعلاج هذا الداء العُضال التوبة من سائر الذنوب، ثم كثرة الاستغفار، والمحافظة على السُنن المؤكدات، والصلاة بالخشوع، وقيام الليل، وقراءة القرآن مع التدبُّر، ومجالسة العلماء العاملين، والصلحاء الخاشعين، وترك الكلام الذي لا يعني.

فقد ذَكر الفاضل البركيلي في «الطريقة المحمدية» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أكثرُ النَّاسِ ذنوبًا أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيه، ووجهه أنه يجرُّه غالبًا إلى ما لا يحلّ: من الكذب والغيبة ونحوهما**[1]».

وعن أنس ﷺ أنه توفي رجلٌ فقال رجلٌ آخر ورسول الله يَسمعُ: أبشر بالجنة، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يُدريك لعلَّه كان يتكلمُ بما لا يعنيه، أو يبخل بما لا يغنيه**[2]» رواه الترمذي.

وعن أنس ﷺ: أنه استشهد رجلٌ منَّا يوم أُحد، فوجدَ على بطنه صخرةً مربوطةً من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئًا لك يا بني.

فقال النبي ﷺ: «**ما يُدريكِ لعله كان يتكلَّم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضرُّه**[3]» رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلي.

ووجهه أنَّ البشارة والتهنئة الكاملتين لمن لا يحاسب أصلاً؛ إذ الحساب نوع عذاب، ومن تكلم بما لا يعنيه يحاسب ويُسأل انتهى.

ثم بعدَ ذلك الإقبال على ذكر الله تعالى خصوصًا كلمة التوحيد لا إله إلا الله؛ فإنه أسرع شيءٍ لإزالة نزغ الشيطان من القلب، وتطهيره من سائر مكائده، ووساوسه وهي سببٌ عظيمٌ لإشراق القلب، وتنويره، ولينه، وخشوعه بعد غِلَظته، وقسوته، وقد جرَّبنا ذلك مرارًا.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠/٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٢/١).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٤٢٥/٧)، والضياء المقدسي في الأحادي المختارة (٢٢٠/٦).

(٣) رواه أبو يعلي في مسنده (٨٤/٧)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٢٨/١٠).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في «الأذكار[1]»: ولذلك اختار السادة الأجلة من صفوة هذه الأمة أهل تربية السالكين، وتأديب المريدين قول لا إله إلا الله لأهل الخلوة وأمروهم بالمداومة عليها، وقالوا: أنفع علاجٍ في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله تعالى والإكثار منه انتهى.

وروى الترمذي عن عبد الله بن بشر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به.

قال: «**لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكر الله**[2]».

وروى الترمذي أيضًا عن أبي سعيد الخدري ﷺ: «أن رسول الله سُئل: أيُّ العباد أفضل درجةً عند الله تعالى يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا. قلت: يا رسول الله، ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: لو ضربَ بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دمًا لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه[3]».

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المواظبين على ذكره، وأن يعصمنا من الشيطان وجنده؛ إنه جوَّادٌ كريمٌ رءوفٌ رحيمٌ.

***

(١) في (ص١١٤).

(٢) رواه الترمذي (٤٥٨/٥)، وأحمد (١٨٨/٤)، وابن حبان (٩٦/٣)، والحاكم (٦٧٢/١).

(٣) رواه الترمذي (٤٥٨/٥)، وأحمد (٧٥/٣).

في بيان مدلول الكرامة لغةً واصطلاحًا وفي حدِّها الجامع استنباطًا واقتراحًا

فالكرامة من جملة ما وقع التعبد بتصديق وقوعها بظاهر العلم اتفاقًا من غير تفصيلٍ؛ لأنها ليست سببًا للريبة، ولا مظنة لها لوضوح الدلالة العقلية والنقلية على صحتها، ثم وقوعها وإثباتها أبلغ في كمال القدرة على القوانين الشرعية، وليست محالاً عند التعقل والتسطير[1]، فوجب القول بجوازها على كل تقديرٍ، ولفظها في اللغة اسمٌ مشتقٌ من التكريم أو الإكرام.

ويقال: وليني منه كرامة، معناه: فضلاً وتفضلاً، وهذا على قول من جعل التكريم بمعنى التفضيل، والإكرام بمعنى الإفضال.

وفي الاصطلاح: معلوم خارق للعادة، ظهر على يد الولي من غير دعواه، يعقبه وقوع العلم بالتصديق ضرورة، وهذا الحد مشتمل على قيودٍ:

القيد الأول: قولنا: معلومٌ؛ ليتناول الموجود وغير الموجود، فالموجود كفاكهة الشتاء والصيف، وغير الموجود كما تقدم الرؤية الباصرة من أعين الناظرين إليه ممن أراد ضرهم من قطاع الطريق، أو غيرهم من أهل التفسيق، وكعدم إذاءة السباع له، وجملة الحيوان المؤذي لغيره طبعًا.

القيد الثاني: قولنا: خارق للعادة؛ تحرزًا من الأفعال العادية التي لا تدل بنفسها، وإنما دلت من جهة العادات، ويصح خرقها عقلاً.

القيد الثالث: قولنا: ظهر على يد الولي؛ تحرزًا مما يظهر على يد غير الولي، كالسحر، والشعوذة، والكهانة.

القيد الرابع: قولنا: من غير دعواه؛ إخراجًا للمعجزة من هذا الحد، وهذا الحد هو الفارق الأعظم بين المعجزة والكرامة عند الجمهور من محققي أهل الأصول ممن يقول بجواز وقوع الكرامة.

---

(١) أي التهذيب والتخطيط.

القيد الخامس: قولنا: يعقبه وقوع العلم بالتصديق، ضرورة ذلك أن القرائن الحالية لما كانت في الغالب غير منضبطة، كان علمها مرتبًا على أسباب غير منضبطة، وحينئذ يصير كل سبب هذا شأنه لا يستدل على كمال سببه إلا بالعلم المرتب عليه، فإذا ظهرت الكرامة على يد صادق وحصل العلم الضروري بصدقة علمنا ولايته قطعًا؛ لحصول قوة العلم، وإن أظهرت على يد غير الصادق لم يحصل لنا ذلك العلم؛ لأن الله تعالى لم يخلق لنا علمًا بالتصديق، وهذا أصل مطرد كما في الخبر المتواتر الذي هو سبب للعلم الضروري الذي به وقع القطع والتصديق، حتى إن لو كان فيهم كاذب أو كانوا كذبة، لم يخلق الله تعالى لنا العلم بالتصديق، والله أعلم.

فإن قالوا: الدَّال على الصدق إنما هو الخارق المُقترن بالدعوى، فلا يكون دالاً على صدق ولاية صاحبه ولا على كذبه.

قلنا: ما يدل بنفسه لا يتصور فيه الشرط كالأدلة العقلية، وإلا لزم تغير صفة ماهية الشيء الممكن، وحنيئذ يلزم منه قلب الحقائق، والله أعلم.

صحة جوازها عقلاً ووقوعها نقلاً

قال الشيخ الماجري الينصاري: لو امتنع الجواز لما وقع، وقد وقع فلا يمتنع، بيان الملازمة أن خوارق العادات كلها مقدورة لله تعالى ابتداءً، والقدرة لا تتخصص ببعض الممكنات دون بعضٍ مع إمكان تعلقها بأكثر مما تعلقت به أو أقل، وتعلقها بما تخصصت به ليس من ذاتها؛ لأن ذاتها بالنسبة إلى سائر الممكنات على وجه السواء، فكما جاز تعلقها بالمعجزة جاز تعلقها بالكرامة، والاختلاف في التسمية لا يوجب الاختلاف في الحقيقة الذاتية ولا يستلزمه، وإلا لزم الإمكان والافتقار إلى مخصصٍ، وهو على الله تعالى محال، ثم لو لم يكن مقدورًا لله تعالى لما وقع أمثالها معجزةً، فكما جاز وقوعها معجزةً للأنبياء جاز وقوعها كرامةً للأولياء، ولا يمتنع ذلك عقلاً؛ لما يلزم من انقلاب الممكن محالاً، ثم شواذًا وقوعها لو امتنع لكان امتناعه إما لحقيقة ذاتها وهو باطلٌ؛ لأن كل ما كان عدمه ذاتيًا لا يصح أن يكون حصوله وجوديًا، وإما أن يكون امتناعه لصورتها وهو باطلٌ؛ لأنها من الممكن الذي لا يؤدي حصوله إلى فرض المحال، وحينئذٍ يلزم من امتناعها وجوب امتناع وجود مثلها مطلقًا، وقد وجد، وانتفاؤه حالة وجوده محال، وجواز وقوع أمثال ما وقع لا يستحيله العقل، وإما أن يكون امتناعها لما يلزم في جواز وقوعها من التأدية إلى تولد مفاسد، والإفضاء إلى توقع ما يستقبحه العقل من قبح المقاصد، وهو باطلٌ؛ لما يستلزمه من كون المصالح موجبة للمفاسد، ثم النـــزاع إنما وقع في جواز وقوعها لا في جواز تعلقها بالمفاسد والمصالح.

فإن قلت: فما فائدتها؟

قلنا: الكرامة: درجة عظيمة على الخصوص ظاهرًا مع احتمال أن تكون فائدتها وقوع المقدور السابق في الأزل، ونفوذه على وفق العلم والإرادة مع إظهار القدرة وإبرازها لتلك الأفعال المرادة، فتكون كالأمارة المبشرة والمنذرة دون العلة الموجبة، ثم هي مثمرة للترجي والطمع للباعثين على الطلب، الذي هو

دائرٌ بين الظفر بالمطلوب وبين مخافة فوته، وهي محركة للسعي والتمادي عليه، فينبعث من ذلك جملة الوظائف التي هي سنة العبد، والرجاء والطمع مدرجتان للعبودية، ومواهب من مواهب الربوبية، ويحتمل أن تكون الفائدة أن الله تبارك وتعالى جعل من جميل لطفه وإحسانه، ومنائح عطفه وامتنانه لخواص عباده، ما سكن به طباعهم البشرية أن وضع لهم تلك الخوارق؛ كرامةً تتآنس بها نفوسهم، وعلامةً ترتاح إليها قلوبهم؛ لكي يخفف عنهم بذلك ثقل العبادة، كما ورد في قصة مريم ابنة عمران في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً﴾ [مريم: ٢٥]، يتسرى بذلك ما أظهرته من شدة حزنها، هذا مع علو شأنها، قاله المفسرون، ثم جعلها بين الرجاء والخوف المثمرين لوظيفتي الشكر والصبر عند التقلب في أطوار السراء والضراء والشدة والرخاء، ومن وراء ذلك علم الله تعالى فيهم، وعلى كل تقدير لا يجوز اعتقاد خلوها من فائدة؛ إذ هي من الأسباب الداعية إلى التمسك بالطاعات، وهي تمحيصٌ للولي، وتمييزٌ للغوي، وتحقيقٌ لمجوزات أحكام العقول، حتى تشهد العقول بصحتها لأهل الصلاح بصدق الشريعة، ويتحقق ذوو الألباب بذلك علو درجاتهم الرفيعة؛ لأنها من أوضح الشواهد على صدق من وفق لذلك، وأظهر العلامات على عصمة الله تعالى من أولئك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللّٰهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ويحتمل أن يكون هنالك فوائدُ لا نعلمها، وأسرارٌ غامضة لا نفهمها، قد أطلع الله تعالى عليه أولياءه، وكشف على حقيقتها أصفياؤه، فستروها عن غير أهلها، وكتموها عند محلها، وكتمانها من شروط صحتها عند غالب الأولياء، من قال بجوازها من العلماء الأتقياء، وذلك من سننهم المعروفة وأحوالهم الموصوفة.

ثم ينتشئ لنا غير هذا الأصل أربعة فروعٍ:

الفرع الأول: فيما تكلمت به الأئمة واختلفت فيه الأمة، وهي معجزات الأنبياء - عليهم السلام - كانشقاق القمر، وانفلاق البحر، وقلب العصا، وتسبيح الحصى، واستدعاء الرمة فتقوم صحيحة، ودعاء الميتة فتجيب فصيحة، وجميع آياهم العظيمة ومعجزاهم الكريمة، هل يقع ذلك كرامةً للأولياء وحليةً للأصفياء؟! فمنعه قومٌ لما يستلزمه عندهم من تكذيب النبي ﷺ القائل في تحديه: «لا يأتي أحدٌ بمثل ما أتيت به».

ورد هذا القول بأنه لا خلاف بين الأئمة أن الشيء الواحد من خوارق العادة يجوز أن يكون معجزة لنبيٍّ بعد نبيٍّ، ولا يكون وقوعه ثانيًا تكذيبًا للأول، وأجابوا عن هذا الرد بجواز أن يكون الأول قد قيد دعواه بقوله: «لا يأتي أحدٌ بمثل ما أتيت به إلا نبيٌّ صادقٌ في دعواه».

ورد هذا بما يعارضه من جواز تقييد دعواه بعد تسليم جواز التقييد في دعوى النبوة، أن يقول: لا يأتي أحدٌ بمثل ما أتيت به إذا كان متمنيًا أو مفتريًا أو من يريد بذلك تكذيبي، وحينئذ تخرج الكرامات من هذا التقييد، وليس تقييد أولى من تقييد.

وقال أبو بكر بن فورك: خوارق العادات دلالة الصدق، فإن ادعى صاحبها النبوة فهي تدل على صدقه، وتُسمى معجزة، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت على صدقه في حالته، وتُسمى عند ذلك كرامة، ولا تُسمى معجزة، وإن كانت من جنس المعجزات للفرق بينهما.

قال الإمام نجم الدين عمر النسفي في «عقائده»: وكرامات الأولياء حقٌّ، فتظهر الكرامة على طريق تقضّي العادة للولي من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة، وظهور الطعام، واللباس، والشراب، والمشي على الماء وفي الهواء، وكلام الجماد، والعجماء وغير ذلك من الأشياء، ويكون ذلك معجزةً للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته؛ لأنه يظهر بها أنه وليٌّ، ولن يكون وليًّا إلا وأن يكون محقًّا في ديانته، وديانته الإقرار برسالة رسوله مع الطاعة له في أوامره ونواهيه.

وقال الشارح سعد الدين: حتى لو ادَّعى هذا الولي الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليًّا، ولم يظهر ذلك على يده، وإذا ظهر فلا يكون كرامةً بل استدراجًا.

والحاصل: أن الأمر الخارق للعادة فهو بالنسبة إلى النبي معجزةٌ سواء ظهر من قبله أو من قبل آحاد أمته، وبالنسبة إلى الولي كرامةٌ؛ لِخلوِّه عن دعوى نبوةٍ من ظهر ذلك من قبله.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «المحصَّل»: ثم تتميز الكرامة من المعجزة بتحدِّي النبوة.

وقال الإمام ناصر الدين البيضاوي في كتابه «المصباح»: الكرامات جائزةٌ خلافًا للمعتزلة والأستاذ، وتتميز عن المعجزة بعدم التحدي.

وقال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في كتابه نشر المحاسن: ظهور الكرامات للأولياء جائزٌ عقلاً، وواقعٌ نقلاً، أمَّا جوازه في العقل فلأنه ليس مستحيلٌ في قدرة الله تعالى بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء، هذا مذهب أهل السنَّة من المشايخ العارفين، والنُّطقاء الأصوليين، والفقهاء، والمحدثين، وتصانيفهم ناطقةٌ بذلك شرقًا وغربًا عجمًا وعربًا.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: المعجزة تختص بالأنبياء، والكرامة تكون للأولياء، والمعجزة لا تكون معجزة لعينها وإنما تكون معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة، وشروط كثيرة، فمتى اختل شرطٌ من تلك الشروط أو وصفٌ من تلك الأوصاف لا تكونُ معجزة، وأحد تلك الشروط والأوصاف دعوى النبوة، والولي لا يدعي النبوة، وأكثر ما يوجد في المعجزات يوجد في الكرامات إلا شرط الدعوى، وهذا هو الذي نعتقده وندين به.

وقال الشيخ الماجري: لقد سمعت بعض الفضلاء ممن أدركت يقول: قال سيدي أبو مدين يومًا لأصحابه: كل معجزة كانت للأنبياء ظهرت كرامة للأولياء في هذه الأمة؛ تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا لنبينا محمد ﷺ، فقيل له: يا سيدي، وهل وقعت لبعض الأولياء كرامة انقلاب العصا حية، قال: نعم، كنت

أنا وشيخًا فاضلاً من شيوخ بلادنا بأرض الأندلس في سياحة في بعض السواحل، فبينما نحن ذات يومٍ في بعض السواحل ونحن في الصلاة، إذاً بصيادين من الروم قد هدهم الجوارح علينا، فتقدمت الجوارح، وكان الشيخ مما يليهم وعصاه مركوز بين يديه، فانقلب العصا ثعبانًا، فطرد الجوارح والصيادين حتى بعدوا، ثم عاد فصار عصا واقفًا بين يديه، ثم عادت الجوارح وأربابها في أثرها، حتى إذا قربوا من الشيخ انقلب العصا ثعبانًا أعظم من الأول، فطرد الجوارح وأربابها حتى غابوا عنا، ثم عاد إلى موضعه فصار عصا كما كان، فلم يعودوا بعد، فأخذ الشيخ عصاه بيده وسرنا من ذلك الموضع، والله أعلم.

مسألة

كرامة الأولياء لاحقة بمعجزات الأنبياء

فكرامات كل أمة لاحقة بمعجزات أنبيائها، فكرامات أولياء هذه الأمة لاحقة بمعجزات نبينا محمد ﷺ.

قال الإمام الأوحد عزّ الدين مفتي الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام: ما من عارفٍ من أمة محمد ﷺ ولا ذي حالٍ كريمٍ أو مقامٍ عظيمٍ من كل ما يتقرب به إلى الله تعالى إلا وله عليه السلام مثل أجر ذلك العمل مضافًا إلى أجور معارفه وأعماله، وما من درجة علية ولا رتبة سمية نالها أحدٌ من أمته بإتباعه وإرشاده إلا وله مثلها مضافًا إلى درجاته وعلو مرتبته ومقاماته ﷺ، وقد يضاعف له ذلك؛ لأن كل من دعا من أمته إلى هذا أو سنَّ سنَّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها على عدد العاملين، ثم يكرر ذلك مضافًا لنبينا محمد ﷺ.

وقال أبو يزيد البسطامي: مثل ما حصل لنبينا عليه السلام كمثل زقٌ فيه عسلٌ ترشح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء، ومثل ما في الظرف مثل ما لنبينا ﷺ.

وكذلك قال الشيخ شهاب الدين السهروردي: وخرق العادة إنما يكاشف به لموضع ضعف يقين المكاشف رحمةً من الله تعالى على عباده العبَّاد، وثوابًا

معجَّلاً لهم، وفوق هؤلاء قومٌ ارتفعت الحجب من قلوبهم، وباشر بواطنهم نور اليقين، وصدق المعرفة، فلا حاجة لهم إلى مدد من المخرقات، ورؤية القدر والآيات، ولهذا ما نُقل عن أصحاب رسول الله ﷺ كثيرٌ من ذلك إلا القليل، ونُقل عن المتأخرين من المشايخ والصادقين أكثر؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ لبركة صحبة النبي ﷺ ومجاورة نزول الوحي وتردُّد الملائكة وهبوطها تنوَّرت بواطنهم، وعاينوا الآخرة، وزهدوا في الدنيا وتزكّت نفوسهم، وانخلعت عاداتهم، وانصقلت مرايا قلوبهم، فاستغنوا بما أعطوا من رؤية الكرامة، واستماع أنوار القدرة.

قال اليافعي: وأيضًا فهذه الكرامات من الكشف وغيره أنوارٌ، والأنوار إنما يظهر حسن بهائها في الظلمة، فأما الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فكلُّهم أنوارٌ ليس فيهم ظلمةٌ؛ لتوهُّج ضياء شمس النبوة عليهم، وكمال محاسنهم، ثم أن الشمس إذا غربت تظهر الظلمة عقيب غروبها ولا تظهر إلا الكواكب الكبار، فكلما تغرب عن الأفق تكثر الظلمة، فتظهر سائر الكواكب إلى أن يظهر فجر الوعيد، وأيضًا الصحابة كانوا أهل حقٍّ، وسُنَّة، وطاعة، وعدلٍ، ومعروفٍ، ثم ظهر بعدهم عكس ذلك من الباطل والبِدَع، والمعاصي، والظلم، والمنكر، فبثَّ الله تعالى في سائر البلدان رجالاً قلَّدهم سيوفًا ماضيات تقطع أعناق المنكرين عليهم.

والحاصل: أنه قد علمت أنهم قد اتفقوا على أن الفارق بين الكرامة والمعجزة هو تحدي النبوة فقط، ولم يشترط أحدٌ منهم لكون الكرامة دون المعجزة في جنسها وعظمها، فدلَّ ذلك على جواز استوائهما فيما عدا التحدي المذكور، ويشهد لصحة هذا القول قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**لو أقسمَ على الله لأبرَّه**[1]».

فإن الإبرار المذكور عامٌّ في كل مقسَمٍ فيه.

---

(١) تقدم تخريجه.

هل الكرامات تقع اختياراً

ذهب كثيرٌ من الناس إلى أن الكرامة لا تقع اختيارًا، ولو قصد الولي وقوعها اختيارًا لم تقع.

وقال إمام الحرمين: هذا قولٌ غير مرضيٌ، بل المختار عندنا ألا يمتنع وقوع الكرامة على وفق مراد الولي وقصده واختياره، كما لا يمتنع وقوعها على غير اختياره.

قلت: ودليل فعل عمر ﷺ حين صرخ وهو على المنبر بسارية وجيشه، وهم بأكناف نهاوند، وكان قصده واختياره أن يسمعوا كلامه، فوقع ذلك كما أراد واختار.

قال القاضي أبو بكر: لو عرض هذا على العقل لم يكن فيه محالٌ، ولا يمتنع وقوعها اختيارًا إذا رام بها تخلصًا من هلكه أو خلاصًا لغيره.

مسألة:

هل يجوز في الكرامات وقوع تواليها حتى تتعين في حكم العبادة؟

ذهب كثيرٌ من الناس إلى منع ذلك واستحالته.

وقال الجمهور: يجوز ذلك ولكن بحيث لا تشيع، وليس للولي سكونٌ إلى الكرامات، ولا ملاحظة إلى الولاية، ولكن قد يكون له في تواليها قوة يقين وزيادة بصيرة، مما يتحقق به فضل الله تعالى عليه، فيستدل بذلك على صحة ما هو عليه من قوة العقيدة واستقامة الطريق، والذي يجب على كل تقديرٍ اعتقاده تعلقها بإرادة الحق تعالى، فمتى ما شاء تواليها على العبد توالت عليه، ومتى شاء قبضها عنه قبضها، وليس في كثرة العباد وقوة المجاهدة ما يستدعي تواليها، ولا في ضعف ذلك وقلته ما يمنع تواليها، وليس شيء يوجب ذلك في شواهد المعقول ولا في دلائل المنقول، فهذا قدرٌ من البيان يفي بالمقصود، والله تعالى هو المشكور والمحمود.

الرد على المعتزلة والمنكرين

قال الشيخ المناوي: وأما إنكار المعتزلة والأستاذ أبي إسحاق والحليمي منّا للكرامة محتجين بأمور:

الأول: أنها توجب التباس النبي بغيره لعدم تميزها عن المعجزة فلا تدل المعجزة على النبوة.

الثاني: أنها تفضي إلى السفسطة لاقتضائها انقلاب الجبل ذهبًا إبريزًا والبحر دمًا عبيطًا ونحو ذلك.

الثالث: أنه لو ظهر لوليّ كرامة لجاز الحكم له بمجرد دعواه أنه يملك حبة بر أو فلسًا واحدا بغير بينة لظهور كرامته المؤذنة بعلو درجته عند الله المانعة لكذبه سيما في تافه وهو باطل بإجماع المسلمين المؤيد بقول إمام المرسلين: «**البيّنة على المدعى واليمين على من أنكر**[1]».

الرابع: أن ظهورها يوجب نقض العادة لتكثرها بتكثر الأولياء فيخرج عن كونه خارقًا فيصير عادة.

الخامس: أنها تسد باب إثبات النبوة لاحتمال كونه المعجز إكرامًا لا تصديقًا فيطوى بساط النبوة رأسًا.

السادس: أنها تخل بجلال كمال الأنبياء لمشاركة الأولياء لهم في ذلك.

السابع: أنها لا تتميز عن السحر.

فأجيب عن الأول: بأن المعجزة تقارن دعوى النبوة، والكرامة لا تقارنها، بل يجب قرنها بالانقياد للنبي ﷺ وتصديقه والسير على منهاجه، فلا التباس.

وعن الثاني: بأن ذلك لا يقتضي سفسطة فان ما ذكروهَ يردُ عليهم في زمن النبوة فإنه يجوز ظهور المعجزة منه بذلك ولا يؤدي إلى سفسطة، على أن التحويزات العقلية لا تقدح في العلوم العادية.

وعن الثالث: بأن الكرامة لا توجب العصمة للولى ولا تصدقه في كل أمر.

---

(١) رواه البخاري (٢/٩٣١).

وقد سئل شيخ الطريق الجنيد أيزنى العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وهب أن الظن حاصل بصدقه في دعواه، ولكن الشارع جعل لثبوت الدعوى منهجًا مخصوصًا، ورابطًا معروفًا لا يسوغ العدول عنه، ألا ترى أن كثيًرا من الظنون التي تكاد تقرب من اليقين لا يجوز الحكم بها لخروجها عن الضوابط الشرعية؟.

وعن الرابع: بأن كثرتها تكون استمرارًا لنقض العادة فلا نسلم كونها خروجًا عنه، والكرامة وإن توالت على الولي حتى ألفها واعتادها، لا تُخرجه عن طريق الرشاد ووجه السداد.

وعن الخامس: بأن المقارنة للدعوى تفيد القطع بالصدق عادة.

وعن السادس: بأن الكرامة تفيد جلالة قدر الأنبياء حيث بلغت أممهم ذلك ببركة الاقتداء بهم فلا إخلال.

وعن السابع: بأنها تفارقه وتتميز عنه بأنها لا يجدي فيها التعلم والتعليم، ولا تمكن المعارضة ولا تجامع شره النفس، ولا تكون بمزاولة أعمال مخصوصة بخلافه، وبذلك تم الانفصال، وانــــزاح غيهب الإشكال، واستبان أن ما ذكروه تمويه لا طائل تحته، وقعقعة لا حاصل لها؛ ومن تمام الكلام في هذا المقام أن أهل القبلة اتفقوا على أن الكرامات لا تظهر على الفسقة الفجرة، بل على الموفقين البررة، وبذلك لاح أن الطريق إلى معرفة الأنبياء لا تسند، فان الولي ينقاد للنبي إذا ظهرت المعجزة على يديه. ويقول: معشر الناس هذا نبي الله فاتبعوه، ويكون هو أول منقاد.

وأما قول القاضي الباقلاني بجواز ظهور خارق على يد فاسق استدراجًا، وظهوره على الرهبان، وأهل الصوامع المقيمين على الكفران، فقد قال إمام الحرمين: أن فيه نظرًا، قال: ولسنا نثبت لراهب كرامة، ولا حب ولا كرامة، نعم قد تظهر على يد فاسق انقاذًا له مما هو فيه، ثم يتوب بعدها ويصير على أحسن حال وينتقل إلى الهدى بعد الضلال، بدليل قصة أصحاب الكهف فإنهم

كانوا عبدة أوثان ثم حصل لهم ما حصل إرشادًا وتبصرة ثم ما ذكره الخصم من حديث اشتباه معجزة النبي بغيره إذا وافقت المعجزة الكرامة قد استبان الانفصال عنه.

قال السبكي: وأقول معاذ الله أن يتحدى نبي بكرامة ظهرت على يد ولي، بل لابد أن يأتي النبي بما لا يُوقعه الله على يد الولي، وإن جاز وقوعه، فليس كل جائز في قضايا العقول واقعًا، ولما كانت رُتبة النبي أعلي وأرفع من الولي كان الولي ممنوعًا مما يأتي به النبي على وجه الأعجاز والتحدى أدبا معه.

ثم أقول: حديث الاشتباه والاستناد على وجه الإعجاز والتحدي أدبًا معه.

ثم أقول: حديث الاشتباه والاستناد على بطلانه إنما يقع البحث فيه لم تختم النبوة، أما بعد خاتم النبيين المثبتة نبّوته بأوضح البراهين، وإخباره بأنه لا نبي بعده، فقد أمن الاشتباه، فلو صح ما ذكروه لكان في أولياء الأمم الماضية لا في أولياء هذه الأمة لأمنهم وتيقنهم أنه لا نبي بعد نبيهم، هذا لو صح ومعاذ الله أن يتوهم عاقل صحة ترهاتهم التي منها أنه لو كان للكرامات أصل كان أولى الناس بها أهل الصدر الأول و هم صفوة الإسلام وقادة الأنام، والمفضلون على الخليقة بعد الأنبياء عليهم السلام، ولم يؤثر عنهم من ذلك أمر مستفيض، وما ذكروه تعلل بالأماني والمحال، وهو مقال مرذول مردود عند من له أدنى نظر، فضلاً عن فحول الرجال، والعقل يأباه، والوجدان لا يرضاه، ولو حاول متتبع استيعاب كرامات الصحب لأجهد الأنفاس، وملأ القرطاس[١].

(١) انظر: مقدمة الشيخ المناوي في الكواكب الدرية، والمنهاج الواضح في كرامات أبي محمد صالح ﷺ، للماجري كلاهما (بتحقيقنا).

وقوع الكرامة سماعًا وجوازها شرعًا

ومن الدلائل في صحة ذلك ما أورده الشيخ الماجري في ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: كتاب الله، وهو البرهان القاطع، والنور الساطع، وسأتلو منه آيتين وردتا في هذا المعنى مبينتين، تغني عن كل متأملٍ ناظرٍ، وتصقل من صدى الوهم كل خاطرٍ، حتى ينتفي بذلك ريب كل مريبٍ، وتربي صدقًا وعدلاً في عقيدة كل منيب.

قال تعالى وهو أصدقُ القائلين في قصة مريم ابنة عمران مع زكرياء بن أذن صلوات الله عليهم أجمعين: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: ٣٧].

وجه الاستدلال بالآية: أن الله تبارك وتعالى ذكر هذه الآية في معرض المدح والامتنان على مريم ابنة عمران من أول نشأتها إلى آخر قصتها، فكل ذلك كرامة بعد كرامة، وإهابة بعد استقامة، ولا بد من شرح ذلك على سياق الآية وظاهرها من أول مولدها إلى وجود مولودها، بما ذكره علماء التفسير، وجهله أرباب البطالة والتقصير، وذلك أن عمران بن ماتان، وذكريا بن يوحنا بن أذن كلاهما من ذرية داود النبي ﷺ، من سبط يهوذا بن يعقوب عليهما السلام، وكانوا أهل بيت لهم عند الله تعالى مكانة، وكان بنو ماتان من رؤساء بني إسرائيل، ومن كبار أحبارهم، ومن أصحاب قرباهم، فتزوج زكرياء ﷺ إيشاع، وهي أخت حنة بنت فاقود امرأة عمران بن ماتان بعد جدة عيسى ﷺ، وكانت حنة عاقرًا، لا يولد لها ولد، فبينما هي ذات يومٍ في ظل شجرة إذ أبصرت بطائر يزق فرخًا له، فتحركت نفسها للولد وتمنته، فقالت: اللهم إن لك عليَّ نذرًا شكرًا إن رزقتني ولدًا، أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سدنة البيت وخدّامه، فحملت بمريم عليها السلام ثم هلك عمران قبل

وضعها، فلما وضعتها، قالت كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، ثم لفتها في خرقةٍ ووضعتها بين الأحبار من بني هارون، وهم يومئذ سدنة بيت المقدس وحجبته، فقالت لهم: دونكم وهذه النذرة، فتنافسوا فيها أيهم يكفلها- لأنها كانت بنت إمامهم- فقال زكريا: أنا أحق بها لأني زوج خالتها، فقالوا: حتى نقترع عليها- وكانوا سبعة وعشرين نفرًا- فانطلقوا إلى نهر ماء فألقوا فيه أقلامهم على أزمنة، ومن يرتفع قلمه ويحمله الماء فهو كافلها، فارتفع قلم زكريا فوق الماء موافقًا له، ورسبت أقلامهم وهي جارية مع الماء، فكفلها زكريا، فاسترضع لها على أحوط الأقوال، وقيل: إنها لم ترضع ثديًا قط- وهو أسد الأقوال- إلى أن نبتت، فأنبتها الله نباتًا حسنًا، فابتنى لها زكريا عليه السلام محرابًا، وهي غرفةٌ يصعد لها بسلمٍ على أحد الأقوال.

وقيل: جعلها في أشرف موضعٍ من بيت المقدس، وهو أشهر الأقوال، وكانت لا يدخل عليها أحدٌ غيره، وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب، وكان رزقها ينــــزل عليها من الجنة، فكان كلما دخل عليها زكريا وجد عندها رزقًا، فيجد فاكهة الشتاء صيفًا، وفاكهة الصيف شتاءً، فيقول: أنَّى لكِ هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا؟ فتقول: هو من عند الله، فلا يستبعد ذلك ولا ينكره، ويتعجب لما فيه من خرق العادة؛ إذ هو من قدرة الخالق لا من قدرة المخلوق، وقد كانت تكلمه في المهد على أسد الأقوال، فلما تحقق عنده من فضلها وكرامتها على ربها حنّت نفسه إلى ولد فدعا ربه، فقال:

﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ [مريم: ٤]، وكان عمره حينئذ تسعًا وتسعين سنة، وعمر زوجه إيشاع ثمان وتسعون سنة كما ذكره المفسرون، وكانت عاقرًا لا يُولد لها كما كانت أختها حنة، فأجاب الله تعالى دعائه ورزقه يحيى عليه السلام، فهذا هو المفهوم من ظاهر هذه الآية، وقول علماء السنة ملخصًا على وجه الطاقة والغاية وجهد الاستطاعة في تحرير النقل وتصحيح الرواية، وهو أكبر دليل على إثبات وقوع خرق العادة على وجه الكرامة، والإجماع منعقدٌ على أن ذلك لم يكن معجزة في حقها؛ لعدم نبوتها، وإنما كانت كرامة في حقها، والله أعلم.

الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً*فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياً*قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِياً﴾ إلى قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً﴾ [مريم: ١٦: ٢٥].

ويتم الغرض المطلوب في شرح هذه الآية لورودها في معرض المدح والثناء باستحقاق هذه الكرامة، وذلك أن زكريا عليه السلام لما بنى لها المحراب، وغلق عليها الأبواب، أداها العمل، لما بلغ القضاء المؤجل فتمنت خلوة نحو الجبل؛ كي تفلي فيها رأسها محجوبة عن أناسها، فانفرج لها السقف؛ إكرامًا لما تمنته، والمحراب مقفول الأبواب كما علمته، وذلك في يومٍ شديد البرد، فجلست في مشرقةٍ من الشمس.

وقيل: إنما كان خروجها لحيضٍ أصابها فخرجت في شرقي المحراب.

وقيل: معنى شرقيًّا: شاسعًا.

وقيل: مكانًا مما يلي المشرق من مساكن أهلها، وكانوا يعظمون جهة المشرق؛ لأنها منبع الأنوار، وهي أفضل الجهات، قاله الطبري.

وقال ابن عباس: فأظلها الله تعالى، وجعل لها حجابًا وسترًا يسترها عن الناس، فلما أتى زكرياء لم يجدها في البيت، فبينما هي جالسةٌ أتاها جبريلٌ عليه السلام في أحسن صورة البشر، وكان عمرها أربع عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة سنة.

فلما رأته ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ فكان من قصتها ما ذكر الله تعالى من حملها، فاعتــزلت به مكانًا قصيًّا: أي بعيدًا وهو أقصى الوادي، ويُسمى الآن بيت لحم، فصعدت على أكمةٍ وعليها جذع نخلة يابس ليس له سعف، فاستندت إليه عندما جاءها المخاض، وهي جازعة مشفقة من مقالة الناس فقالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]، فناداها جبريل عليه السلام من تحت الأكمة: ﴿أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]، وهو النهر الصغير على أحوط الأقوال، ثم أمرها بهزِّ

الجذع؛ لتطيب نفسها بهذه الكرامة، وتقر عينها لفضيلة هذه المقامة، وتعلم أن الله على كل شيءٍ قدير، فهزت الجذع بيدها فتساقط عليها منه رطبًا جنيًّا، فذهب حزنها عند ذلك، وعلمت أن الله تعالى قد أكرمها حين ألهمها لذلك، وكان بين حملها ووضعها ثلاث ساعات.

وقال ابن عباس: كان حملها ووضعها في ساعةٍ واحدةٍ، والأول أشهر.

وقيل: لثمانية أشهر، وتسعة، وستة.

وقيل غير ذلك، فكم تقدم في هاتين الآيتين لها من عجائب الكرامة، وغرائب تدل على الولاية، كوجود الفاكهة في غير أوانها، وانفراج السقف، والاحتجاب بالشمس، ورؤية جبريل، وحملها من نفخةٍ في الدرع، والوضع في ساعةٍ أو ثلاث ساعات، وتساقط الرطب من الجذع اليابس، وانهمار الماء من الوادي اليابس، وكان ذلك كله بين الضحى والظهر على المشهور من الأقوال.

وقد انعقد الإجماع على أن ذلك إنما ورد في معرض الكرامة، وليس هو على وجه المعجزة، ومما يلتحق بهذا من شواهد القرآن على الجملة دون التفسير قصة الخضر، وأصحاب الكهف، وعجائب ذي القرنين، وقصة يوسف عليه السلام في الجب، وقصة أم موسى عليه السلام.

كل ذلك ورد في معرض الكرامات، وفي شرحه ما يخرج بنا عن حدّ الاختصار، فمن أراد استقصاء ذلك فليطالعه في مواضعه، ويقتبس من أنوار حقائقه ما يُغنيه عن أنوار البدر في مطالعه.

المسلك الثاني: وهو شواهد السنة، ولا بد قبل الخوض فيما هو المقصود من ورود الأدلة الشرعية، والمطلوب المستفاد من الآثار السمعية، من مقدمة تنبه الغافل على المراد، وترشد المسترشد إلى الرشاد.

فنقول والله المستعان: لم تزل الأمم في الأعصار والقرون الخالية يتفاوضون في ذكر الكرامات، ويتأولون أخبارها في معرض الثناء والمدح مع تفاضل المقامات، وهم معتقدون الخير في أربابها، ومقرّون بصحة دلائلها ووضوح أسبابها، ومستحيل في أحكام العقل تواطئهم على الكذب، واعتقاد ذلك فيهم

اعتقاد الملحدين من أهل الزَّيغ والريب.

ثم كان الصحابة رضي الله عنهم في الصدر الأول أكثر الناس فيها تجاربًا، وأعظمهم اعتقادًا في صحة وقوعها بعد التسليم، وأكبرهم تفاوضًا وحديثًا، ولم يرد من بعضهم مع كثرة الذاكرين ردٌّ ولا إنكارٌ على من تحدث بذلك من الحاضرين، فهذا دليلٌ من أدلة الإجماع عند أهل الأصول، ومن الحجج القاطعة في أحكام العقول، على أن في ذكرها من ذكر منن الله تعالى ومنائح آلائه، وما أفاض من سوابغ نعمائه، وجزيل عطائه على خاصة أوليائه، ما يوجب به شكر الطالبين، ويزيد في رغبة الراغبين، ويقوي عزيمة المتفكرين، ويقع استدراجًا لهلاك المنكرين، وفي ورود عجائبها من التحريض على الطاعات ما عرف من دأب الأنبياء والصديقين والعلماء المحققين.

ويدل على صحة ما ذكرناه في ذلك على الاتفاق، ما ورد في رواية ابن إسحاق، قال: حدثني يزيد بن رومان عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور[(١)]».

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه أنه ﷺ قال: «تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج؛ فإنه كانت فيهم الأعاجيب[(٢)]».

ومن الشواهد الصحيحة والدلائل الواضحة: ماروي عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بينما راعي غنم في غنيمته إذا عدا الذئب فأخذ منها شاة فاتبعها فاستنقذها منه، فقال الذئب: من لها يوم لا يكون لها راعٍ غيري، قال: فقالوا: سبحان الله! قال ﷺ: فأنا أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر[(٣)]».

قال أبو هريرة: ثم قال ﷺ: «بينما رجل يسوق بقرة، حمل عليها شيئًا إذا التفتت إليه فقالت: إني لم أخلق لهذا، وإنما خُلقت للحرث، قال: فقال

---

(١) رواه أبو داود (١٦/٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣١٨/٥)، وأحمد (١٢/٣)، بنحوه.

(٣) رواه البخاري (٨١٨/٣)، وأحمد (٣٨٢/٢)، وابن حبان (٤٠٥/١٤)، بنحوه.

الناس: سبحان الله! فقال رسول الله ﷺ: أنا أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر[١]»، فهذا حديثٌ صحيحٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي اليماني، عن شعيب، عن الزهري بهذا السياق.

وجه الاستدلال به أن رسول ﷺ أخبر وهو الصادق المصدوق أن الذئب والبقرة قد تكلما بكلام الناس للراعي والسائق، حتى تعجب الناس من ذلك؛ لما فيه من خرق العادة، فلما علم ﷺ ما خامر عقول السامعين من تعجبهم نفى ذلك بقوله ﷺ: «أنا أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر»، هذا هو المفهوم من ظاهر الحديث، وهو أكبر دليل على إثبات وقوع الكرامات، وجوازها بخرق العادة، وفي هذه الكرامات من دلائل المعجزة نطق العَجماء.

وفيه دلالة على أن المنكرين لذلك من أهل الزّيغ والضلال؛ لعدم إيمانهم بما آمن به ﷺ وأبو بكر وعمر؛ لأن الإنكار مع صحة الحديث إما ردٌّ وإما تكذيبٌ، وناهيك بها زلة في المهالك، والله تعالى هو العاصم من ذلك.

وعن أنس بن مالك قال: لما رجعنا من غزوة تبوك قال رسول ﷺ: «إن بالمدينة لأقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة مقيمون، قال: نعم حبسهم العذر[٢]».

هذا حديثٌ صحيحٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري عن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن المبارك، وعن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد، كلاهما عن حميد.

وفيه دلالة واضحة على إثبات الكرامات بخرق العادات في طي الأرض والاحتجاب عن الخلق، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ بذلك فلا عطر بعد عروس، ولا ريب يبقى في النفوس، وليس فيه اجتماعٌ لتأويل المنكرين، ولا مجال لإبطال الملحدين الخاسرين، عافانا الله تعالى من صفةٍ تؤدي إلى المهالك، ورزقنا بمنّه وكرمه الإيمان بذلك.

(١) رواه البخاري (٣/١٣٣٩)، ومسلم (٤/١٨٥٧).
(٢) رواه البخاري (٤/١٦١٠)، ومسلم (٣/١٥١٨).

وفي الحديث المتفق على صحته ما خرّجه البخاري في صحيح روايته عن أبي اليماني، عن شعيب، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه قال: قال رسول ﷺ: «انطلق ثلاث رهط ممن كان قبلكم، فآواهم المبيت إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار فقالوا: إنه واللهِ لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا بصالح أعمالكم، فقال رجلٌ منهم: إن لي أبوين شيخين كبيرين، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فأنا في طلب الشجر يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين، فتحرجت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ومالاً، فقمت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا وشربا غبوقها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفجرت انفراجًا لا يستطيعون الخروج منها، قال رسول الله ﷺ: وقال الآخر: اللهم إني كانت لي بنت عمٍّ، كانت أحب الناس إليَّ، فراودتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها وانصرفت عنها وهي من أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك افرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال رسول الله ﷺ: ثم قال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجلٍ واحدٍ ترك الذي له وذهب، فنميت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حينٍ فقال: يا عبد الله، أعطني أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تهزأ بي، فقلت له: لا أهزأ بك، فأخذ ذلك كله فاستاقه ولم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه،

فانفرجت الصخرة فخرجوا من الغار يمشون[١]».

وهذا حديثٌ صحيحٌ مشهورٌ، متفق على صحته، قد أسندته الرواة من وجوهٍ شتى.

فيه الدلالة الواضحة على وقوع الكرامات بخوارق العادات.

وقد أخبر ﷺ وهو صادقٌ في قوله: إن ثلاثة رهط قد آووا في مبيتهم إلى غارٍ، فانحدرت عليهم صخرة سدّت الغار، فدعوا الله بصالح أعمالهم فتـزحزحت الصخرة عن الغار من غير مزحزحٍ حتى خرجوا منه، وليس التزحزح من طبعها ولا من صفاتها، ولا يفعل ذلك سوى قدرة الله تعالى أكرمهم بها، فهذا دليلٌ قاطعٌ، وبرهانٌ ساطعٌ ليس فيه لأهل الريب تأويل، ولا لأهل الزيغ تبديل ولا تحويل، وفيه دلالة على إباحة التحدث لكل ولي بما يرد عليه من أنواع الكرامات مع أهله، وكفى بما في هذا الحديث من التصريح والتبيين لمن له تمسكٌ بعروة الدين، والله تعالى هو القوي المتين.

ومنها: ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنه كانت فيهم أعاجيب[٢]».

ثم أنشأ ﷺ يحدث فقال: «خرجت طائفةٌ منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم، فقالوا: لو صلّينا ركعتين ودعونا الله تعالى فيخرج لنا بعض الأموات حتى يخبرنا عن الموت، قال: ففعلوا، فبينما هم كذلك إذ أطلع رجلٌ رأسه من قبرٍ، خلاسيٌّ بين عينيه أثر السجود، فقال: يا هؤلاء ما أردتم إليّ، فوالله لقد متّ منذ مائة سنة فما سكنت عني مرارة الموت حتى الآن، فادعوا الله تعالى يعيدني كما كنت[٣]»، وهذا حديثٌ صحيحٌ.

---

(١) رواه البخاري (٢/٧٩٣)، ومسلم (٤/٢١٠١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/٣١٨).

(٣) رواه الخطيب في الجامع (٢/١١٦)، وعبد بن حميد في المسند (١/٣٤٩)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٤٢١).

وفيه دلالة على أن إحياء الموتى يقع من جملة الكرامات الخارقة للعادات للأولياء والسادات والمتمسكين بالأعمال الصالحات، وفيه ردٌّ على من زعم أن معجزات الأنبياء لا تقع كرامة للأولياء.

المسلك الثالث، الآثار:

اعلم وفقك الله وإيانا لطاعته، وسهّل علينا سبل مرضاته، أن الصدر الأول هم قدوة الأفاضل، وينابيع الفضائل، ومعدن الفواضل، وكل خيرٍ ظهر على من أتى بعدهم فمن بركاتهم، وكل كرامةٍ لاحت شواهدها على من لاحت فنقطة من كراماتهم، وقد نُقل منها متواترًا ما لا تحمله العقول الخالية عن التوفيق، ولا تعقله القلوب المحجوبة بالحسد عن التصديق.

قال الأستاذ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩].

قال: معناه: كذبوا أولياء الله تعالى في براهينهم، لما حرموا ما خصهم الله تعالى به من ذلك، قال: والمحروم من حرم من قبول حقهم وتصديقهم، والإيمان بما يظهره الله تعالى عليهم من أنواع الكرامات لإخلاصهم وتحقيقهم.

ومنها: ما رواه أبو بكر بن أبي الدنيا مسندًا أن امرأة كانت تطلع على دار سعد فلم تنتهِ، فأطلعت عليه يومًا وهو يتوضأ فقال: شاه وجهك، فعاد وجهها في قفاها.

وقصة جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام السلمي الأنصاري، قُتل أبوه يوم أحد فدعا الله تعالى أن يحييه حتى يكلمه، فأحياه الله تعالى حتى كلمه كفاحًا، وهذا مدونٌ في الصحاح.

ومنها: قصة سعد بن معاذ فيما رواه ابن القاسم عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال: لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما نزلوا الأرض قبلها، وورد أيضًا في قصته: «أن العرش قد اهتز لموته[1]».

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٨٤).

ومنها: قصة عبد الله بن عمر وقد مر بقومٍ حبسهم الأسد، فأخذه بإذنه ثم قاده حتى نحاه عن الطريق، ثم قال: قال رسول ﷺ: «ما سلط الله على ابن آدم إلا من نحافه[1]».

وقصته في دعائه على زياد حين كتب إلى معاوية: قد أخذت العراق بيميني، وبقيت شمالي فارغة تعرض بطلب الحجاز، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال: «اللهم اكفنا شمال زياد، فعرضت له قرحة في شماله فقتلته[2]».

ومنها: قصة خبيب بن عمرو بن عوف بن خالد، قالت امرأة: ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب؛ لقد رأيته وما بمكة من ثمرٍ وفي يده قطف من عنبٍ يأكله، وما هو إلا رزقٌ رزقه الله تعالى.

وفيها لما قُتل وصُلب على خشبةٍ بعث إليه النبي ﷺ الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود يختفيان حتى أنـــزلوه من خشبته وحوله المشركون قائمين، وذلك بعد أربعين يومًا، فإذا هو رطبٌ يتثنى لم يتغير، ويده على جراحته، وهي تبض دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، فحمله الزبير على فرسه، فلما أدركه المشركون حين فقدوه قذفه الزبير عن فرسه فابتلعته الأرض، فسُمِّي بليع الأرض.

ومنها: قصة عامر بن فهيرة وهو من السبعين الذين بعثهم النبي ﷺ إلى بئر معونة، وأمر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل، فلما قُتل عامر بن فهيرة رُفع بين السماء والأرض، وهو مولى لأبي بكر الصديق.

ومنها: قصة عبد الله بن جحش حين قال: اللهم إن لقينا هؤلاء الأعداء فإني أسألك أن يقتلوني، ويبقروا بطني، ويجدعوا أنفي وأذني، فتقول لي يوم القيامة: من فعل ذلك فيك؟ فأقول: فيك يا رب، فقتل يوم أحد، وبقرت بطنه، وجدع أنفه وأذنه، فقال رجلٌ سمعه حين دعا: أما هذا فقد أُعطي ما سأل الله في نفسه، والله يعطيه ما سأل في الآخرة.

---

(١) ذكره المتقي الهندي في الكنـــز (٢/٢٨٠).

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٥٣٠).

ومنها: قصة تميم بن حبيب الداري مع النار التي استعرت بالمدينة فاستغاثوا به أن يردها فصغر نفسه، فقال: وما عسيت أن أكون فجعل يحوشها حتى أدخلها المكان الذي خرجت منه، ثم اقتحم على أثرها فخرج و لم تضره من شيء، فقال عمر ﷺ: «ما من شهد كمن لم يشهد[1]».

ومنها: قصة أبي ريحانة حين ركب البحر فجعل يخيط، فسقطت الإبرة من يده في البحر، فقال: عزمت عليك يا رب ألا رددت عليَّ إبرتي، فطفت على الماء فظهرت فأخذها.

ومنها: قصة أنس بن مالك لما قحطت أرضه فتوضأ، ثم خرج نحو البرية فصلى، ثم دعا فانجابت السحابة وجاء المطر حتى ملأ كل شيءٍ، فلما سكن المطر نظروا فلم تعد أرضه إلا سيلاً.

ومنها: قصة خالد بن الوليد حين أتى برجلٍ معه زق خمر فقال: اللهم اجعله عسلاً، ففتحوه فوجدوه عسلاً.

ومنها: قصة عاصم بن ثابت وفيها: أنه قتل بكل سهمٍ كان معه رجلاً من المشركين، وقال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحمِ الحمى في آخر النهار، فلما قتله المشركون أرادوا جز رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد، وكان قد أصاب أباها يوم أحد، فأرسل الله تعالى رجلاً من الدبر وهي الذنابير، فحمت عاصمًا منهم، فلم يستطيعوا أن يقربوه، فسُمي حمي الدبر، فأجمعوا على أخذ رأسه إذا جنَّ الليل وذهب الدبر، فأرسل الله تعالى مطرًا فحمل الوادي فاحتمل عاصمًا، وكان قد أعطى الله تعالى عهدًا ألا يمس مشركًا ولا يمسه مشركٌ، فأبر الله تعالى قسمه حيًّا وميتًا.

ومنها: قصة حنظلة بن أبي عامر ويعرف بالراهب، وهو الذي غسّلته الملائكة.

ومنها: قصة زيد بن أخطب وكانت له بضعة عشرة شاة، وقال: كنت أحلبهن فأفعم الإناء من لبنهن كلهن، فأفعمت الإناء يومًا من لبن إحداهن

---

(١) رواه اللالكائي في كرامات الأولياء (١/١٥٨).

فالتفتت الشاة إليّ وقالت: أوجعتني يا زيد، فأكفيت الإناء ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «أصبت أصاب الله بك[1]».

ومنها: قصة شريك بن خباشة حين قدم مع عمر على بيت القدس، فخرج يستقي من جب سليمان فجرّ دلوه في الجب، فنـزل يستخرجه فابتدره ملكان، فحمله أحدهما فأدخله الجنة، فجعلا يسيران فيها إلى أن مرّ بشجرة ذات أفنان وورق نضيد مديده، فأخذ منها ورقتين فوضعه الملك، ثم قال له: لو ملكت يدك ما زلت أسير بك فيها إلى يوم القيامة، فخرج عند صلاة الظهر فأتى عمر فأعلمه بذلك، وبسط يده عن الورقتين، فقال عمر: اضمم يدك، وبعث إلى كعب فقال له: عمر يا أبا إسحاق، هل تجد في كتاب الله التوراة أن رجلاً من أمة محمد عليه السلام يدخل الجنة ثم يخرج منها؟ قال: نعم، قال: هل تسميه؟ قال: نعم، ذاك شريك بن خباشة النميري، قال: هل تحليه؟ قال: نعم، فجعل كعب يحليه، وعمر ينظر إلى شريك، فلا يخرج عن حليته، فقال عمر: فهل تراه في القوم؟ فنظر كعب فقال: هو هذا، ثم انظروا إلى الورقتين فإن تغيرتا فليستا من الجنة، فمكثت الورقتان عنده إلى أن مات ولم تتغيرا، وأمر أن تحملا مع طول المدة يتبرك بهما، ويستشفى بهما من جميع الأمراض والأسقام.

فهذا بعض ما ورد من كرامات الصحابة على وجه الاختصار، وسنذكر بعض ما ورد عن أزواجه وأهل بيته عليه السلام.

فمنها: ما ورد عن عائشة رضي الله عنها: «في شطرٍ من شعيرٍ توفي عليه السلام عنه فأكلت منه زمانًا طويلاً، فلما كالته فني[2]».

ومنها: ما ورد في قصة فاطمة رضي الله عنها وقد أهدت إلى أبيها رغيفين وقطعة لحمٍ في طبقٍ، فرجع به إليها وقال: «هلمي يا بنيتي، فكشف عن الطبق فإذا هو مملوء خبزًا ولحمًا فبهتت، فقال عليه السلام: أنَّى لكِ هذا؟ قالت: هو من عند الله، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل، ثم جمع

(١) رواه مسلم (١/ ١٥٠).

(٢) رواه الترمذي (٤/٦٤٣)، وهناد في الزهد (٢/٣٧٩).

عليه السلام علي بن أبي طالب والحسن والحسين وأهل بيته، فأكلوا منه حتى شبعوا، وبقي الطعام كما هو، فأوسعت به فاطمة على جيرانها رضي الله عنها[1]».

ومنها: قصة زائدة مولاة عمر بن الخطاب، وكانت كثيرًا ما تتردد إلى النبي ﷺ، فأتته ذات يومٍ فقالت: يا رسول الله استأنس، فقال: «استأنسي يا زائدة إنك لموفقة، فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، عجنت عجينًا لأهلي، فخرجت من وراء دار نسيئة احتطب، فلما شددت حزمتي سمعت وقع فارس، فالتفت فإذا بفارسٍ لم أرَ فارسًا أحسن مركبًا منه، ولا أحسن وجهًا، ولا أحسن ثوبًا، ولا أُطيب رائحةً منه، فقال لي: كيف أنتِ يا زائدة؟ وكيف محمد؟ قلت: بخير يعبد الله، وينذر بأيام الله، فقال: إن حملتك رسالة تبلغيها محمدًا، قلت: لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فقال: إنك لموفقة إذا أتيت محمدًا فاقرئيه مني السلام، وقولي له: إن رضوان خازن الجنة يقول لك: يا محمد ما فرح أحدٌ بمبعثك مثلما فرحت به، وأن الله تعالى قسّم الجنة لأمتك ثلاثة أثلاث: ثلثٌ يدخلون الجنة بغير حساب، وثلثٌ يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلثٌ تشفع فيهم فتشفع، قالت: ثم مضى، قالت: فذهبت لأحمل حطبي فثقل عليَّ، وارتعدت فرائصي، فالتفت إليَّ وقال: يا زائدة أَثَقُل حطبك عليك؟ فقلت: نعم، قالت: فأخذ قضيبًا أخضر في يده فهوى به للحطب فرفعه، ثم التفت فإذا بصخرةٍ تأتيه، فقال: أقبلي أيتها الصخرة، فأقبلت، فقال: احملي هذا الحطب مع زائدةٍ إلى دار عمر، فلو رأيتها يا رسول الله تدكدك بين يدي إلى باب عمر، فألقت الحطب ثم رجعت، فقال عليه السلام: قوموا بنا فإنا لفي أرض فخر، فأتى باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فنظر إلى أثر الصخرة فحيّها ودعا بها[2]».

ومنها: ما رواه عباس الدوري يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أتى رجلٌ أهله فرأى ما بهم من الحاجة، فخرج إلى البرية، فقالت امرأته: اللهم ارزقنا بما نعجن ونختبز، قال: فإذا بجفنة مليئة عجينًا، وإذا الرحى تطحن، وإذا التنور مليء

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٣٦١/١).

(٢) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة (١٣٥٦/١).

بالشواء، قال: فجاء زوجها، فقال: هل عندكم من شيء، قالت: نعم، رزق الله، قال: فأتى الرحى فكنس ما حولها، قال: فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال عليه السلام: «لو تركتها لدارت وطحنت إلى يوم القيامة».

ومنها: ما رواه أبو رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً مؤمنًا كانت تحته امرأة مؤمنة، وأنهم أصبحوا يومًا وليس عندهم طعام، فعسلت الخوان والجفنة، وسجرت التنور، وجعلت تعلل زوجها حتى نام، فقامت إلى جفنتها فوجدتها ملآنة، تدفق عجينًا قد اختمر، فذهبت إلى التنور فإذا فيه جنب لحم، فقال زوجها: من تصدق علينا بهذا؟ قالت له: الرب تبارك وتعالى.

فهذا من بعض ما نُقل عن فضل الصحابة، وقد ذكرت منه طرفًا، وما قصدت به سرفًا، وإنما نبّهت بالشهير على الخفي، وبالقليل الجلي على الكثير الخفي؛ لتكون في سماء المعارف نجومًا، وللشياطين المنكرين قد أعدت رجومًا، فإن اللمحة من ذلك تثبت أفئدة ذوي الألباب، واللمعة منه نور كل بصيرة، معصومة من الغشاوة والحجاب، وسأذكر مع ذلك طرفًا مما نقل عن التابعين مع ما ورد فيه من حكايات الطائعين، مما يشتد به وثاق عزمك، ويكون حجة لك على قومك، ويذهب منك رجس سهوك ونومك.

فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [هود: ١٢٠]، فمن ذلك ما ورد في حديث ربعي بن حراش عن أخيه، وكان من خيار التابعين، وممن تكلم بعد الموت قال: لما مات أخي سجى في ثوبه، وألقيناه على نعشه، فكشف الثوب عن وجهه، واستوى قاعدًا وقال: إني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان، ورب غير غضبان، وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون، ولا تغتروا، وإن محمدًا ﷺ ينتظرني هو وأصحابه حتى أرجع إليهم، قال: ثم طرح نفسه فكأنما حصاة وقعت في طست، فحملناه ودفناه.

ومـــنها: ما ورد في حديث الفقيه الفاضل رشيد الدين أبي الحسن يحيى بن علي بن عبد الله القرشي قال: سمعت القاضي أبا القاسم حمزة بن علي المخزومي

يقـــول مذاكرة: سمعت أبا القاسم بن علي المعروف بابن الصيقال، وأثنى عليه خيرًا، يقول: سمعت شيخي الرحمي المغربي الضرير يقول: كنا ببلاد الشام إذ جاء زمـــن الحصاد نجتمع عشرة أضراء، ونأخذ معنا رجلاً بصيرًا يقودنا، ونخرج إلى الضياع نستوهب من العشر الذي يخرجه المسلمون من زروعهم، فاتفق لنا مرة إنـــا خـــرجنا عشرة أضراء وأنا واحدٌ منهم، وأخذنا معنا رجلا بصيرًا وقصدنا الضـــياع، ففـــتح الله لنا بشيءٍ صالحٍ فبعناه وتسلم قائدنا جميع الثمن، وعدنا راجعـــين إلى مواضعنا، فغدرنا الرجل الذي يقودنا وأخذ الثمن وتركنا بالبرية ومضـــى، فقلنا: ما الذي نصنع وطرق ضياع الشام كثيرة الاختلاف؟ فأجمعنا على أننا نجتمع ونتجزأ ختمة نقرأها، فإذا فرغنا منها ابتهلنا إلى الله ودعوناه أن يفـــرج علينا، ففعلنا ذلك وقمنا نمشي وكل واحد منا أخذ بيد صاحبه، فبينما نحـــن نمشي إذ قال الأول منا: يمينكم، قلنا: وما الخبر؟ قال: أنتم بقرب عمارة، قلـــنا: وما يدريك؟ قال: قد وقعت يدي على ذنب عجل وأنا ماسك به، قال: وسرنا على ذلك فبينما نحن نسير إذ سمعنا كلام الناس وهم يقولون: تعالوا حتى تبصروا هذا العجب عشرة عميان يقودهم أسد، فلما سمع الأول منا مقالة الناس خـــاف وترك ذنب الأسد من يده، فمضى الأسد وجاء الناس وجعلوا يتبركون بـــنا، ويسألون منا الدعاء، فسمع والي البلد بخبرنا فجاء إلينا وسألنا عن أمرنا، فأعلمناه خبرنا وقصتنا فقال: قد دخل في بلدنا رجلٌ غريبٌ قد استنكرت حاله فســـجنته، فلعلـــه صاحبكم، ثم وجه إليه فأخرجه واستقره فإذا هو صاحبنا، فأخذنا متاعنا منه وتركناه.

قـــال القاضـــي المخزومي: فما رأيت أعجب من هذه الحكاية مع صحتها وقرب سندها.

ومـــنها: ما ذكره أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري يرفعه إلى أبي نصر السراج أنه قال: دخلنا تستر فرأينا في قصر سهل بن عبد الله بيتًا يسمونه بـــيت السباع، فسألنا عن ذلك، فقالوا: كانت السباع تأوي إلى سهل وكان يدخلهم هذا البيت ويضيفهم ويطعمهم اللحم، ويتركهم إلى أن يذهبوا.

قال أبو نصر: فرأينا أهل تستر وهم الجم الغفير والخلق الكثير متفقون على تصديق ذلك ولا يفكر فيه.

وقال أبو القاسم الجنيد: سمعت أبا جعفر الخطاب يقول: أكثر أهل الرحبة الإنكـــار عليَّ في باب الكرامات، فخرجت إلى البادية، وركبت سبعًا فدخلت الرحبة، وقلت: أين الذين يكذبون أولياء الله؟ فكفّوا بعد ذلك عني.

ومنها: ما ورد عن سفيان الثوري وشيبان الراعي رضي الله عنهما، وكانا في طـــريق الحجـــاز فتعرض لهما سبعٌ، فقال سفيان لشيبان: ما هذا؟ فقال: لا تخـــف، فأخـــذ شـــيبان بأذنه فعركها فبصبص له بذنبه، فقال سفيان: ما هذه الشـــهرة؟ فقـــال شيبان: لولا مخافة الشهرة لوضعت زادي على ظهره إلى مكة شرّفها الله.

ومنها: ما ورد عن إبراهيم الخواص قال: دخلت البادية مرة فإذا نصراني في وسطه زنار، فسألني الصحبة فأجبته، فسرنا سبعة أيام، فقال لي عند الإفطار: يا راهـــب الحنفية هات ما عندك من الانبساط فقد جعنا، فقمت فدعوت فقلت: إلهـــي لا تفضـــحني بين يدي هذا الكافر، قال: فرأيت طبقًا عليه خبزٌ وشواءٌ ورطـــبٌ وكوز ماء، فأكلنا وشربنا سبعة أيام، فبادرته عند الإفطار فقلت: يا راهب النصرانية هات ما عندك، فقد انتهت النوبة إليك، فاتكأ على عصاه ودعا فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقي، قال: فتحيرت وتغيرت وأبيت أن آكل، فألح عليَّ فلم أجبه، فقال: كُلْ؛ فإني مبشرك ببشارتين: إحداهما: بأني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وحل الزنار، والأخرى: أني قلت حـــين دعوت: اللهم إن كان لهذا العبد عندك خطر فافتح عليَّ، ففتح عليَّ بهذا الذي رأيت، قال: فأكلنا وسرنا وحججنا وأقمنا بمكة سنة، ثم أنه مات فدفناه بالبطحاء.

ومنها: ما ذكره أبو عمرو الزجاج قال: دخلت على الجنيد وكنت أريد الحج فأعطاني درهمًا فشددته في مئزري، ولم أدخل منـــزلاً إلا وجدت رفقًا من أهله، فلما حججت ورجعت إلى بغداد دخلت على الجنيد فقال: هات الدرهم

فناولته إياه، فقال: كيف رأيت؟ فقلت: كان الختم نافذًا، فهذا قدر ما يحتمله هذا المختصر وفيه كفاية وغنية لكل مقتصر[١].

فإيـــاك من إنكار ما لم يبلغه نظرك، ولا أحاط به خطرك، فلا تفلح مدى عصـــرك، وقـــل لمن في حلبة الغي بالإنكار يتبارى، وعن مناهج الرشد بالجدّ يتوارى، فبأي آلاء ربك تتمارى.

قال أبو بكر بن العربي: منكر الكرامات إما أن يجوز وقوعها ويكذب أحوال من ظهرت عليه فهو داخلٌ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ*وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧] الآية، وإما أن يستحيل وقوعها ويصدق أحوال من ظهرت عليه، فهو داخلٌ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

تنبيه، وفائدة، وقاعدة:

في صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قال: لا إله إلا الله**»[٢]:

لم يقل: محمد رسول الله؛ لأن الإيمان بالله إنما يتم بالإيمان برسول الله ﷺ، وبسائر الأنبياء -عليهم السلام-.

دلَّ عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة النساء:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً*أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فإن المقصود من هذه الآية: إن الإيمان ببعض الأنبياء، والكفر ببعضهم؛ كالكفر بالأنبياء كلهم، والكفر بالأنبياء كفر بالله تعالى؛ لأن الأنبياء مبلّغون عن الله تعالى، ومساوون في النبوة والمعجزة، فمَن استهان بهم؛ فقد استهان بالذي أرسلهم إلى الناس.

ألا ترى أن مَن قصد واسطة السلطان في عرض الأمور؛ فقد قصد السلطان،

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية (٢/٦٨٨).

(٢) رواه مسلم (١/٥٣)، والطبراني في الكبير (٨/٣١٨).

فلا يغتر المؤمن بالله بإيمانه تعالى مع كفره برسولٍ من رسله؛ فإنه لا يقبله الله تعالى، فإن الإيمان أمر أحدي لا يقبل التجزئ والتفرُّق.

فالأمر إمَّا إيمان، وإمَّا كفر، كما أن الإيمان بالأولياء أيضًا كذلك، وأعني بالأولياء الكُمَّل منهم؛ وهم أعلى المقرَّبين، وأمَّا مَن دونهم، فقد تختلف كشوفهم وكلماتهم فيعرض المتعرِّض لهم، وذلك لا يقدح في إثبات ولايتهم في نفس الأمر، ومعنى الإيمان بالأولياء: الإقرار بهم، والانقياد لهم، ولأحوالهم، والتسليم لمذاهبهم ومسالكهم. قدَّس الله أسرارهم.

***



منهج التحقيق والدراسة

اتبعنا الخطوات الآتية في تحقيق ودراسة هذا المجموع:

- دراسة وتمهيد لهذا المجموع، وهي في قسمين:

القسم الأول: يشمل عدة مباحث في معرفة من هم الأولياء، ولزوم محبتهم، والاعتقاد في ولايتهم، وضرر المعاداة لهم، وعلاج الإنكار عليهم، وغير ذلك.

والقسم الثاني: يشمل الكلام على الكرامة من نواحٍ ووجوه متعددة.

هذا الإجمال وإليك التفصيل والله الهادي سواء السبيل.

- نسخ المخطوطات، ومقابلتها، للمطابقة والتصحيح.
- ضبط النص ضبطًا علميًا بمراعاة علامات الترقيم من تفصيل وتنسيق وما يلزم ذلك.
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها بأرقامها.
- تخريج الأحاديث الواردة من مصادرها على سبيل التوثيق.
- عزو بعض الإحالات لمصادرها.
- التعريف ببعض السادة الأعلام، وذكر ما يفيد في ترجمتهم.
- التعليق على بعض المواضع التي رأينا ضرورة التعليق عليها، وشرح البعض مما فتح الله علينا به من واردات وإشارات.
- عمل مقدمة تشمل التعريف للمجموع، وعمل دراسة في قسمين:

الأول: يشتمل على مبحث الولاية والأولياء وما يتعلق بذلك.

والثاني: يشتمل على مبحث الكرامة وما يتعلق بها من فصول.

- عمل فهرس لموضوعات المجموع.

وصف الأُصول المعتمدة
لإخراج هذا الكتاب

- رياض السادات في إثبات الكرامات.. للشيخ عبد الحليم الحنفي، وهو من مخفوظات دار الكتب المصرية، تحت رقم ٧٩ تصوف، ويقع في ٧٦ ورقة، كتب بخط التعليق، وبه بعض الإشكالات من تصحيف وعدم وضوح لبعض كلماته، وقليل من الطمس والكشط، وتم تصويب ذلك ومعالجته ما استطعنا لذلك سبيلاً.

وهذا الكتاب من أجمع وأنفع الرسائل المصنفة في ذلك، وقد أكثر مصنفه النقل عن الشيخ اليافعي في روض الرياحين ونشر المحاسن.

- تنبيه الأذكياء.. للشيخ أحمد بن منصور الجندي، وهو من محفوظات دار الكتب أيضًا، تحت رقم ٢٣٤٨ تصوف، ويقع في ٤٨ ورقة، كتبها المصنف سنة ١٠٧٥ هـ بخط نسخي واضح، وهذا الكتاب لم نقف على ترجمة لمصنفه، وهو من علماء القرن الحادي عشر، والله أعلم.
- نفحات القرب.. للشهاب الحموي، وتم ضبطها وتحقيقها على نسختيها المطبوعتين، وهي من محفوظات دار الكتب تحت رقم ٢٤١ تصوف مجاميع، تقع في ٢٣ صفحة، ونسخة أخرى ٤٢٥ طبع مصر سنة ١٣١٨ هـ. تقع في ١٨ صفحة، وهو من الكتب المشهورة في هذا الموضوع.
- فيض العلي ذي الجلال للشيخ الجوهري، له نسختين خطيتين بدار الكتب المصرية، الأولى (٧٩٣ تصوف)، تقع في ٩ ورقات.

والثانية (٢٠٤١تصوف) مصورة عن جامعة القاهرة، تقع في ٨ ورقات.

- السهم القوي .. للسجاعي، وهي من رسائل الدفاع المفيدة، وهو من محفوظات دار الكتب، كتب بخط نسخي واضح، إلا أن ببعض مواضعه آثار تلويث وطمس، تم تصويبها مُن مصادرها.

- السيوف الصقال.. للخزرجي المقدسي، وهو من محفوظات الجامع الأحمدي سيدي أحمد البدوي –قدس سره– بطنطا، وقد طبعت سابقًا.

وقد قال الشيخ إبراهيم السمنودي في «سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية» (١/٣٢٠): وفيه ما يشفي الغليل من ذلك لكنه ليس موجودًا عندي الآن سهل الله تعالى لنا به.

- رسالة العجمي في الكرامات، تقع تحت رقم ٢٤٢٧ تصوف دار الكتب، وتقع في ٦ ورقات.
- فتوى شيخ الإسلام محمد بخيت المطيعي، المسجلة برقم ٤٣٦ من السجل رقم ٨.
- فتوتان للشيخ يوسف الدجوي، نشر جريدة الأهرام بتاريخ ٩/٧/١٩٢٣ م.
- فتوى للشيخ إبراهيم السمنودي، ضمن كتابه سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية.

هذا .. وقد جمعنا هذه الرسائل بما فيها من تكرار، حفظًا منا على أصولها، وإبرازًا لفصولها واتفاقها، حيث القوة في الاتحاد والجمع، ليحصل به صدّ الضد، وإظهار صريح الأدلة من المنقول والمعقول حين الردع والرد.

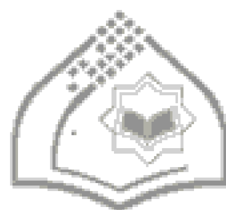
وهو عمل نرجو من الله قبوله ونفع المسلمين به لسلامة عقيدهم على نهج ساداهم، ومعرفة بشريعة نبيهم ﷺ.

ولا يسعني أولاً وآخرًا إلا أن أتقدم بالشكر لسيدي وشيخي القطب الوارث، الإمام علم الأعلام في علوم الحقائق، رأس الملامتية في عصره، المتبع على الطريقة المحمدية البكرية الأحمدية المحيوية القادرية الشاذلية الوفائية الشعرانية، ثم حدِّث ولا حرج، فقد حباه الله من الحُلل والأنوار المحمدية ما لا يعلم قدره سوى الله، فهو الشيخ **مصطفى بن عبد السلام الملوي** –رحمه الله تعالى– وقدس سره، ونور ضريحه.. آمين.

كتبه: أحمد فريد المزيدي المصطفوي.

الحاصل على الإجازات العليا في العلوم الشرعية وأسانيد طريق القوم العلية.

جوال: ٠١٠١٤٦٣٠٢٧ دار الحقيقة المصطفوية بالقاهرة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

رياض السادات
في إثبات الكرامات للأولياء
حال الحياة وبعد الممات*

تصنيف

الشيخ القاضي عبد الحليم بن محمد الرومي الحنفي

المتوفى ١٠١٣ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

صورة الورقة الأولى من المخطوط



التعريف بالمصنف

هو الشيخ الإمام العلامة الفقيه الأصولي، المشارك في بعض العلوم:

عبد الحليم بن محمد القسطنطيني الرومي، الحنفي، المعروف بأخي زاده. من علماء الدولة العثمانية.

ولي قضاء بروسة سنة ١٠٠٠ هـ، وأدرنة ١٠٠١، وأخيرًا بعسكر روم إيلي سنة ١٠١٠ هـ، وتقاعد عنها.

ولد سنة ٩٦٣ وتوفي سنة ١٠١٣ باستامبول، في ٢٤ المحرم.

من كتبه بالعربية :

- تعليقة على الأشباه والنظائر لابن نجيم.
- حاشية على جامع الفصلين.
- هدية المهديين.
- حاشية على الوقاية لصدر الشريعة.
- حاشية على الدرر والغرر في الفروع.
- شرح الهداية للمرغيناني.
- رياض السادات في إثبات الكرامات في الحياة وبعد الممات.

وانظر ترجمته في:

- خلاصة الأثر للمحبي (٢/٣٢٢).
- معجم المؤلفين لكحالة (٢/٦١).

***


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي أسعدنا بالأنبياء والتدعيم بالمعجزات إظهارًا للدين بتصديق المقالات لدعوة النبوة والرسالات، ثم أظهر أولياءه ونوّر قلوبهم وأكرمهم بالكرامات، وأطلعهم على سرائر علم معرفته فعرفوه فاستقاموا على الطاعات واكتفوا بمعبودهم عمّا سواه من جميع المخلوقات، وأخلصوا العمل له ولزموا الخَلوات، فصاموا نهارهم، وقاموا ليلهم، وتركوا الأقوات، فأشبعهم عن المطعم والمشرب، وحماهم عن الشهوات، وجعل غذاءهم بالذّكر والعبادات والتسبيحات، وأفاض عليهم من أنواره، وكساهم الحلات، وتوجهم بكراماته، وحباهم العطيات ثم أظهرهم من بعد الخلوات الخفيات للجلوات الظاهرات نفعًا لعباده وسائر البريات، فداموا مدة حياتهم كما أمرهم عالم الخفيات، فمنهم أقطاب، ومنهم أنجاب، ومنهم عمد، ومنهم أوتاد، ومنهم أبدال كما صرحوا به في الكتب المنقولات، وكل ذلك فضل من الله تعالى لجميع المخلوقات، فهم نفع للعباد في كل أقطار البلاد كما صرح به الثقات أرباب المقامات.

ثم بعد موتهم يزدادون في الدرجات مع بقاء تلك الكرامات، فهم كذلك في قبورهم إلى يوم نُشورهم، وهذا أمر مشاهد معلوم لمن أنار الله تعالى بصيرته، وقيده لهم بالزيارات، فيرى أنس ضريحهم، ويشم رائحة ريحهم، فيقرّ لهم بالكرامات، فهنيئًا له بتلك السعادات، ولا ينكر كراماتهم إلا أعمى البصيرة محروم قد عدل عن جانب التوفيق والهدى إلى جانب الخذلان والضلال، ومال عن سنن عقيدة أهل السنة والجماعة إلى اعوجاج أهل البدعة والاعتزال، وطعن في طريقة أهل الصوفية، أهل الصفاء والسالكين بالله تعالى.

فنعوذ بالله من ذلك ونسأله أن يجعلنا ممن يعزُّ لهم الكرامات، ويحشر معهم في الزُّمرات؛ ليحصل له لمحة من لمحاتهم أو لحظة من لحظاتهم، فينال الباقيات الصالحات، ومحاسن الخاتمات آمين.

وبعد ..

فيقول العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي عفو ربه الوفي عبد الحليم بن محمد الحنفي - عامله الله تعالى وأصوله وفروعه والمسلمين- بلطفه الخفي آمين.

قد كثر الكلام والرَّيب والازدحام، وازداد القيل والقال في كرامات الأولياء الرجال أصحاب المقامات، والأحوال المستمدين من فيض النبيين هل كراماتهم بعد موتهم باقية لم تنقطع بموتهم أم لا، وهل ورد في ذلك نقل في مذهب السادة الحنفية أم لا إلى أن وصلت هذه الأسئلة إلى العلماء الأجلاء الكبار أولي التدريس والافتخار.

فقال بعضهم: أما كراماتهم في حياتهم ثابتة، وقد وردت بها النُّقول الكثيرة، وأما بعد موتهم، فلم يرد لنا نقل عن ذلك، وبعضهم قال: إني سمعت من شيخي أنه يقول: نحن نُقلِّد الأشعرية الشافعية في كرامات الأولياء؛ إذ هي عندهم ثابتة بعد الموت انتهى.

وظاهر هذا القول أنه ينكر كرامات الأولياء بعد موتهم أو أنه لا يعرف الحكم في مذهب الحنفية.

وقال بعضهم: إن الولي إذا مات انقطعت أعماله كلها حتى كراماته وتصرفاته من الكون.

وأما زيارة قبورهم والدعاء عندها بحاجات الناس، فقد نقلوا أن على قبر الولي ملكًا يؤمِّن على دعاء الزائرين، فيستجاب لهم، فتقضى حاجاتهم، ولا دخل للولي صاحب القبر في شيء من ذلك، ولا كرامة له بل هو متنعم في قبره، ويعرف من يزوره كالأموات، وتداول على ذلك أيام وسنون إلى أن قال بعضهم: قد رأينا في مناقب شيخ الإسلام القطب الرباني والفرد لرد المحقق الصمداني شيخ السنة والطريقة ومعدن الحقيقة سيدي محمد شمس الدين الحنفي نفعنا الله تعالى ببركاته أنه قال: إذا مات الولي انقطع تصرفه من الكون، وكانت

التصرفات لصاحب الولاية الذي يتولى بعده، ثم انتشر هذا الكلام بين الحنفية إلى أن صار بعض الناس ينهون عن الدعاء عند قبور الأولياء بلفظ طلب الداعين حوائجهم من الأولياء لأن من يدعو عند قبورهم يقول: «يا سيدي فلان، اقض حاجتي نحو أن يقول: يا إمام، يا شافعي، أنا فقير الحال أغنني أو خلّص حقي من فلان، أو إني محتاج إلى كذا، يا سيدي شمس الدين يا حنفي، أوفِ دَيني، أو يا سيدي أحمد يا بدوي كذا».

وكذا كما هو عادة الزائرين للأولياء في زماننا من الرجال والنساء والخاص والعام والجاهل ويقولون: إن هذا الكلام كُفر لمن يقوله؛ لأنه يشرك الولي مع الله تعالى، وينسب الفعل للولي الميت دون الله تعالى انتهى.

وسمعت ذلك مرارًا في أماكن متعددة حتى أن بعضهم بحث كثيرًا في ذلك، فأجبته مرارًا بأن كراماتهم ثابتة بعد موتهم ولم تنقطع بل هي ثابتة لهم إذ إن الولي إذا مات يكون كالسيف المغمود، فإذا مات تجرد من غمده، كما صرّح بذلك أكابر الأولياء الثقات في كثير من كتبهم التي تثبت لمن يطالعها أنه يجوز له زيارة قبورهم والدعاء المذكور، ولا مانع لذلك من جواز هذه الأقوال من الزائرين، ويثابون على زيارة قبورهم، وعلى الدعاء عندها لاسيما الإلحاح بالدعاء، فقد ورد أن الله يحب الملحين في الدعاء، والحديث مطلق، وكونه عند قبور الأولياء، فهو أسرع للإجابة، ويحرم على من يمنع الناس من زيارتهم، أو من الدعاء عند قبورهم، أو الطلب من الولي كما ذكر لا يكون شريكًا مع الله تعالى؛ لأن كل أحد من المكلفين يعلم أنه لا يقضي الحوائج إلا الله تعالى، ولا يميت ويحيي ولا يرزق إلا هو، ولا يقطع ويصل إلا الله سبحانه وتعالى، وإن الولي وحياته في ذلك كسائر الخلق.

وغاية الأمر أن الله تعالى يقدر عبده على الفعل حتى يفعل مطلوبه، وقد تقرر لنا في العقائد أن الله تعالى يخلق للعبد الاستطاعة عند الفعل لا قبله ولا بعده، فإذا خلق له ذلك فعل، وهذا أمر ظاهر بين الناس، ولا يخفى على أحد.

وأيضًا يلزم على قوله: إنه كفر بما ذكر أي: كل من قال لغيره: اقض حاجتي أو في ديني إلى غير ذلك مما يقوله الناس لبعضهم بعض، فإنه يكفر لأنه يعتقد أنه يفعله بنفسه دون الله تعالى، فإذا كان كذلك، فماذا يقول الإنسان لغيره إذا طلب منه؟ هل يقول له أسأل الله لي كذا أو بالله كذا؟ هذا أمر لا يصح؛ لأنه مستحيل، بل الشارع أظهر لنا ما نقوله للناس والكتاب، وحينئذ فلا وجه لدعوى عدم بقائها بعد الموت؛ إذ الأنبياء لا تنقطع نبوتهم بالموت، ولا معجزة النبي، فكذلك الأولياء ﷺ لا تنقطع كراماتهم به.

وقال الشيخ الإمام رضي الدين أبو القاسم بن الحسين البكري شارح «منظومة الإمام الأوشي» أيضًا -رحمهما الله تعالى-:

كرامات الولي بدار دُنيا ... لها كَوْن فَهُمُ أهل النَّوال

واعلم أن كرامات الأولياء حقٌ خلاف للخوارج والمعتزلة، قال الله تعالى لأم موسى عليه السلام: ﴿**فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ**﴾ [القصص: ٧] هذا كرامة لها، وكذلك أخرج لمريم رزق الشتاء في الصيف ورزق الصيف في الشتاء كرامة لها وقال تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ [النمل: ٤٠]، وهو آصف بن برخيا كان من أولياء الله تعالى، وهو وزير سليمان عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾ [مريم: ٢٥].

وهذا كرامة لمريم وقال: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٣٧] ولأنا نجد أن الكافر، وهو إبليس -لعنه الله تعالى- يسير في ساعة واحدة من المشرق إلى المغرب، وسير المؤمن في ليلة واحدة إلى بيت الله الحرام ليس بعجب، ورأى عمر رضي الله عنه وهو على المنبر جيشه يتهاون قال: «**يا سارية الجبل**»، فسمع سارية صوته، وشرب السُّم خالد بن الوليد، فلم يضره.

ودعا الإمام الأعظم أبو حنيفة ﷺ عنه فنـزلت عليه مائدة.

والمعجزة تظهر بغير الدعوى، والكرامة تظهر، بل يجتهد الولي في كتمانها ولو ادَّعى الولي ذلك ذهبت ولايته، والله تعالى أعلم.

والشرح الآخر لـه: الكرامات جمع كرامة، وهي ظهور أمر إلهي خارق للعـادة على يد الولي كقطع المسافة البعيدة في المدة اليسيرة، والمشي على الماء، والطيران في الهواء، والكلام مع الجمادات، وغير ذلك.

والولي على وزن فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول.

فعلـى هذا يكون الولي من يتولى الله تعالى رعايته وحفظه، فلا يكله إلى نفسـه كمـا قـال تعـالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

ويجـوز أن يكون على وزن فعيل بمعنى فاعل كعليم بمعنى عالم، فعلى هذا هـو من يتولى عبادة الله تعالى وطاعاته، فيأتي بها على التوالي والتتابع آناء الليل وأطراف النهار والنوال العطاء أي: هم أهل العطاء من الله تعالى، فإن الله تعالى أعطاهم ما أعطاهم من الرتبة العليا، والدرجة القصوى، والله تعالى اعلم انتهى.

والولي هو العارف بالله تعالى، وبصفاته بقدر الممكن الملازم على الطاعات المتجنب للمعاصي.

وقـال مولانا العارف بالله تعالى الإمام العالم العلامة فريد دهره، ووحيد عصـره شيخ الشيوخ أحمد بن منصور الحنفي في كتابه المسمى بـ «الكشف والكـرامات» مـا نصه بعد البسملة والحمدلة في الصلاة والصلاة على المؤيد بالمعجزات، وبعد .. **فأقول**: «لما كثر السؤال وانتشر القيل والقال عن كرامات أولـياء الـرحمن بعد الانتقال أردت أن أجمع بعض ما نقله الأئمة الثقات من كرامات أولياء الله تعالى بعد الممات مستعينًا بالله تعالى ومتوكلاً عليه ومفوضًا أموري كلها إليه.

وسئل بعض الأئمة من السادة الحنفية، وأئمة المالكية، وعلماء الشافعية، والحنبلية الزكية المرضية أئمة الدين، وعلماء المسلمين ضاعف الله أجورهم، وطيب الله ثراهم، وجعل الرحيق المختوم شراهم وأكرم مائهم- عن أولياء الرحمن هل كراماتهم ثابتة وتصرفهم بعد الموت باق أم لا؟ وهل يجوز التوسل بهم إلى الله تعالى أم لا؟ وهل الأولياء إذا ماتوا يحكم ببقاء ولايتهم أم لا؟.

وهل للأوتاد والأنجاب والنقباء وجود أم لا؟.

وهل قلت: إن ما كان معجزة لنبي كان كرامة لولي أم لا؟.

وهل يجوز تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم أم لا؟.

وهل يكون أن يقول في دعائه بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وأوليائك أم لا؟ وهل يقال أن أرواح المشايخ عالمة حاضرة أم لا؟ ابسطوا لنا الجواب أثابكم الله تعالى الجنة بمنه وكرمه آمين.

الجواب:

الحمد لله الهادي للصواب نعم أولياء الله تعالى موجودون في الأرض إلى قيام الساعة لعموم قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة**[1]».

وكراماتهم ثابتة، وتصرفهم بعد الموت باق، ويجوز التوسل بهم إلى الله تعالى، والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين بعد موتهم؛ لأن معجزات الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بموتهم إلا الأنبياء عليهم السلام، فإنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار، وتكون الاستغاثة بهم معجزة لهم وكرامة للأولياء والشهداء أيضًا أحياء عند ربهم يرزقون، كما نطق به النص الشريف شوهدوا عيانًا جهارًا يقاتلون الكفار، وشهداء الجنة أعظم مقامًا وأكمل نظامًا وأرفع درجة، بل إن شهداء المعركة تصير أرواحهم في

(١) سيأتي تخريجه.

حواصل طيور خضر يأكلون من ثمار الجنة حيث شاءوا، وشهداء الجنة أجسادهم مع أرواحهم في جوف طيور خضر كما ورد والكرامة تقع من الولي بقصد وبغير قصد، وهي أمور خارقة للعادة يجريها الله على يد أوليائه كرامة لهم، وقد حصلت الكرامات الخوارق للعادات للصحابة والتابعين، ومن بعدهم من العلماء العاملين، وما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لا فارق بينهما إلا التحدي.

ولا امتناع في التوسل بالصالحين، فإنه ورد أن التوسل بالنبي ﷺ وصلحاء أمته حظ مما يعهد من خصائصه ﷺ يمنحه الله سبحانه لمن يشاء منهم، وهي براءة تمت عليهم، وقد توسل عمر بن الخطاب بالعباس -رضي الله عنه- وشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه، وممن هو دونه لما روي أن النبي ﷺ ودع عمر إلى العمرة فقال له: «لا تنسنا من دعائك يا أخي».

وذكر في «الصحيح» أنه قال لعمر: «إن استطعت أن يستغفر لك أويس القرني، فافعل».

وثبت في «الصحيحين» أن الناس سألوا النبي ﷺ أن يستسقي لهم، فدعا الله تعالى لهم حتى سقوا، ولا يمنع من التوسل بهم موتهم؛ لأن الموت إنما طرأ على الجسد، وأما الروح فهي حية.

أقول تنبيه لقول الشيخ فهي حية، وحيث كانت حية، فإن كانت روح نبي وتوسل به أحد إلى الله تعالى أو طلب حاجته عند قبره وقضاها والسنة ناطق بذلك، وإن كل إنسان يطلب من غير حاجته بقوله: «أعطني كذا وبعني وخذ مني إلى غير ذلك»، ويعلم أن خالق الأفعال كلها الله تعالى بقوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وأيضًا يخشى على من يمنع الناس من ذلك المقت والإثم من جانب الله تعالى: لأن في ذلك نقصًا برجال الله تعالى أصحاب الرتب العلية، والمقامات السنية، وقد يبلغهم ذلك، فيتأذون به؛ إذ هم في محل الإكرام، فيكون ذلك

معاداة لهم، وقد ورد بالمحاربة أن الله تبارك وتعالى قال:

«من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب[1]**»** رواه البخاري.

وهو يُشير إلى التحذير من إيذاء أولياء الله تعالى ومعنى، الإيذاء أن الإعلام والحرب والمحاربة، وهذا من التهديد بالغاية؛ لأن من حارب الله تعالى أهلكه إهلاكًا وهو من المجاز البليغ؛ إذ لا يتصور محاربة الله تعالى ولفظ «وليًا» نكرة يعم الحي والميت -نعوذ بالله من ذلك- فلم يضمنه عن عينه إلى أن صار المداح في الأسواق إذا قالوا: «شئ لله يا بدوي أو يا شافعي» يسبونهم العوام ويؤذونهم وينسبوا بهم إلى الكفر بما قالوا إلى أن رفع إلي سؤال ضمنه ماذا يقول علماء الدين، ووارثون المرسلين من أيدهم الله تعالى بالمعجزات، وأكرم أوليائه بالكرامات في حالة الحياة، وبعد الممات هل كراماتهم باقية بعد الممات أم قاصرة على الحياة؟، ومن في القبور من الأولياء ليس لهم شيء من الكرامات، فإن قلتم ببقائها بعد ذلك، فما الحجة في ذلك من كتاب الله أم من عند رسول الله؟ أما حالة الحياة فلا شك فيها على القبور، ومن فيها وهل القبور من الدار الدنيا الظاهرة أم هي من الدار الآخرة أفيدوا الجواب فضلاً منكم للطلاب، وإظهار لنا الدليل من السنة أو الكتاب انتهى.

فقلت: حيث شاهدت ما ذكر، وليس العيان كالخبر فلا بُد من بسط الكلام ملاحظة لهذا المقام، والتصريح بالدلائل الصريحة، والنقول الصحيحة، فإن ذلك مما اختلف فيه الأنام، وكثر فيه الكلام ودخل فيه الخوض حتى العوام، وليس له معرفة بالبراهين العقلية القواطع، ولا علم بالأدلة النقلية المخرجة عن الوقائع، ولا ما ورد به القرآن والأخبار والآثار مما ذكر منه العليل يطول، ولا يحتمل التأويل، ولا يختلي العقول، ومما شوهد من المشايخ أصحاب لمقامات والكرامات والمعارف والوصول وها أنا أشرع أقول مستعينًا بالربِّ المسئول ومتوسلاً بنبيه الرسول -صلى الله تعالى عليه وعلى آله صلاة تبلغ بها المطلوب

---

(١) تقدم تخريجه في المقدمة.

والمأمول- قد صرح علماؤنا -رضي الله عنهم- بأن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ثابتة حال حياتهم عقلاً ووافقه نقلاً أما جوازها عقلاً فليس بمستحيل من قدرة الله تعالى، بل هو من قبيل الممكنات لظهور المعجزات للأنبياء عليهم السلام وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وأما وقوعها نقلاً فقد جاء في القرآن والأخبار والآثار وكتب علماؤنا مشحونة بذلك، فمن القرآن ما أخبر الله تعالى ولا تنقطع بعد مماتهم، لأنه لم يرو نقل بأن بموت الأنبياء تنقطع معجزاتهم، وكذلك الأولياء من كراماتهم، وما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لا فارق بينهما إلا التحدي والكرامة أنها خارقة للعادة يجريها الله على يد من يشاء من عباده كرامة لهم، وقد حصلت الكرامات للصحابة والتابعين، ومن بعدهم من العلماء العاملين.

وقد قال ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي ظَاهرين على الحقِّ حتى تقوم الساعة**[١]»، وهذا يفيد بعمومه أن أولياء الله تعالى موجودون في الأرض إلى قيام الساعة، وأنه يشمل الحي منهم والميت الذي في القبر، ومن لازم كونهم على الحق، وإثبات الكرامات لهم بقاؤها إلى قيام الساعة.

ومن هنا يُؤخذ حكم من في القبور أنهم على الحق، ولهم الكرامات باقية لا تنقطع بركتهم، فافهم ذلك.

ولا يلزم من قيام الساعة إزالة وصفهم بكونهم إلى الحق، ولا إزالة الكرامات عنهم، بل وهي دار الجزاء وإكرامهم فيها أكثر كما وردت الأحاديث المشهورة والآثار المنشورة.

وقد صرّح شيخ الإسلام محب الدين بن الشحنة بأن المنح الإلهية لا تنقطع عن أولياء الله تعالى بموتهم.

وقد صرّح شيخ الإسلام الإمام أقضى القضاة القاضي سراج الدين علي

---

(١) رواه البخاري (٦/٢٦٦٧)، ومسلم (١/١٣٧).

ابن عثمان الأوشي «في بدء الأمالي» فقال:

كرامات الولي بدار الدنيا   لها كون فَهُمّ أهل النوال

أقول: صرح الناظم -رحمه الله تعالى- بذلك، فشمل حال حياة الولي، وحال مماته؛ إذ الدار الدنيا غايتها تصف يوم القيامة.

الأول: ما سنذكره عن عكرمة مولى ابن عباس ﷺ وغيره، يشمل من في البرزخ، وهذا كما ترى تصريح منه بثبوت كرامات الأولياء بعد الموت أو من في القبور إلا أنه في الدار الدنيا؛ إذ الدار اثنان: الدنيا والآخرة، فالدنيا نحن فيها لكونها مخلوقة الآن هي ومن فيها.

وأما الدّار الآخرة فأولها من يوم القيامة وهو لم يخلق الآن إذ لابدّ لو كان مخلوقًا لكان اليوم في الدار الآخرة، وليس هو كذلك.

وكذا قال الإمام أبو المعين النسفي في كتابه المسمى بـ «جواهر الكلام[1]» إن الله تعالى قدر يوم القيامة وليس بمخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقًا لكنّا في القيامة، وليس كذلك.

وقال الإمام رضي الدين أبو القاسم ابن الحسين البكري شارح بدء الأمالي: ثم إن يوم القيامة لا يسمى شيئًا عندنًا؛ لأنها غير مخلوقة الآن.

وقالت المعتزلة: إنها مخلوقة لا تظهر للأحياء، فإذا مات الإنسان تظهر، واحتجّوا بقوله ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**[2]».

قلنا: يعني سعادته وشقاوته وسعة القبر وضيقه وكونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، ولأنها لو كانت مخلوقة لكانت ظاهرة أهوالها، والأمر بخلافه والله تعالى أعلم.

ولا يضر كون الإنسان له ثلاث حالات: حالة حياة، وحالة موت،

---

(١) وكذلك نحوه في كتابه التمهيد لقواعد التوحيد (بتحقيقنا).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٢٦٨).

وحالة حياة بعد ذلك؛ لأن الكلام في الكرامات للأولياء لا غير، وكونها ثابتة بعد الموت، ولم تنقطع بموتهم لتأخرها عنها كما شهد به القضاء أيضًا، ولا خصوصية لتسمية هذه الدار بالدنيا بل هو اسم شامل لكل وافد كقوله تعالى: ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال:٤٢]، وكقوله تعالى: ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة:٥٥] ﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ [الصافات:٦].

ولا يتوهم أن قوله: «بدار دنيا» يفيد حالة حياة الولي لا غير كما توهمه بعضهم؛ إذ لفظ الدار غير لفظ الحياة، فلو كان الحكم كذلك لقال: كرامات الولي بحال الحياة إلى آخره ونحو ذلك، وقيّد الدار الدنيا لدفع خلاف المعتزلة والخوارج كما ستراه آنفًا إن شاء الله تعالى.

وقد شرح هذه المنظومة مولانا شيخ الإسلام القطب الرباني، والمحقق الصمداني سيدي بدر الدين بن جماعة، فقال:

كــرامات الــولي بــدار دُنيا لهــا كَــوْن فَهُــمْ أهل النّوال

قوله: «لها كون» أي: تحقق وثبوت والنوال العطاء، فإن قلت: الضمير في قوله: «فَهُم» لماذا يرجع؟ قلت: على الولي، فلا يقال: لا يجوز الرجوع إليه؛ إذ هو مفرد، والضمير ضمير جمع؛ لأني أقول: يجوز الرجوع إليه وإن كان مفردًا ملاحظة لمعنى الجنسية الموجبة للكثرة باعتبار ما صدق، ويدل على هذا ما قرأته بإضافة الجمع إليه كما في قوله: (وَمَا حُبُّ الدِّيارِ شَغِفْنَ قَلْبِي) فإن ضمير شغفن للحب مع إنه مفرد.

واعلم أن مذهب أهل السنة أن كرامات الولي جائزة الوقوع، بل هي متحققة بدليل اشتهار الأخبار، واستفاضة الحكايات عنهم كقصة عمر ﷺ وآصف وغيرهما.

والمعتزلة لما لم يشاهدوها في أنفسهم لضلالهم وبدعتهم ادَّعوا إحالتها وهو فاسد.

فإن قلت: ما وجه تقييده بالدار الدنيا؟

قلت: لأن الاختلاف فيها لا في الدار العقبى؛ لأنها محل كرامة جميع المؤمنين انتهى.

وهذا كما ترى تصريح بأن كرامات الأولياء ثابتة في الدنيا والآخرة، خلافًا للخوارج والمعتزلة، وحيث كانت ثابتة في الدَّارين، ولم يرد نقل بأنها تنقطع بموتهم.

فلا يقال: تحتاج إلى نقل بأن كراماتهم ثابتة بعد الموت، ولا عبرة أيضًا بقول من أن الأصل عندنا بقاء ما كان على ما كان حتى يرد خلافه- كما لو كان متوضئًا- وشكَّ في الحدث، أو صلى وشك في عدم الصلاة. فالأصل بقاء الوضوء والصلاة، ولا عبرة بالشك بذلك، ولا عبرة أيضًا بقول من قال: لم يرد نقل عند الحنفية أن كراماتهم ثابتة بعد الموت لعدم إطلاعه أم لعدم معرفته، أليس هذا إلا نقل صريح؟ فليفهم.

وقال الإمام الأعظم والهمام المقدم إمام الأئمة وناصر الكتاب والسنة إمامنا أبو حنيفة -رحمنا الله تعالى به- في كتابه المسمى بـ«الفقه الأكبر»: الآيات للأنبياء والكرامات للأولياء. هذا لفظه لا غير.

قال شارحه: يعني أن خوارق العادة التي تصدر عن الأنبياء تسمى آيات؛ وذلك لأن الله تعالى يؤيد بصدورها عنهم أن تكون علامة نبوغهم وصدقهم، والتي تصدر عن الأولياء تسمى كرامات؛ وذلك لأن الله تعالى يريد بصدورها عنهم إكرامهم، وهو أيضًا مطلق بإثبات معجزاتهم؛ إذ هي تسمى آية وكراماتهم والثابت فليفهم.

وقال الإمام أبو المعين النسفي في كتابه: «جواهر الكلام» أيضًا ما نصه: قال أهل السنة والجماعة: «كرامات الأولياء جائزة، وهي لا تقدح في معجزات الأنبياء، إنما سميت معجزة لأنها تعجز غير النبي الإتيان بها مثل عصا موسى وانشقاق القمر وغير ذلك».

ويدل على أن كرامات الأولياء جائزة قصة أصحاب الكهف حين خرجوا

من الغار، ولم يطل شعرهم، ولم تتمزق ثيابهم وكانوا كالعوام.

ويدل عليه أيضًا قصة آصف بن برخيا قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

فلما جاز أن تكون له كرامة بسبب سليمان عليه السلام جاز أن يكون لهذه الأمة بسبب محمد ﷺ انتهى.

وقد عرفت مما ذكرناه أن كرامات الأولياء بسبب أنبيائهم، [فما يحققه(١)] الله تعالى للنبي تكون معجزة كما ذُكر، وأما إذا ما تحققت [..........(٢)] الحاجة عند قبر وليٍّ تكون كرامة لذلك الولي لأن [الخوارق للعادات(٣)] من الله تعالى ببركة النبي تسمى معجزة له حيًا كان أو ميتًا، وما كان للولي تسمى كرامة، ولا يكرم من فقد معجزة من معجزات الأنبياء، فقد جميع معجزاتهم كعصاة سيدنا موسى عليه السلام، وانشقاق القمر لمحمد ﷺ، وبساط سيدنا سليمان السائر به حيث شاء، ولين الحديد لسيدنا داود عليه السلام ونحو ذلك مما فقد بموتهم، وكذلك ما كان من كرامات الأولياء أن تفقد جميع معجزاتهم، وجميع كراماتهم؛ إذ المعجزات والكرامات منح إلهية من الله تعالى لعبيده أحياء وأمواتًا، وهي ممنوعة حسب الطلب بإرادة الله تعالى فليفهم.

قال: فقد ورد ما يدل على اتصالها بالجسد في بعض الأحيان كيفما يشاء الله تعالى.

وأما قوله: أنا أطلب منك أن يحصل لي كذا وكذا فأمر منكر، قول الشيخ: «أمرٍ منكر» يعني أن طلب الطالبة منه يستقل بنفسه بالفعل، وقد علمت ما قدمتُه سابقًا.

قال: فالطلب إنما هو من الله تعالى والتوسل بالأعمال الصالحة أو بأصحابها أحياءً وأمواتًا لا يُنكر ذلك.

---

(١) ما بين [ ] طمس بالأصل، تم إضافته لتمام السياق.

(٢) ما بين [ ] طمس بالأصل.

(٣) ما بين [ ] طمس بالأصل، أضيف لتمام السياق.

فإن قلت: نقل بعض الحنفية ما لفظه قال علماؤنا: «من قال إن أرواح المشايخ عالمة حاضرة يكفر».

قلت: هذا محمول على ما إذا قال ذلك استقلالاً ولم يذكر الواسطة.

وأقول: وهذا يدلك على ما صرحتُ به آنفًا من قولي يعني إلخ.

قال: كيف وقد دلت النصوص على ذلك من علم الموتى وسؤالهم وجوابهم وخطابهم السلام عليهم وعلمهم ببعض أحوال أهل لدنيا، وإنهم [على دراية.........[1]] بأحوال الأحياء وأعمالهم.

فتارة يعرض ذلك عليهم، وتارة السؤال ممن مات بعدهم كما ورد ذلك.

أقول: وسأذكر لك صريحًا شيئًا من الأدلة يشهد بكلام الشيخ في تعريف الأرواح والأموات والأحاديث في ذلك إن شاء الله تعالى.

قـــال ﷺ: **«تعرض الأعمال يوم الإثنين ويوم الخميس على الله تعالى، وتعرض على الأنبياء وعلي الآباء والأمهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم، ويزداد نور وجوههم إشراقًا[2]»**.

وقد ورد أن الله تعالى يُطلع بعض أوليائه على بعض أسراره ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وأمـــا قوله: في دعائه «بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وحملة عرشك وأوليائك أو بحق البيت أو بحق المشعر الحرام».

فكل ذلك مكروهٌ عندنا؛ لأنه لا حق لمخلوق على خالقه، ولا يجب على الله تعالى شيء.

أقول: وهذا على قول.

والقـــول الثاني: يجوز، ولا يكون ذلك من باب إيجاب الشيء على الله

(١) ما بين [ ] طمس بالأصل.

(٢) رواه الترمذي (١٢٢/٣)، والطيالسي في مسنده (٣١٧/١)، والطبراني في الأوسط (٢٥١/٧).

تعالى بقوله تعالى: ﴿وَمَا من دَابَّة فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ﴿وَكَانَ حقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، فهذا دليل الجواز.

قال: وكذا مكروه عندنا تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم وإلقاء نفسه على القبر، والتمعك بترابه.

وعند **الإمام الشافعي** -رحمه الله تعالى- **يجوز** تقبيل توابيت الأولياء، وأعتابهم على وجه التبرك.

أما قول عمر ﷺ حين قبَّل الحجر الأسود: «**والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبّلك ما قبّلتك**[1]» متفق عليه. وصرح شيخ الإسلام محب الدين بن الشحنة الحنفي بأن المنح الإلهية لم تنقطع عن أولياء الله تعالى بموتهم.

وسُئل عمَّن يزور الصالحين من الموتى؟ فيقول عنده: يا سيدي فلان، أنا مستجير ومتوسل بك أن يحصل لي كذا وكذا. ويقول: يا رب، أسألك بمنزلة هذا الولي أو بسره أو بعلمه أن تفعل لي كذا وكذا. ويقول: متى حصل لي كذا وكذا أجيء بكذا وكذا.. هل يلزم الوفاء به أم لا؟

أجاب -رحمه الله تعالى- إن لم يقترن به لفظ الالتزام، ولا نذر لم يلزمه به شيء، وإن اقترن به ذلك، فإن أراد التصدُّق على الفقراء المجاورين لضريحه أو عمارة مشهده حيث احتيج لذلك لزم الوفاء به، وإن أراد تمليكه لنفس الميت، فهو باطل لا يجب به شيء انتهى ما رأيته بخطه -رحمه الله تعالى-.

وأما قضاء حوائج الناس إذا خرج شخص منهم من قبره، وقضى حاجة، فهل الصورة التي تخرج من قبورهم ملك أو صورة تنشأ من همتهم بحسب اعتقاد صاحب الحاجة، فيهم الجواب كل ذلك يكون، فتارة يوكل الله تعالى بقبر الولي ملكًا يقضي حوائج الناس، وتارة يخرج الولي بنفسه؛ لأن للأولياء

(١) رواه البخاري (٢/٧٥٩)، ومسلم (٢/٩٢٥).

الانطلاق في البرزخ والسير لأرواحهم، فإنهم صرحوا بذلك في الكتب؛ لأن من الأدلة الواردة في الروح بعد الموت، وأنه روي أنه ﷺ رأى جعفرًا يسير مع رفقة من الملائكة بعد موته إلى أهل بيته يبشرونهم بالمطر، وسيأتيك بيانه إن شاء الله تعالى.

قال: وأما الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فذواتهم الشريفة منـزهة عن كلفة المجيء والرواح لكن من وقع له خطاب من قبر نبي، فذلك عين النبي لا مثال له، ومن سمع من غير قبره، فذلك مثاله لا حقيقته.

فإن قلت: هل يقع لأهل البرزخ الاجتماع بكل من أرادوا أم لا؟.

قلت: البرزخ من حيث هو مطلق لكن أحد يقع له الانطلاق والسراح وإن غالب الناس يسجنون فيه بأعمالهم، وما ظهر الانطلاق فيه إلا للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وللأولياء بحسب درجاتهم غير الأنبياء.

ومن هنا فإن أشياخ الطريق يجيبون مريدهم من قبورهم إذا ناداهم.

والسرُّ في ذلك صحة اعتقاد المريد في شيخه أنه حيٌّ في قبره يسمع إجابته، فليس عدم الإجابة ووجودها راجعٌ على الأشياخ، وإنما هو راجع على المريدين.

والسرُّ في ذلك أن كلام الأموات لا يسمعه إلا من تحقق بكتمان الأسرار؛ ولذلك ورد أن البهائم تسمع صوت الميت في قبره؛ لأنها ليست من عالم التغيير.

وقال في ترجمة العارف بالله تعالى سيدي محمد شمس الدين الحنفي لما مَرِضَ مَرَض موته: من كان له حاجة فليأت إلى قبري، وليطلب حاجته من الله تعالى أقضها له، فإنما بيني وبينه ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب، فليس برجل.

فالحاصل أن الولي يتصرف في البرزخ بعد موته بإذن الله تعالى.

وأما ما نُقل عن سيدي محمد شمس الدين المذكور: إن الولي إذا مات انقطع تصرفه من الكون من الإمداد، وإن حصل مدد للزائرين بعد الموت أو

قضاء حاجة، فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت يعطي الزائرين المدد على قدر مقام المزور محمول على أنه قبل أن يعلمه الله تعالى فيما قاله قبل موته؛ وبهذا حصل إلينا دفع التنافي بكلامه، وأما قول الإمام الأُوشي في منظومته «بدء الأمالي»: (كرامات الولي بدار دنيا) لأن البرزخ عليه حكم الدنيا ينسحب.

ألا ترى على ما قالوا إنه ينقطع فيه العذاب حتى عن الكفار بين النفختين، فيجدون لذة المنام، فإذا نفخ فيه أخرى يقول الكافر: يا ويلنا، من بعثنا من مرقدنا؟ فيقول له المؤمن: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فافهم ذلك.

أقول: قد صرَّح به أبو المعين في بحر الكلام، وسيأتيك عنه مسألة الروح استطرادًا للفائدة قال: وأصرح منه ما ورد بإسناد صحيح إلى عكرمة مولى ابن عباس ﷺ أنه سُئل عن يوم القيامة أهو من الدنيا أو من الآخرة؟.

فأجاب: بأن نصفه الأول الذي يقع فيه الفصل والحساب- من الدنيا، ونصفه الآخر الذي يقع فيه الانصراف إلى الجنة والنار- من الآخرة انتهى.

وكذلك في «المواهب اللَّدنية[1]» فإذا كان هذا في القيامة بعد فناء البرزخ، وما يتعلق به حكمه في نصفه الأول بأنه من الدنيا حقيقة، وهذا أمر ظاهر، فاحفظه على أن في حقيقة الدنيا عند المتكلمين قولين:

أحدهما: ما على الأرض من الجوهر والهواء، وأظهرهما كل المخلوقات من الجواهر والأعراض والأعيان الموجودة قبل الدار الآخرة، ولا شكَّ في شمول التعريف الثاني والنص للبرزخ؛ لأنه مخلوق قبل الدار الآخرة، فيؤخذ جواز وقوع كرامة الأولياء بعد موتهم من قوله «بدار دنيا»، فافهم ذلك ترشد.

وقال الجلال البخاري في شرحه على هذه المنظومة: التقييد بدار دنيا؛ لأن الدار العقبى محل كرامة جميع المؤمنين.

أقول: وهذا أعني -كلام البخاري، وما قبله من كلام الشيخ مؤيد بما قبله

(١) للإمام شهاب الدين القسطلاني -قدس الله سره.

في أول ترجمتي الكتاب قوله لها: «كون» أي: وجود وتحقق؛ لأن الكون عبارة عن حصول الشيء، وذلك عبارة عن معجزة الرسول التي ظهرت بهذه الكرامة علي يد واحد من أمته؛ لأنه ظهر بها أنه ولي، و لا يكون وليًا إلا باتباعه في أقواله وأفعاله، و «كرامات الولي» مبتدأ، و «لها كون» مبتدأ آخر، وخبره قدم عليه، والجملة في موضع رفع خبر المبتدأ الأول، و«بدار دنيا» يتعلق بالكون، والمراد منه الثبوت والوقوع فتنبه، و لا يسبق إلى الفهم أن قوله: «بدار دنيا» ظرف مستقر وقع حالاً من الولي الذي هو المضاف إليه، لأن المضاف ليس عاملاً في المضاف إليه، و لا جزاء ولا كجزء، وإنما هو ظرف متعلق بالكون أي: لها وجود بدار دنيا، واستمرار الكرامات لهم بعد موقم في البرزخ أولى من حال حياقم؛ لصفاء نفوسهم عن الأكدار والإنكار، فإن القول بجوازها في حياقم وإنكارها بعد موقم ترجيح بلا مرجح، و إظهار الكرامة علي يد الولي في حياته بأقدار الله تعالى وخلقه لها، فكذلك بعد الموت؛ لأنها من الممكنات والقدرة تتعلق بعموم من الممكنات وإلا لزم نسبته القدرة إلى التصور تنـــزهت قدرته عن ذلك، و هذا من أقوى الأدلة فافهمه.

أقول: وهذا يؤيد ما قلته من قولهم: إن الولي كالسيف المغمود، فإذا مات تجرد من غمده، ولذا أرشدني إلى شيء هو أن حالهم كما كان قائمًا في حياقم، فإنه قائم بعد مماقم؛ لأن قبور الأولياء جميعًا كالشافعي ومن حوله من أهل المقامات، وكذلك أولياء الله المشهورون في البلدان كالبدوي، وغيره مزدحمون من كثرة الزوار، وهذا أمر مشاهد مستمر، وأي علامة أقوى من هذه العلامة، وكرامة أقوى من هذه الكرامة، وهذا نص عليه القطب سيدي شمس الدين الحنفي — قدس سره — وسيأتيك في كلامه إن شاء الله تعالى.

تنبيه لدفع شبه ما توهمه المتوهمون بعقولهم القاصرة، واعتقاداقم الفاسدة كأبي إسحاق الإسفراييني، وأبي عبد الله الحليمي، وجمهور المعتزلة القائلين بأن كرامات الأولياء تنقطع، ونسبوا إلى إمامنا الأعظم أبي حنيفة أن كرامات الأولياء منقطعة فنسبته هذا القول كذب وافتراء عليه لا أصل له البتة، و لا رواه

أحد من أهل السنة والجماعة؛ لأن الإمام الأعظم كان عارفًا بالله تعالى خائفًا منه محبًا لأوليائه قائلاً بكرامتهم في حياتهم وبعد مماتهم.

أقول: يتنبه لهذا التصريح بأن الإمام الأعظم -رحمه الله تعالى- قائل بكراماتهم في حياتهم وبعد مماتهم، لاسيما قد أطلعتك على قوله أيضًا في الفقه الأكبر فليفهم.

قال: لأن ثبوت كرامات الأولياء مما يزيد في جلالة قدر الأنبياء، والرغبة في اتباعهم حيث نالت أممهم مثل هذه الدرجة ببركة اتباعهم والاقتداء بهم.

قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال الإمام شيخ الإسلام القرماني الحنفي في شرحه على مقدمة الإمام أبي الليث السمرقندي الحنفي: ومن كرامات الإمام الأعظم أبي حنيفة -رحمه الله- بعد الموت ما رواه الأئمة أنه لما غُسِّل -رحمه الله تعالى- ظهر على جنبه سطر مكتوب:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] وعلى يده اليمنى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وعلى اليسرى: ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] وعلى بطنه: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١].

ولما وضعوه على الجنازة سمع صوت يقول: يا قائم الليل طويل القيام كثير التهجد كثير الصيام أباحك السيد دار السلام.

ولما وضع في قبره سمع صوت يقول: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩].

أقول: وهذا تصريح من الشيخ القرماني الحنفي بكرامات الأولياء بعد الموت.

وأيضًا لا يذهب عنك قول الشيخ العلامة ابن الشحنة فيما قدمناه: إن المنح الإلهية لا تنقطع بالموت، فهو أيضًا صريح في أن الكرامات ثابتة بعد الموت فافهم ترشد إن شاء الله تعالى.

وقال ابن المبارك-رحمه الله: صحبت أبا حنيفة في طريق مكة فصادوا صيدًا وشووه، فقالوا: ما يحسن أكله إلا بخل، فحفر الإمام الأعظم في الرمل حفرة، وبسط يده فأخرج منها خلا ما أكلنا مثله فأكلنا الشوي بذلك الخل.

فقال القوم: أعطاه الله تعالى العلم والولاية.

ومنها ما ذكر الإمام العلامة الكرماني في «شرح البخاري» في آخر ترجمته ما نصه: ولما دفن الإمام البخاري كانت شدة الزحام فلا يتواصلون إليه إلا بعناء ومشقة زائدة.

وكتب أمير الجيوش بمصر ما وقع وبعث به هدية إلى نظام الملك، فكان يوم وصوله يومًا مشهودًا انتهى.

أقول: وهذا أمرٌ مشاهد إلى الآن في زيارة قبره -رحمه الله- وإن من له حاجة يذكرها له عند قبره، ومنهم من يكتبها في [قُصة[1]]، ويضعها تحت ستره ليلة السبت.

ومنهم من نام بالمقام المبارك فرأى الرسول ﷺ، وأنه يأتي ويجلس، ومعه الصحابة والأولياء والإمام الشافعي -رضي الله عنهم- يأخذ تلك القُصص المكتوبة، ويقدمها للرسول فيرد له جوابها، والإمام يرده لصاحب القُصة.

حتى أن بعضهم كان له مالٌ عظيم عند ذي جاه، فلم يقدر على خلاصه فكتب قِصته على قُصة كما ذكرنا، ووضعها تحت ستر الإمام، فلما جلس الرسول ﷺ كما ذكرناه قدمت له القصة قال الرسول ﷺ للإمام ﷺ: قل له هو فقير صبر، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾

(١) في الأصل: (قُصة بريقه).

[البقرة: ٢٨٠]، فلما سمع وبلغ بات ساهرًا من الهيبة إلى الصباح، فذهب من ساعته إلى منـــزل المديون، فكتب له ورقة بأنه أبرأه من الدين الذي هو له عليه، وكان مقداره خمسمائة قرشًا، فلما علم بذلك واجهه بعد أن كان هاربًا منه، وأخبره بأنه في غاية الضيق انتهى.

وكثير مثل هذا مشهور، ووقع لي مسألة، وحكي لي أيضًا.

وكذلك سيدي شمس الدين الحنفي وقع له مرة مثل ذلك.

ومنهم ما ذكر شيخ مشايخ الإسلام الشيخ السبكي عن الإمام، والمقدم الهمام أحد أئمة الدين وهداة المتقين الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- ورحمنا به ونفعنا ببركاته وأمدنا من إمداداته أنه أسلم يوم رؤية جنازته عشرون ألفًا من اليهود والنصارى والمجوس.

ومنها الكرامات الشهيرة والمناقب المأثورة للشيخ الولي الكبير، والحبر البحر الذَّخير صاحب القدر الجليل، والجاه المنير والفضل الشهير صاحب الحسب وحامي النسب الشريف العلوي القطب الرباني، والمحقق الصمداني سيدي أحمد البدوي نفعنا الله تعالى ببركاته وأمدنا بإمداداته.

وهو أنه لما بنى السلطان حسن طاب ثراه مدرسته التي قبالة قلعة مصر طلب لها مدرسًا فقيل له: ما يصلح لذلك إلا الشيخ شمس الدين، وهو إذ ذاك كان قاضي القضاة بمدينة دمشق.

فأرسل خلفه، فخرج إلى لقائه قاضي القضاة بالديار المصرية وأكابر العلماء، وأكرموه غاية الإكرام وبات بالجامع الأبيض، فلما صلوا العشاء خرج الشيخ شمس الدين وقاضي مصر يتمشيان بظاهر الجامع الأبيض، وإذا بفقير يذكر الله سبحانه وتعالى بلهجة السطوحيين، وبعد فراغه من الذكر نادى بأعلى صوته: الصلاة والسلام عليك يا سيدي أحمد يا بدوي، فقال الشيخ شمس الدين لقاضي القضاة: من هذا الذي جمع في السلام بين المرسلين وغيرهم؟ ومن هو هذا البدوي؟ فوالله، إن هذا الفقير لمستحق التأديب والتعزير.

فقال قاضي القضاة: إنه شيخه وعليه محبته وتعظيمه والاعتقاد فيه، ولا يزال يستعطفه فما أمكن فقال: والله لابد من تأديبه في غداة غد إن شاء الله تعالى.

فلما أخذ مضجعه، ونام في تلك الليلة رأى فيما يرى النائم كأن سقف الجامع قد فرج، ونزل منه رجلان جلس أحدهما عند رأسه، والآخر تحت رجليه فقال الذي تحت رجليه: أسلبه الإيمان، وقال الذي عند رأسه: أسلبه العلم والقرآن؛ لأنه وقع منه الإنكار على ولي الله تعالى سيدي أحمد البدوي ثم مسكه أحدهما من رجليه والآخر من رأسه، وهزاه هزًّا عنيفًا فأطمس الله بذلك قلبه، وانتزع منه العلم والقرآن فانتبه من نومه فزعًا مرعوبًا لا يعرف مسألة في دين الله تعالى، فلما لاح الفجر وأراد النهوض إلى الصلاة فلم يستطع، فأمر إمام المسجد بالصلاة، وخرج هو وقاضي القضاة فظنَّ أنه يريد الحمام فأسرَّ له في أذنه، وحكى له جميع ما تقدم له من أوله إلى آخره فقال له: لابد لنا من زاوية الأحمدية، وسار هو وإياه حتى وصلا إلى زاوية الأحمدية، فإذا على بابها رجل جالس على فرش من الخوص، فسلما عليه فردَّ عليهما السلام، ثم إن الشيخ شمس الدين كلَّم الرجل في ذلك، فقال له الرجل: والله يا محمد، لا بيدي حل ولا ربط، فقال له قاضي القضاة بالديار المصرية: كرامة لله تعالى و صار يتعطف به، ويأخذ بخاطره ويسأله الصفح عنه، فقال له الشيخ شمس الدين: أنا تائبٌ لله تعالى، ولا أعود لمثل ذلك أبدًا، فقال له ذلك الفقير: إن كان ولابد فقم وسافر من هذه الساعة إلى الإسكندرية فأت بها رجلاً من أولياء الله تعالى المكرمين صاحب جاه عظيم، وقدر رفيع وحسب كبير يقال له: سيدي ياقوت العرشي فما يكون الفرج إلا على يديه، فقال: سمعًا وطاعة وكانوا في ذلك اليوم، فلما وصل إلى الإسكندرية اجتمع بسيدي ياقوت العرشي ﷺ [1] فوجده رجلاً

(١) قال الشيخ المناوي عنه: هو أجل تلامذة العارف المرسي. كان إذا شهدته، شهدت له بالولاية، وإذا أشهدك، أشهدك الهداية.

=

أخبر به المرسي يوم ولد بالحبشة، وصنع له عصيدة أيام الصيف بالإسكندرية، فقيل: هي لا تكون إلا في الشتاء.. فقال: هذه عصيدة ولدنا ياقوت ببلاد الحبشة، وسيأتيكم. وهو الذي شفع في الشمس بن اللبان حين سلبه البدوي عمله وحاله، بعد أن توسل بجميع أولياء عصره، فلم يقبل البدوي شفاعتهم، فسافر من إسكندرية إلى قبر البدوي، فسأله فأجابه، ورد عليه حاله وعمله.

وسبب مجيئه للمرسي أن تاجرًا اشتراه مع عبيد، فلما قرب من الإسكندرية هاج البحر، وأشرفت المركب على الغرق، فنذر سيده إن نجا، وهب ياقوت للمرسي، فلما دخل الإسكندرية، وجد بياقوت حكة، فأتى للشيخ بغيره، فردّه وقال: العبد الذي عينته للفقراء غير هذا، فأحضره له وقال: ما تركت إحضاره إلا لما ترى، قال: هذا الذي وعدتنا به القدرة، فرباه وسلّكه، وأذن له في التربية، وسماه ياقوت العرشي؛ لأن قلبه كان دائمًا ينظر إلى العرش، وليس بالأرض إلا بدنه، أو لأنه كان يسمع أذان حملة العرش.

دخل عليه شريف عليه ثياب رثة، فوجده بثياب عالية غالية، قال: أنت يا مقلب الشغاتر، يا مشقق الحفائر بهذا الحال، وأنا بهذا الحال؟! قال: لعلك نُحِت منهج آبائي، فحسبوك منهم، فأنزلوك منـــزلتهم، ونُحِت أنا منهج آبائك، فحسبوني منهم، فأنزلوني منـــزلتهم.. فبكى واعتذر له.

ووقع له أيضًا أنه دخل عليه شريف، فرأى الناس يقبّلون رجله، ولا يلتفتون إليه هو، فأخذ في نفسه من ذلك، فقال له ياقوت: إن كوارعي لو قطعت لا تساوي درهمين في السوق، ولكني لما تبعت طريق سلفك الطاهر، اكتسبت الشرف، وأنت خالفت سلفك في أخلاقهم وتخلقت بالرذائل فأهنت، فسكت الشريف ولم يجد جوابًا .

وقدم السلطان حسن من مصر عليه لزيارته، فلما أبصره؛ خطر عنده عبد أسود أعطى هذا، فلما دنا منه، ضربه الشيخ على رأسه بمدية سبع ضربات، وقال: يا حسن، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه.. فعاش السلطان سبعة أشهر.

ومن كلامه: على الفقير أن يعظم الناس بحسب دينهم، ولا بحسب ثيابهم.

وكان يشفع في الحيوان والطير. قعدت على كتفه يمامة، وهو بالإسكندرية، فهمهمت، فقال له: على الرأس.. فركب حالاً حتى أتى جامع عمرو بن العاص، فقال لمؤذنه: ذكرت هذه اليمامة أنك تذبح فراخها، فمن الآن ارجع، فامتثل.

وكان يقول دائمًا: يا دهشة! يا حيرة! يا حرف لا يقرأ! وأخذ عنه التاج بن عطاء الله وغيره.

ذكر ابن حجر -ونقل عنه النعماني قاضي صفد- أنه قال: أنا أعلم الخلق بلا أله إلا الله. -أي بالتوحيد-.

ومر على جماعة من المساكين يسألون الناس، فبادر إلى الرقة عليهم، فسمع هاتفًا يقول: الله أرحم بهم

جليلاً سيدًا كريمًا، فلما سلم عليه أقبل بكليته عليه، وقال: يا شمس الدين، من الذي أوقعك في مثل هذه الورطة، ادخل الخلوة فما ثَمَّ إلا خيرٌ إن شاء الله تعالى، واشتغل بالتوحيد، ففي الليلة الثانية من دخوله رأى النبي ﷺ في المنام، وهو جالس على كرسي من نور، وحوله جماعة من الأنبياء على منابر من نور، والأولياء واقفون بين يديه، ونظر فإذا هو يقول: يا أحمد، طيب خاطرك على شمس الدين لأجلي. ثم التفت النبي ﷺ إلى الشيخ شمس الدين، وقال له: أما علمت أن من الأولياء من هو تحت جناحي الأيسر، وأن أحمد تحت جناحي الأيمن، ولكن افتح فاك، ففتح فاه، فتفل النبي ﷺ فانتبه فرحًا مسرورًا، فقام لباب الخلوة فوجد سيدي ياقوت العرشي ﷺ واقفًا ببابها.

وهو يهمهم كالأسد فقال: يا شمس الدين أبشر، فقد قضيت حاجتك، فإني سقت عليه جميع الأولياء فلم يقبل، فسقت عليه سيد الأنبياء محمد رسول الله ﷺ، وقد رأيت ذلك بعينك فسر الآن من وقتك وساعتك إلى طندتا(١)، وطف حول صندوق سيدي أحمد البدوي ﷺ، وأقم عنده ثلاثة أيام، فإن حاجتك قد قضيت إن شاء الله تعالى.

قال: فسار الشيخ شمس الدين ﷺ من وقته وساعته حتى دخل طندتا، و لما دخل الضريح طاف بصندوقه وبكى وتضرع مدة ثلاثة أيام، وهو على هذه الحالة، وإذا نام، نام تحت رِجل سيدي أحمد البدوي، فبينما هو نائم إذ رأى

منك، ولو شاء لأشبعهم، فتب وتأدب.

وتزوج ابنة شيخه المرسي بسؤاله له، فمكثت عنده ثمانية عشر عامًا لا يقربها حياءً من أبيها، وفارقها بالموت وهي بكر

وكان إذا دخل عليه أحد من الأكابر وهو يكلمها، لا يقطع حديثها، ويقول: بنت شيخي، اعذروني.

مات بالإسكندرية سنة سبع وسبعمائة. كذا ذكره بعضهم.

قال ابن حجر: في أعيان المائة الثامنة في سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة.

(١) وهي مدينة طنطا المصرية الشهيرة بمقام السيد أحمد البدوي.

سيدي أحمد البدوي في المنام، فقام بين يديه فقال له: تقدم. فتقدم إليه فقال: لا تعد لمثلها أبدًا، فوالله لولا جدي رسول الله ﷺ لسلبتك الإيمان ثم وضع يده المباركة على صدره، فرجع إليه حاله وعلمه وزيادة على ذلك.

فلما استيقظ من نومه وجد نفسه يقرأ القرآن كما كان، فقرأه من أوله إلى آخره، وأهدى ثوابه لحضرة الرسول ﷺ، وإلى حضرة القطب الرباني سيدي أحمد البدوي، وخرج متوجهًا إلى مصر القاهرة، واجتمع بالسلطان حسن، وحكى له جميع ما جرى له، وقصته التي وقعت له مع الفقير، وكيف توجه لسيدي ياقوت العرشي، ودخوله الخلوة ورؤيته النبي ﷺ، وزيارة سيدي أحمد البدوي، وكيف رد إليه حاله وعلمه وزيادة على ذلك. فتعجب السلطان من ذلك، ثم تجهز لزيارة سيدي أحمد البدوي، وزيارة سيدي ياقوت العرشي بناحية الإسكندرية، فنــزل السلطان مستخفيًا، وكذلك الشيخ شمس الدين إلى أن وصلوا إلى طندتا وزاروا ضريح سيدي أحمد البدوي ثم توجهوا إلى ناحية الإسكندرية، وزاروا سيدي ياقوت العرشي فقال في نفسه: هذا عبد أسود، أعطاه الله تعالى هذه الحالة. ثم أقبل عليه السلطان وجثا على ركبتيه وسلم عليه، وقبّل يدي الشيخ ورجليه، فقال له سيدي القطب الرباني الشيخ ياقوت العرشي: قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٩] فاستعطف السلطان، وطلب منه الدعاء، وعرض عليه من الأموال شيئًا كثيرًا فلم يقبل شيئًا، وأمره بالرجوع إلى مصر، والجلوس في قلعته، فرجع كما أمره، ومنها ما ذكر في كتاب «الإرشاد والتعليم والاعتقاد والتسليم»: إن جنديًا بطندتا أراد أن يأخذ واحدًا من المجاورين ظلمًا فلم يرض المجاورون، فضربه، فجاء أهل المقام إلى الجندي ليخلصوه منه، فعمّر الجندي البندقية برصاص، ورماهم فعادت على يده، و طارت بها حيث شاء الله تعالى، ولم يقعوا لها على أثر بقدرة الله تعالى.

ومن كرامته أنه كان من احتمى في مقامه لا يقدر أحد أن يخرجه، وإن خالف أحد وتعرض لذلك قتله حالاً كما وقع لبعضهم.

وقد شُوهد ذلك مرارًا.

أقول: وهذا مسطورٌ إلى الآن في زماننا الذي نحن موجودون فيه: إن كل من حصلت له كائنة أو ضيق من أي أحد كائنًا من كان يذهب لمقامه الكريم –رحمه الله تعالى– فلا يقدر أحد أن يخرجه، و لا يذهب إليه ويحترم ذلك المقام المبارك ويعظمه، وإن تجبر وقصد التوجه إليه ليدخله لا يقدر علي ذلك مما يظهر له من كرامات الأستاذ من نحو رعب يقع في قلبه، أو عدم قدرته على المشي إليه، أو مرض يأتيه في ساعته، أو صداع، أو ألم بجنبه لا يستطيع الجلوس بسببه.

وقد شوهد في مدة مولده الشريف أن رجلاً اعترض على فقير في المقام المبارك وأذاه، وإذا بالمعترض أخذه حال فصار يضرب رأسه بالحائط التي بجانب الباب الشريف ضربًا عنيفًا إلى أن سال دمه من رأسه ووقع الأرض، ثم أفاق فذهب حيث شاء الله.

وأيضًا إذا عاد المحتمي بمقامه بعد ذلك، ويأتيه الفرج ويرجع لمكانه كما كان، ولا يؤذيه أحد بعد عوده، وقد رأيت ذلك كثيرًا وكذلك الأستاذ الأعظم، والإمام المقدم القطب الرباني، والمحقق الغوث الصمداني شيخ مشايخ الطريقة و الحقيقة سيدي إبراهيم الدسوقي يذهب المستغيث الذي لا يسعه مكان، ولا يحميه إنسان، فإذا دخل مقامه السعيد زال عنه كل بأس شديد، فإذا علموا أنه هناك فيخدمونه، و لا يذهب إليه أحد بكرامة هذا الولي، وإذا راح إليه أحد لا يقدر أن يخرجه، و يحصل له ما يحصل فيتركه ويرجع عنه، وبعد ذلك يحصل له الفرج والمدد، ويأتي إلى مكانه سالمًا، وإذا احتمع على من تقرب منه لا يؤذيه و لا يعارضه ويبقى كما كان، وشاهدت ذلك مرارًا، وهو مشهور بين جميع الناس معاين وأي كرامة أقوى من هذه؟.

قال الشيخ: ومنها أن جُنديًا من العسكر طلب صبيًّا ليقتله، فدخل الصبي مقام سيدي أحمد البدوي، واحتمى فيه واستغاث بصاحب المقام فجاء الجندي ليأخذه من المقام، وهدد جماعة المقام بأمور لا يطيقونها، ولا يقدرون عليها، فخافوا من ذلك، فخلوا بين الجندي وبين الصبي، فهجم الجندي وجماعة المقام ليأخذه فوضع يده الجندي على حلقة من حلق الباب ضيقة ويده غليظة، فلانت الحلقة حتى دخلت يده فيها، وترفع التابوت ذلك الوقت، وأنار نور عظيم حتى

ملأ الأفق، ووقع جماعة الجندي صرعى إلى الأرض من شدة الحال، وثارت حركات شديدة خارجة عن الحد، فخاف الجندي وأتباعه وتركوا الصبي عند الأستاذ، واعتقدوا اعتقادًا زائدًا.

ومنها أن رجلاً يقصر بغداد حبسه الحاكم ظلمًا وهو بها، وحرَّس عليه حراسًا شدادًا غلاظًا، فلم يقدر على الهرب، فاستغاث بسيدي أحمد البدوي كما هو عادة المستغيثين، فما شعر بنفسه إلا و هو على كوم طندتا ويد من يديه سائبة من الخشبة، وهي التي تأذت من طبق الخشبة فانتبه، وهو لا يدري أين هو؟ فلما أعلم الناس بذلك أخذ جماعة المقام الخشبة وعلقوها على الباب الذي في الصحن، وكان ذلك في ربيع الأول سنة ثلاثة وعشرين بعد الألف انتهى.

وعدَّد كرامات الأستاذ يطول ذكرها وهي وغيرها مشهورة ظاهرة مشاهدة فحذفناها للإطالة، ولظهورها أيضًا لكل أحد.

قال: فإن قلت: هل للأولياء قتل من أنكر عليهم واستخف بهم واحتقرهم أو آذاهم أو أبغضهم كما يقوله بعض الناس: إن فلانًا الولي قتل فلانًا وغير ذلك.

قلت: مذهب أهل السنة والجماعة أن المقتول ميت بانقضاء أجله؛ إذ لا أجل له سواه، ومن حق العباد تغيير وتبديل وقطع أجزاءه، المظنون استمرارها لولاه، فلهذا يترتب عليه القصاص وسائر الأحكام؛ لأنا أمرنا بإدارة الأحكام على الظواهر ولكن جعل الإنكار والبغض والاحتقار سبب لقتل المستخف حبًا لأولياء الله تعالى، والمنكر عليهم عند انقضاء أجله كما يقال: مات فلان بكذا لما صح عن الله ﷻ أنه يقول: «**من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة**[1]».

وقال رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**[2]» رواه البخاري.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم.

وهذا يُشير إلى التحذير من إيذاء أولياء الله تعالى، ومعنى الإيذان: الإعلام والحرب المحاربة، وهذا من التهديد في الغاية القصوى؛ لأن من حارب الله تعالى أهلكه إهلاكًا، وهو من المجاز البليغ؛ إذ لا يتصور محاربة رب العزة جل جلاله، وكأن المعنى فيه المعاندة والمخالفة والكراهة لمن أحب الله تعالى.

فمن أبغضهم فقد عاند الله تعالى وخالفه نعوذ بالله تعالى من ذلك الشقاء.

وجاء في بعض «شروح الهداية» أن جماعة أساءوا الأدب مع سيدنا الإمام عمر بن الخطاب ﷺ فارتقى المنبر في حدة وقال: «اللهم اكفني فلانًا أصحابه»، فما حال الحول حتى لم يبق فيهم عين تطرف.

وإن من أطلق لسانه في أولياء الله تعالى بالسب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣].

قال بعض العلماء: «الفتنة هي الكفر» فليعود نفسه طالب النجاة والسلامة، والمحافظة على حب العلماء العاملين والصالحين والفقراء والصادقين والمجذوبين، فإنما جذبت عقولهم منهم لدفع الأمر عنهم، وخصوصيتهم عند ربهم تبارك وتعالى قربًا ومحبّة، وقد ورد في الحديث الشريف: «**ربَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره**[1]»، ولبعضهم عفا الله تعالى عنه آمين:

إِنَّ الْوَلِّـي بِكُـلِّ خَيْـرٍ يُعْرَفُ ... حَـيًّا وَمَيـتًا فِي الْوَرَى يَتَصرفُ

الـبَعْضُ خَالَـفَ فِيهِ بَعْدَ مَماتِه ... وَأَتَـى بِقَـوْلٍ بَاطِلٍ لاَ يُنْصَفُ

فَاضْرِبْ جَمِيعَ الْمنْكرِينَ وَقَل لَّهمْ ... مَـا قُلْـته فَلَعَلَّهُـمْ لَنْ يَكْتَفُوا

رُوحُ الْـوَلِيِّ كصَـارِمٍ فِي غِمْدِهِ ... فَـإذا تَجَـرد كَـانَ لاَ يَتوَقفُ

وللأستاذ الأعظم سيدي أحمد البدوي -نفعنا الله تعالى ببركاته والمسلمين اللهم آمين.

---

(١) تقدم تخريجه.

أنَا أَحْمَدُ البَدَوِيُّ أنا القُطبُ لاَ خَفا ... وَجَـدِّي رسُـولُ اللهِ خَيرُ البرِيَّةِ

أنـا أَحْمَدُ المَعْرُوفُ فِي حَوْمَةِ اللِّقا ... وإن جَالَت الفُرْسَانُ أَحْمِي سَرِيَّتِي

أنـا قُطـبُ أقْطابِ الْوُجُودِ بأسْرِهِ ... وكُـلّ مُلـوكِ العـالَمين رَعِـيَّتِي

أنـا أحمدُ البَدويُّ أنا القُطبُ لا خَفَا ... عَلَى سَائرِ الأقطابِ صَحَّت ولاَيتِي

ومن أعظم كراماته ﷺ مولده الشريف في كل عام وكثرة الزُّوار واجتماع الناس إليه، وكثرة الزائرين فيه من الخاص والعام وصية سيدي أحمد البدوي لتلميذه سيدي عبد العال ﷺ.

قال سيدي عبد العال: كان سيدي أحمد البدوي -قدّس الله تعالى سره العزيز، ونور ضريحه الشريف، ونفعنا به- مشتغلاً بالنهار بأداء الفرائض، وإذا أتى به الليل يقرأ القرآن الشريف إلى الصبح فافهم ترشد انتهى.

وكان -رحمه الله تعالى ونفعنا به- عالمًا عاملاً فاضلاً، وربما زاهدًا عابدًا ناسكًا شريفًا عفيفًا هينًا لينًا سهلاً متواضعًا سخيًا.

وكان يقول: يا عبد العال، من كان صافيًا متمسكًا بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، فأنا مساعده بإذن الله تعالى في جميع أموره وقضاء حوائجه الدُّنيوية والأُخروية بما أعطاني الله تعالى، وخصني بتعريفه لا بحولي ولا قوتي إلا ببركة النبي ﷺ.

واعلم يا عبد العال أن الله تعالى قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨].

يا عبد العال، أشفق علي اليتيم، واعلم أن النبي ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وضمَّ السبابة إلى الوسطى**[1]».

يا عبد العال، أكرم الضيف والقريب والمسكين وأطعم الجائع واكس العاري عسى أن تكون عند الله تعالى من المقبولين.

يا عبد العال، عليك بكثرة الذكر والتسبيح ما استطعت.

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٠٣٢).

واعلم أن الله تعالى قال: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

وإيَّاك أن تكون من الغافلين، يا عبد العال، «أحسنكم خلقًا أكثركم إيمانًا بالله تعالى[١]».

واعلم يا عبد العال، أن طريقتنا هذه مبنية علي الكتاب والسنة والصدق والوفاء وحسن الظن بالله تعالى وحفظ العهود، يا عبد العال، تأدب مع المشايخ وأحسن إليهم، واصنع المعروف معهم لعلك أن تكون من الفائزين، واعلم أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته، ومن تأذى منه شيخه حرم بركته، ومن احتقر شيخه يخشى عليه سوء الخاتمة؛ لأنه ورد في بعض الأخبار عن الله سبحانه وتعالى أنه قال: «**لا تحقروا عبدًا لي آتيته علمًا، فإني لم أحتقره حين علمته**[٢]».

قال: ويؤيد هذا الكلام - كلام الأستاذ القطب نفعنا الله تعالى وإياكم ببركاته- عِدَّة أحاديث، قال رسول الله ﷺ:

«**العالم أمين الله في الأرض**[٣]».

وقال ﷺ: «**العالم والمتعلم شريكان في الأجر وسائر الناس لا خير فيه**[٤]».

وقال ﷺ: «**العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هَابه كل شيء، وإذا أراد أن يكثر به الكنوز هاب كل شيء**[٥]».

وقال ﷺ: «**العالم سُلطان الله في الأرض فمن وقع فيه فقد هلك**[٦]».

---

(١) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٥٥)، والدارقطني في حديث أبي الطاهر (٩٢).

(٢) لحديث ذكره بعض السادة الصوفية في كتبهم.

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٥١).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٣٤)، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (ص١٧٠)، والآجري في أخلاق العلماء (ص٤٢)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٣٩٨/٣).

(٥) ذكره العراقي في تخريج الإحياء (١١٥/٢).

(٦) ذكره الهندي في الكنــز (٢٣٤/١٠) وعزاه للديلمي في الفردوس.

وقال ﷺ: «**العَالِم والعلم والعمل في الجنة، فإذا لم يعمل العالم بما يعلم كان العلم والعمل في الجنة والعالم في النار**(١)».

أقول: إذا لم يحصل عمل يقي العلم والعالم فقط، فما المراد بالعمل في الحديث الذي يكون مع العلم في الجنة؟ وينظر من شرحه.

وقال ﷺ: «**العلماء أمناء الله على خلقه**(٢)».

وقال ﷺ «**العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان**-يعني في الظلم- **ويداخلوا الدنيا فإذا خالطوا السلطان، وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم**(٣)».

وقال ﷺ: «**العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثة الأنبياء**(٤)».

وقال ﷺ: «**العلماء قادة والمتقون سادة ومجالستهم زيادة**(٥)».

وقال ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء، وتستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة**(٦)».

وقال ﷺ: «**العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه وعاش الناس به، ورجل عاش الناس به وأهلك نفسه، ورجل عاش ولم يعش به غيره**(٧)».

ثم قال الشيخ -رحمه الله-: يا عبد العال، علامة الفقير أن يكون عارفًا بالله تعالى خائفًا منه، مراعيًا أوامره، مجتنبًا عمَّا نهى عنه، وطائفة المسرفين الصبر والقناعة، ولا يسأل عن احتياج، يا عبد العال، اذكر الله تعالى بقلب حاضر

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٣/٧٠).

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١١١٣).

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١١١٣).

(٤) رواه الرافعي في التدوين (٢/١٢٩).

(٥) ذكره المناوي في الفيض (٤/٣٨٤).

(٦) رواه أبو داود (٣/٣١٧)، والترمذي (٥/٤٨)، وابن ماجه (١/٨١).

(٧) رواه الدارمي (١/١١٤).

وأدب وخشوع، وأن يوافق قلبك لسانك، ولا يكون بمجرد اللسان فقط قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] أي: نظر تفكر واعتبار لا مجرد نظر، والتفكر هو أن يتفكر في مصنوعات الله تعالى ومخلوقاته، ولا يتفكر في ذات الله تعالى، فقلت: يا سيدي، قد فهمت ذلك كله، فما حقيقة التوبة النصوحة؟ قال: حقيقتها الندامة على ما مضى من الذنب، والإقلاع عن المعصية، والاستغفار والعزم ألاّ يعود، والصفاء وحسن الوفاء انتهى.

وأما الأوتاد والأنجاب والأبدال ونحوهم من أولياء الله تعالى فلهم وجود، وقد وردت فيهم عدة أحاديث بعضها يقوى بفضائل.

قال بعض الحفاظ: إن بعضها صحيح والأخبار والآثار ناطقة بذلك، ثم قال: **ومنها** أن فيهم أقطابًا وأوتادًا وأنجابًا وأبدالاً.

عن أنس ﷺ مرفوعًا: «**الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه، وإذا ماتت امرأة أبدل الله تعالى مكانها امرأة**[١]».

ورواه الطبراني في «الأوسط» بلفظ: «لن تخلوا الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن عليه السلام، وعلى الأنبياء السلام بهم يسقون وبهم ينـزل مطر السماء، وبهم يدفع الله عن عباده البلاء، وبهم ينصرون ما مات أحد منهم إلا أبدل الله مكانه أحد[٢]».

ورواه ابن عدي بلفظ: «أربعون: اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات منهم أحد بدّل الله مكانه آخر، فإذا جاء الأمر قضوا كلهم، فعند ذلك تقوم الساعة[٣]».

ولأبي نعيم «في الحلية» عن ابن عمر رفعه: «**خيار أمتي في كل قرن**

(١) رواه الديلمي (١/١١٩).
(٢) رواه الحكيم في النوادر (١/٣٦٩).
(٣) رواه ابن عدي في الكامل (٢/٣٥٩).

خمسمائة، والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون، ولا الأربعون، كلما مات رجل منهم أبدل الله تعالى مكانه آخر، وهم في الأرض كلها(١)».

وفي تاريخ بغداد روى بسنده، قال الكتاني: «**النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والأبدال أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد، فمسكن النقباء أرض العرب، ومسكن النجباء أرض مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سائحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإن عرضت الحاجة من أمر العامة، ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث، فلا تتم مسألته حتى تتم دعوته(٢)**» انتهى.

وقال العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني: وردت فيه عدة أخبار منها ما يصح، ومنها ما لا يصح.

وأما القطب ورد في بعض الآثار: «وإذا مات القطب جعل مكانه خيار الأربعة، وإذا مات أحد الأربعة جعل مكانه خير السبعة، وإذا مات أحد السبعة جعل مكانه خيار الأربعين، وإذا مات أحد الأربعين جعل مكانه خيار الثلاثمائة، وإذا مات أحد الثلاثمائة جعل مكانه خيار الصالحين، وإذا أراد الله تعالى أن تقوم الساعة أماتهم أجمعين».

وفي «السيرة الشامية» قال الإمام اليافعي ﷺ في كتابه: «كفاية المعتقد ونكاية المنتقد»: قال أحد العارفين نوّر الله تعالى قلبه بنور اليقين: الصالحون كثير، مخالطون للعوام مثل يصل للناس بهم في دينهم ودنياهم خير كثير، وهم النقباء.

والنجباء أقل منهم في العدد، وهم نازلون في الأمصار، لا يكون في مصر منهم إلا الواحد بعد الواحد، فطوبى لبلدٍ كان فيها اثنان منهم.

---

(١) رواه أبو نعيم (٨/١)، والديلمي (١٧٥/٢).

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٧٥/٣).

والأوتاد: واحد باليمن، وواحد بالشام، وواحد بالمغرب، وواحد المشرق.

والله تعالى يدير القطب في الآفاق الأربعة من أركان الأرض كدوران الفلك في أفق السماء، وقد سترت أحوال القطب على العامة والخاصة غَيرةً من الحق -جل جلاله وتعالى شأنه- عليه، غير أنه يُرى تارة كجاهل وتارة كغيره، كما يشاء الله تعالى، وتارةً يكون قريبًا بعيدًا سهلاً عسرًا آمنًا حذرًا.

وكشف الله أحوال الأوتاد، ولكن ذلك أحيانًا.

وكشف أحوال الأبدال للعارفين.

وستر أحوال النجباء والنقباء عن العامة خاصة، وكشفها بعضهم لبعض.

وكشف أحوال الصالحين للعوام والخواص؛ ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

وأما الكشف فهو أنواع: كشف من رؤية العين، وكشف من صفاء القلب، وكشف من وقائع برزخية- وهو بين النائم واليقظان- وكشف من منام.

فأما الكشف الذي من رأي العين: فهو من نور القلب مخرق للروح إلى الروح الباصر، فهو كشف رباني من عين اليقين، وهذا كما قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو يخطب بالمدينة على المنبر: «**يا سارية الجبل**» وكان عمر ﷺ بالمدينة، وسارية الجبل بنهاوند العجم.

وأما الذي من صفاء القلب: فيخطر في قلبه شيء فيتكلم به فيكون صحيحًا؛ لكثرة تجارب قلبه وصفائه وهو من حق اليقين.

وأما الذي من الوقائع البرزخية- وهو النوم الحقيقي- فيرى شيئًا فيكون صحيحًا، وربما اشتبهت عليه، وكذلك الرؤيا في المنام تكون صحيحة من جنس معاملته مع الله تعالى وصدق لسانه، وذلك من علم اليقين، وما يخبر به الولي من الرؤيا الصادقة والمكاشفة الخارقة، وذلك على اطلاع وعيان لا عن تخمين وحسبان؛ لأنه يخبر عن الغيب؛ لأن الحكم على الولاية فريضة على كل مؤمن، وهو الإخلاص والصدق والتوبة والأمانة وأخذه الحلال وكف الأذى والتمسك بالكتاب والسنة، ولا يزال الذين يزهون بأولياء الله تعالى ما كان للناس إمام

عادل، وعالم صادق يدلهم على سبيل النجاة.

والكشف الصادر عن أولياء الله تعالى قد يكون بالإشارة، وقد يكون بالعبارة، وقد يكون بالتصريح، وقد يكون بالتلويح كل ذلك بإلهام من الله تعالى الوهاب الفتاح.

وأفضل الكشف أن يكشف للإنسان عن الطريق التي مضى عليها رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، فهذا خيرٌ له من أن يكشف له عن ملكوت السماوات والأرض، وإنما القصد إقامة الدليل وإزالة الشبهة وحل الإشكال على ما التبس على كثير من الناس، وإبطال دعوى الجاحدين والمنكرين على أولياء الله تعالى، فلا يفكر ذلك إلا الطاعن على كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ، وعلى أصحاب الكشف من الصحابة، والتابعين -رضوان الله عليهم أجمعين-.

وفي الحديث الشريف: «**لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا، فإذا تساووا هلكوا**[1]» يعني: لا يزالون بخير ما كان فيهم أهل فضل وسماح وخوف الله تعالى، يُلجأ إليهم عند الشدائد، ويُستسقى بآرائهم، ويُتبرك بدمائهم وآثارهم.

وأما التوسل: فإنه يتوسل إلى الله ﷻ بأسمائه وأنبيائه وملائكته وأوليائه، ويفوض العبد إلى ربه في حركاته وسكناته وجميع حالاته.

وقد ورد: لما كشف لسيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام عن ملكوت السماوات والأرض أبصر عبدًا على معصية فدعا عليه فهلك، ثم أبصر آخر على معصية فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: «اسكت يا إبراهيم فإن عبدي مني على ثلاثة، إما أن يتوب إلي فأتوب عليه، وإما أن استخرج ذريته من ظهره تعبدني وتطيعني، وإما أن يسبق عليه الشقاء فالنار مأواه، فكفَّ إبراهيم عليه السلام عن الدعاء.

ومن علم ذلك عرف أن لله ﷻ في خلقه علمًا تفرَّد به عن جميع عباده».

ومن هنا لزم أهل المعرفة والعلم بالله تعالى الإشفاق في أنفسهم، ووقع لهم

(١) ذكره الحافظ في الفتح (١٣/١٦).

الرجاء في غيرهم، وهذه رتبة من عمد عليها لم يتغير حاله بتوفيق الله تعالى له، ولأحدهم -عفا الله تعالى عنه- شعر:

لاَ يَيْئسُ الْعَبْدُ الّذي قَدْ خَافَ مَا قَدَّمَهُ وَلَيَرْجُ مَا فِي يَدَيه إنْ شَاءَ مَسْلَمَه
إنَّ الْكَـريمَ إذَا بَـدَا مِنْهُ خَيْرٌ تَمَّمَهُ حَاشَا كَرِيمٌ حَبَاهُ بِنَقِيضِه أنْ يَخْتِمَه

استغاثةٌ لكشف الشدائد:

الغَـيَّاثُ الغَـيَّاثُ يَـا أحرَارُ نَحْـنُ خِلْجَانُكُمْ وَأَنْتُمْ بِحَارُ
إنَّمَا تَنْفَعُ الْمُوَاسَاةُ في الشَّدَائدِ لاَ حِينَ يَحْضُرُ قَيضَ الأسْعَارِ

وتلك كانت النسخة التي نقلت منها هذه النسخ بتاريخ فراغها يوم الخميس المبارك سابع رمضان سنة ثمانية وألف من الهجرة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة والسلام-.

وأقول: قد ألَّفَ الإمام اليافعي -رحمه الله- كتبًا عديدة يذكر بعد تتعلق بكرامات أولياء الله تعالى رجال الغيب أهل الله تعالى -رضي الله تعالى عنهم، ونفعنا والمسلمين ببركاتهم- وذكر أدلة ذلك من الكتاب والسنة كما نقله علماؤنا -رحمهم الله تعالى- فقال في أول ترجمته في كتابه بعد البسملة والحمد لله، والصلاة على رسول الله ﷺ **أما بعد:**

فقد سألني فيما تقدَّم من الزمان بعض المتعلقين بالعلم من الإخوان في فتوى جاءني بها لوضع خطي عليها، فقلت للسائل: سبحان الله، وهذه المسألة قريبة بين أهل السنة حتى يحتاج فيها إلى فتوى كثر كلامنا فيها مع المعتزلة، وامتنعتُ من وضع خطي عليها، وقلت للمتعنت: كُتب أهل المشرق والمغرب ناطقة بذلك، ومحتجون عليها في كتب الأصول بالمعقول والمنقول، وذلك أيضًا بين الأنام مشهور فلا حاجة إلى فتوى، ثم أقمت بعد ذلك مدة طويلة، وإذا بجماعة من الفقراء والفقهاء ذكروا لي أنه وقع كلام كثير، وخصام شديد فيما يتعلق بالكرامات حتى أدى ذلك إلى شر كثير.

وكتب بعض الناس في ذلك سؤالاً، وكتب بعضهم أسئلة، فلم يشرح صدري للجواب أيضًا حتى انقضت مدة أخرى، فانشرح صدري لوضع هذا الكلام، فيما يتعلق بالأسئلة المذكورة والجواب عنها، **وهذا لفظها:**

«ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين ومصابيح المسلمين -وفقهم الله تعالى- في اتباع الحق في العلم والعمل، وحفظهم من الزَّيغ والزَّلل في كرامات الأولياء -رضي الله تعالى عنهم- هل هي حقٌّ أم لا؟.

فإن قلتم: هي حق فهل يجوز أن تبلغ الكرامة مبلغ المعجزة في جنسها وعظمها؟ وما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟.

وكذلك ما الفرق بينهما وبين السحر؟ وهل ظهرت الكرامات، وكثرت في زمن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- كما ظهرت وكثرت فيما بعد، فإن قلتم: ظهورها فيما بعد أكثر فلم ذلك؟ والصحابة -رضي الله تعالى عنهم- أفضل الأمة.

وهل يقال: يكفر من قال المؤمن يعلم الغيب أم لا يقال به حتى يسأل، فسئل ففسر ذلك بشيء يقولون بجوازه، فما الجواب عن قوله: ﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [النمل: ٦٥]؟.

وهل أصحاب الكرامات من الأولياء أفضل من بقية الأولياء الذين ليس لهم كرامات؟.

وهل علماء الباطن العارفون بالله تعالى أفضل أم علماء الظاهر- أعني- علماء الشرع؟.

وهل بين الشريعة والحقيقة فرق أم لا؟ أفتونا مأجورين إن شاء الله تعالى!».

قال العبد الفقير إلى عفو الله الكريم عبد الله بن سعد اليافعي الشافعي -عفا الله عنه-: هذه الأسئلة محتاج في جوابها إلى شيء من بسط الكلام، فإن

ذلك مما اختلف فيه الأنام، وكثر فيه الكلام، وخاض فيه العوام، ومن لا يعرف ما ورد في الكرامات من القرآن والأخبار والآثار إلى أن قال:

الجواب عن السؤال الأول[١]. أقول وبالله التوفيق: ظهور كرامات الأولياء ﷺ جائزة عقلاً واقعة نقلاً.

أما جوازها في العقل فلأنه ليس بمستحيل في قدرة الله تعالى بل من قبيل الممكنات كظهور المعجزات للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- هذا مذهب أهل السنة من المشايخ العارفين والنظار الأصوليين والفقهاء والمحدثين -رضوان الله عليهم- وتصانيفهم ناطقة بذلك شرقًا وغربًا عجمًا وعربًا، وسيأتي في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى تمام الاستدلال بالعقل على المخالفين من جوازها مطلقًا، والخائفين من جواز عظائمها.

وأما وقوع ذلك بالنقل عن ظهور الكرامات: فقد جاء في القرآن والأخبار والآثار بالإسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد، فمن ذلك بالقرآن ما أخبر به الله تعالى عن مريم ﷺ بقوله ﷻ: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٣٧]. وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء هكذا جاء في التفسير.

وكذلك إلهام أم موسى ﷺ في أمرها ما هو معروف.

وكذلك ما أخبر الله تعالى به من العجائب على يد الخضر ﷺ مع سيدنا موسى صلوات الله تعالى وسلامه عليه.

وكذلك قصة ذي القرنين رضوان الله تعالى عليه، وتمكين الله تعالى له ما لم يمكنه لغيره.

وكذلك قصة أصحاب الكهف ﷺ والأعاجيب التي ظهرت عليهم.

ومن كلام الكلب معهم، وغير ذلك.

---

(١) وهذا هو الفصل الأول.

وكذا قصة آصف بن برخيا ﷺ مع سيدنا سليمان عليه السلام في عرش بلقيس قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] وكل هؤلاء المذكورين ليسوا أنبياء بل أولياء.

أقول: وهذا كما ترى قد صرّح به علماؤنا كما قدمناه فلا خلاف بيننا، وصار أمرًا مجمعًا عليه بالكتاب والسنة كما ستراه قال - رحمه الله تعالى: ومن ذلك في الأخبار حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة ثم انفرجت عنهم.

وهو حديث متفق على صحته في الصحيحين مذكور[1].

وحديث البقرة التي كلمت صاحبها، وهو حديث صحيح مشهور[2].

والحديث المتفق على صحته المذكور في «الصحيحين[3]» في أبي بكر ﷺ.

أقول: هو الإمام الأكبر والخليفة المقدم، وصاحب رسول الله ﷺ وصديقه ومؤنسه في الغار ورفيقه من أنزل الله في حقه آيات بينات، وشهد بفضله سيد الأولين والآخرين، وظهر له ببركاته كرامات أبي بكر الصديق الملقب بعتيق- أعني عتيق الرحمن- ويكون منها في الجنان جعلنا الله تعالى ممن أحبه وأحب ذريته بعده، وحشرنا معهم؛ لأن الله لا يخلف وعده، وقد وعدهم بالإكرام في دار السلام، فعليك يا أخي بحبهم، وأكثر من ودهُم وتأدب معهم؛ لتنال قربهم فإذا أحبوك حبوك فتنال السيادة بدار السعادة مع ضيفه أي أبو بكر مع ضيفه، وبُورك له في الطعام حتى صار بعد الأكل أكثر مما كان قبله بثلاث مرات، وكذلك مما اشتهر عنه أيضًا أنه أخبر أن حمل امرأته أنثى فكان كذلك.

أقول: والقصة المشهورة قصة ولد المرأة التي خرج للجهاد مع رسول الله ﷺ سلمته له بأنه يعود معه، وسلمه لها كما سلمته له فقتل في الغزاة، ثم لما رجع ﷺ هو وأصحابه فخرجت المرأة تتلقاهم، فلما سألت رسول الله ﷺ فقال لها:

---

(١) رواه البخاري (٢/٧٧١)، ومسلم (٤/٢٠٩٨).

(٢) تقدم.

(٣) تقدم تخريجه.

«خلفي» وكان جيشه ﷺ مرتبًا والصحابة –رضي الله عنهم– كل واحد منهم مرتبته فكل من سألته عنه من أمراء الجيوش الكبار كالإمام علي، والإمام عمر ابن الخطاب ﷺ يقول لها: ما قال لك الرسول؟ تقول: قال لي «خلفي» يقول لها: كذلك «خلفي» ووجه أنهم جميعًا علموا أنه قُتل بقضاء الله تعالى شهيدًا من جملة الشهداء رضي الله عنهم.

ثم كان من شأن الإمام الأعظم أفضل هذه الأمة وأعظمها خلق الله تعالى بعد نبيها الإمام أبي بكر الصديق ﷺ يكون آخر الجيش شفقة منه على العاجزين والمجروحين حتى يقوله ويوصله ويقتدي به جزاه الله تعالى عن هذه الأمة خيرًا، فلما واجهته المرأة أم الولد، فقالت له: يا أبا بكر أين ولدي؟ فقال لها: ما قال لك رسول الله ﷺ والصحابة من قبلي، فقالت له: كل من سألته يقول لي: «خلفي» والآن ما خلفهم أحد غيرك، ولم أر ولدي فعند ذلك عسر عليه أن يقول لها: قُتل حيث لم يقل لها أحد من المتقدمين ذلك، فكل من قال لها: «خلفي» صادق في مقاله إذ هو خلفه في المقبرة، ولا يقدر الإمام يقول لها: خلفي والوجه بيِّن، فعند ذلك ترجل من مركبه، وسجد لله جل جلاله، وسأله بما يسأله المقربون، وفعل ما يفعل المقبولون فعند ذلك، وإذا بالولد قادم عليه حيًّا ويقول: إن الله تعالى أحياني كرامة لك يا أبا بكر ثم أوحى الله تعالى إلى رسوله وأخبره بالقصة، فلما دخل الإمام أبو بكر الصديق على الرسول والمرأة والولد، فأخبرهم الرسول بالإيجاد، وبعد ذلك رضيت المرأة بقضاء الله تعالى، واختارت هي وولدها أن يكون شهيدًا ومات ودفن ﷺ(١).

قال الشيخ: وكذلك حديث «الصحيحين» المتفق على صحته في عمر ابن الخطاب ﷺ أنه كان من المحدَّثين –بفتح الدال– وكذلك ما صح عنه أنه قال: «**يا سارية الجبل**(٢)» في حال خطبته يوم الجمعة، فبلغ صوته إلى سارية، فكان في ذلك كرامتان لعمر ﷺ، الأولى: ما كشف له عن حال سارية، وأصحابه المسلمين وحال العدو.

---

(١) رواه الطبراني (١٩/٢٥٢).

(٢) تقدم تخريجه.

والثانية: بلوغ صوته إلى بلاد بعيدة، والحديثان المتفق على صحتهما في سعد وسعيد رضي الله عنهما في إجابة دعوتهما إلى كل واحد منهما.

والحديث الصحيح في «البخاري» في خبيب ﷺ في قطف العنب الذي وجد في يده يأكله في غير أوان الثمار[١].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في أسيد بن حضير، وعبّاد بن بشر -رضي الله عنهما- اللّذان خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة، ومعهما مثل المصابيح في أيديهما.

والحديث الصحيح: حديث الرجل الذي سمع صوتًا في السحاب يقول: «اسق حديقة فلان».

وما جاء أن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال للأسد الذي منع الناس الطريق: تنح، فبصبص بذنبه وذهب.

وما جاء أن رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي ﷺ في غزاة، فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر، فدعا الله تعالى باسمه الأعظم ومشوا على الماء.

وما جاء أنه كان بين سليمان وأبي الدرداء ﷺ قصعة فسبّحت حتى سمع التسبيح.

وكذلك ما اشتهر أن عمران بن حصين ﷺ كان يسمع تسبيح الملائكة حتى اكتوى، فاحتبس عنه ذلك، ثم أعاد الله تعالى عليه.

والحديث الصحيح حديث مسلم قال رسول الله ﷺ: **«رب أشعث مدفوع الأبواب لو أقسم على الله لأبره[٢]»**.

قلت: لو لم يكن إلا هذا الحديث لكفى دليلاً.

وقد ورد عن السلف والخلق من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من

---

(١) رواه البخاري (٣/١١٠٨).

(٢) تقدم.

المشايخ العارفين والفقراء الصادقين، وسائر الأولياء والصالحين من الكرامات المستفيضات الصادرات من العيان والمشاهدات بالآفاق وعمَّ جميع البلاد وعجزت الدفاتر عن اليسير منه عن الحصر والتعداد، وقد ذكرت نبذة في كتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين، وفي كتاب الإرشاد، وسأذكر شيئًا من ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وقد صنَّف الناس في ذلك كتبًا كثيرة، وكرامة واحدة تكفي من له بصيرة، فكيف وقد ملأت الوجود وتشعشعت أنوارها وفاحت أخبارها فتعطرت بنشرها الزَّاكي مسامعهم السامعة، وعميت عن رؤية أنوارها أبصار المكذبين المنكرين بها من محروم، وصُمَّت مسامعهم عن سماع أخبارها، وكل منهم عن شم طيبها كل مزكوم. وفي هذا المعنى أقول شعرًا:

بَـدَا الـنُّورُ مِـنْ رَبْـعِ الأَحِبَّةِ بِنُعْمَانَ فَضَـاء بِهِ الْقَاصِدُ مِنَ الْكَوْنِ وَالدَّانِي
وَفَـاحَ بِـه خَـدَرٌ نَعْمًـا مُعَطَّـرًا لَـهُ طَـيبُ رَيَّاهَا مُشِيرُ الاسْتِحْسَانِ
وَلَـمْ يَـرَ ذَاكَ الـنُّورِ أَعْمَـى بَصِـيرَةٌ وَلا شَمَّ ذَاكَ الطِّيبَ مَزْكُومٌ حِرْمَانِ
وَمَـنْ قَـدْ رَأَى أَوْ شَـمَّ أَصْبَحَ مُغْرَمًا بِـنِعَمَائِهَا فِي عَيْشِـهَا النَّاعِمِ الْهَانِي
فَـإِنْ أَنْعَمْـتَ نِعْمًا سُقْتَ رَاحَ وَصْلِهَا لأَهْـلِ الْهَـوَى مِمَّا بِهَا مُغْرَمٌ عَانِي
حَـنَّ مِـنْ حَـنَانِ الْوَصْلِ لِقَاحٌ تَحْفَتُهُ بِرَوْضَـاتِ رِضْوَانَ وَرَيْحَانَ رَيْحَانِي
وَعَيْشًـا هَنِيـئًا فِـي حِمَـا ظِل نَعْمَة تَـرَاهُمْ مُلُـوكًا فَوْقَ جَنَّاتِ عَدْنَانِي
فَـآهٍ عَلَـى تِلْـكَ الْعَطَايَـا وَالْمُـنَا عَلَى تِلْكَ فَابْكُوا يَا صِحَابِي وَإِخْوَانِي

الفصل الثاني في الجواب عن السؤال الثاني:

أقول وبالله التوفيق: يجوز أن تبلغ الكرامة مبلغ المعجزة في حسنها وعظمها على القول الصحيح المحقق المختار، واستدل على ذلك بالمعقول والمنقول عن أئمة الأصول، وبوقوع ذلك من كثير من الأولياء والصالحين بالإسناد الصحيح الموصول.

أما المعقول فأقول: لا يخلو إما أن يكون المنع من ذلك من جهة النقل، ومن جهة العقل.

والأول باطلٌ؛ إذ ليس في منع ذلك نقل موجود، بل النقل متظاهر وظاهر في جوازه كما سيأتي.

والثاني إما يمتنع لذاته أو لغيره.

والأول باطل؛ إذ خرج في العادة مطلقًا في الصغير والكبير، ولكني الولي وغيرها من الشريف، والحقير لا يحيله العقل في قدرة الرب القدير.

والثاني إما أن يكون لالتباس النبي بالمتنبي أو غيره.

والثاني باطلاً وليس فيه رافع لأصل، ولا قادح في معجزة.

والأول إما أن يكون مقرونًا بدعوى النبوة أو يكون.

والأول باطل أو ليس فيه التباس الثاني وهو حصر الالتباس المحصور فيه المنع في الخارق غير المقرون بدعوى النبوة، فلا يمنع من كل خارق ليس مقرونًا بدعوى النبوة وهو المطلوب، والحمد لله وحده.

قلت: وهذا التقدير الذي قدرته في جواز عظائم الكرامات يلزم منه بطلان مذهب المعتزلة في منعهم جواز مطلق الكرامات؛ إذ جواز عظيمها يلزم منه جواز صغيرها، ويلزم منه أيضًا بطلان أقوال ضعيفة لبعض الغافلين بجواز الكرامات، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

وأما المنقول: فالدليل على المعتزلة المانعين لجملة الكرامات قد قدمناه في الفصل الأول من القرآن والأخبار والآثار.

والدليل عن أصحاب الأقوال الضعيفة من المجوزين لها سأذكره من أقوال أئمة الأصول المحققين النُّظار المدققين.

قال الإمام النجيب بن النجيب أبو المعالي إمام الحرمين ﷺ في كتابه «الإرشاد»: وما صار إليه أهل الحق من انخراق العادات في حق الأولياء، فأطبق

المعتزلة على منع ذلك، والأستاذ أبو إسحاق ﷺ يميل إلى قريب مذاهبهم ثم يجوز الكرامات صائرون إلى أن شرط الكرامة الخارقة للعادة أن يجري من غير إيثار واختيار من الولي، وصار هؤلاء إلى أن الكرامة تفارق المعجزة من هذا الوجه، وهذا صحيح لما سنذكره وصار صائرون إلى تجويز وقوع الكرامة على حكم الاختيار، ولكنهم منعوا وقوعها على قضية الدعوى.

وقالوا: «لو ادعَّى الولي الولاية، واعتقد في إثبات دعواه بما خرق العادة، فإن ذلك ممنوع، وهؤلاء يعدون ذلك مميزًا بين الكرامة والمعجزة، وهذه الطريقة غير مرضية أيضًا، ولا يمنع عندنا ظهور خوارق العوائد مع الدعوى المفروضة، وصار بعض أصحابنا إلى أن وقع معجزة لنبي لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي، فيمتنع عند هؤلاء أن يتعلق البحر وتنقلب العصا ثعبانًا ويحيي الموتى كرامة لولي إلى غير ذلك من آيات الأنبياء، وهذه الطريقة غير سديدة أيضًا، والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات» هذا نصه بحروفه.

ثم قال بعد ذلك: فإن قيل ما دليلكم على جوازها؟ يعني الكرامة.

قلنا: ما من أمر يخرق العوائد إلا وهو مقدور، والرب سبحانه وتعالى ابتداء، ولا يمنع وقوع شيء لتقبيح عقلي لما مهدناه فيما سبق، وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة، فإن المعجزة لا تدل بعينها، وإنما تدل لتعلقها بدعوى النبي، ونزولها منــزلة التصديق، والملك بالمقول به الذي يصدق مدعي الرسالة بما يوافقه ويطابق دعواه لا يمتنع أن يصدر منه مثله إكرامًا لبعض أوليائه، ولا يقدح مرام الإكرام في قصد التصديق إذا أراد التصديق والإحقاق بذلك على من تأمل انتهى كلامه.

قلت: ولا يخفى على من له إدراك ما جمع كلامه الأول، والثاني من الحسن والتحقيق والبلاغة.

ثم ذكر بعد ذلك أن الكرامة والمعجزة ليس بينهما فرق إلا وقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة، والكرامة دون دعوى النبوة -كما سيأتي في الفصل

الثالث إن شاء الله تعالى، وهذا الذي ذهب إليه من يجوز خوارق العادة في الكرامات كالمعجزات وكونهما لا يفترقان إلا في تحدي النبوة هو الذي ذهب إليه أئمة الأصول المحققون المعتمدون المشهورون.

قال الإمام أوحد وقته القاضي أبو بكر الباقلاني ﷺ فيما صنف مما روي عند العلماء -رضي الله عنهم- وروينا عنهم أن المعجزات تختص بالأنبياء، والكرامات تكون للأولياء، ولا تكون للأولياء معجزة؛ لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها، والولي لا يدعي النبوة، فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة.

وقال الإمام فخر الدين الرازي ﷺ في كتابه «المحصل»: ثم تتميز الكرامة من المعجزة بتحدّي النبوة.

وقال الإمام ناصر الدين البيضاوي ﷺ في كتابه المصباح: «الكرامات جائزة خلافًا للمعتزلة، وتتميز عن المعجزة بعدم التحدي».

وقال الإمام حافظ الدين النسفي ﷺ في «عقيدته»: وكرامات الأولياء جائزة خلافًا للمعتزلة للمشهور من الأخبار، والمستفيض من حكايات الأخبار.

تنبيه: انظر إلى قول الإمام النسفي -رحمه الله تعالى-: والمستفيض من الحكايات .. إلى آخره، فبهذا العلم أنهم اعتمدوا حكاياهم، وأثبتوا بها كرامات الأولياء لكثرة اجتماع هذه السادات الرّاوين لتلك الحكايات ممن لا يشك في أقوالهم، ويقين بواطنهم على الكذب، فصارت الأحكام تثبت بها كما ثبتت بالدلائل المشهورة المتواترة لم يبينوا، وناهيك بالإمام النسفي وغيره من الأئمة المتقدمين أئمة الأصول لا تمنح حكمًا إلا إذا صح عندهم دليله وإلا تركوه، وتكلموا في راوية حين ذكرت في الأحاديث الشريفة، وهذا معلوم لكل عارف مطلع يتبع كتبهم، فلولا أن رواة هذه الأخبار والحكايات ثقاة لما أخذوا عنهم، ولما دنوا بذلك كتبهم إذا علمت هذا تكفيك الحكايات المرويات عن هؤلاء السادة على ثبوت الكرامات في الحياة والممات.

قال الشيخ: ولا يقال لو جاز ذلك لا يسند طريق الوصول تعدية النبي؛ لأن المعجزة تقارن دعوى النبوة، ولو دعاها الولي لكفر من ساعته انتهى.

أقول: وبقية الأقوال فيه إلى أن قال: وقد اتفقوا على أن الفارق بين الكرامة والمعجزة هو تحدي النبوة فقط، ولم يشترط أحدٌ منهم كون الكرامة دون المعجزة في جنسها وعظمها، فدلّ ذلك على جواز استوائهما فيما عدا التحدي المذكور كما صرح به إمام الحرمين.

وأقول: حصر وجوب افتراق الشيئين، وصفٌ يلزم منه جواز اجتماعهما فيما سواه، فيلزم من ذلك جواز اجتماع الكرامة والمعجزة فيما سوى التحدي المذكور، فيجوز اجتماعهما في إحياء الموتى، وغيره من سائر الخوارق وهو المطلوب.

قال: قلت: ومما يشهد لصحة هذا في الحديث الشريف قوله ﷺ:



«لو أقسم على الله لأبره»[1].

فإن الإبرار المذكور عام في كل مقسم فيه من إحياء الموتى وغيره أقول، ولا يمتنع القسم علمًا لله سبحانه وتعالى من الأشعث الأغبر بعد موته أيضًا، فإذا أقسم عليه سبحانه لأبره؛ لأنك قد علمت فيما تقدم أن الروح لا تموت، وأن لها اتصالاً بالجسد، وأنها تتنعم الروح مع الجسد في القبر، وأن الميت يعلم في قبره ويتكلم، ولا مانع من ذلك لا سيما الأولياء.

قال: وأما وقوع ذلك من كثير من الأولياء أعني عظائم الكرامات، فذلك خارج عن الحصر، وها أنا أقتصر على التنبيه على ذلك بذكر عشرة أنواع:

الأول في إحياء الموتى: من ذلك ما روينا عن الإمام الأستاذ أبي القاسم القشيري رضي الله عنه في رسالته المشهورة بإسناده فيها أن أبا عبد الله البُسْري رضي الله عنه غزا سنة من السنين، فخرج في السرية، فمات المهر من تحته- وهو في البرية- فقال: يا رب، أعرناه حتى نرجع إلى «بسر» -يعني قريته- فإذا المهر قائم، فلما غزا،

(١) تقدم تخريجه.

ورجع إلى «بسر» قال لابنه: «خذ السرج عن المهر» قال له ابنه: إنه قد عرق، فإن أخذت السرج عنه داخله الريح فقال: يا بني، إنه عارية. قال: فلما أخذت السرج عنه وقع المهر ميتًا بيننا.

إلى أن قال: وروينا عنه أيضًا في رسالته بإسناده فيها إلى الشيخ الكبير - حجة الله تعالى، علم العارفين قطب المقامات، وصاحب الكرامات الباهرة - سهل بن عبد الله ﷺ[1] أنه قال: الذاكر لله تعالى على الحقيقة يوهم أن يحيي

---

(١) هو السيد الجليل والعارف بالله تعالى أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن رفيع التستري ﷺ، أحد أئمة القوم، ومن أكابر علمائهم المتكلمين في علوم الخواص، ويقول فيه أعيانهم: (سهل للسيادة أهلٌ)، صحب خاله الجنيد ومحمد بن سوار، ولقي ذا النون، وأخذ الأكابر عنه طبقةً بعد طبقةٍ، وطبق الأرض من علم الحقائق، فحسده فقهاء بلده، فقاموا عليه، ونسبوه إلى قبائح بسبب قوله: (التوبة فرضٌ على العبد في كل نفسٍ)، ولم يزالوا به حتى أخرجوه من بلده إلى البصرة، فمات بها، وحفظ القرآن وهو ابن سبعٍ، وكان يُسأل عن مسائل الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة وهو ابن عشرٍ، ولم يبرز للناس حتى وقع له الإذن من الله، وكان إذا جاع قوي، وإذا شبع ضعف.

قال عنه الشيخ الأكبر ﷺ: (وكان بدء سهل في هذا الطريق سجود القلب، وكم من وليٍّ كبيرِ الشأن طويل العمر مات وما حصل له سجود القلب! ولا علم أن للقلب سجودًا مع تحققه بالولاية، ورسوخ قدمه فيها، فإن سجوده إذا حصل لا يرفع أبدًا من سجدته، فهو ثابتٌ على تلك القدم الواحدة، التي تتفرع منها أقدامٌ كثيرةٌ، وأكثر الأولياء يرون تقلُّب القلب من حالٍ إلى حالٍ، وصاحب هذا المقام وإن تقلبت أحواله فمن عينٍ واحدةٍ هو عليها ثابتٌ، يعبِّر عنها بسجود القلب، ولهذا لما رأى سهل في ابتداء دخوله الطريق أن قلبه سجد وانتظر أن يرفع فلم يرفع فبقي حائرًا، فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته فما وجد أحدًا يعرفها، فإنهم أهل صدقٍ لا ينطقون إلا عن ذوقٍ محقَّقٍ، فقيل له: إن في عبدان شيخًا معتبرًا، لو رحلت إليه؟ ففعل؛ فقال له: أيها الشيخ، أيسجد القلب؟ فقال: إلى الأبد، فوجد شفاءه عنده؛ فلزم خدمته، فالله تعالى يؤتي ما شاء من علمه من شاء من عباده: **﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾**.

وكان مذهبه ﷺ التحري في الحلال، فلم يوجد في زمنه من يدقق فيه مثله، وفي ذلك قال ﷺ من باب التحدث بنعمة الله: أنا حجَّة الله على الخلق، وأنا حجَّة الله على أولياء زماني. فبلغ ذلك أبا =

=

زكريا الساجي وأبا عبد الله الزبيري؛ فذهبا إليه، فقال له أبو عبد الله الزبيري، وكان حسورًا؛ لأنه كان ضريرًا: بلغنا عنك أنك تقول: أنا حجّة الله على الخلق، وأنا حجّة الله على أولياء زماني، فبماذا صرت، هل أنت نبيٌّ أو صدِّيقٌ؟ فقال ﷺ: لم أذهب حيث ظننت، ولست أنا نبيًّا، إنما قلت هذا؛ لأنني صححت أكل الحلال دون غيري. فقال له: وأنت صححت الحلال. فقال ﷺ: نعم، لا آكل دائما إلا حلالاً. فقال له الزبيري: وكيف ذلك؟ فقال له ﷺ: قسَّمت عقلي وقوتي ومعرفتي على سبعة أجزاء، فأترك الأكل حتى يذهب منها ستة أجزاء، ويبقى جزءٌ واحدٌ، فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء وتتلف معه نفسي أكلت بقدر البلغة؛ خوفًا أن أكون أعنت على نفسي؛ ولترد علي الستة الأخرى، فبهذا صحَّ لي الحلال. فقال الزبيري: نحن لا نقدر على المداومة على هذا، ولا نعرف أن نقسِّم عقولنا ومعرفتنا وقوتنا على سبعة أجزاءٍ، واعترف بفضل سيدنا سهل ﷺ.

ومن كلامه ﷺ: من لم يكن مطعمه من الحلال لم يُكشف عن قلبه حجابٌ، وتسارعت إليه العقبات، ولا تنفعه صلاته ولا صومه.

وقال: أصول طريقنا سبعةٌ: التمسك بالكتاب والسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وتجنب المعاصي، والتوبة، وأداء الحقوق.

وقال: العيش أربعةٌ: عيش الملائكة بالطاعة، والأنبياء في العلم وانتظار الوحي، والصديقين في الاقتداء، وسائر الناس في الأكل والشرب كالبهائم.

وقال: الدنيا حرامٌ على صفوة الخلق، لا يتناولون فيها إلا بقدر الضرورة.

وقال: السرور بالله هو السرور، والسرو بغيره هو الغرور.

وقال: العلوم ثلاثةٌ: علمٌ ظاهرٌ يبذل لأهل الظاهر، وعلمٌ باطنٌ لا يظهر إلا لأهله؛ خوف الفتنة، وعلمٌ بين العبد والربِّ يستحيل إظهاره لأحد من الخلق.

وسئل عن الاسم الأعظم، فقال: أروني الأصغر أريكم الأعظم، أسماء الله كلها عظيمةٌ، اصدق؛ وخذ أيَّ اسم شئت يفعل معك.

وقال: إن الله حجب عقول الخلق بحجب لطيفة. فحجب العلماء عنه بالعلم، والزهَّاد بالعمل، والحكماء بلطائف الحكمة، أما العارفون فأسكنَ قلوبهم من نور معرفته؛ فلم يحجبهم بشيء.

وسئل ﷺ عن ذات الله ﷻ فقال: ذاتٌ موصوفةٌ بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودةٌ بحقائق الإيمان من غير حدٍّ ولا حلول، وقد حجب سبحانه وتعالى الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلّهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه والأبصار لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون من غير إحاطة ولا إدراك نهاية، وله ﷺ ذكرٌ عظيم الشأن، جرَّبه أهل العرفان.

وقال عنه شيخنا ابن العربي ﷺ: دخلت به الخلوة، ففتح لي به في ليلةٍ واحدةٍ، وفيه أسرارٌ عجيبةٌ

=

الموتى لفعل يعني بإذن الله تعالى، ومسح بيده على عليل بين يديه فبرئ، وقام بإذن الله سبحانه تعالى، وذكر الشيخ أعني المصنف أن الشيخ مفرج الدماميني[1] أحضرت بين يديه فراخ مشوية فقال لها: «طيري»، فطارت إحياء بإذن الله تعالى.

وأخبر أن الشيخ الأهدل شيخ الشيخ أبي الغيث، ماتت له معزة اسمها لؤلؤة، ولم يشعر بموتها، فسأل الخادم عنها، فقال له الخادم: لا أدري، فقال لها: لؤلؤة، لؤلؤة فجاءته تجري فأطعمها. وكان نداؤه بعد موتها بثلاثة أيام.

وقال -أي المصنف-: أخبرني أحد أهل العلم والفلاح ممن اعتقد من بلاد المغرب بإسناده أنه توفي بعض أصحاب الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبو يوسف الدهماني ﷺ، فخرج عليه أهله، فلما رآهم الشيخ المذكور جاء إلى الميت وقال له: «قم بإذن الله تعالى» فقام وعاش بعد ذلك ما شاء الله من الزمان.

وسمعت من غير واحد وقوع مثل هذه القضية من شيخين من شيوخ اليمن في اثنين من الناس ماتا ثم عاشا بإذن الله تعالى القادر على كل شيء سبحانه وتعالى.

=

وأذواقٌ غريبةٌ، ومن أكثر ذكره حُبِّبت إليه الطاعات، وبُغِّضت إليه المنكرات، ومن ذَكَرهُ سبع مرات وهو في فراشه وجد له حلاوةً في سرِّه، وهذا الذكر هو: (اللهُ مَعِي، اللهُ ناظرٌ إليَّ، اللهُ شاهدٌ عليَّ). وله ﷺ تصانيف نفيسةٌ، منها «رقائق المحبين ومواعظ العارفين»، و«جوابات أهل اليقين»، و«المعارضة والرد على أهل الفرق أهل الدعاوى في الأحوال» (مطبوع)، ومات قُدِّس سرُّه سنة ٢٨٣هـ، نفعنا الله به، آمين. وانظر في ترجمته: الرسالة القشيرية (١٨)، وحلية الأولياء (١٠/ ١٨٩، ٢١٢)، وطبقات الشيخ الشعراني الكبرى (١/ ٩٠)، والشذرات (٢/ ١٨٢).

(١) كان عبدًا حبشيًا، اصطفاه الله لولايته. أقام ستة أشهر لا يأكل ولا يشرب، فضربه سيده، فلم يؤثر. وعمي في آخر عمره.

ومن كلامه: من تكلم في شيء لا يصل إليه علمه كان كلامه فتنة لسامعه.

مات سنة ثمان وتسعين وستمائة. وانظر: الكواكب الدرية للمناوي (٥٧٣) بتحقيقنا، والطبقات الصغرى له (٤/ ٦٠٣).

قلت: فأحد الشيخين المذكورين رأى ميتًا محمولاً لا يعرفه فقال: من هذا الميت؟ فقيل له: فلان وكان بين يديه طعام فأقسم بالله تعالى أنه لا يأكل من ذلك الطعام حتى يأتي ذلك الميت، ويأكل منه فجيء بإذن الله تعالى ثم أتى إليه وأَكَلَ منه.

والشيخ الثاني وقف على ميت في مسجد، وكان قد جرت بينهما قصة فسأل الله سبحانه وتعالى في ذلك فأحياه الله تعالى.

قلت: ومن المشهور ما رُوي مسندًا من خمسة طرق عن جماعة من الشيوخ الأجلاء أُولي الفضائل والمفاخر من كتاب «مناقب الأولياء الأكابر» أستاذ الطريقة علم الشريعة والحقيقة الذي توافرت كراماته أو قربت من التواتر، وخرجت عن حصر الحاصر، سلالة الشرف الحسيب النسيب محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني -قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه- قالوا: جاءت إليه امرأةٌ بولدها وقالت له: إني رأيت قلب ابني هذا شديد التعلق بك، فقد خرجت عن حقي فيه لله ﷻ لك فقبله الشيخ، وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق، فدخلت أمه عليه يومًا من الأيام فوجدته نُحيلاً مصفرًا من آثار الجوع والسهر، ووجدته يأكل قرصًا من شعير، فدخلت إلى الشيخ، فوجدت بين يديه إناء فيها عظام دجاجة مسلوقة قد أكلها، فقالت له: يا سيدي، تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير؟! فوضع يده المباركة على تلك العظام وقال: قومي بإذن الله تعالى الذي يحيي العظام وهي رميم، فقامت دجاجة سوية وصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء.

قالوا: ومرّت على مجلسه حدأة طائرة في يوم شديد الريح، فصاحت فشوشت على الحاضرين فقال: يا ريح، خذ رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية، فنــزل الشيخ من الكرسي، فأخذها في يده، وأمر الأخرى عليها، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فحيت وطارت بإذن الله تعالى، والناس مشاهدون ذلك.

والنوع الثاني في كلام الموتى: من ذلك ما أخبر به الفقيه العالم السيد الإمام العالم محب الدين الطبري أنه كان في مقبرة «زَبيد» من بلاد اليمن مع الفقيه الإمام العلامة الولي الكبير العارف بالله تعالى إسماعيل الحضرمي ﷺ فقال: يا محب الدين، تؤمن بكلام الموتى قال: فقلت: نعم يا سيدي، فقال: إن صاحب هذا القبر يقول لي: أنا فلان بن فلان من حشو الجنة.

وأخبرني أحد الشيوخ الصالحين من أهل اليمن عن الفقيه إسماعيل المذكور أيضًا أنه مرَّ يومًا على مقبرة، ومعه ناسٌ كثيرون فبكى بكاء شديدًا ثم ضحك في الحال، فسُئل عن ذلك، فقال: رأيت أهل هذه المقبرة يعذبون فحزنت لذلك، ثم سألت ربي أن يشفعني فيهم فشفعني، فقالت صاحبة هذا القبر، وأشار إلى قبر قريب العهد بالحفر: «وأنا معهم يا فقيه إسماعيل، أنا فلانة المغنية»، فضحكت وقلت: «وأنت معهم» قال: ثم أرسل إلى الحفّار وقال له: هذا قبر من؟ فقال له قبر فلانة المغنية.

قلت: وهذه القصة فيها لهذا السيد المذكور أربع كرامات إحداها:

ما كشف له عن حال الموتى.

والثانية: كلام الموتى له.

والثالثة: قبول شفاعته فيهم.

والرابعة: علمه بقبول شفاعته، وناهيك بهذه الأربع كرامات في قصة واحدة، وخصوصًا الثالثة هي قبول شفاعته في الجم الغفير، ورفع العذاب عنهم ببركته.

وروينا في رسالة الإمام أبي القاسم القشيري ﷺ أن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبا سعيد الخراز ﷺ قال: كنت مجاورًا بمكة -شرفها الله تعالى- فجزت يومًا بباب بني شيبة، فرأيت شابًا حسن الوجه ميتًا، فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي، فقلت له: أحياةٌ بعد موت؟ فقال لي: يا أبا سعيد، أما علمت أن الأحياء أحياء وإن ماتوا، وإنما ينتقلون من دار إلى دار، وما بعده ممن هو من الأولياء الأحياء في قبورهم، ويكلمون الأحياء الذين لم يموتوا، وهم ينتقلون من دار إلى دار. يعني البرزخ.

قال: وأخبرني بعض الأولياء من شيوخ اليمن أنه كلمه السيد الجليل الولي الكبير العارف بالله تعالى محمد بن أبي بكر الحكمي -قدس الله تعالى روحه- بعد أن انشق قبره وخرج إليه منه، وهو مشدود الوسط قال: فقلت له يا سيدي، أراك مشدود الوسط فقال: نحن بقدر وافي في الطلب من زعم أنه قد

وصل فقد كذب؛ لأنه لا يوصل إلا إلى محدود والله تعالى منــزه عن عناية الحدود[1].

قلت: ومراد الشيخ المذكور أنه من توهم أنه قد وصل إلى مقام ليس فوقه مقام أو إلى عناية ليس فوقها مطلب، فقد كذب؛ لأن فضل الله تعالى ليس له غاية، فما من مقام إلا فوقه مقام يمكن أن يصل إليه العبد بفضل الله تعالى.. إلى أن قال: وجدت بحمد الله تعالى من كلام السيد الكبير العارف بالله تعالى الإمام السالك المحقق شيخ الإسلام شهاب الدين السهروردي -قدس الله تعالى روحه- قال: فيما روينا عنه «في كتاب العوارف»، وكل من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان للولي رتبة من الوصول ثم يتفاوتون.

فمنهم من يمجد الله تعالى بطريق الأفعال، وهو رتبة في التجلي فينبغي فعله، وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى، ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار، وهذه رتبة في الوصول.

ومنهم من يقف في مقام الهيبة والأنس بما يكاشف قلبه من مطالعة الجلال والجمال، وهذا تجلي بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول.

ومنهم من يرقى إلى مقام الفناء مشتملاً على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبًا في شهوده عن وجوده، وهذا ضربٌ من تجلي الذات لخواص المقربين، وهذا المقام رتبة من الوصول، وفوق هذا حق اليقين، ويكون من ذلك في الدنيا للخواص لمح، وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه، وهذا من أعلى رتب الوصول، فإذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة أنه يعد في أول المنازل، وأين الوصول؟ هيهات

(١) قال في الانتصار: قال: وروينا أن الشيخ نجم الدين الأصبهاني طَلَعَ مع جنازة بعض الصالحين، فلمَّا جَلَسَ بعض الناس من أهل العلم يُلقِّن الميت ضحك الشيخ نجم الدين ولم يكن الضحك عادته، فسُئِل عن ذلك؟ فقال: سمعت صاحب القبر يقول: أما تعجبون من ميتٍ يُلقِّن حيًّا وغير ذلك مما يطول ذكره من كلام الموتى للأولياء.

منازل طريق الوصول لا تقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدي، فكيف في العمر القصير الدنيوي؟ انتهى كلامه.

وهو نصه بحروفه، وهو كلام عزيز نفيس من إمام عارف محقق، أحببت أن أذكره في هذا المكان ليقف عليه كل من وقف على هذا الكتاب ممن يعرف الوصول أو يجمله ويصدق به أو ينكره أو يكذبه من معتقد ومنتقد.

وكلام الشيوخ في ذلك كثير من ذلك قول الشيخ الكبير السيد الجليل أبي الحسين النوري ﷺ(١) لاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار.

---

(١) هو أحمد بن محمد وقيل: محمد ابن محمد، وأحمد أصح، قدّس الله روحه ونوّر ضريحه.
بغدادي المنشأ والمولد، خراساني الأصل يعرف بابن البغوي.
قال ابن الأعرابي: أبو الحسين النوري خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الرُّوذ يقال لها: بغشور، لذلك كان يعرف بابن البغوي. وكان من أجل مشايخ القوم وعلمائهم لم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلامًا. صحب سريًا السقطي ومحمد بن علي القصاب ورأى أحمد بن أبي الحواري.
من كلامه: الجمع بالحق تفرقة عن غيره والتفرقة عن غيره جمع به.
وقال علي بن عبد الرحيم: سمعت النوري يقول: التصوف ترك كل حظ للنفس.
وقال: وسمعت النوري يقول: من وصل إلى وده انس بقربه، ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد.
وسئل عن الحبيب والخليل؟ فقال: ليس من طولب بالتسليم كمن بادر بالتسليم.
وقال: رأيت غلامًا جميلاً ببغداد، فنظرت إليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له: تلبسون النعال الصرارة، وتمشون في الطرقات، قال: أحسنت أتجمش (أتلاعب) بالعلم.
وقال إبراهيم بن فاتك: سمعت النوري يقول: مقامات أهل النظر في النظر شتى فمنهم من كان نظره نظر التسلي، ومنهم من كان نظره نظر استفادة، ومنهم من كان نظره نظر عيان المكاشفة، ومنهم من كان نظره نظر المنافسة في المشاهدة، ومنهم من كان نظره نظر المشاكلة والمماثلة، ومنهم من كان نظره نظر طيبة وملاحظة، ومنهم من كان نظره نظر إشراف ومطالعة وكل واحد منهم أهل النظر.
وقال النوري: أعز الأشياء في زماننا شيئان: عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن حقيقته.
وقال: من عقل الأشياء بالله فرجوعه في كل شيء إلى الله.
وسئل النوري عن الفقير الصادق؟ فقال: الذي لا يتهم الله تعالى في الأسباب ويسكن إليه في كل =

قلت: ومن المشهور وما روي مسندًا من ثلاث طرق من جماعة من شيوخ الأكابر في كتاب «مناقب قطب الأولياء» الشيخ عبد القادر ﷺ قالوا: زار شيخنا محيي الدين عبد القادر الكيلاني -قدس الله تعالى روحه الشريفة- الشونيزي يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وخمسمائة، ومعه جمع كثير من الفقهاء والفقراء ووقف عند قبر الشيخ حمَّاد الدباس ﷺ زمانًا طويلاً أن الأولياء أحياء في قبورهم يسألون الله تعالى عز وجل وأن الله سبحانه وتعالى أبر قسمهم وقضى حوائجهم، وأعطاهم مطلوبهم حتى اشتد الحر والناس واقفون خلفه، ثم انصرف والسرور في وجهه يبين، فسُئل عن سبب طول قيامه فقال: كنت خرجت من بغداد في يوم جمعة في نصف شعبان سنة

=

حال.

وأحضر النوري مجلسًا للسلطان فقال له: من أين تأكلون؟ فقال: لسنا نعرف الأسباب التي تستجلب بها الأرزاق نحن قوم مدبرون.

وقال علي بن عبد الله البغدادي: سمعت فارسًا الجمال يقول: لحق أبا الحسين النوري علةٌ، والجنيد علة، فالجنيد أخبر عن وجده، والنوري كتم فقيل له: لمَ لمْ تخبر كما أخبر صاحبك؟ فقال: ما كنا نبتلى ببلوى فتوقع عليها الشكوى.

فأُعيد على الجنيد ذلك فقال: ما كنا شاكين ولكن أردنا أن نكشف عين القدرة فينا.

وقال أبو عمر الأنماطي: اعتلَّ النوري فبعث إليه الجنيد بصرة فيها دراهم وعاده، فردَّه النوري، ثم اعتل الجنيد بعد ذلك، فدخل عليه النوري عائدًا، فقعد عند رأسه ووضع يده على جبهته فعوفي من ساعته، فقال النوري للجنيد: إذا عدت إخوانك فارفقهم بمثل هذا البر.

وقال جعفر الخلدي: سمعت الجنيد يقول: سمعت النوري يقول: كنت بالرقة فجاءني المريدون الذين كانوا بها وقالوا: نخرج ونصطاد السمك فقالوا لي: يا أبا الحسين هات مع عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص، فقلت لمولاي: إن لم يخرج لي الساعة سمكة فيها ما قد ذكر وإلا أرمين بنفسي في الفرات، فأخرجت سمكة فوزنتها، فإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان، قال الجنيد: فقلت له يا أبا الحسين: لو لم تخرج كنت ترمي بنفسك؟ قال: نعم.

توفي رحمه الله تعالى سنة خمس وتسعين ومائتين.

انظر في ترجمته: طبقات الصوفية (٢)، (ص١٦٤)، وحلية الأولياء (١٤٩/١٠)، والمنتظم (٧٧/٦)، وتاريخ بغداد (١٣٠/٥)، والبداية والنهاية (١٠٦/١١)، والطبقات الشعرانية الكبرى (٢٦/١).

تسع وتسعين وأربعمائة مع جماعة من أصحاب الشيخ حمَّاد ﷺ لأصلي الجمعة في جامع الرصافة، والشيخ معنا فلما كنا عند قنطرة النهر دفعني فرماني في الماء، وكان في شدة البرد في كوانين، فقلت: بسم الله تعالى غُسل الجمعة وكان علي جبة صوف، وفي كُمي أجزاء فرفعت يدي لئلا تبتل وتركوني وانصرفوا عني، فخرجت من الماء، وعصرت الجبة وتبعتهم وقد تأذيت بالبرد فطمع في أصحابه فنهرهم، وقال: إنما أؤذيه لأمتحنه، فأراه جبلاً لا يتحرك وإني رأيته اليوم في قبره، وعليه حُلة من جواهر، وعلى رأسه تاج من ياقوت، وفي يده أساور من ذهب، وفي رجليه نعلان من ذهب، ويده اليمنى لا تطيعه فقلت: ما هذا؟ قال: هذه اليد التي رميتك بها، فهل أنت غافر لي ذلك؟ فقلت: نعم، قال: فاسأل الله تعالى أن يردها علي، فوقفت أسأل الله سبحانه وتعالى في ذلك، وقام خمسة آلاف من أولياء الله تعالى في قبورهم يسألون الله تعالى أن يقبل مسألتي فيه، ويشفعون عندي في تمام المسألة، فما زلت أسأل ربي في مقامي ذلك حتى ردَّ الله تعالى يده وصافحني بها، وقد تم سروره فيقول: العبد الضعيف، وهذا كما ترى صريح أن الأولياء أحياء في قبورهم، وأنهم يسألون الله تعالى ﷻ، وأن الله سبحانه وتعالى أبر قسمهم وقضى حوائجهم وأعطاهم مطلوبهم ولا مانع لذلك، ولا يشك فيه أحد أجرًا على ما تقدم من لفظ الحديث الشريف: «**لو أقسم على الله لأبره**» وهو شامل للحي والميت، وقد تقدم أن الروح لا تموت، وإنها متصلة بالجسد، والنعيم لهما معا فكون الخمسة آلاف وليًّا يسألون الله تعالى داخل في الحديث المذكور، وكون الشيخ كشف له عن الشيخ حماد كذلك لا شك فيه؛ إذ هي كرامة من الله تعالى له، وهي أمر خارق للعادة فليفهم.

قال الشيخ: قالوا: فلما اشتهر هذا القول ببغداد اجتمع المشايخ والصوفية من أهل بغداد من أصحاب الشيخ «حماد» ليطالبوا الشيخ «عبد القادر» بتحقيق ما قال من الشيخ «حماد» وتبعهم خلق كثير من الفقراء، وأتوا إلى المدرسة فلم يتكلم منهم أحد إجلالاً للشيخ فبدأهم بمرادهم، وقال لهم: اختاروا رجلين من المشايخ يبين لكم ما ذكرته على لسانهما إن شاء الله تعالى، فأجمعوا

على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني، وكان يومئذ قد ورد إلى بغداد، والشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن شعيب الكردي، وكان مقيمًا ببغداد وكانا ﷺ من ذوي الكشف الخارق والأحوال الفاخرة، وقالوا له: أمهلناك في بيان ذلك على لسانهما جمعة، فقال لهم: بل ما تقومون من مقامكم هذا حتى يتحقق لكم هذا الأمر فأطرق وأطرقوا فصاح الفقراء من خارج المدرسة، وإذا الشيخ يوسف قد جاء حافيًا يشد في عروة حتى دخل المدرسة، وقال: أشهدني الله ﷻ هذه الساعة الشيخ حماد، وقال لي: يا يوسف أسرع إلى مدرسة الشيخ عبد القادر، وقل للمشايخ الذين فيها: صدق الشيخ عبد القادر فيما أخبر به عني، فلم يتم كلام الشيخ يوسف حتى جاء الشيخ عبد الرحمن، وقال: مثل قول الشيخ يوسف فقام المشايخ كلهم يستغفرون للشيخ عبد القادر ﷺ أجمعين انتهى.

أقول: ولا يشك أحدٌ في هذا أيضًا من أوجه:

الأول: كون الشيخ كاشف على مرادهم وهو ليس بمستحيل، وتقدم أن الله تعالى يُطلع أولياءه على بعض أسراره، والشيخ عبد القادر ﷺ أهل لذلك.

والثاني: كون الشيخ عبد القادر قال لهم: ما تقومون حتى يتحقق لكم هذا الأمر، فهذا على القول الثاني مما تقدم ذكره أن الولي يقدر على إظهار الكرامة، وكون الشيخ أطرق وأطرقوا فإنه كلما سأل الله تعالى في تحقيق المقال، وقد أبر الله تعالى قسمه في ساعته كما أراد، وهذا داخلٌ في الحديث الشريف: «**لو أقسم على الله لأبره**»، ومصداق الحديث إبرارهم بما ذكر الثالث كون الشيخ حماد يقول للشيخين: اذهبا لزاوية الشيخ عبد القادر إلى آخره.

فقد تقدم لك ما ثبت أن الميت يعلمه الله تعالى بما يقع من الأحياء، فلما أراد الله تعالى أعلمه بالقصة، وأنطقه ليقول لهما ما هو المقصود، وكل ذلك كرامة من الله الكريم لأوليائه الصالحين -نفعنا الله تعالى بهم أجمعين-.

قال الشيخ: النوع الثالث، انفلاق البحر وجفافه: من ذلك ما روي في بعض «التصانيف» أنه مات أحد الفقراء في سفينته.

قال الراوي: فأردنا إلقائه في البحر فرأيت البحر قد انشق نصفين، ونزلت السفينة إلى الأرض فخرجنا وحفرنا له قبرًا ودفناه، فلما فرغنا استوى الماء وارتفعت السفينة وسرنا.

وروينا عن الأستاذ أبي القاسم القشيري ﷺ في رسالته عن بعضهم قال: كنا في مركب فمات رجل عليل كان معنا، فأخذنا في جهازه، وأردنا إلقائه في البحر، فصار البحر جافًا، ونزلت السفينة فخرجنا وحفرنا له قبرًا ودفناه، فلما فرغنا استوى الماء وارتفع المركب وسرنا.

النوع الرابع: انقلاب الأعيان: اعلم أن هذا النوع مما كثر وقوعه لهم واشتهر عنهم كانقلاب الحصا جواهر، وانقلاب ماء البحر عذبًا لبعضهم، ولبعضهم الأُسطوانة ذهبًا وفضة، ولبعضهم حَب الباذنجان ذهبًا، ولبعضهم نشارة الخشب دقيقًا، ولبعضهم الحطب ذهبًا، وغير ذلك مما يطول ويتعذر حصره، وهذه الأشياء مشهورة مذكورة في الكتب المشتملة على بعض كرامات الأولياء كالرسالة وغيرها، وأعجب من ذلك الخمر سمنًا كما اشتهر ذلك، ورواه الأكابر من الشيوخ وغيرهم.

وأعظم من ذلك كله وأعز وقوعًا ما رويناه عن جماعة من الصالحين رووا عن بعض الأولياء الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له أن الله تعالى يرزقه ولدًا ذكرًا فقال له: إن أحببت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار، فسلم إليه ذلك ثم جاءه بعد مدة، وقال: يا سيدي، وعدتني بولد ذكر وما جاءت امرأتي إلا بأنثى. فقال له الشيخ: الدنانير التي سلمتها ناقصة. قال يا سيدي، ما هي ناقصة إلا شيئا يسيرًا فقال له الشيخ: ونحن أيضًا ما نقصناك شيئًا كثيرًا، فإن أحببت أن يوفَّ لك فوفِّ لنا فقال: نعم يا سيدي، ثم ذهب، وعاد إليه يوفيه ذلك النقصان فقال له الشيخ: اذهب فقد أوفيناك كما أوفيت فرجع إلى منـــزله، فوجد الولد غلامًا بقدرة الله تعالى وكرمه لأوليائه كما قال.

وروي عن أحدهم قال: بينما أنا أسير في فلاة من الأرض إذا برجل يدور بشجرة شوك ويأكل منها رطبًا، فسلمت عليه فقال: وعليك السلام تقدم،

وكُلْ فتقدمت إلى الشجرة، كلما أخذت منها رطبًا عاد شوكًا، فتبسم الرجل وقال :هيهات، لو أطعته في الخلوات أطعمك رطبًا في الفلوات(١).

النوع الخامس: علمهم بالحوادث قبل نزولها ووجودها والاطلاع على ضمائر الخلائق: اعلم أن هذا النوع واسع وسيأتي نبذة منه في الفصل السادس إن شاء الله تعالى لأنه لا بد من ذكره هنالك لأجل السؤال.

السادس النوع السادس: طيّ الأرض لهم من غير حركة منهم:

اعلم أن هذا الذي المذكور مشهور عنهم، وهو أفضل من الطيران في الهواء

---

(١) قال الموصلي في الانتصار: اعلم أن هذا النوع مما كثر وقوعه لهم واشتهر عنهم، كانقلاب الحصى جواهر وذهبًا لكثيرٍ منهم، وانقلاب ماء البحر عذبًا، ولبعضهم سمنًا، ولبعضهم مع الرمل سُويقًا وسكرًا، ولبعضهم الحطب ذهبًا، وغير ذلك مما يتعذّر حصره، وهذه الأشياء مشهورةٌ مذكورةٌ في الكتب المشتملة على بعض كرامات الأولياء كالرسالة وغيرها، وأعجب من ذلك انقلاب الخمر سمنًا، كما روي عن الشيخ عيسى المعروف بالمتّار اليمني: أنه مرَّ على امرأةٍ بغيٍّ، فقال لها: بعد العشاء آتيك، ففرحت بذلك، وتزيّنت، فلمَّا كان بعد العشاء دخل عليها البيت فصلّى ركعتين ثم خرج.

فقالت: أراك خرجت. فقال: المقصود حصل، فورد عليها واردًا أزعجها عمَّا كانت عليه، وخرجت بعد الشيخ وتابت على يديه، فزوّجها من بعض الفقراء.

وقال: اعملوا الوليمة عصيدةً، ولا تشتروا لها أدامًا، ففعلوا ذلك، وأحضروه، وحضر الفقراء والشيخ معهم كالمنتظر لشيءٍ يُؤتى به، فوصل الخبر إلى أمير تلك البلدة، فأخرج قارورتين مملوتين خمرًا، وأرسل بهما إلى الشيخ، وأراد أن يستهزئ بالفقراء ويفضحهم، وقال للرسول: قل للشيخ: قد سرّني ما سمعت، وبلغني أنه ما عندكم أدامٌ فخذوا هذا فآدموا به، فلمَّا أقبل الرسول قال له الشيخ: أبطأت، ثم تناول إحداهما فخاضها، ثم صبّها، ثم كذلك الأخرى، ثم قال للرسول: اجلس فكُل، فأكل فطعم سمنًا لم يرَ مثله طعمًا، وريحًا، ولونًا، ورجع وأخبر الأمير بذلك، فجاء الأمير فأكل، وتحيّر مما رأى، فتاب أيضًا على يد الشيخ، والحمد لله الذي جعل هؤلاء السادة سببًا للسعادة.

والمشي على الماء، والخطوة للدنيا.

من ذلك ما روينا أن بعضهم كان في جامع طَرسوس، فاشتاق إلى زيارة الحرم فأدخل رأسه في جيبه ثم أخرجه وهو في الحرم، وكذلك اجتمع جماعة من بعض البلدان البعيدة في يوم عرفة فاغتسلوا وصلوا وأحرموا ثم سجدوا سجدة مكثوا فيها ما شاء الله تعالى ثم رفعوا رءوسهم، فإذا هم ينظرون الجمال سائرة من مِنى إلى عرفة.. إلى أن قال: ومما اشتهر عند كثير من الفقهاء وغيرهم أن الكعبة المعظمة شوهدت تطوف بجماعة من الأولياء في أوقات في أمكنة غير مكانها، ومعلوم أنها في مكانها لم تفارقه في تلك الأوقات، فعلم من هذا أن وراء طور العقل طور آخر.

ومن ذلك قصة قضيب البان ﷺ حين شوهد وقد صلى أربع ركعات في أربع صور فلما سلم الإمام ضحك في وجه الفقيه الذي بجانبه وقال له: أي الأربعة صلى معكم هذه الصلاة؟ وقيل: إنما سمي الأبدال أبدالاً لأنهم إذا غابوا تبدل من مكانهم صورة روحانية تخلفهم، وهذا أحد القولين في تسميتهم أبدالاً.

قلت: وما روي بالإسناد المتعدد برواية جماعة عن الشيوخ أن الشيخ عبد القادر الجيلاني حضر في مجلسه أبو المعالي محمد بن أحمد البغدادي التاجر، فأخذته حقبة شديدة ومنعته من الحركة، وبلغت منه الجهد، فنظر إلى الشيخ عبد القادر ﷺ نظرة المستغيث فنــزل الشيخ مرقاة من الكرسي الذي يتكلم عليه، فظهر على تلك المرقاة رأس كرأس الآدمي ثم نزل أخرى، فظهر كتفان وصورة، وما زال ينــزل مرقاة مرقاة حتى تكملت على الكرسي صورة كصورته يتكلم على الناس بصوت مثل صوته وكلامه مثل كلامه، ولا يرى ذلك إلا هو ومن شاء الله -سبحانه وتعالى- من الحاضرين، وجاء يشتق الناس حتى وقف عليه وغطى رأسه بكمه- وفي رواية بمنديله- فإذا هو في صحراء متسعة فيها نهر عليه شجرة، فعلق فيها مفاتيح كانت معه في كمه فأزال حقنته، وتوضأ من ذلك النهر وصلى ركعتين، فلما فرغ منها رفع الشيخ الغطاء عنه،

فإذا هو في المجلس وأعضاؤه مبتلة بالماء ولا حقنة به، والشيخ على الكرسي يتكلم كأن لم يترل منه، وتفقد مفاتيحه فلم يجدها معه ثم بعد مدة تجهزت قافلة إلى بلاد العجم، وساروا من بغداد أربعة عشر يومًا فنـــزلوا منـــزلاً في برية فيها صحراء، فذهب الرجل المذكور يزيل حقنته فذكر شأنه في ذلك اليوم، فإذا هو بذلك النهر وتلك الشجرة ومفاتيحه معلقة عليها، فلما رجع إلى الشيخ ليخبره بذلك فأمسك بأذنه قبل أن يخبره، وقال له: يا أبا المعالي لا تذكره لأحد، وأنا حي فلازم خدمته إلى أن مات ﷺ.

أقول: وهل خرج هذا الكلام عن الحديث الشريف المتقدم أو عن القول بأن الولي يقدره الله تعالى على إظهار الكرامة متى شاء فليفهم.. إلى أن قال: روينا عن أحد الأكابر أنه قال: ما الشأن بالطيران في الهواء إنما الشأن في أخوين أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، فيشتاق كل واحد إلى زيارة الآخر فيجتمعان، وكل واحد منهما على سجادته ويتحابان ثم يعودان إلى مكانيهما من غير حركة منهما.

قال بعض السادات منهم: هذا المقام الذي أشار إليه هذا القائل هو مقامه.

قلت: ومن زي البحر لهم ما روي مسندًا إلى كتاب «مناقب الشيخ عبد القادر» عن الشيخ محمد بن الأزهري –رحمه الله تعالى– قال: مكثت مدة أسأل الله تعالى أن يريني أحد رجال الغيب فرأيت ليلة في المنام أني أزور قبر الإمام أحمد بن حنبل ﷺ وعند قبره رجل وقع في نفسي أنه من رجال الغيب فاستيقظت، ورجوت أن أراه في اليقظة، فأتيت قبر الإمام أحمد من وقتي، فوجدت الرجل الذي رأيته في المنام بعينه فخرج قدامي فتعجلت الزيارة، وتبعته إلى أن وصل إلى دجلة فالتقى له طرفاها حتى صار قدر خطوة الرجل فعبرها إلى الجانب الآخر، فأقسمت عليه أن يقف ليكلمني فوقف، فقلت: ما مذهبك؟ فقال: حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، فوقع في قلبي أنه حنفي المذهب وانصرف، فقلت في نفسي: آتي الشيخ عبد القادر ﷺ وأذكر له ما رأيت،

فأتيت مدرسته وقمت على بابها فقال لي: من داخل بابها يا محمد، ما في الأرض من المشرق على المغرب في هذا الوقت حنفي سواه- أجد الآن زمن الشيخ في القرن الخامس، وكون ذلك الزمن متقدم فيه الحنفية مستحيل للزومه اندراس مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة ﷺ.

أقول: وقد تقدم عن الشيخ أنه صرَّح بأن المكاشفة على أنواع.

منها: الرؤية في المنام وهي صادقة، وقد اطلعت على مصداق ذلك برؤيا الشيخ محمد في المنام، أحد رجال الغيب وذهابه له فوجده بعينه.

وقد يكون بالإلهام، وهو شيء يلقيه الله سبحانه وتعالى في القلب.

وقد سمعت ما وقع في قلبه أنه حنفي، وقد كاشف بذلك الشيخ القطب عبد القادر وأخبره أنه لا حنفي إذ ذاك سواه، وحكاياتهم في هذا كثيرة، فليفهم.

قال: النوع السابع، انفجار الماء لهم: من ذلك ما روينا عن الأستاذ أبي القاسم القشيري ﷺ في رسالته بإسناده فيها أن أبا تراب النخشبي ﷺ قال له أحد أصحابه في طريق مكة: أنا عطشان، فضرب الأرض برجله، فإذا عين ماء زلال فقال الفتى: أحب أن أشربه في قدح، فضرب بيده في الأرض، فناوله قدحًا زجاجًا أبيض كأحسن ما رأيت فشرب وسقانا، وما زال القدح معنا على مكة، وروينا عن الشيخ الجليل الكبير الولي العارف بالله تعالى عالي المقامات وصاحب الكرامات أبي عبد الله القرشي -قدس الله تعالى روحه- أنه جاء إلى بئر من آبار «بني بركونة» يطلب الماء وهو عطشان، فضربه بعض من كان على البئر ورمي بإنائه بعيد وقال ﷺ: فمضيت إليه لآخذها وأنا منكسر النفس فوجدته في بركة ماء حلو فأُسقيت وشربت وجئت بها إلى أصحابي فشربوا، وأعلمتهم بالقصة فمضوا إلى المكان ليستقوا منه فلم يجدوا ماء ولا أثرًا لماء فقلت: إنها آيةٌ.

وحكى غير واحد من أهل العلم وغيرهم عن بعض الصالحين الأخيار أنه عطش بطريق الحج، فدار في الركب من أوله إلى آخره، فلم يعط له شيء، وإذا

هو بفقير قد غرز عكازه في ساقيه بركة، والماء بينهم من تحت العكاز، ويجري إلى البركة فلما قربته، وأعلم الحاج فاستقوا منها وتركوها تطفح، وهذه بعض الحكايات وحكاياتهم من هذا النوع كثيرة، وفي هذا القدر كفاية.

أقول: وهذا أيضًا على منوال ما تقدم من أن الولي يقدر على إظهار الكرامة بعون الله تعالى له متى شاء، ولا شك في ذلك.

قال: **النوع الثامن كلام الجمادات والحيوانات لهم:** من ذلك الحكاية المشهورة عن محمد بن المبارك الصوري -رحمه الله تعالى- من مخاطبة شجرة الرُّمان لإبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس وقولها له: يا أبا إسحاق، أكرمنا بأن تأكل منا شيئًا قالت: ذلك ثلاث مرات، وكانت شجرةً قصيرةً ورمانها حامض، وتحمل في السنة مرة، فلما أكل منها صارت طويلة، ورمانها حُلوًا وتحمل في السنة مرتين فسموها رُمانة العابدين، ويأوي إلى ظلها العابدون وهي مختصر الحكاية.

وقال الشبلي ﷺ: اعتقدت وقتًا ألا آكل إلا من الحلال، فكنت أدور في البراري فرأيت شجرة تين، فمددت يدي إليها لآكل، فقالت لي: الشجرة احفظ عليك عقدك، ولا تأكل مني فإني ليهودي.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي ﷺ: بينما أنا سائر على بعض السواحل إذ خاطبتني شجرة: أنا شفاء هذا المرض الذي بك، فلم أتناول منها شيئًا ولم أستعملها.

وروينا عن بعضهم أنه قال: كلمني جمل في طريق مكة رأيت الجمال والمحامل عليها، وقد مدت أعناقها في الليل فقلت: سبحان الله الذي يحمل عنها ما هي فيه فتلفت إلى جمل، وقال لي: قل جلَّ الله، فقلت: جلَّ الله تعالى.

وروينا عن بعضهم أنه كان يضرب رأس حمار تحته، فقال له الحمار: اضرب أو لا تضرب إنما تضرب على رأسك.

قلت: ولا يُستنكر هذا، فقد أخبر رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح بكلام البقرة التي كلمت صاحبها، وقالت له: «إنما خلقت للحرث[1]» الحديث.

وقوله ﷺ في آخره: «**آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر**[2]».

فشهد لهما النبي ﷺ بالإيمان بذلك وهما غائبان حينئذ لما قال: الناس سبحان الله، أبقرةٌ تتكلم؟ وناهيك بهذا شرفًا لهما.

[وكذلك ما رُوي عن الشيخ أبي الربيع المالقي قال: قيَّض الله لي طيرًا في بعض الأسفار يبيت يسامرني، فكنت أسمعه الليل كله ينطق: يا قدوس يا قدوس، فإذا أصبح صفّق بجناحيه، وقال: سبحان الرزّاق، وطار].

وروى المصنف -رحمه الله تعالى- عن ثلاثة من الأولياء كلَّمهم الطير اثنين منهم كان الطير يبات يسايرهما، وواحد أخبره بوقت قدوم سرية كانت في الغزو، وفاتت السرية كما أخبره الطير ثم قال:

النوع التاسع: إبراء العليل ببركتهم: من ذلك ما روينا من ذلك ما رُوي أنه ظهر بيعقوب بن الليث علةٌ أعيت الأطباء، فقيل له: في ولايتك رجلٌ صالحٌ يُقال له: سهل بن عبد الله، فلو استحضرته لعلّه يدعو لك. فأحضره، وسأله الدعاء، فقال: كيف يُستجاب دُعائي لك وفي سجنك محبوسون؟ فأطلق كل مَنْ كان في السجن، فقال سهلٌ: اللّٰهُمَّ كما أريته ذُلَّ المعصية فأره عزَّ الطاعة، وفرِّج عنه. فعوفي، فعرض مالاً على سهل فأبى أن يقبل، فقيل له: لو قبلته وفرَّقته على المساكين؟ فنظر إلى الحصى في الصحراء فإذا هي جواهر، فقال: مَنْ أُعطي مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث؟!.

وعن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى السرِّي السَّقطي قال: كنت أطلب رجلاً صدِّيقًا مدةً من الأوقات، فمررتُ في بعض الجبال فإذا أنا بجماعةٍ زمنَى،

---

(١) رواه البخاري (١٣٣٩/٣)، ومسلم (١٨٥٧/٤)، والترمذي (٦١٥/٥).

(٢) رواه البخاري (١٢٨٠/٣)، وأحمد (٢٤٥/٢).

وعميانًا، ومرضى، فسألت عن حالهم، فقالوا: ها هنا رجلٌ يخرج في السَّنة مرةً فيدعوهم، فيجدون الشفاء، فقفوت أثره، وتعلقت به، وقلت: بي علةٌ باطنيةٌ فما دوائها؟ فقال: يا سريُّ، خلِّ عني؛ فإنه غيورٌ لا يراك تُساكن غيره، فتسقط من عينه.

وكذلك الحكاية المشهورة عن البنت الزمنة التي قالت: يا رب أسألك بحرمة ضيفنا أن تعافيني، فقامت تمشي في الليل فلما رآها أهلها طلبوا الضيف فلم يجدوه، وكان جمّالاً في السوق، ووجدت الأبواب مغلقة على حالها وهذا بعض الحكاية.

قلت: ورُوي مسندًا في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني: أنه جاءه فضل الله بن إسماعيل البغدادي التاجر فقال له: يا سيدي قال جدك ﷺ: من دُعي فليجب، وقد دعوتك إلى منـــزلي، فقال: إن أذن لي جئت، ثم أطرق مليًّا، ثم قال: نعم، فركب بغلته، وكان عنده شيخان من الشيوخ الكبار فأخذ أحدهما بركابه الأيمن والآخر بركابه الأيسر حتى أتوا إلى داره فإذا فيها مشايخ بغداد وعلماؤها وأعيانها ومدَّ سماط فيه من كل حلو وحامض، وأُتي بسلة كبيرة مختومة يحملها اثنان، ووضعت في آخر السماط، وقال فضل الله: بسم اللهِ، والشيخ مطرقٌ فما أكل أحدٌ ولا أذنَ في الأكل لأحد وأهل المجلس كأن على رؤوسهم الطير من هيبته، فأشار إلى الشيخين الذين جاءا معه: أن قدّما لي تلك السلة. فقاما وحملاها حتى وضعاها بين يديه، وأمرهما ففتحاها فإذا فيها ولدٌ للذي دعاهم أكمهٌ مُقْعَدٌ مجذومٌ ومفلوجٌ.

فقال له الشيخ: قُمْ بإذن الله تعالى معافًى. فإذا الصبي يعدو وهو بصيرٌ ولا عاهة به، فضجَّ الحاضرون وخرج الشيخ في غلبات الناس ولم يأكل شيئًا.

قال الراوي: وهو أحد الشيخين المذكورين، فأتاه بعد ذلك جمعٌ من الرافدة بقُفّتين مخيطتين، وقالوا له: قل لنا ما في هاتين القُفتين، فنـــزل من الكرسي الذي يتكلم عليه ووضع يده على إحداهما، وقال: في هذه صبيٌّ مقعدٌ وأمر بفتحها فإذا فيها صبيٌّ، فأمسك بيده، وقال له: قم بإذن الله تعالى.

فقام يعدو، ووضع يده على الأخرى، وقال: في هذه صبيٌّ لا عاهة به، وأمر

بفتحها، وإذا فيها صبيٌّ فقام يمشي، فأمسك بناصيته، وقال له: اقعد. فأُقعد، فتابوا عن الرفض على يديه، ومات في المجلس يومئذٍ من الحاضرين ثلاثةٌ.

ورُوي أنه مات في مجلسه في بعض الأيام سبعةٌ.

[ورُوي أن الشيخ أحمد بن موسى بن عجيل اليمني جاءه بعض الناس وفي يده سلعةٌ، فقال له: ادعُ الله لي أن يزول عني هذه السلعة وإلا ما بقيت أحسن ظنّي بأحدٍ من الصالحين. فقال له: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومسح على يده وربط عليها بخرقة، وقال: لا تفتحها حتى تصل إلى منـــزلك. فخرج من عنده، فلمّا كان في بعض الطريق أراد أن يتغذّى ففتح يده ليأكل فلم ير لها أثرًا.

ولعل الشيخ أراد أن يستر هذه الكرامة بستر اليد بالخرقة؛ لئلا تظهر في الحال، وربما كان عنده في ذلك الوقت ناسٌ فرأى ظهورها بعد تراخي الوقت أهون وأقل شهرةً].

والكلام في هذا النوع واسعٌ حلُّه ولسنا إلى تتبُّعه نتعدى.

أقول: ولا يبعد أن يقال: إن هذا داخل في عموم قوله ﷺ: «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**(١)» من إبراء الأكمه والأبرص إلخ.

إن من نقل عنهم جميعًا أولياء وعلماء؛ إذ الولي عالم بالله تعالى والدليل عليه قوله ﷺ: «**ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه**(٢)».

وفيه يكون قوله ﷺ: «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**» دليلاً على إثبات كرامات الأولياء، والوجه ظاهر للمتأمل كحديث: «**ربَّ أشعث أغبر إلخ**» وأيضًا يشهد لكرامتهم الحديث القدسي الوارد في «الجامع الصغير»: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أكون..إلى آخره» انتهى.

قال: **النوع العاشر إطاعة الأشياء لهم:** من المشهور أن كثيرًا منهم كانت السباع تحرسهم، وقد ركب بعضهم على ظهورها، وبعضهم حمل عليها زاده، وبعضهم حطبًا، منهم الشيخ الكبير الولي الشهير العارف بالله تعالى أبو الغيث

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢٥٨/١)، (١١٨٢/٢) وقال الحافظ ابن حجر: معناه صحيح.

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٨٣/٢).

ابن حميل اليمني -قدس الله تعالى روحه- حمل حطبًا على ظهر الأسد الذي افترس حماره فقال له: وعزة المعبود وما أحمل حطبي إلا على ظهرك فخضع له فحمل الحطب على ظهره، وساقه إلى باب البلد ثم حط عنه وخلاّه[1].

وروي عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى شاه بن شجاع الكرماني ﷺ أنه خرج للصيد وهو ملك كرمان، فأمعن في الطلب حتى وقع في برية مقفرة وحده، فإذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع، فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه، وخرجت عجوز بيدها شربة ما فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيه إلى شاه فشرب وقال: ما شربت شيئًا ألذ منه ولا أعذب ثم غابت العجوز، فقال الشاب: هذه الدنيا وَكّلها الله تعالى إلى خدمتي فما احتجت إلى شيء إلا أحضرته لي حين يخطر ببالي، أما يكفيك أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه، ووعظه وعظًا حسنًا فكان ذلك سبب توبته، وخروجه من الملك، ودخوله في طريق القوم حتى كان من أمره ما كان، وروي أن جماعة من أهل العلم قصدوا زيارة بعض الشيوخ، فلما أتوه وجدوه يلحن في قراءته في الصلاة، فنقص اعتقادهم فيه، فلما ناموا تلك الليلة أجنبوا جميعًا، فخرجوا ليغتسلوا في بركة ماء، فوضعوا

---

(١) زاد في الانتصار: وعن المرأة الصالحة شعوانة: أنها رُزقت ولدًا فربَّته أحسن تربية، فلما كبر ونشأ قال لها: سألتك بالله يا أماه إلا ما وهبتيني لله تعالى.

فقالت له: يا بني، إنه لا يصلح أن يهدي للملوك إلا أهل الأدب والتقى، وأنت يا ولدي غرٌّ ما تعرف ما يُراد بك ولم يأن لك ذلك. فأمسك عنها ولم يقل لها شيئًا، فلما كان ذات يوم خرج إلى الجبل ليحتطب ومعه دابةٌ، فنــزل عنها ليجمع حطبًا، فلما جمع ورجع وجد السبع قد افترسها، فجعل يده في رقبة السبع.

وقال له: يا كلب، والله وحقِّ سيدي لأحملنَّك الحطب كما تعديت على دابتي، فحمل على ظهره الحطب وهو طائعٌ لأمره حتى وصل إلى دار أمه، فقرع عليها الباب، ففتحت له، وقالت له لما رأت ذلك: يا بني أما الآن فقد صلحتَ لخدمة الملوك، اذهب فقد وهبتك لله تعالى. فودَّعها، وذهب.

ثيابهم، ودخلوا الماء فجاء الأسد، وجلس عليها فلم يقدروا يخرجون من الماء خوفًا من الأسد، فلقوا شدة من البرد، فجاء الشيخ ﷺ وزجر الأسد وقال له: ما قلت لك: لا تتعرض لضيفاني فبصبص الأسد بذنبه وانصرف، فقال لهم الشيخ: أنتم اشتغلتم بإصلاح الظاهر، فخفتم من الأسد، ونحن اشتغلنا بإصلاح الباطن فخافنا الأسد.

ومن المشهور أن السباع كانت تأتي سهل بن عبد الله ﷺ: فيدخلها بيتًا ويطعمها ويسقيها ويخليها، فكان الناس يسمون ذلك البيت بيت السباع.

قال الشيخ أبو نصر السراج ﷺ: رأيت أهل تستر كلهم متفقين على هذا لا ينكره أحد ويرويه الجم الكثير. إلى أن قال المصنف –رحمه الله تعالى–[1]:

قال: وكذلك المخدَّة التي شوهدت تروِّح للسيد الجليل الولي الكبير العارف بالله تعالى إبراهيم بن أدهم بالنرجس وهو نائم في البستان.

والظبية التي كانت تأتي لبعضهم ليشرب لبنها بالبراري، والطيور التي تؤانسهم في الجبال والقفار، وتحمل إليهم أنواع الثمار، وغير ذلك مما امتلأت

---

(١) وكذلك الحكاية المشهورة عن الشيخ إبراهيم الخواص مع الأسد الذي جاء يعرج فوضع يده في حجره فرآها وارمةً، فنعسها بعود، وأخرج منها قيحًا، فذهب الأسد وجاءه بعد ساعة ومعه شبلان فبصبصا له وحملا إليه رغيفين، وذلك في البرية، وهذه الكرامة اشتملت على كرامات كثيرة: منها قصد الأسد إليه، واستئناسه به، ومدّه يده إليه، ووضعها في حجره، والتماسه منه لقشها، وإخراج القيح منها، وعوده إليه، وإتيانه بوالديه كالمتودِّد إليه والشاكر له على جميله، وحمله إليه الرغيفين كالمُجازي له، وإحضار الخبز في موضعٍ لا يوجد فيه مع كون محضره ليس من أهل الخبز.

قال: والمرجوع في هذا كله إلى أصلٍ يجب الإيمان به، وهو أن الله على كل شيءٍ قديرٌ، وليس الخارق للعوائد بمستحيلٍ في العقل كما تقدَّم، ولا ملتبس بالمعجزات والسحر للفرق بين ذلك. نقله الكردي عن اليافعي في الانتصار (ص٩٦).

من السير منه الكتب المعتمدة من كتب الحقيقة، وإنما نبهت على قطرة من بحار عميقة.

وعلى الجملة فالدنيا كلها تتصور لهم في صورة عجوز تخدمهم، وأعظم من ذلك وأفضل طواف الكعبة المعظمة لكثير منهم، وكل ذلك مشهور ومذكور بالأسانيد الصحيحات، والمشاهدات الواقعات المستفيضات.

ومنها ما اشتهر في بلاد اليمن عن الفقيه إسماعيل الحضرمي المتقدم ذكره في النوع الثاني ﷺ أنه قال يومًا لخادمه وهو في سفر: قل للشمس تقف حتى نصل إلى منـــزلنا، وكان في مكان بعيد، وكان قد قرب غروبها فقال لها الخادم: يقول لك الفقيه إسماعيل قفي له حتى يبلغ مكانه فتوقفت حتى بلغه ثم قال الفقيه: ﷺ لخادمه: ما تطلق ذلك المحبوس فأمرها الخادم بالغروب فغربت وأظلم الليل في ساعته.

ومن طاعة الجانّ له ما رُوي مسندًا في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني: أنه جاءه بعض أهل بغداد، وذكر له أن ابنة له اختطفت من سطح داره وهي بكرٌ عمرها ستة عشرة سنة، فقال له الشيخ: اذهب هذه الليلة إلى خراب الكوخ واجلس عند التل الخامس وخطّ عليك دائرةً في الأرض، وقل وأنت تخطّها:

بسم الله على نية عبد القادر، فإذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف من الجن على صورٍ شتى فلا يروعنّك منظرهم، فإذا كان السحر مرّ بك ملكهم في جحفلٍ منهم، فيسألك عن حاجتك، فقل له: قد بعثني عبد القادر إليك، واذكر له شأن ابنتك.

قال: فذهبت، وفعلت ما أمرني به فمرّ بي منهم صورٌ مزعجة المنظر، ولا يقدر أحدٌ منهم أن يدنو من الدائرة التي أنا فيها وما زالوا يمرون زُمَرًا زُمَرًا إلى أن جاء ملكهم راكبًا فرسًا وبيّن يديه، فوقف بإزاء الدائرة.

وقال: يا أنس، ما حاجتك؟ قلت: قد بعثني الشيخ عبد القادر إليك، فنـــزل عن فرسه، وقبّل الأرض، وجلس خارج الدائرة، وجلس من معه وقال: ما شأنك؟ فذكرت قصة ابنتي، فقال لمن معه: من فعل هذا؟ فلم يعلموا من

فعله، فأُتي بمارد وهي معه، وقيل له: هذا من مردة الصين. فقال له: ما حملك على أن اختطفتَ مَنْ تحت ركاب القطب.

قال: إنها وقعت في نفسي. فأمر به، فضرب عنقه، وأعطاني ابنتي، فقلت له: ما رأيت كالليلة في امتثالك أمر الشيخ عبد القادر. قال: نعم، إنه لينظر من داره إلى الزمرة منّا وهم بأقصى الأرض فيفرون مِنْ هيبته إلى مساكنهم، وإن الله تعالى إذا أقام قطبًا مكّنه من الجن والإنس.

أقول: وهل خرج هذا الكلام أو بعضه عن شيء يفهم من الدليل المتقدم بل كله يؤيد بعضه بعضًا(١).

---

(١) زاد الشيخ المناوي في الكواكب الدرية: **النوع الحادي عشر:** الصبر على عدم الطعام والشراب الأمد الطويل، وهو كثير مشاهد.

وفي كتاب «نشر المحاسن» عن الشيخ أبي الغيث اليمني:

أنه قال له الفقراء ذات يوم: تشتهي اللحم.

فقال لهم: اصبروا إلى اليوم الفلاني، وكان يوم سوقٍ تأتيه القوافل فلمّا جاء ذلك اليوم جاء الخبر أن قطّاعَ الطريق أخذوا القافلة، ثم جاء بعض القطّاعِ الحرامية بحَبٍّ، وجاء آخر منهم بثور.

فقال الشيخ للفقراء: تصرّفوا فيه وخلّوا رأس الثور على حاله. فتصرّفوا، وأحضروا العيش، فدعاهم الفقراء إلى الأكل، فامتنعوا.

فقال الشيخ للفقراء: كلوا، الفقهاء ما يأكلون الحرام.

فلمّا فرغوا من الأكل جاء إنسانٌ إلى الشيخ، وقال: يا سيدي، نذرتُ للفقراء كذا وكذا من الحبِّ فأخذه الحرامية. وجاء آخر أيضًا، وقال: نذرتُ للفقراء ثورًا فنُهب. فقال لهم الشيخ: قد وصل إلى الفقراء متاعهم.

وقال لصاحب الثور: تعرف ثورك إذا رأيت رأسه، قال: نعم.

فأمر الفقراء بإحضاره، فلما رآه قال هذا رأس ثوري بعينه، فَبقي الفقهاء يضربون يدًا على يدٍ ندمًا على ترك مرافقة الفقراء.

النوع الثاني عشر: القدرة على تناول الكثير من الغذاء كما نقل عن الشيخ دمرداش أن بعض الأمراء عمل له وليمة، ودعاه وجماعته فتوجه إليه وحده، فتشوش لعدم حضور الفقراء، وقال: من يأكل الطعام إنمد السماط فأكله الشيخ كله.

النوع الثالث عشر: مقام التصريف، وهو كثير في كل زمن، ولا ينكره إلا مُعاند.

النوع الرابع عشر: الحفظ عن الحرام أن يدخل الجوف، كما حُكي عن الحارث المحاسبي أنه كان إذا =

الفصل الثالث في الجواب عن السؤال الثالث:

حضر إليه طعام فيه شبهة تحرك فيه عرق، وكان المرسى يتحرك منه كل عرق.

النوع الخامس عشر: رؤية الأماكن البعيدة ما وراء الحجب فمن ذلك أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد.

النوع السادس عشر: الهيبة التي لبعضهم بحيث مات بعضهم من مشاهدته بمجرد رؤيته، كما حصل لأبي يزيد البسطامي مع ذلك الفقير، ووقع للشيخ أحمد البدوى وغيرهم.

النوع السابع عشر: **قصم الله تعالى لمن يريد بهم سُوءًا**: كما وقع لبعضهم أنه زاحم رجلاً فضربه على وجهه فطارت يده مع الضربة فأبصره رجل فشدد النكير عليه وقال له: كف بكف أن هذا لظلم عظيم فقال: و الله ما أردته، وإنما رب الجثة غار عليها.

النوع الثامن عشر: **التطور بأطوار مختلفات وأشكال متباينة**:

ومنه ما وقع لقضيب البان الموصلي أن فقيها أنكر عليه لكونه لم يره يصلي فتطور له على الفور في صور مختلفة فقال: في أي صورة من هذه الصور لم ترن أصلي! وسيجئ في ترجمته، والصوفية يثبتون عالمًا متوسطاً بين عالمي الأجساد والأرواح يسمونه عالم المثال وعالم الخيال واستأنسوا له بآية ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ ووقع أن بعض العلماء رأي فقيرا يتوضأ في المدرسة السيوفية وضوءًا مشوشًا غير مرتب، فقال: حرام عليك، فقال: لم أتوضأ إلا مرتبًا، وإنما أنت أعمي لو أبصرت لأبصرت هكذا! وأخذ بيده فأراه الكعبة والطائفين وهو بمصر.

قال في روض الرياحين: وقد سمعنا سماعًا محققًا أن جماعة شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافًا محققًا، قال: ورأيت من شاهد ذلك من الثقات الأتقياء بل من السادات العلماء.

وقال الشيخ ابن عربي: كنت أنا وصاحب لي بساحل البحر المحيط فرأيت رجلاً وضع حصيرًا في الهواء ووقف يصلي عليه فوقفت تحته وقلت:

شغل الحبيب عن الحبيب بسره ... في حب من خلق الهواء وسخّره
العارفون عقولهم معقولة ... عن كل كون ترتضيه مُطهَّره
فهم لديه مكرمون وعنده ... أسرارهم محفوظة ومحرّره

فأوجز في صلاته وقال: إنما فعلت ذلك لهذا المنكر الذي معك وأنا الخضر.

قال ابن عربي: ولم أكن أعلم أن صاحبي ينكر كرامات الأولياء فقلت له: أكنت تنكر؟ قال: نعم وما بعد العيان إلا الإذعان!. والأخبار في ذلك كثيرة، وإنما ذكرنا هنا جملة مجملة.

أما الفرق بين الكرامة والمعجزة، فقد قدَّمتُ أقوال علماء الأصول أن الفرق بينهما إنما هو تحدي النبوة، فدلَّ ذلك على جواز استوائهما في جميع خوارق العوائد، وقد صرحوا بذلك كما قدمناه، ودعواهم تحدي النبوة احترازًا من تحدي الولاية، فإنه لو اقترن الخارق للعادة بدعوى الولاية جاز على الصحيح عند المحققين خلافًا للقول الضعيف المتقدم ذكره في الفصل الثاني، واعلم أنهم لا يتظاهرون بالكرامات إلا لأمور مهمة ذكرتها في كتاب «روض الرياحين»: وقلت هناك: يجب على النبي أن يتحدى بها ويظهرها، والكرامة يجب على الولي أن يخفيها ويسترها إلا عند الضرورة أو إذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار أو لتقوية تعين بعض المريدين، وهذا الاستثناء لا بد منه أقول ينظر ما أحسن ما جمع كلام هذا المحقق من التوفيق بين جميع عبارات علماء مذهبنا المتقدم ذكرهم لا سيما ما قاله الشيخ شارح منظومة الأوشي وغيره: من أن الولي لا يقدر على إظهار الكرامة في كل وقت.

ومن قوله: لا يجوز له أن يظهرها إلى غير ذلك مما اطلعت عليه بتوفيق الله تعالى، فيحل ذلك على فعله لغير حاجة أو لأمرٍ مذموم لا يجوز له فعله، وإما لأمر مطلوب نحو ما ذكره الشيخ هنا، فإنه له إظهار الكرامة لأجل ذلك أو إذن أو حال لا دخل له فيه؛ إذ علة الكرامة تحصيل فائدة لمن يطلع عليهن، ولا تحصل الفائدة إلا بإظهارها، وهم لا يظهرونها إلا لخير يحصل منها، فمتى علم الولي بذلك أظهرها بقدرة الله تعالى، ولا شكَّ في ذلك.

وهذا وجه قول الشيخ -رحمه الله تعالى- وهذا الاستثناء لا بد منه؛ إذ لو قلنا بأن الولي لا يجوز له أن يظهرها مطلقًا لتعطلت الفائدة، ولم يكن في كونه صاحب كرامة ثمرة، وإذا أخفاها أيضًا من أين يعلم أنه ولي وأن الله أكرمه بهذا؟ فلا يحصل اختلاف في عباراتهم المتقدمة، ولا تناقض فليفهم.

إلى أن قال الشيخ: والفرق بين الكرامة والسحر، فهو أن السحر لا يظهر إلا على الكفار والزنادقة والفسقة، والكرامة لا تظهر على أحد من هؤلاء.

قال إمام الحرمين -رحمه الله تعالى-: وليس ذلك مقتضى العقل، ولكنه

مقتفى من إجماع العلماء إلى أن قال المصنف:

واعلم أن دلالة المعجزة على النبوة قطعية، والأنبياء معصومون، ويعلمون أنهم أنبياء، ودلالة الكرامة على الولاية ليست بقطعية بل ظنية، وليس الأولياء معصومين نعم قد يكون بعضهم محفوظًا من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، وهذا نادر عزيز منهم، وأما الغالب فقد يقع منهم بعض الصغائر مع عدم الإصرار عليها.

قال الإمام أبو القاسم القشيري ﷺ: فإن قيل هل يكون الولي معصومًا قيل: إما وجوبًا كما يقال في الأنبياء فلا، وإما أن يكون محفوظًا حتى لا يصرّ على الذنوب، وإن حصلت هيئات أو هَفوات أو زَلات فلا تمنع ذلك في وصفهم، ولا يعلمون أنهم أولياء على أحد القولين؛ لأن ذلك يخرجهم عن الخوف.

واختار الأستاذان أبو علي الدقاق، وأبو القاسم القشيري ﷺ أنه يجوز أن يعلم بعضهم أنه ولي، والذي يجدون في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه وتعالى يزيد ويربي على كثير من الخوف.

الفصل الرابع في الإجابة عن السؤال الرابع:

أقول وبالله تعالى التوفيق: لا شكَّ أن الكرامات قد ظهرت في زمان الصحابة وكثرت ولكن ظهورها فيما بعد أكثر، وقد قدمت في الفصل الأول بعض ما ظهر منها في زمنهم منهم الإمام الأعظم والخليفة المقدم أبو بكر الصديق، والإمام عمر الفاروق، والإمام سعد، والإمام سعيد، والإمام عبد الله بن عمر، والإمام أبو الدرداء، والإمام خبيب، والإمام عمران بن الحصين، وكذلك الأئمة أسيد بن حضير، وعبّاد بن بشر، والعلاء بن الحضرمي-رضي الله عنهم- وقد ذكرت في مقدمة كتاب: «روض الرياحين» أن منكرًا من المنكرين لكرامات الأولياء والصالحين لو رآهم يطيرون في الهواء لقالوا: هذا سحر، وقالوا: هؤلاء شياطين، ولا شك أن من حرم التوفيق وكذب بالحق غيبًا، وحديثًا كذّب به أيضًا عيانًا وحسًا كما قال الله العظيم وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧] وليس العجب ممن ينكر الكرامات من المعتزلة.

وأما العجب من قوم ينكرونها، وهم ينتمون إلى أهل السنة إلى أن قال: وبلغني أن ابن الجوزي -عفا الله تعالى عنه- صنف كتابًا سماه «تلبيس إبليس» تكلم فيه على مشايخ الصوفية وطريقتهم، وزعم أن إبليس لَبس عليهم ولم يدرِ أنه ليس عليه هو في كلامه هذا، وهو لا يشعر(١).

والعجب كل العجب منه في إنكاره على سادات ما بين أبدال وأوتاد وصديقين، وعارفين بالله تعالى محققين قد ملئوا الوجود كرامات وأنوار، وصفوا بواطنهم من شوائب الكدور، واستووا في بدايتهم عمَّا سوى الله تعالى، فحصلوا في نهايتهم من فضل الله تعالى ما لا يعلمه إلا الله جل جلاله، فما ظنه بقوم ضبطوا أنفاسهم مع الله تعالى، فشغلهم طول دهرهم بمراقبته فيقول الصغير منهم: وقفت على باب قلبي عشرين سنة ما جاز به شيء لغير الله تعالى إلا رددته إلى أن قال: أما عُلم أن أعلام العلماء الصالحين الحكماء لم يزالوا قديمًا وحديثًا يعتقدون طائفة الصوفية ويزورونهم ويتبركون بمجالستهم ودعائهم وآثارهم، ويخدمونهم ويجلسون بين يدي الواحد منهم كما يجلس الصبي بين يدي المعلم، ويتأدبون معهم كالإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل، والإمام سفيان الثوري، والإمام شريح، والإمام ابن فورك، وإمام الحرمين، والإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، والإمام عز الدين بن عبد السلام، والإمام تقي الدين ابن دقيق العيد، والإمام محيي الدين النواوي -رضي الله عنهم- وغيرهم ممن لا يحصى من المتقدمين والمتأخرين في حكايات مشهورات، فذكرت بعضها في غير هذا الموضع إلى أن قال:

---

(١) قلت: وبالرغم من عظم مكانة ابن الجوزي، وزهده وعلمه، الظاهر والباطن، إلا أن إبليس لَبَّس عليه في كتابه هذا، وما ارتضى كتابه هذا أحدٌ من أهل الله أبدًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من ذلك ما أخبرني بعض أهل العلم والصلاح أنه كان في بعض البلاد التي يعرفها بعض المشايخ يكثر من السماع مع فقرائه فاجتمع جماعة من أهل البلد، واجتمع رأيهم على مكيدة يكيدونهم بها فصنعوا لهم طعامًا، وجعلوه في دار هي خراب، ودعوهم بعد صلاة العشاء إلى تلك الدار يوهمونهم الإكرام بذلك الطعام، ومرادهم إهلاكهم بوقوع الدار عليهم بالانهدام، فلما دخلوها تباعد عنهم أهل البلد، ولم يقربهم أحد لكيلاً يهلكوا معهم فأكلوا الطعام، وباتوا يستمعون إلى الصبح، وأصحاب الكيد مطلعون إلى وقوع الدار عليهم، فلما صلوا الصبح جلسوا يذكرون الله تعالى إلى طلوع الشمس، ثم ركعوا وخرجوا، فلما تكامل خروجهم التفت الشيخ إلى الدار، وقال لها: هذا وقتك فوقعت الدار بعد خروج الأخيار على رغم أهل الكيد الأشرار، وأثمر لهم الكيد الخائب ثلاث مصائب: خسران الطعام، وخسران دارهم بالانهدام، وخسران دينهم بعظيم الآثام.

ومن ذلك ما جرى لأحد الأمراء مع أحد الشيوخ في بلاد اليمن، وذلك أن أميرًا استأذنته امرأته إلى الخروج من بيته ذات ليلة فأذنها، ثم تبعها إلى أن جاءت إلى موضع سماع الشيخ وفقرائه، فرأى النساء قريبًا من الفقراء، فقام بالإنكار على الشيخ، وقال: هؤلاء التاركون الفاعلون يستمعون، والنساء عندهم، ثم إنه أخذه حرقان البول، فتنحى إلى مكان ليبول فيه، فوجد فرجه فرج امرأة، فعرف من أين أتاه ذلك، ثم وقف حتى تفرق الناس، وهو محزونٌ متحيرٌ في أمره، فوقف الشيخ عليه، وقال له: هكذا يكون الفقراء إذا جلس عندهم النساء، فاستغفر الله تعالى من ذلك الخاطر، ودعا له الشيخ فعاد إلى حاله الأول.

قلت: ومثل هذا السماع المذكور ما يباح إلا لمثل هذا الشيخ المذكور المشكور الذي يحفظ جميع الحاضرين ببركته مع أن السماع الخالي عن المحرمات الظاهرة فيه اختلاف، وتفصيل أذكره في غير هذا الموضع.

أقول: وأي كرامة أقوى من هذه حيث كان ذكرًا فصار امرأة ثم عاد كما كان، ولا يستبعد هذا حيث كان داخلاً في الأحاديث المتقدمة، أعني قوله

الشريف: «**لو أقسم على الله لأبره**» ونحوه مما قدمناه.

قال الشيخ رحمه الله تعالى القسم الثاني من أقسام المنكرين: قوم يكذبون بكرامات أوليائهم أي: أولياء زمانهم، ويصدقون بكرامات الذين ليسوا في زمانهم، فهؤلاء كما قال الشيخ الولي الكبير العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلي ﷺ: والله ما هي إلا إسرائيلية صدقوا بموسى ﷺ، وكذبوا بمحمد ﷺ لأنهم أدركوا زمنه.

والقسم الثالث: قومٌ يصدقون بأن لأولياء الله تعالى كرامات ولكن لا يصدقون بواحد معين من أهل زمانهم، فهم لا يحرمون أيضًا لأن من لم يسلم لواحد معين لم ينتفع بأحد، ومن أنكر على الصالحين حُرم بركتهم.

قال الشيخ ﷺ: وذلك أقل عقوبة في الدنيا، ويخشى عليه سوء الخاتمة نعوذ بالله تعالى العظيم من ذلك انتهى.

القصل الخامس في الجواب عن السؤال الخامس:

أقول وبالله التوفيق: أما كثرة ظهور الكرامات واشتهارها بعد زمن الصحابة ﷺ وزيادتها على ما كان في زمنهم.

فالجواب عن ذلك ما أجاب به الإمام أحمد بن حنبل ﷺ لما قيل له: يا أبا عبد الله، إن الصحابة لم يرو عنهم مثل ما روي عن الأولياء والصالحين، فكيف هذا؟ فقال: أولئك كان إيمانهم قويًا فما احتاجوا إلى زيادة شيء يقوون به، وغيرهم كان إيمانهم ضعيفًا لم يبلغوا إيمان أولئك، فقووا بإظهار الكرامات لهم انتهى.

ثم قال المصنف: وأقول، وها أنا أزيده إيضاحًا وأقدره.

فأقول: الكرامة تشهد للولي بالصدق، وذلك يستلزم كون دينه حقًا، وكل ولي تابع لنبيه في دينه، وكون دين التابع حقاً يستلزم كون دين المتبوع حقًا كذلك، وكون دين المتبوع حقًا يستلزم صدقه فيما أخبر به من الرسالة فاستلزمت كرامة الولي صدق نبيه فيما ادعى من الرسالة، وهي فعل خارق

للعادة مستلزم صدق النبي فيما ادعى من الرسالة معجزة له فالكرامة معجزة له فهي من جملة معجزاته وهو المطلوب، وتمامه فيه.

أقول: وهذا خرج عن قول علمائنا المتقدم، وقد عرفت حقيقة الكرامة والمعجزة، والله تعالى الموفق للصواب.

قال الشيخ المصنف -رحمه الله تعالى- وأما شريعة الأنبياء فمنها ما نسخ بشريعة نبينا فهو شريعة لنا ونعمل به، وما ورد نسخه فإنه لا يكون شريعة لنا كما صرحوا به في كتب الفقه فافهم.

الفصل السادس في الجواب عن السؤال السادس:

أقول وبالله التوفيق: الصواب أنه لا يستعجل بتكفير من قال المؤمن يعلم الغيب حتى يسأل ما أراد بالمؤمن وبالعلم وبالغيب، فإنه أراد بالمؤمن المؤمن الخاص، وهو الولي دون المؤمن العام، وهو كل مؤمن، والعلم ما به يعلم بإعلام الله تعالى له لا يعلم بنفسه استقلالاً، وبالغيب بعض الغيوب لا جميعها، فإنه لا يكفر بذلك؛ لأنه جائز في كرامات الأولياء واقع لهم، وقد دلَّ على جواز ذلك العقل وشهد بوقوعه النقل، أما العقل فليس بمستحيل في قدرة الله تعالى بل هو من قبيل الممكنات، ولا قادح في معجزات الأنبياء عليهم السلام لما قدمنا من الفرق بين الكرامات والمعجزات.

وأما النقل فهو خارج عن الحصر؛ إذ لا يمكن تعداد ما نقل عن أولياء الله تعالى من الكشف في كل عصر إيماني ما كشفه الله تعالى لهم بعد أن كان عنهم مستورًا، وأشهدهم إياه بعد أن كان غائبًا عن مشاهدتهم، فأصبح طي علمه لهم منشورًا، فبعضهم أعلم وقوعه بخطاب، وبعضهم كشف له ما حال دونه من حجاب، وبعضهم أشهده ما في اللوح المحفوظ مسطورًا فأصبح علمه المجهول محفوظًا وفيما بينهم مشهورًا.

وقلت في فضلهم الذي ما زال عند الأخيار مشكورًا:

رِجَالٌ لَهُمْ عِلْمٌ بِمَا جَهِلَ الْوَرَى صَارَ مَكْشُوفًا مِنْهَا حِجَابُهُ

فَأَسْـرَارُ غَيْبٍ عِنْدَهُمْ عِلْمُ كَشْفِهَا ... وَقَـدْ سَـكِرُوا مِمّـا يَطِـيبُ شَـرَابُهُ
أُولَـئِكَ هُمْ أَهْلُ الوِلَايَةِ نَالَهُمْ مِنَ ... اللهِ فِـيهَا فَضْلُـهُ وَثَـوَابُهُ
وَقُـرْبٌ وَأُنْـسٌ وَاخْتِلَاءٌ مَعَارِفٍ ... وَفَـازُوا بِتَكْلِـيمٍ لَذِيـذٍ خِطَابُـهُ
بِتَـرْكِ الْهَـوَى أَمْسَوا يَطِيرُونَ فِي الْهَـوَى ... وَيَمْشُونَ فَوْقَ الْماءِ آمنِينَ جَنَابُهُ
مُلُـوكٌ عَلَى التَّحْقِيقِ لَيْسَ لِغَيرِهِمْ ... مِـنَ الْمَلِـكِ إلاَّ إِثْمُـهُ وَعِقَابُـهُ

وقلت: ولو أمكن جمع ما وقع لهم من المكاشفات في جميع الأشياء في كل زمان ومكان لاحتيج إلى كتب يطول عدها ويتعذر حصرها .. إلى أن قال:

ويكفي من ذلك ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام مع كون الخضر وليًا لا نبيًا عند جمهور العلماء، وعند جميع العارفين بالله تعالى، وكذلك ما قدمناه عن سيدنا أبي بكر الصديق، وسيدنا عمر رضي الله عنه وما أخبر به ﷺ من كونه من المحدثين -بفتح الدال-.

وما ورد عن السلف والخلف ما رواه خلائق في كتب الحقائق والدقائق. وصحت به الروايات، وأخبر به العلماء والثقات في رسالة القشيري، والسيد العارف بالله تعالى أبي عبد الله القرشي، وفي «العوارف» لشيخ الطريقة شهاب الدين السهروردي، وغيرهم مما لا نطول بذكرهم، فما رويناه في الرسالة المذكورة بإسناد عن الشيخ أبي يعقوب السوسي رضي الله عنه أنه قال: جاءني مريد بمكة فقال: يا أستاذ أنا غدًا أموت وقت الظهر، فخذ هذا الدينار، فأحضر لي بنصفه وكفني بنصفه الآخر، ثم لما كان الغد وقت الظهر جاء وطاف، ثم تباعد فمات فغسلته ووضعته في اللحد، ففتح عينيه فقلت له: أحياةٌ بعد موت؟ فقال: أنا حي وكل محب لله تعالى حي.

ومما رويناه عن الشيخ الكبير أبي عبد الله القرشي رضي الله عنه أنه قال: سألني الشيخ أبو الربيع عن بعض ما كنت أرى، فأخفيت عنه شيئًا فقال: عليّ تستتر والله لقد رأيتك في ظهر أبيك قبل ظهوري.

وقال الشيخ العارف بالله تعالى أبو يزيد القرطبي ﷺ: سمعت في بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار، فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد، فعملت منها لأهلي وعملت منها أعمالاً ادخرتها لنفسي، وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب يقال له: أنه يكاشف في بعض الأوقات بالجنة والنار، وكانت الجماعة ترى له فضلاً على صغر سنه، وكان في قلبي منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان إلى منـــزله فنحن نتناول الطعام، والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة فاجتمع في نفسه، وهو يقول: يا عم، هذه أمي في النار، وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر، فلما رأيت ما به من الانزعاج، قلت في نفسي: اليوم أجرب صدقه فألهمني الله تعالى السبعين ألف مرة، ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى فقلت في نفسي: الأثر حق والذين رووه لنا صادقون، اللهم إن السبعين ألف فداء هذه المرأة أم هذا الشاب، فما استتمَّ الخاطر في نفسي إلى أن قال الشاب: يا عم، ها هي أخرجت الحمد لله الحمد لله، فحصلت لي فائدتان إيماني بصدق الآثار، وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه إلى أن قال: قال أبو العباس المذكور: ورأيت من أصحاب الشيخ أبي أحمد أربعمائة شاب كلهم يكاشفون، وكلهم سن خمس عشرة سنة أو نحوها، فلما كان بعض الأيام بعث الشيخ خادمه إلي فمشيت إليه فوجدت عنده جماعة وهو يتكلم، فلما جلست أخذت أي: غبت عن وجودي، وشهدت الشيخ قائمًا على رأسي ومعه قدوم وهو يهدم في وأنا أشهد أعضائي تتفرق على الأرض إلى أن وصل إلى كعبي، ولم يبق في شيء إلا وشمله الهدم ثم أخذ يبنيني بناءً جديدًا من كعبي صاعدًا إلى أن بلغ دماغي ثم قال: ما قد استغنيت فسافر إلى بلدك فسافرت، فلما خرجت من بين يدي الشيخ انكشف لي العالم العلوي انكشافًا بحيث لا ينحجب عني منه شيء ﷺ.

قلت: **ومن إطلاع الله تعالى لهم على ما شاء من الحوادث قبل حدوثها:** ما روي مسندًا في كتاب «مناقب الشيخ الولي الكبير عبد القادر» ﷺ قال أحد أصحابه: كنت أشتغل على الشيخ محيي الدين عبد القادر وكنت أسهر الليل

أترقب حاجة له، فخرج من داره ليلة فناولته إبريقًا فلم يأخذه، وقصد الباب باب المدرسة، فانفتح له الباب فخرج وخرجت خلفه، ومشى إلى أن قرب باب بغداد فانفتح له الباب فخرج وخرجت معه، ثم عاد الباب مغلقًا، ومشى غير بعيد، فإذا نحن في بلد لا أعرفه فدخل فيه مكانًا شبيهًا بالرباط، وإذا فيه ستة نفر فبادروا إلى السلام عليه، والتجأت إلى مسامرته هناك، وسمعت من ذلك المكان أنينًا فلم يلبث إلا يسيرًا حتى سكت الأنين ودخل رجل، وذهب إلى الجهة التي فيها الأنين ثم خرج يحمل شخصًا على عاتقه، ودخل آخر مكشوف الرأس طويل شعر الشارب، وجلس بين يدي الشيخ فأخذ عليه الشيخ الشهادتين، وقص شعر رأسه وشاربه فألبسه طاقية وسماه محمدًا، وقال لأولئك النفر: قد أمرت أن يكون هذا بدلاً عن الميت، قالوا: سمعًا وطاعةً، ثم خرج الشيخ وتركهم وخرجتُ خلفه ومشينا غير بعيد، وإذا نحن عند باب بغداد فانفتح كأول مرة، ثم أتى إلى باب المدرسة، فانفتح بابها أيضًا، ودخل داره فلما كان الغد جلست بين يديه أقرأ على عادتي، فلم أستطع من هيبته فقال: أي بني، اقرأ ولا عليك، فأقسمت عليه أن يبين لي ما رأيت فقال: أما البلد فنهاوند.

وأما الستة فهم الأبدال، وصاحب الأنين سابعهم، وكان مريضًا فلما حضرت وفاته جئت أحضره، وأما الرجل الذي خرج حامل الشخص فأبو العباس الخضر عليه السلام ذهب به ليتولى أمره، وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين، فرجل من أهل القسطنطينية كان نصرانيًا وأمرت أن يكون بدلاً عن المتوفى، فأوتي به وأسلم بين يدي وهو الآن منهم وأخذ عليّ ألا أحدث بذلك وهو حي انتهى.

إلى أن قال: وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] أي للمتفرسين.

وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «**اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**[1]».

---

(١) رواه الترمذي (٥/٢٩٨)، والطبراني في الكبير (٨/١٠٢)، وفي الأوسط (٨/٢٣).

وقد روينا عن الأستاذ أبي القاسم الجنيد ﷺ عن الأستاذ أبي القاسم القشيري ﷺ أنه وقف عليه غلام نصراني منكر، وهو يتكلم على الناس في الجامع فقال: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ: «**اتَّقوا فِراسة المؤمنِ؛ فإنَّه ينظرُ بنورِ الله**»؟ فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه، وقال: أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام(١).

وسُئل أحدهم عن الفراسة فقال: أرواح تتقلب في الملكوت فتشرف على معاني الغيوب، فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة وعيان لا نطق ظن وحُسبان.

وقال الشيخ الجليل العارف بالله تعالى أبو عثمان المغربي ﷺ: العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب.

وقـــال السيد الكبير الشيخ الولي العارف بالله تعالى أبو عبد الله القرشي: «العالم من نطق عن سرك، واطلع على عواقب أمرك».

وقال أيضًا: «الولي يرى الأشياء من وراء حجاب الشرع».

وقال الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبو محمد الجُريري -بضم الجيم وبالرائين واليائين- من تحت ﷺ لجلسائه من الفقراء: هل فيكم من إذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يحدث في الملك حدث أعلمه قبل أن يبديه؟.

قال الراوي: قلنا لا فقال: ابكوا على قلوب لم تجد من الله تعالى شيئًا، وقال الشيخ العارف بالله تعالى ابن البرقي ﷺ ذات يوم: وقع اليوم في المملكة حدث لا آكل ولا أشرب حتى أعلم ما هو، فورد الخبر بعد أيام، أن القرمطي دخل ملكه في ذلك اليوم وقتل بها المقتلة العظيمة.

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١١٤/١٢)، وطبقات الأولياء لابن الملقن (ص١٢٨)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣٧٣/١)، والوافي بالوفيات للصفدي (ص١٥٥٦)، وروض الرياحين لليافعي (ص١١٣)، وروضة الحبور لابن الأطعاني (ص١١٠)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص١٧٩)، وتاريخ بغداد (٢٤٢/٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٢٨/٢).

وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي ﷺ لما ذكر كرامات الأولياء قد يعلمون بعض الحوادث قبل تكوينها إلى أن قال: وإنما قلت لا يستعجل بالتكفير المذكور في أول هذا الفصل، لأن المبادرة إلى دون ذلك غير محمودة، وصاحبها راكب متن الخطر، فكيف بالمبادرة إلى تكفير المسلمين مع عدم الاطلاع، واحتمال إرادة التخصيص وغيره، وعظم حرمة المؤمن الذي قتله بغير حق أعظم عند الله تعالى من زوال الدنيا.

وقد صرَّح الإمام أبو حامد الغزالي ﷺ بأن ترى قتل ألف نفس استحقوا القتل، أهون من سفك محجمة دم مسلم بغير حق.

قلت: ولفظ حرمة المؤمن أنه إذا صدر منه كُفر صريح تعمده، وارتد عن الإسلام لا يبادر إلى قتله بل يستتاب وجوبًا أو استحبابًا على خلافٍ في ذلك، فكيف بمن لم يعلم أنه تعمد الكفر، ولفظه محتمل وجودها من إرادة التخصيص وغيره، ويحتمل السهو أيضًا وسبق اللسان وغير ذلك فينبغي التثبت والتأني في التكفير، وسفك دماء المسلمين فليس ذلك بالهين.

وينبغي إذا نقل عن أحد لفظ ظاهره الكفر أن يتأمل ويمعن النظر فيه فإن احتمل ما يخرج النظر عن ظاهره من إرادة التخصيص وغير ذلك مما قد فرق من القاعدة الأصولية سؤال اللافظ عن مراده، وإن كان الأصل في الكلام هو الحقيقة، والعموم وعدم الإضمار وغير ذلك لأن الضرورة ماشية إلى الاحتياط في هذا الأمر، واللفظ محتمل فإن ذكر ما ينفي عنه الكفر مما يحتمله اللفظ تركه، وإن لم يحتمل اللفظ خلاف ظاهره أو ذكر غير ما يحتمله أو لم يذكر شيئًا استتيب، فإن تاب قبلت توبته، فانظر يا أخي إلى كرم هذا الرب الكريم، والغفور الرحيم الذي يقبل توبة المرتد بعد كفره، فكيف بالعبد العاصي وبه معصية دون الكفر كيف لا يبادر بالتوبة، وكيف يستعظم ذنبه فيقول: لا يغفر لي أو أنه يقول: التوبة من الذنب إذا أذنب بعد التوبة أقبح منه بسبعين مرة بعد التوبة، فلا أتوب حتى أعلم أني ما بقيت أذنب ثم أتوب بعد ذلك، فإن قوله:

هذا أمر قبيح بل عليه أنه كلما أذنب يتوب فورًا ويستغفر ربه، فإنه سبحانه وتعالى يغفر له ولا يُبالي.

وتقدم لك شروط التوبة، ثم إنه إذا أذنب بعد ذلك يتوب أيضًا وثم، وثم، وهذا هو المرضيُّ فافهم ترشد.

قال: وإن لم يتب وأصر على ذلك، فإن كان مدلول ذلك الظاهر كونه مجمعًا عليه حكم بكفره.

وقيل: مرتدًا وتترتب عليه أحكام المرتدين، وإن كان في محل الخلاف نظر في الراجح من الأدلة، فإن لم يكن في الناظر أهلية النظر في الأدلة نظر في الراجح عند أكثر المحققين من أهل النظر، فإن كان الراجح عندهم عدم التكفير ترك، وإن تعادل الخلاف أخذ بالأحوط وهو عدم التكفير.

وينبغي أن يستتاب ويهدد إن لم يتبْ وإن حكموا بالتكفير، فالحكم ما حكم به الجم الغفير.

ولكن أقول في هذه الصورة: ذل من تولى جاحدها، ومن تولى فتقهقر تقهقر الجبان، ودع التقدم للشجعان طلبًا لسلامة العواقب وخوفًا من الوقوع في المعاطب، وإن كان في ذلك السلامة راجحة والمحادثة رابحة.

وفي هذا المعنى المذكور أنشد وأقول:

وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ السَّلاَمَةُ مُرجَّحَة وإنِّــي جَبَانٌ حَيْثُ أَخْشَى عَوَاقِبَ
مَــعَ ذَلِــكَ أَنَّ الــتِّجَارَةَ رَابِحَة غَيْــرِي طَالِبٌ لِسَلاَمَتِي وَإِنْ ظَنَّ

وأقول أيضًا في هذا المعنى المذكور:

وَقَائِلَــةٌ مَالِــي أَرَاكَ مُجَنِّبًــا وَفِــي تَبَاعُدِي عَنْ أَمْرٍ مِن الأُمُورِ
فَقُلْــتُ لَهَا مَا لِي بِرِبْحِكِ حَاجَةٌ أَمْــرٌ وَفِــيهَا لِلْــتِجَارَةِ مَــرْبَحٌ
فَنَحْنُ أُنَاسٌ بِالسَّلاَمَةِ نَفْرَحُ

قلت: وهذا مذهبي الذي أميل إليه وأقول به واعتمد، عليه وهذه الخيانة التي ذكرت إنما أراها محمودة في الأخطار الدينية، وأما الأخطار الدنيوية المفضية

إلى سلامة الدين، وسعادة الأبد، وشرف الدارين، فإني أرى الخيانة منها مذمومة، وأندب إلى الشجاعة فيها غيري، وإن لم أزل جبانًا في كل شيء فهو معروف، وأنا معترفٌ بتقصيري كما قلت في بعض القصائد:

فَجَـدُ الْعُــلاَ مَــا نَالَــهُ غَيْرُ مَاجِدٍ ... يُخَاطِــرُ بِالــرُّوحِ الْخَطِيرِ فَيَطْغَى
إِذَا ذُكِــرَتْ جَــنَاتُ عَــدْنٍ وأَهْلُهَا ... تَــذُوبُ اشْــتِياقًا نَحْوَهَا وَتَسْمَرُ
وَتَغْلُــو أَجْــوَادُ الْعَــزْمِ أَدْهَمَ سَابِقًا ... وَأَبْــيَضَ مَحْنُوبًا عَنْ النُّورِ يُسْفِرُ
فَــأَدْهَمُ يُسْــقِي مَــاءَ عينٍ وأَبْيَضَ ... يُصِــرُ عَلَــى قَطْعِ الْفَيَافِي مُضْمَرُ
وَيَــرْكُضُ فِــي مَيْدَانِ سَبْقِ أَبُو الْعَلا ... وَيَسْــرِي إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي وَيَسْهَرُ
وأَنَّــى لِي أَمْــرٌ أَنَــا فــيه ... مَــرْفُوعٌ مِــنْ غَيْرِي إِلَيه وَأَفْقِرُ

قلت في أخرى في هذا المعنى:

فَمَــا فَازَ بِالْمَجْدِ الأَثِيلِ مِنَ الوَرَى ... سوَى مَن لَّدَى الأَهْوَالِ بِالنَّفْسِ يَسْمَحُ
فَإِمَّــا جَــبَانُ الــنَّفْسِ عِــنْدَهُ ... فَــذَاكَ الَّــذِي بِالذُّلِّ يُمْسِي وَيُصْبِحُ
تَعَــرَّضَ لِــنَفَحَاتِ الإِلَــهِ وَمَا بِهِ ... أَدَامَ قَــرْعَهُ فَالــبَابَ لاَ شَــكَّ يُفْتَحُ

وقلت في أخرى:

وصَــابِرْ، فَمَا نَالَ العُلاَ غَيْرُ صَابِرٍ ... وقُــلْ: وَعْظًــا لِلــنَّفْسِ عِنْدَ التَّمَلْمُلِ
مَــعَ الصَّبْرِ إِحْدَى حُسْنَيَيْنِ تَنَالَهَا ... فَاصْــبِرْ وَكُــنْ لِلْحُسْنَى حقَّ مُؤَهَّلِ
وَتَحَمَّــلْ وَلاَزِمْ وَدَاوِمْ قَــرْعَ بَابٍ ... وَأَمِلْ، فَمَا خَيَّبَ الْمَوْلَى رَجَاءَ مُؤملِ

انتهى والله أعلم.

الفصل السابع في الجواب عن السؤال السابع:

أقول وبالله تعالى التوفيق:

أما الجواب عن الآية المذكورة في الأسئلة قبل الفصل الأول، فالعلم من

حيث الجملة على قسمين: قسم علمه العالم بغيره، وقسم علمه بنفسه.

والقسم الثاني منهما أيضًا على قسمين: قسم شاركه في علمه غيره من الخلق، وقسم لم يشاركه فيه مخلوق.

والقسم الثاني من هذا التقسيم الثاني أيضًا على قسمين: قسم تجوز فيه الشركة، وقسم تمتنع الشركة فيه.

فهذه أربعة أقسام في العلم: علم علمه بغيره، وعلم علمه بنفسه مع امتناع الشركة فيه، مثال القسم الأول: علمه الأنبياء والأولياء بإعلام الله تعالى لهم وعلمت بإعلامهم لنا.

ومثال القسم الثاني: علم المعتبرين في الوجود قبل بعثة الأنبياء بأن له صانعًا متصفًا بصفات الجمال.

ومثال القسم الثالث: علم الواحد من الخلق دون سائرهم ببعض الأشياء كموت زيد مثلاً.

والقسم الرابع: هو علم الله سبحانه وتعالى، وهو العلم الذي به جلاله واستحال فيه شريك بوجه وعلمه بإعلام أحد، بل هو صفة من صفاته القديمة الأزلية الأبدية المتنــزهة عن التغير والبطلان وسمات الحدث والنقصان، وهو علم واحد علم به جميع المعلومات الكليات منها والجزئيات، ما كان منها وما سيكون مما جاز أن يكون لو كان كيف أن يكون ليس، وما لا يكون بضروري ولا كسبــي ولا حادث، خلافًا لعلم سائر الخلق المعرضين للحوادث، وإذا علم هذا، فاعلم أن علم الله سبحانه وتعالى المذكور المنــزه عن الغفلة والعيب هو العلم الذي تمدح به سبحانه حيث أخبر في الآية المذكورة بتفرده بعلم الغيب؛ إذ هو صفة كمال لا يجوز أن يتصف بها غيره.

فأما علم الأنبياء والأولياء فذلك بإعلامه لهم، لا بصفة لهم اقتدروا بها على الاطلاع على الغيب استقلالاً، فإذا امتنعت مشاركتهم له تعالى في العلم المذكور، فلا يعلم الغيب إلا هو، وإذا أعلمهم بغيب لا يُقال أنهم يعلمون الغيب؛ إذ ذاك ممتنع لوجوه أحدها: إنهم ليس لهم صفة يقتدرون بها على

الاستقلال بعلم الغيب كما تقدم، والثاني: إنهم ما عَلموا، بل عُلِّموا، الثالث: إنهم ما علموا غيبًا غائبًا عن كل أحد؛ إذ ليس ذلك غائبًا عن الله تعالى، ولا عن من أطلعه الله سبحانه وتعالى عليه من عباده؛ إذ علم ما غاب عن كلٍ ما سواه من غير إعلام غير له تعالى عن ذلك، بل علم جميع المعلومات استقلالاً إذا تقرر هذا، فإعلام الله سبحانه وتعالى للأنبياء عليهم السلام والأولياء- رضي الله عنهم- ببعض الغيوب ليس بممتنع؛ إذ ليس بمستحيل في العقل خرق العادة بذلك ولا يؤدي إلى مشاركتهم له فيما تفرد به من العلم المذكور الذي به تمدح واتصف في أزل الآزال، ومدح ووصف به وسائر صفات الكمال، ولا يؤدي أيضًا إلى التباس كرامات الأولياء بمعجزات الأنبياء لما قدمناه من الفرق بينهما في الفصل الثالث، وقد أخبر خلائق كثيرة غير الأنبياء بموتهم في أمكنة وأزمنة معينات، وغير ذلك من الأمور المغيبات، ووقع ذلك على وقف أخبارهم كما قدمناه في الفصل الذي قبله مما هو مشهور عندهم وثابت بالأسانيد الصحيحات في الكتب العديدات المرويات ومعلوم بالعيان والمشاهدات على وجه لا يمكن جحده، ولا دفعه بتأويلات، ولا غيرها بسائر الاحتمالات، وذلك معدود من جملة الكرامات التي هي من تتمة المعجزات.

وقد قال الإمام محيي الدين النووي ﷺ في «فتاويه» في معنى الآية المذكورة: أي لا يعلم ذلك استقلالاً وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله سبحانه وتعالى، وأما المعجزات والكرامات فبإعلام الله تعالى لهم علمت، وكذا ما علم بإجراء العادات انتهى كلامه رحمه الله تعالى وفيه الكفاية والله سبحانه وتعالى أعلم وهو ولي التوفيق والهداية.

الفصل الثامن في الجواب عن السؤال الثامن:

أقول وبالله التوفيق: لا يلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل من كل من ليس له كرامة منهم، بل يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة؛ لأن الكرامة قد تكون تقوية تعين صاحبها ودليلاً على صدقه، وعلى فضله لا على أفضليته وإنما الأفضلية، تكون لقوة اليقين، وكمال المعرفة بالله تعالى، فكل من كان أقوى يقينًا، وأكمل معرفة كان أفضل.

ولهذا قال قطب العلوم وتاج العارفين سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد ﷺ قد مشي رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش أفضل منهم يقينًا[١].

وقال أيضًا: اليقين هو استقرار العلم الذي لا يتقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب[٢].

وقال أيضًا: اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب[٣].

وقال: قطب مقامات اليقين وحجة الله تعالى على العارفين أبو محمد سهل ابن عبد الله ﷺ في فضل «اليقين المكاشفة».

ولذلك قال بعض السلف: لو كشف الغطاء ما زدت يقينًا ثم المعاينة والمشاهدة.

وقال أيضًا: حرام على قلب شم رائحة اليقين، وفيه سكون إلى غير الله تعالى.

قلت: ولأن الكرامة قد تقع لكثير من المحبين والزهاد، ولا تقع لكثير من العارفين، والمعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين، وأفضل من الزهد عند الكل؛ لأن الزهد من أوائل المقامات، والمحبة أول الأحوال التي هي بعد مجاوزة المقامات، وفي فضل المعرفة على الزهد.

قال قطب الأحوال كبير الشأن أبو يزيد البسطامي ﷺ: العارف طيار والزاهد سيار وزاد غيره، وأنى يلحق السيار بالطيار.

وقال: معدن المعارف ولسان الحكمة صاحب الكرامات الجمة.

أقول: هو الولي الكبير صاحب الكرامات والتفضيل ملجأ الملهوف، وغوث المكشوف صاحب الرتب العلية، والمقامات الثنية السيد سيدي ذو النون المصري ﷺ وأرضاه ونفعنا به والمسلمين الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين.

---

(١) انظر: الرسالة (٣٩٤/١)، وطبقات الصوفية (ص١٦٣)، وكتابنا «الجنيد» (ص١٩٦)..

(٢) انظر: الرسالة (٣٩٢/١)، والكواكب (٥٨٠/١)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص١٤٨).

(٣) انظر: الرسالة (٣٩٣/١)، والكواكب (٥٨٢/١)، وكتابنا في الجنيد (ص١٩٥).

وقال أيضًا: ركضت أرواح الأنبياء في ميدان المعرفة، فسبقت روح نبينا محمد ﷺ أرواح الأنبياء عليهم السلام إلى رياض الوصال.

وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه: العارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت، وقيد المعرفة توجب التعظيم، كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم.

وقال أحدهم: المعرفة إطلاع العبد على الأسرار بمواصلة الأنوار.

وقال الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبو بكر الشبلي رضي الله عنه: لا يكون لغيره لاحظًا ولا لكلام غيره لافظًا، ولا يرى لنفسه غير الله حافظًا إلى أن قال: وقد روينا عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى الشهير بسمنون المحب رضي الله عنه أنه كان يقدم المحبة على المعرفة خلافًا للجمهور.

وروينا عنه أيضًا أنه قال: فاز المحبون بشرف الدنيا والآخرة لقوله ﷺ: «المرء مع من أحب[1]».

قلت: وليس العارف بالله تعالى يخلو عن المحبة الخاصة، ولعلهم أرادوا التفريق بين المحبة والمعرفة في التفصيل بينهما أن بعضهم يغلب عليه سكر المحبة وشدة الهيمان والوله، وبعضهم لا يغلب عليه ذلك بل يغلب عليه المشاهدات بظهور الأسرار والمعارف، وكثرة التجليات مع اعتدال حاله في المحبة في غالب الحالات، فيكون أكثر معارف من الأول، والأول أشد ولهًا واصفرارًا وسكرًا، ولهذا قال بعضهم: المحبة سُكْر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه.

وقال المحققون منهم: المحبة استهلاك لذة، والمعرفة شهود في حيرة وفناء في هيبة.

وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه: دفع إلي السري رضي الله عنه رقعة وقال: هذه خير لك من كذا وكذا، ومن سبعمائة قصة فإذا فيها مكتوب:

وَلَمَّا ادّعيتُ الحبَّ قالت كَذَبْتِني، فما لِي أرى الأعضاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فما الحبُّ حتَّى يلصقَ القلب بالحشا وتذبلَ حتَّى لا تُجيبَ المناديَا

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٢٨٣)، ومسلم (٤/٢٠٣١).

وتـــنحلَّ حتَّـــى لا يُبقـــي لك الهوى ســـوى مُقلـــةً تبكـــي بِها، وتُناجيا

[ثم قال: لا تصحُّ المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر: يا أنا] (١).

وقال الشيخ العارف أبو بكر الكتاني ﷺ: جرت مسألة من المحبة بمكة - حرسها الله سبحانه وتعالى أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنًّا فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظرًا إليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هويته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله، فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين إلى أن قال: وجاهل الأمر أن المعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين منهم كما تقدم.

وأما المعرفة واليقين فقد ذكر بعضهم أن اليقين يحصل عنه كمال المعرفة، فعلى هذا تتفاوت المعرفة؛ لأن اليقين متفاوت على ثلاث مراتب: علم اليقين، وعين اليقينُ، وحق اليقين.

فعلم اليقين: ما كان من طريق النظر والاستدلال، وعين اليقين: ما كان من طريق الكشف والنوال.

وحق اليقين: أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان.

وقال أحدهم: اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق، فالاسم والرسم للعوام، والعلم علم اليقين للأولياء، وعين اليقين للخواص من الأولياء، وحق اليقين للأنبياء، وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا محمد ﷺ... إلى آخر ما قاله في هذا الأمر.

الفصل التاسع في الجواب عن السؤال التاسع:

أقول: وبالله تعالى التوفيق أفضل العلماء هم العلماء بالله سبحانه وتعالى

(١) انظر: الرسالة للقشيري (٢/٦٣٤)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص٣٧٢).

الذين كشف لهم الغطاء، فشاهدوا الجمال الأسنى وسُكر المحبة للولي، وعرفوه بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، وتجلوا من صفاته بمحاسن الجلى، وشاهدوا عجائب ملكوته وغرائب حكمته، وعظيم آياته الكبرى وقبولهم من حضرة قدسه، وأجلسهم على بساط أُنسه، ولقلوبهم بصفات الجمال والجلال تجلي، وجعلها مطالع أنواره وخزائن أسراره ومعادن المعارف والحكم، وهم مصابيح الهدى، ووفقهم لصالح الأعمال، وحفظهم في الأفعال والأقوال، وصفا لهم الأحوال، وقلوبهم بذكره أحياءً من الأرجاس والأكدار طُهرًا وجلالاً، ونشر لهم أعلام ولايته، وكلأهم بحسن كلاءته، وصرّفهم في مملكته، وشوقهم إلى النظر إلى وجهه الكريم، فزهدوا في الدنيا والأخرى، وأحيا بهم الدين ونفع بهم المريدين، وجلا بهم عن القلوب الصدأ، وأغاث بهم العباد وأصلح البلاد وكشف بهم البلاء، كما قال أحد العارفين: هم الناطقون بالحق عن الحقيقة، والمرشدون إلى سلوك الطريقة، نطقوا بالحكمة من بحور تلاطمت أمواجها وثار فجاجها، فاستقرت درر التوحيد بروحها، ولاحت الأنوار على ساحتها، وانبسطت في الأقطار، وتشعشعت في الأمصار، فاستخرج منها اللآلئ الكبار، أودعوا من العلوم الدينية من جواهر الأسرار، وخرقت لهم الحجب العلوية، فارتقوا إلى معادن الأنوار، واستقروا على بساط الأنس، وكشفوا عن سر الأزلية بالإخبار، علت هممهم إلى المراتب العلوية والعلوم الإلهية والأنفاس الروحانية، فاتضح لهم العلم المصون، وانكشف لهم السر المكنون، شربت أرواحهم راح المحبة في حضرة القدس، فسكرت عند مشاهدة الجمال على بساط الأُنس، وحارت في بحار معارف الأسرار، فتنزهت في رياض مطالع الأنوار، فمنهم الأصفياء المحبوبون، والجلساء المقربون، فافهم هذا أيها السائل واصغ لما قال فيه القائل:

فأجْسَامُهم فِي الأرْضِ قَتْلَى محبةٍ ... وَأرْوَاحُهم فِي الحجب نحو العُلا تسري
فما عَرَسوا إلا بقرب حبيبهم وما ... عرجوا عن بؤس ولا ضري
هموا بهم جوالة بمعسكرٍ به أهل ... وُدِّ الله كالأنجمِ الزهري

إلى أن قال: اعلم أن العلماء إنما يُشرَّفون على قدر علومهم، فشرف العلوم على قدر شرف متعلقاتها، فعلوم المعارف المتعلقة بالله تعالى وأسمائه وصفاته أشرف العلوم، وأصحابها أشرف العلماء، وبعدها علم الفقه، لتعلقه بأحكام الله سبحانه وتعالى وشرعه الذي يتعبد به عباده.

واعلم أن جميع العلوم وسيلة إلى هذين العلمين المشتملين على معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة عبادته؛ لأن الخلق إنما خلقوا لمعرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة عبادته كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ثم العبادة تفتقر إلى معرفة المعبود ومعرفة كيف يُعبد.

وقول أحد المفسرين: «يعبدون» أي يعرفون، فذلك يتضمن العبادة أيضًا؛ لأن من عرف الله تبارك وتعالى عرف وجوب طاعته وعبادته، إذا عُلم هذا، فاعلم أن معرفة كثير من العلوم وسيلة إلى معرفة علم الفقه، ومعرفة الفقه وسيلة إلى معرفة العمل، ومعرفة العمل وسيلة إلى العمل، والعمل وسيلة إلى طاعة الله تعالى والقرب منه سبحانه، وذلك هو المقصود، فمن استعمل هذه الوسائل على وجهها المراد منها وصل إلى المقصود، قطع بغاية المراد، وعناية الشرف المحمود، ومن جعل مقصوده بعض الوسائل كمن اتخذ علمًا ليماري به ويجادل واشتغل به عن المقصود فهو الجاهل؛ لأن العالم في الحقيقة هو العامل.

فيا خسارة من باع منا آخرته بدنياه باذلاً الجواهر بالنحاس!

ويا ويح من ضيع أوقاته وأنفاسه النفاس!

ويا خيبة من أفنى منا عمره في التشدق بكثرة الفضول والمراء والجدل خاليًا عن خوف الله تعالى والعلم النافع والعمل!

ويا مصيبة من عدّ نفسه من جملة العلماء والصالحين أولي الرتب أولي الألباب، وليس يدري أهو معدود منهم، أو من المشبهين بالحمار والكلب في نص الكتاب، القانعين من العلم بالقشر الخالي عن اللباب، المعرضين عن اكتساب الخير ومتعرضين للمقت والعقاب!

نعوذ بالله تعالى الكريم من مكره وسخطه وعذابه الأليم.

واعلم أن علوم المعارف التي ذكرت أنها أشرف العلوم، وهي علوم لا تنال بالكسب، وإنما تنال بالوهب، فهي أفضل العلوم وأصحابها أفضل العلماء، فإن كنت ممن ينكر ذلك وتقول: لا يسلم، وما الدليل على ذلك، وكيف صفة هذه تقوم؟ فاعلم أنني وأنت ممن لم يلح له أنوار تلك الحضرة، ولم نشرب من راح الهوى، ولم يشم هنالك رائحة الخمرة، وممن لم يكن لمشاهدة تلك المشاهدة حضر، فيستغني بالغياب عن الخبر، وممن يحق له أن يعظم أسفه ويطول وينشد طول دهره ما أقول: فيا أسفاه! يا حسرتاه! يا مصيبتاه! ويا ضيعة الأعمار! سوق المواسم كما لم يكن كالغير [.........[1]] فاتنا كل المنى والمكارم، ونموت ولم ننظر جمال جلاله، ولم ندر طعم الحب مثل البهائم، فلو شاهدت ذاك الجمال عيوننا سكرنا وغبنا عن جميع العوالم [......[2]] من شراب محبة، وباح بمكتوب الهوى كل هائم، ويكشف حجاب عن عجائب قدره ونور وأسرار وطيب تنادم، فما العيش إلا ذاك لا عيش غيره، وليلى ولا سلمى ولا أم سالم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فأما ما طلبت من الدليل فأقول وبالله تعالى التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل: الأدلة عن ذلك كثيرة، وأقتصر منها على ستة: ثلاثة من المعقول، وثلاثة من المنقول.

الدليل الأول من المعقول: إن العلوم والمعارف اللدنية تخص بها الولي والصدّيق، والعلوم الظاهرة ينالها الصالح والزنديق.

قال الإمام شيخ الإسلام أستاذ الطريقة الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة السيد الجليل الإمام العارف بالله تعالى شهاب الدين السهروردي –قدس الله تعالى روحه– في كتاب «العوارف»: وننبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد

(١) ما بين [ ] غير واضح بالأصل.

(٢) ما بين [ ] غير واضح بالأصل.

العلماء أن العلوم كلها لا يبعد تحصيلها مع محبة الدنيا، والإخلال بحقائق التقوى، وربما كان محبة الدنيا عونًا على اكتسابها؛ لأن الاشتغال بها شاقّ على النفوس، وجبلت النفوس على الجاه والرفعة إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى محبة الكلف وسهر الليالي والصبر على الغربة والأسفار، فتعذر الملاذ والشهوات، وعلوم هؤلاء القوم -يعني الصوفية رضي الله عنهم- لا يحصل مع محبة الدنيا ولا ينكشف إلا بمجانبة الهوى، ولا يدرس إلا في مدرسة التقوى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] انتهى كلامه.

والدليل الثاني: إن فضل العلم على قدر انتفاع صاحبه ونفعه لغيره، ولا شك أن العارفين بالله تعالى هم الذين انتفعوا ونفعوا حقًا وصدقًا، وبيان انتفاعهم ونفعهم إذا بسطناه احتجنا إلى تصنيف كتب كثيرة، ويكفي من ذلك نبذة يسيرة، فيكفي من انتفاعهم تطهير قلوبهم، وتزكية نفوسهم حتى امتلأت قلوبهم بمحبة الله سبحانه وتعالى، فأقبلوا على الله تعالى وأعرضوا عمّا سوى الله وسلموا نفوسهم لله، ولم يختاروا غير ما اختار لهم الله، وتلذذوا ببلاء الله وسكروا بمحبته وغابوا عمّا سواه، وسكرنا نحن بمحبة الدنيا، وغفلنا عن المولى سبحانه وتعالى ومع هذا يحكم علينا.

وأما نفعهم للغير فبهم يغيث الله تعالى العباد في جميع البلاد، ويدفع بهم، وإلا لفسدت الأرض لظهور الفساد، ويوجد بهم إقامة الدين وقضاء حوائج المسلمين، ويرشد بهم المريدين إلى السلوك في مقامات الدين، والقرب من رب العالمين، والبعد عن الغفلة والفسوق واستحواذ الشياطين، وصدور النفع عنهم قد بلغ في الكثرة، واشتهر مبلغًا خارجًا عن الحصر والتعداد مغنيًا عن الاستدلال والاستشهاد، ويكفي ما جاء عنهم من الحكايات بصحيح الروايات الصادرات عن العيان والمشاهدات المستفيضات في كثير من الجمعات.

أقول: وهؤلاء القوم الأئمة الكبار الأولياء بالأقطار أعين من صنف

الكتب ودوها ونقل كراماهم وبيَّنها، وذكر أدلتها بالكتاب والسنة وفضلها وثبوهًا حياةً ومماتًا ووضحها فجعل يشك في هذا شاك أو ينكره بعد توضيحه وتصحيحه.

والعجب ممن يطلب دليلاً على إثبات كراماهم بعد الممات، ولم يكتف بنقلهم هذه الحكايات -فضلاً عن الأحاديث والآيات- لأني أقول: هل ما علمناه بالأدلة الواردة من الكتاب والسنة لسماعنا ممن تكلم بها أولاً لا غير، أم نقلت لنا ممن رواه لمن قبلنا بخير، ثم من بعدهم طبقة بعد طبقة وجيلاً بعد جيل إلى أن وصل إلينا بالدليل وهلمَّ جرًّا تداوله الأمة، وثبتت عليها بيقين إلى أن يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وكل ذلك منقول لنا في الكتب عن الأكابر أولي الرتب.

ثم أقول أيضًا: من الأدلة المشهورة وهو ما ثبت لنا بخبر الأحاديث حتى نقله قومٌ لا يتوسم تواطؤهم على الكذب، فيجب العمل به.

ومنها المتواتر، وهو ما رواه قوم لا يحصى عددهم، ولا يتوهم تواطؤهم على الكذب للعمل به أيضًا إلى غير ذلك من سائر الأدلة المصرح بها في كتب الأصول، وهذه الحكايات عنهم والأخبار المسندة إلى هؤلاء الأئمة العلماء العاملين بلغت حد التواتر أو قربت منه- كما قال هذا المصنف في أول ترجمته وغيره- لأنهم لا يتوهم تواطؤهم على الكذب، ولا يحصى عددهم، ولا يشك في ذلك.

وأما اشتهارها فلا كلام فيه، ويكفينا دليلاً اشتهارها فضلاً عن تواترها؛ إذ لنا العمل بالشاهد حتى في تخصيص النص القرآني كحديث العسيلة كما قدمناه، ولا يخرج هذا عن قواعد الفقهاء والعلماء، وليس هذا مخالف للشريعة الظاهرة، بل كل هذا الذي صرحنا به، ونقلناه عنهم كما رأيته مفصلاً وموضحًا على قانون الشريعة إجماعًا، والعمل بالشريعة من الواجبات.

ومنه الإيمان بكراماهم بعد الممات.

وأيضًا يعمل بالأحاديث الضعيفة للإسنادات في فضائل الأعمال للمثوبات، فعلى تقدير عدم تسليم كون هذه الحكايات من المتواتر أو المشهورات وأنها تنـــزل منـــزلة الصحيحات والضعيفات، فيكون الإيمان بكراماتهم بعد الممات من المسنونات إذا عرفت هذا وآمنت بالكرامات حصل لك السعادات والإمدادات، وربما لحظك رب البريات لمحة كلمحاتهم ببركة من بركاتهم.

وإياك والإنكارات لكراماتهم بعد الممات، فيُخشى عليك الخطرات أو الهلكات؛ إذ هذا بحر عميق، والمخاطرة فيه ضِيق.

ونسأل الله سبحانه وتعالى السلامة إلى لقائه، والكرامة لنا ولكم في دار السلامة.

ثم عن الشيخ –رحمه الله تعالى– أطال في ذكر كرامات الأولياء وأكثر، ومنها ما حذفناها للإطالة إلى أن قال:

منها ما روي مسندًا في كتاب القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ عن الشيخين أبي عمر عثمان الصيرفيني، وأبي محمد عبد الحق الحريمي، قالا: كنا بين يدي الشيخ محيي الدين عبد القادر ﷺ بمدرسته في يوم الأحد ثالث صفر سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فقام وتوضأ في قبقاب له، وصلّى ركعتين فلما فرغ منهما، صرخ صرخة عظيمة وأخذ فردة من قبقابه ذلك ورمى بها في الهواء فغابت عن أبصارنا، ثم صرخ أخرى ورمى بالفردة الأخرى فغابت عن أبصارنا، ثم جلس فلم يتجاسر أحد على سؤاله، ثم بعد ثلاثة وعشرين يومًا قدمت قافلة من بلاد العجم، وقالوا: إن معنا للشيخ نذرًا فناشدناه، فقال: خذوه منهم، فأعطونا مناديل من حرير، وثوبًا من خزٍّ، وذهبًا وقبقاب الشيخ الذي رمى به في ذلك اليوم، فقلنا لهم: مِن أين لكم هذا القبقاب؟! فقالوا: بينما نحن سائرون يوم الأحد ثالث صفر إذ خرجت علينا عرب لهم مُقدمان، فانتهبوا أموالنا وقتلوا منا ونزلوا واديًا يقسمون أموالنا، ونزلنا في شفير الوادي فقلنا: لو

ذكرنا الشيخ عبد القادر في هذا الوقت، فنذرنا له شيئًا من أموالنا إن سلمنا، فما هو إلا أن ذكرناه، فسمعنا صرختين عظيمتين ملأتا الوادي، فرأيناهم مذعورين، فظننا أن قد جاءهم عرب آخرون، فجاء إلينا بعضهم وقالوا: تعالوا خذوا أموالكم، وانظروا ما قد دهمنا فأتوا بنا إلى مقدميهم فوجدناهما ميتين، وعند كل منهما فردة من هذا القبقاب مبتلة، فردوا علينا أموالنا وقالوا: إن هذا الأمر لنبأٌ عظيمٌ»[1].

إلى أن قال: وكذلك القصة المشهورة للأستاذ سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد -قدس الله تعالى روحه- في توبته عن المريد الذي اسودَّ جسمه بمجرد نظر، وحديث نفس صدر منه في الصلاة، فابيض جسمه لما تاب عنه الشيخ، وكان المريد في بلاد بعيدة، فلما قدم على الجنيد ﷺ قال له: لولا أني تبت عنك لبقيت بذلك السواد إلى أن تلقى الله تعالى.

ومن أمثال هذا ما يطول ذكره بل يتعذر حصره لتعذر الإحاطة بما صدر عنهم في جميع الأوقات.

وقد قال أحدهم: لا يكون الشيخ شيخًا حتى يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ.

وقال آخر منهم منكرًا لهذا القول: لو كان شيخًا ما غفل حتى وقع تلميذه في الخطيئة.

قلت: وقد كان أحد الكبار لا يصحب أحدًا حتى يعرف حاله من اللوح المحفوظ.

والدليل الثالث: إن معرفة العبادة ليس فضلها كفضل معرفة المعبود، ولست أعني بمعرفة المعبود المعرفة العامة المشتركة التي هي العلم في لسان علماء الظاهر؛ إذ عندهم كل علم معرفة، وكل معرفة علم، وكل عالم عارف، وكل

(١) انظر: بهجة الأسرار (ص١٣٢)، وبنصه في «خلاصة المفاخر» لليافعي (ص١٧٩) بتحقيقنا.

عارف عالم، ولكني أعني المعرفة الخاصة المختص بها الخواص أرباب المشاهدة، وهي عند القوم اجتماع أوصاف عزيزة في عبد اصطفاه الله سبحانه وتعالى، ثم تكلموا فيها، وأشاروا إليها بعبارات مختلفة ومعانيها مؤتلفة، وإلى ذلك أشار الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري ﷺ حيث قال:

المعرفة عند القوم من عرف الحق سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ثم تنقي عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله تعالى في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يحبسه إلى خواطر تدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق بحسبان، ومن آفات نفسه بريئًا ومن الساكنات والملاحظات نقيًّا ودام في السر مع الله تعالى مناجاته وترقب لحظه رجوعه إليه، وصار محدّثًا من قبل الحق سبحانه وتعالى بتعريف أسراره، فيما تجري من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك عارفًا وتسمى حالته معرفة.

أقول: ولا يستغرب هذا الكلام، إذ قد ورد في الحديث المتقدم المصرح به في حق الإمام عمر بن الخطاب ﷺ بقوله ﷺ أنه من المحدَّثين -بفتح الدال- وقوله ﷺ: «**لو خفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه، ولو عرفتم الله حق معرفته لزالت لدعائكم الجبال**[1]».

والحديث الشريف القدسي المصرح به في «الجامع الصغير» وهو قوله: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذ بي لأعيذنه**[2]».

---

(١) ذكره الهندي في الكنز (٣/٢٧٠)، وعزاه للحكيم، وابن السني.

(٢) تقدم.

وقال ﷺ: **«علم الباطن سر من أسرار الله ﷻ، وحكم من حكم الله يقذفه في قلوب من يشاء من عباده[(١)]»**.

وقال ﷺ عن يمين الرحمن: **«وكلتا يديه يمين، رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله تعالى هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطيبه[(٢)]»**.

وقال الله تعالى: **«إذا تقرب إلي العبد شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإذا أتاني مشيًا أتيته هرولة[(٣)]»**.

فدلّ على أن لهذا الكلام أعني كلام القوم أصل في السنة فليفهم.

وقال أيضًا: المعرفة اتصال الصائر التعريف بيقين العلم، فإذا اتصل بيقين العلم، فداوم المناجاة مع الله تعالى بالقلب وحصل من الله تعالى التعريف على دوام الأوقات باختلاف الحالات، فعند ذلك تظهر أنوار المعرفة، وإذا تجرد العلم واتضحت البراهين، وانتفت الشكوك بالكلية، وحصل ثلج الفؤاد وبرد اليقين لا يسمى العبد في هذه الطريقة عارفًا حتى يحصل منه بينه وبين الله سبحانه وتعالى أحوال زائدة على العلم من فنون الكُشوفات، وصرف التعريفات وتحديث الحق مع العبد من غير سماع نطق بالجهر، والعارف يبدو إلى قلبه في ابتداء التعريف لوائح ثم لوامع ثم كشوفات وبصائر أنوار وطوالع، فالعارف كأنه يخاطبه الحق سبحانه وتعالى بكل شيء، ويلقي إليه كل خطاب، ويعوده في كل وقت بنوع تعريف ومكاشفة، وفي كل حال بسر، ثم من صفة العارف أنه لا يخلو من أحوال معلومات منها المحبة ومنها التعظيم والهيبة.

ومنها الأنس والقربة، ومنها الحياء والغيبة وإذا تحقق من ابتداء طلبته بدوام

---

(١) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٨٣/١).

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٨/١٠).

(٣) تقدم.

المراقبة وصل إلى المشاهدة والمراقبة علمه بأن الله سبحانه وتعالى يراه ويعلمه على دوام الأوقات، ثم أنوار المشاهدة تلوح في القلب، والمشاهدة غلبة نور الحق سبحانه وتعالى على القلب، وانتفاء إحساسك بك وذكرك لك وخبرك عنك، فتكون مختطفًا عن جملتك باستيلائه سبحانه عليك، فكلما زاد شهودك له زادت أجنبيتك عنك وعن الكون بالجملة، وإذا طلعت شموس العرفان استهلك في ضيائها نجوم العلوم كما قيل: لما استنار الصبح أدرك ضوءه بإسفاره أنوار ضوء الكواكب انتهى كلامه.

قلت: القائل هو المصنف رحمه الله تعالى، فلما استولى على قلوبهم سلطان المعرفة خضعوا لصفات الربوبية وتحلوا بصفات العبودية، وخرجوا لله تعالى عن نفوسهم بالكلية فرضوا بكل مقدور، وصبروا على كل بلية، بل تلذذوا بأنواع البلاء، وعدوه من جملة العطايا السنية.

والدليل الرابع وهو الأول من المنقول قوله ﷻ: ﴿**فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً**﴾ [الكهف: ٦٥].

وقول موسى ﷺ: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾ [الكهف: ٦٦].

وقوله: ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً**﴾ [الكهف: ٦٩] مع كون الخضر ﷺ وليًا لا نبيًا على الصحيح الذي اختاره جمهور العلماء، وقطع به جميع الأولياء العادة بالله تعالى، وكون سيدنا موسى ﷺ أفضل منه بلا خلاف ومفضّلاً عليه بالنبوة والرسالة والتكليم، ومع هذا رحل إليه ﷺ والتمس منه الصحبة والتعليم، فاطلع على علوم غائبات وأمور عجيبات في ضمنها آيات باهرات وكرامات ظاهرات انتهى.

والدليل الخامس: وهو الثاني من المنقول ما ورد في فضل أُويس القرني ﷺ وكونه أفضل التابعين في بعض روايات صحيح مسلم مع ما في التابعين من العلماء الكبار وهو شغله بالله تعالى وولهه بمحبته ينسبه إلى الجنون الأشرار، وقد

فوّه بشرفه وفضله رسول الله ﷺ في الأخبار المشهورات في جميع الأنصار، وأقول أيضًا:

ومن جملة ذلك قوله ﷺ لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: «**إن استطعت أن يدعو لك أويس فافعل**[1]».

والدليل السادس: وهو الثالث من المنقول ما روي عن جماعة من كبار علماء الظاهر أنهم وافقوا علماء الباطن في تفضيل علم العارفين بالله تعالى، وهو علم الباطن على علم الظاهر.

ومن جملة الجماعة المذكورين الفقيه الإمام مفتي الأنام رفيع المقام عز الدين ابن عبد السلام ﷺ صرح بذلك في بعض تصانيفه أعني تفضيل العارفين بالله تعالى.

وكذلك ما اشتهر عنه أنه حضر هو والشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلي ﷺ وجماعة من العلماء في بعض المجامع فتكلم جماعة من العلماء في حال قراءة رسالة الشيخ الأستاذ القشيري أبي القاسم ﷺ والشيخ أبو الحسن المذكور ساكت، فالتمسوا منه الكلام، فتكلم بالحكم والمعارف المشتملة على الأسرار واللطائف، فقال الشيخ عز الدين المذكور: اسمعوا هذا الكلام العجيب العزيز القريب العهد بربه، وصار يزحف إلى خلفه حتى بَعُد عن صدر المجلس إلى الباب **وقال:** وإلى شرف علمهم المشكور، أشار الأستاذ الإمام الأجل سيد الطائفة الجنيد ﷺ حيث قال: لو علمت تحت أديم السماء علمًا أشرف من علمنا هذا لسعيت إليه وقصدته.

وقال الشيخ الإمام العارف بالله تعالى شهاب الدين السهروردي –قدس الله تعالى روحه– وقد ورد في الخبر:

---

(١) رواه مسلم (١٩٦٧/٤) بنحوه.

«**فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي**[1]»، والإشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والطلاق والعتاق، إنما الإشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين، وقد يكون العبد عالمًا بالله تعالى ذا يقين، وليس عنده علم من فروض الكفاية.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة.

وقد كان علماء التابعين منهم من هو أعلم بعلم الفتوى والأحكام من بعضهم- يعني من بعض الصحابة- قال: والعلماء الزاهدون بعد الأخذ مما لا بد لهم منه -يعني فرض العين- أقبلوا على الله سبحانه وتعالى وانقطعوا إليه، وخلصت أرواحهم إلى مقام القرب فأفاضت أرواحهم على قلوبهم أنوار غيبيات بها لإدراك العلوم، وصار العالم الرباني راسخًا في العلم انتهى.

إلى أن قال: وقال الشيخ الجليل الولي الكبير بحر الحقائق أبو الغيث بن جميل ﷺ: كل عالم معلمه الله تعالى يجب عليه تعليم الخلق مما علمه الله تعالى بلا علمه ويعلمه الله تعالى لا بعلة ولا لعلة إجلالاً وتعظيمًا لجلال سبحات وجه الله سبحانه وتعالى.

وقال: إذا اختلط ماء الأمطار بماء البحار كان منه الدُّر واللؤلؤ والياقوت الأحمر قطعًا إلى أن قال: ومما يدل أيضًا على فضلهم وفضل علمهم وطريقتهم ما ثبت بالروايات الصحيحات الإسناد في سيرة الشيخ الكبير العارف بالله تعالى الشيخ الصياد ﷺ أنه قال: كان الفقهاء يقولون في أيام البداية: «يا صياد، لو عَبَدَ الجاهل ربه حتى يتقطع إربًا إربًا ما ازداد من ربه إلا بعدًا» فأبكي بكاء شديدًا، فأرى الخضر عليه السلام فيقول لي: يا صياد، إن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]، فالعلماء كل من يخشى الله تعالى.

---

(١) رواه الترمذي (٥/٥٠)، والحارث كما في زوائد الهيثمي (١/١٨٤).

قال: وكانوا يقولون لي: اقرأ في القفة وارقد الليل وكُل بالنهار، فذلك خيّر لك مما أنت عليه، فأبكي بكاءً شديدًا، فأرى الخضر عليه السلام فيقول لي: يا صياد، إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]، ولم يقل من يقرأ، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وذكر كلامًا كثيرًا مما جرى بينه وبين الفقهاء، ومراجعة السيد الخضر عليه السلام إلى أن قال: فلما أكثروا عليه [المجاحدة] قال له الخضر: يا صياد، الحق بالبرية فلما لحق بها وصاروا يرجمونه بالحجارة فعبد الله سبحانه وتعالى، وانقطع إليه ثمة إلى أن فتح الله سبحانه وتعالى عليه. قال: فلما فتح الله تعالى علي استوفيت من أصحابي- يعني الذين كانوا يضحكون عليه- ثم إن العلماء سلموا إليه حيث عَلِموا بصدقه مع الله تعالى، ثم إنه كشف للعامة الذين كانوا يسخرون منه عن أحوالهم فقالوا له: لقد فضحتنا، ثم إنه أمر بصحبة المريدين.

قال: فصحبني منهم جمع كثير قدر ثلاثة آلاف رجلٍ قالوا: خيرًا كثيرًا.

وكنت إذا وصلت إلى قرية أمطرت مطرًا شديدًا، ونزل بأهلها البركة والرحمة وتبعني أكثرهم، وسُئلت عن المعرفة، فقلت: المعرفة وجود تعظيم في القلب يمنع الشخص عن الانقياد لغير معرفه.

إلى أن قال وقال تلميذه الشيخ العارف بالله تعالى إبراهيم بن بشارة رضي الله عنه: بينما نحن ذات يوم مع الشيخ العارف بالله تعالى أبي العباس أحمد بن أبي الخير الصياد، إذ دخل علينا القاضي الأجل أبو بكر بن أبي حمامة فتحدث مع الشيخ، ثم أقبل بوجهه على الجماعة، ثم ذكر كلامًا مختصره أنه قال: اشهدوا عني شهادتي أن هذا الشيخ مرَّ علي وأنا في جماعة فقامت الجماعة، وقمت له موافقة لهم، ثم ذهب فقلت لهم: أتقومون لرجل عامي لا يعرف شيئًا من العلم؟ والقيام لا يكون إلا للعلماء، ولو سُئل هذا عن مسألة ذكرها الغزالي في «البسيط» أو «الوسيط» في الطهارة مثلاً، لما عرفها ولا قدر أن يجيب عنها، فرجع الشيخ بعد

أن غاب عنا ولم يتم منا أحد، فلما وصل إلينا قمنا له فقال: اقعدوا ثم قال: يا قاضي، كأني بأحد الناس يقول: أتقومون لرجل لا يعرف شيئا من العلم؟ وذكر الكلام المتقدم في المسألة ثم قال: والله إني لأعرفها وأفهمها وهي كذا وكذا، وقرأها من أولها إلى آخرها. قال القاضي: اشهدوا علي بهذه الشهادة.

قال الراوي: فتبسم الشيخ.

قال: وأخبرني أحد الصالحين أنه دخل هو وجماعة مسجد الفازة -بالفاء والزاي- مسجد مبارك مشهور بساحل زبيد، قال: فوجدنا الشيخ الصياد قاعدًا فيه وشاب قاعد معه في أول ما أمر بصحبة المريدين قال: فقلنا له يا صياد، وهذا تلميذك؟ فسكت، فقلنا للشاب: هذا شيخك؟ فقال: نعم، فقلنا له:

- نقصد السخرية منه- وقد صار لك يا صياد مريدين؟ فغضب وقال: نعم هو تلميذي، فقال أحدنا: إن لك تلميذًا، فمره إذن أن يمشي على هذا البحر، أو أن يأتينا من الجبل الفلاني بحجر- وبيننا وبين الجبل مسيرة نصف يوم في البحر إذا طابت الرياح- قال: فهاج البحر وخرج إلى حجرة المسجد وقال للشاب: اخرج امش على هذا الماء، وأتني بحجر من الجبل في هذه الساعة قال: فسار الشاب على البحر مسرعًا كأنه على الأرض فتبعته في البحر أسبح وهو يسير، وأقسمت عليه أن يرجع فلم يرجع ثم أقسمت عليه وقلت: بحرمة الشيخ إلا ما رجعت فاستقام قائمًا فناداه الشيخ: ارجع فرجع، فندم الجماعة عند ذلك ندمًا شديدًا وقبّلوا رأس الشيخ واسترضوه فرضي عنهم.

وقال في وقت: والله إني لأعرف الجنة قصرًا قصرًا، وأعرف النار حانوتًا حانوتًا، وأعرف أصحابهما في الدنيا واحدًا واحدًا.

وقال أيضًا: كشف لي عن الشمس، فرأيت ملكين عظيمين يجرانها على عجلة في الفلك من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق.

قال الراوي: فقلت له: صف لي الملكين، فقال: ملكان عظيمان لهما كذا وكذا من مخلب لو نظر إليهما أهل الدنيا لماتوا.

قال: ولم أسأله عن كيفية جريان القمر في الفلك، وقال لي: يا أبا إسحاق، والله إني لأعرف سدرة المنتهى كما تعرف سدرة بيتكم، وفيها نهران ينضحان بالماء، وهو أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، وذكر أشياء من الآيات والعبر مما لا يتحملها هذا المختصر، وله كرامات عظيمات وأحوال سنيات ومجاهدات شديدات وفضائل فريدات وسيرة فيها شيء كثير عن علماء الظاهر غائب.

وكما قدمنا عن الشيخ القرشي ﷺ أنه قال: العالم من نطق عن سرك واطلع على عواقب أمرك.

وقال أيضًا: الولي يرى الأشياء من وراء حجاب الشرع.

رضي الله عنهم أجمعين.

يقول العبد الفقير إلى رضا ربه الولي: وقد عرفت مصداق هذا الكلام بالدليل عليه من كلام صاحب الشرع، وهو قوله ﷺ:

«علم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلب من يشاء من عباده[1]**»** إلخ، فهذه العبارات المصرح بها هي السر الإلهي، فنفعنا الله تعالى بهم آمين.

قلت: وقد اقتصرت من فضلهم على هذا القدر وهو قطرة من بحر.

ولله در القائل:

قُلُوبُ العَارِفِين لها عيون ... تَـرَى مَـا لاَ يَرَاهُ النَّاظِرونا

وَأَلْسِنَةٌ بِسِرٍّ قَد تُنَاجِي ... بِغَـيْبٍ عَـن الْكِرَامِ الكاتِبِينا

وَأَجْنِحَةٌ تَطِـيرُ بِغَيْرِ رِيشٍ ... فَتَأوِي عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَا

فَترعَى فِي رِيَاضِ الْقُدْسِ طَوْرًا ... وَتَشْرَبُ مِنْ بِحَارِ الْعَارِفِينَا

(١) تقدم.

عِبَادٌ قَدْسَرَوْا بِالسِّرِّ حَتَّى … دَنَوْا مِنْهُ وَصَارُوا وَاصِلِينَا

الفصل العاشر في الجواب عن السؤال العاشر:

أقول وبالله تعالى التوفيق: اعلم وفقنا الله سبحانه وتعالى وإيَّاك للزوم قرع باب الملك القدوس وفتح ومنح الوصول إلى حضرة الجناب المقدس المحروس الذي قال فيه: الميثاق لمشاهدة الجمال، وشرب راح المحبة في كئوس الوصال، فديتك، حدثني عن الجانب الذي تقدس أن يحظى به كل طالب أن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية، ولها طريقة، وهي عزائم الشريعة، فمن سلك تلك الطريقة، وصل إلى الحقيقة، فالحقيقة نهاية عزائم الشريعة، ونهاية الشيء غير مخالف له، فالحقيقة غير مخالفة لعزائم الشريعة.

قلت: وقد ضربت للشريعة والحقيقة أربعة أمثلة في القصيدة المسماة: «عذبة المعاني الدقيقة في التعزز في الشريعة والحقيقة» وبيان كون الشريعة هي الأصل، كالبحر والمعدن واللبن والشجرة، والحقيقة مستخرجة منها كالدُّر والتبر والزبد والثمرة. وهي هذه القصيدة:

أُقُولُ فُؤادِي بِعَذباتِ المَعاني مُعذبٌ … وقلبي بنارٍ من فَلاها مُقَلَّبُ
تُعوّضُ عن سلمى بسُعدى ووصلُها … عزيزٌ ومَن لم يمنح الوصلَ يَتعبُ
فلا معنىًمن ذي ولا ذي مواصلٌ فبين … هوى سلمى وسعدى مُذبذبُ
بعزٍّ معالي الفقهِ من قِبَلِ خاطبٍ … وبِيضُ العُلا في الفقرِ مِن بَعدِ يَخطُبُ
ولم نرضَ إلا صادقًا ومصدّقًا لها … بماضٍ به في معركِ الحربِ يَضربُ
من الصدقِ سيفٌ قاطعٌ قاتلٌ لمن … عن جمالِ الأحِبَّةِ يَحجُبُ
من النفسِ بل تلك الحجاب بعينه … وشيطانُها كي ما يموتُ ويَهربُ
يلاقي الفتى في حبِّها كي يرى الهَنا … ومِن دونِها الأهوالَ تغربُ
وفي وصلها بالنفسِ تسمحُ طيِّبا يرى … ذا قتيلاً في هواها ويرغبُ

ويسلو ويفنى عن سواها ونحوِها ... يَحيى سالكًا مذهبُ الحب ويرهبُ
ومن بالأماني والمعاني يرومُها ... ولم يفنِ نفسًا في هواها ويذهبُ
وأصبحَ مثلي قائلاً غيرَ فاعلٍ ولا ... عَالِمٍ بالعلم ذلك يكذِبُ
ولكنني مع ذاك أعزّي أولي الهوى ... وأدعو إليها كلَّ خالٍ وأنْدُبُ
أحب محبيها وأرتاحُ نحوَها وفي ... مَدحها بالنَّظمِ والنَّثرِ أطْنَب
وإن تأخذُ العشاقَ في ذاك غيرةٌ ... فلهجٌ بها عن واضحِ العذرِ يقربُ
أخا الحبِّ نافسْ في هواها ومتْ بها ... لتحيي ففيها الموت يَحلُو ويَعذُبُ
بنَفْسك ردَّ صبحَ هواها ورُح ومن دمائك ... سيفُ الحبِّ حانَ مخضّبُ
فما وصْلها الغالي بنفسِك غاليًا ولا ... ذا علَى أهلِ المحبة يَصعَبُ
فكم من إشاراتٍ لسُعدى بضمنِها ... بشاراتُ إسعادٍ لها أترقّبُ
بَهاكم مَعَنا فمسعدٌ بوصلٍ ومشتفٌ ... بالصدودِ معذّبُ
فما كلّ مشغولٍ بسعدى من الورى ... أتى خاطبًا عن رَغبةٍ فيه ترغَبُ
فكم خاطبٍ يسعى لغالي جمالِها يُرَدُّ ... ومخطوبٌ لديها مُقرّبُ
عن قريبٍ قطْعُ شغلي بغيرها ... وتركي لتكوينٍ به أتقلّبُ
فإما بوصلٍ فزتُ أو متُّ طالبًا ... غريبًا يَلذُّ الموتُ لي والتغربُ
فإن أسعدت سعدى بوصلٍ ... وانطلقتُ بسيرٍ لأُبدي ما يَستحي ويطربُ
ومن حِكَمِ الأسرارِ أُبْدِي معارفًا ... محاسنُها تُسبي وتَسلُبُ
وأُثني على سعدى بغالي جمالِها ... ليمسيَ إليها ذو الهوى يَتقربُ
ويُلقي الهوى الجاني طريحًا ... ببابِها وذو النأي يَضحَى وهو دانٍ مُقرّبُ
يُسقى كئوس الوصلِ من خمرةِ الهوى ... ويحلو له في حضرةِ القدسِ مَشربُ

شرابٌ لـه التنـزيهُ لم يأتِ حانةً ولم تسـقِهِ هـندٌ ورعدٌ وزيـنبُ
ومدحـي خـلا سـعدى الحقيقةَ مـذ حـنَى لسـلمى الشريعة والتخاطبُ
فمسـتخرِجُ درِّ الحقيقةِ غـائصٌ ببحر الشـريعةِ فالشـريعةُ يَطلـبُ
ومـن شـجرِ تمـرٍ جنًا دالٌ مُلقحٌ ومن معـدنِ تـبرٍ مُصـفًى مَطـيبُ
وكـم نصَـبَ في حضرةٍ ثم أبلاه كذلك في استخلاصِـهِ المـرءُ يَنصُـبُ
ومـن لـبنٍ زُبـدٍ بـه فساز ما مخضٌ كـذا رائـضٍ نفـسٍ مـربٌ مـؤدّبُ
بـآداب يَشـرعُ مـنهُ درٌّ معـارفٍ ويافـوتُ أسـرارٍ سـتبدو تَعجـبُ
ولكـن بتوفـيقٍ وعـينِ عـنايةٍ خطَـبتُ مـن قـبلِ مـا جاءَ يَخطُبُ
فـيا ربّ أصـلحْ وطهـرْ قلوبَـنا وطـيّب ووفقْهـا لمـا هـو أصـوبُ
وزكِّ نفوسًـا جامحـاتٍ عـدت بنا بوا دي الهوى في جانـبِ الغـيِّ تَلعَـبُ
وللقلـبِ أبـدى لحـق يـردّها سُـكرُ نـورِ الـرّوحِ يَعلـو ويَغلُـبُ
بوصـفِك قابـلٌ وصفَنا يا إلهنا فوصفُ الإلـهِ العفـوُ والعـبدُ يَـذنُبُ
وسَـامِحْ بِأقـوَالٍ بِهَا صِرْتُ غَامِرَ السنا مـدى عمـري لم أكـن يـومًا مخرب
أحسِـن قـولاً والفعـالُ قبـيحةٌ فمـا صَـدَقَ قـولٌ والفِعـال تكذبُ
فـيا لـيتَ شـعري مـا أقول بموقفٍ إذا قـيل كـم يا ما هيَ التحسُّر تكذبُ
فـإنْ وفّـقَ الـرّحمنُ قلتُ مدحتُ من بحبِّك هـم مـع نهجِهـم فيك أحببُ
وقَـد صَـحّ أنّ المـرءَ معَ من أحبَّه عن الصَّـادقِ المُخـتارِ يَـروى ويَكـتُبُ
علـيهِ صـلاةُ اللهِ ثمّ سـلامُهُ مَـعَ الآلِ والغُـرّ الـذي ظلَّ يَصْحَبُ

تم كلام شيخ الإسلام عالم دهره وفريد عصره وفصيح زمانه وعارف وقته وأوانـه الشـيخ اليافعي -رحمه الله تعالى- وأصوله وفروعه ومشايخه وتلامذته والآخذين عنه ونفعنا به والمسلمين من بركاته آمين.

وأقول: قد رأيت في مناقب القطب الرباني والمحقق الصمداني شيخ مشايخ الإسلام عمدة الأيام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة مفتي المسلمين الشيخ الكبير الشهير، مَن جمع بين علمي الشريعة والحقيقة، سيدنا محمد شمس الدين الحنفي، تأليف الشيخ العارف الولي نور الدين علي بن عمر بن علي البتنوني[١] تلميذ الأستاذ المذكور المأذون له منه بأن يدعو الناس إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يأخذ العهود على الفقراء المسمي ذلك الكتاب «السر الصَّفي في مناقب سيدي شمس الدين الحنفي» ما نصه: بعد البسملة، والحمد لله والصلاة على الرسول في الكتاب المنقول:

اعلم أن كرامات الأولياء حقٌّ عند أهل السنة والجماعة، والإيمان بها واجب، نص على ذلك الإمام الأعظم أبو حنيفة ﷺ في كتابه المعروف بـ«الفقه الأكبر» وفي كتابه المسمى بـ«السواد الأعظم» وخرج على ذلك مسألة عظيمة ذكرها صاحب كتاب «عمدة المفتي» فقال: لو أن رجلاً بالمشرق وَكَّلَ وكيلاً بأن يزوجه بامرأة بالمغرب ففعل الوكيل ذلك، ثم إن المرأة حملت فلما مضت مدة الحمل وضعت ولدًا، فهل يلحق نسب الولد بالزوج المذكور وهو بالمشرق والمرأة بالمغرب؟ فقال الإمام أبو حنيفة ﷺ: يلحق نسبه بالزوج المذكور، ويجري عليهما التوارث لصحة النسب.

واستدل على ذلك بأنه يجوز أن يكون الزوج المذكور من الأولياء وانتقل إليها بالكرامة، فإن الدنيا خطوة المؤمن.

قال: ولا أقول بأنه ولد زنا. قال: ووافقه على ذلك الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل ﷺ أجمعين، وخالفه في ذلك المعتزلة -عليهم من الله تعالى ما يستحقونه- فإنهم لا يؤمنون بكرامات الأولياء ولا يصدقون بها.

وممن نصَّ على ذلك أيضًا الشيخ الإمام والليث الهمام زين الإسلام أبو بكر

(١) كان حيًا سنة ٩٠٠ هـ، وهو سيدي علي بن عمر بن علي بن حسام الدين البوصيري الحنفي الشاذلي ﷺ.

الرازي في كتابه المسمى بـ «الهداية في أصول الدين» فقال:

اعلم أن كرامات الأولياء حقٌ فنقرُ ونؤمن بها، وجاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم: لأنه يجوز أن يظهرها الله سبحانه وتعالى على يد من يشاء من عباده. ثم قال: ومن أنكر كرامات الأولياء فهو خارجي ومعتزلي، وهما ينكران الآية، حيث قال الله تعالى لأم موسى عليه السلام ﴿**فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ**﴾ [القصص: ٧] وهذه كرامة لها.

وأخرج الله تعالى رزق الشتاء في الصيف، ورزق الصيف في الشتاء، وظهور الرطب في الصحراء من النخلة، وكان لتلك النخلة سبعون سنة لم يخرج لها ثمرًا، فكان ذلك كرامة لمريم عليها السلام.

وقال الله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ [النمل: ٤٠] وهو آصف بن برخيا، وكان من الأولياء، وهو وزير سيدنا سليمان ﷺ، ولم يكن آصف نبيًا أتى بعرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس من قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه من تلك المسافة البعيدة، فإذا جاز أن يكون في أمة سليمان عليه السلام كرامة للأولياء، فكيف لا يجوز أن تكون في أمة نبينا محمد ﷺ كرامة للأولياء؟ وهو أفضل من سليمان ومن جميع الأنبياء عليهم السلام، وأمته أفضل الأمم، فإن قيل أن تلك الكرامة كانت من قبل سليمان عليه السلام قيل له: وهذه الكرامة من قبل نبينا محمد ﷺ. قال الله تعالى: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾ [مريم: ٢٥].

فهذه الكرامة لمريم ولم تكن نبيًا، فإن قال المبتدع: كان الرطب كرامة لعيسى عليه السلام فقيل له: فما تقول في كرامة أخرى هي قوله تعالى:

﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٣٧]، ولم يكن عيسى في ذلك الوقت موجودًا.

فإن قال المبتدع: لو أن أحدًا ذهب في ليلة واحدة إلى المسجد الحرام ورجع لا يكون هذا، ولا يمكنه أبدًا قيل له: يمكن ويجوز؛ لأن المؤمن خير من

الكافر، وقد وجدنا الكافر وهو إبليس -لعنه الله تعالى- يسير في ساعة واحدة من المشرق إلى المغرب، وإن سافر المؤمن في ليلة واحدة إلى بيت الله الحرام أو وجد في موضع طعامًا فليس بعجب، وهذا ظاهر لكثير من صالحي أمة محمد ﷺ انتهى كلام الشيخ الإمام أبي بكر الرازي رحمه الله تعالى.

وسُئل الإمام أبو حفص النسفي -رحمه الله تعالى- عن الكعبة: أتزور أحدًا من الأولياء؟ فقال: إن نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة والجماعة. قيل له: فإن انتقل بيت الكعبة إلى ولي من موضعها فكيف حال المصلين إليها؟ فقال في جوابه: القبلة موضع الكعبة، والموضع بحاله.

وهذه المسألة مذكورة في كتاب يسمى «جواهر الفتاوى» للإمام أبي بكر الكرماني انتهى.

وقال الإمام الرازي - رحمه الله تعالى - إن خالد بن الوليد ﷺ شرب قدحًا من السُّم فلم يضره.

ودعا أبو حنيفة ﷺ يومًا فنــزلت عليه مائدة من حيث لا يعلم.

قال: وإن كرامات الأولياء وإن كانت بخلاف العادة فهي في قدرة الله تعالى ممكنة غير ممتنعة، وليس فيها وجه من وجوه الاستحالة فوجب تجويزها.

ولأن الله سبحانه وتعالى حكيم مدبر، وإرساله الرسل لا ينافي حكمته، فكذا إظهار الكرامة على يد الولي ليس مجانبًا للحكمة، وذلك يدل على حقيقة هذا الدين، ولأن في كرامة الولي معجزة الرسول لأن بظهورها يعلم أن الولي محق في دينه أي: هو التصديق برسالة رسوله واتباعه إياه حق وشريعته صدق، وظهور الكرامات لا يؤدي إلى سد باب المعجزة؛ لأن الكرامة تظهر بغير الدعوى بل يجتهد الولي في كتمانها، ولو ادعى ولي ذلك لذهبت ولايته ومنعه تعالى العصمة.

المسألة الثانية في الفرق بين المعجزة والكرامة:

اعلم رحمني الله سبحانه وتعالى وإياك أن العلماء اختلفوا في ذلك.

فقال بعضهم: إن المعجزة حجة الأنبياء على صحة دعواهم، فيكون لهم إظهارها متى شاءوا واحتاجوا إليها، وكرامة الأولياء تحصل من غير احتياجهم إليها بدون سبق دعوى منهم. هكذا قاله الإمام أبو الفضل الكرماني في «جواهر الفتاوى» أيضًا.

وسُئل الإمام فخر الدين الرازي بجمع من أئمتنا -رحمهم الله تعالى- عن الفرق بين معجزة النبي والكرامة؟ فقال: يكون ذلك معجزة في حقه وعلى يد الولي يجوز أن يظهرها تصحيحًا لدينه الحق، ويكون ذلك كرامة في حقه وإظهارًا لصحة دينه، ويكون ذلك معجزة في حق نبيه.

وقال محمد الشرنوبي من أئمتنا -رحمه الله تعالى- في الفرق بين المعجزة والكرامة: إن المعجزة هي ظهور الناقض للعادة على يد مدعي النبوة إذا كان الزمان زمان الرسالة، فإنه يحتاج إلى الدليل لإثبات الحق، فالمعجزة هي الدليل القائم من الله تعالى على صحة دعواه.

مثاله: الدعوى إنما تُسمع إذا كان أهلاً للدعوى ودعواه صحيحة في نفسه، ومجرد الدعوى غير موجب للفعل، فلا بد من إقامة البينة.

والكرامة: ظهور نقض العادة على يد الولي لتصحيح دعوى دينه مع كتمان ذلك، ومن غير دعوى سابقة ويكون ذلك دليلاً لصحة دينه، وكل كرامة ظهرت على يد ولي كانت معجزة للرسول وتصديقًا لدينه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

أقول: وهذه كلها نُقُولٌ صريحة عن أئمتنا أن الكرامة والمعجزة سيّان؛ إذ هما الأمر الخارق للعادة، فكل ما كان خارقًا للعادة كان كرامة للولي ومعجزة لنبيه، لا فارق بينهما إلا التحدي، وهو دعوى النبوة، وبهذا يُعلم أن معجزات الأنبياء لا تنقطع بموتهم كما تقدم أيضًا من تصريح الشيخ أحمد الحنفي صاحب كتاب «الكشف والكرامات»، ولا يرد على هذا ما انقطع من بعض المعجزات للأنبياء كعصا سيدنا موسى، وكانقسام القمر ونحو ذلك؛ إذ المعجزة لكل نبي

ظهرت على يده ليست واحدة لا غير، بل كل ما أتى على خلاف العادة كما هو يعرف هنا.

وقلنا بأن كراماتهم ثابتة قبل الممات بهذه العبارات، وحيث ثبتت فلا تنقطع بموتهم؛ إذ اليقين لا يزول بالشك كما هو قاعدة مذهبنا، وكذا إذا ثبت حكم لا يزول حتى يرد دليل بزواله، ولم ينقل في مذهبنا أن النبي تنقطع نبوته ولا معجزته بموته، بل مُصَرِّحون بأن نبوتهم باقية بعد الموت كما تقدم في أول الكتاب في «جواهر الكلام» للنسفي وكذلك معجزاتهم، وكذلك لم يرد نقل بأن الأولياء تنقطع كراماتهم بموتهم، بل رأيت تصريح الشيخ الأوشي –رحمه الله تعالى– حيث قال: كرامات الأولياء بدار دنيا.

وقد عرفت أن القبر ينسحب عليه أنه من الدار الدنيا، وسمعت الدلائل المنقولة من «جواهر الكلام» لشيخ الإسلام النسفي أن القبر من الدار الدنيا بنص الكتاب والسنة، وحديث عكرمة المتقدم ذكر ذلك كله، ولأن الروح لا تموت؛ لأن الموت إزهاق الروح لا موتها، وإنها تعود بعد ذلك في القبر، وإنها تكون متصلة بالجسد كالشمس في العلو وضوءها في الأرض، وإن النعيم على الروح والجسد معًا، والعذاب عليهما أيضًا، وحيث عرفت ذلك فنفس الإزهاق لا يكون سببًا لقطع كرامات الأولياء.

قال الشيخ: **المسألة الثالثة في تعريف الولي ومعنى الولي والولاية.**

قال الشيخ أبو عبد الله محمد الواسطي في كتابه «مجمع الأحباب» مختصر الحلية: أما تعريف الولي الخاص فقد سُئل رسول الله ﷺ عن أولياء الله تعالى فقال: «**الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى**[1]» رواه البزار في «مسنده».

قال: وقال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «**إن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم**[2]».

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩٥/٧)، ومن خواص أهل الذكر أنهم إذا رؤوا ذكر الله لرؤيتهم لفرط ما يعلوهم من الهيبة والنور.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤٣٠/٣).

قال: وليس القائل أن يقول: لِمَ لَمْ تعرف الأولياء بقوله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾؟ [يونس: ٦٢- ٦٣] لأنّا نقول الآية لا ترد في هذا على سبيل التعريف.

وأيضًا فإنّا نقول: إن الآية الكريمة ليست نصًا صريحاً في وصفهم؛ لأن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] يجوز أن يكون خبره ما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ ، وإذا كان كذلك لا يتم التعريف المذكور انتهى.

وأما معنى الولي فإنه يحتمل أمرين أحدهما: أنه من توالت عليه الطاعات من غير تخليل معصية، وقيل أن معناه هو الذي يتولى الحق حفظه وحراسته على الدوام والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، ويديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة انتهى.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] ذكره الإمام القشيري في «رسالته».

وقال بعضهم: الولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقة.

وقال يحيى بن معاذ: الولي هو الذي لا يُرائي ولا يُنافق ولا يُداهن، وما أقل صديق من هذا حاله.

وقيل: علامة الولي شغله بالله تعالى، وفراره إلى الله وهمّه لله تعالى.

وقال الإمام القشيري رحمه الله تعالى: اختلف أهل الحق في الولي، هل يجوز ألا يعلم أنه ولي أم لا؟ فكان الإمام أبو بكر بن فورك يقول: لا يجوز ذلك؛ لأنه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن، وكان الأستاذ أبو علي الدقاق يقول بجوازه.

قال القشيري: وهو الذي نريده ونقول به.

قال: وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء، ولكن يجوز أن يعلم بعضهم أنه ولي، وكانت معرفة تلك كرامة له انفرد بها، وليس كل كرامة لولي يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء بخلاف الأنبياء عليهم السلام؛ لأنه يجب أن يكون لهم معجزة؛ لأن النبي مبعوث إلى الخلق، فبالناس حاجة إلى معرفة صدقه، ولا يعلم

ذلك إلا بالمعجزة، وبعكس ذلك قال الولي؛ لأنه ليس بواجب على الخلق ولا على الولي أيضًا ليعلم بأنه ولي، والعشرة من الصحابة رضي الله عنهم صدقوا الرسول ﷺ فيما أخبرهم أنهم من أهل الجنة.

وقول من قال: لا يجوز ذلك، لا يخرجه من الخوف، فلا بأس أن يخافوا بغير العافية، والذي يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه وتعالى يزيد ويربو على كثير من الخوف.

واعلم أنه ليس للولي مساكنة إلى الكرامة التي تظهر عليه، ولا له ملاحظة لها، وربما تكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فضل الله تعالى مستدلين على صحة ما هم عليه من العقائد.

وبالجملة: فالقول بجواز إظهارها على الأولياء واجب، وعليه جمهور أهل المعرفة.

فإن قيل: هل يجوز أن يكون الولي معصومًا؟ قيل: إما وجوبًا كما يقال في الأنبياء فلا.

وإما أن يكون محفوظًا حتى لا يصر على الذنوب- وإن حصلت له هفوات أو زلات- فلا يمنع ذلك في وصفهم.

ولقد قيل للجنيد ﷺ[1] العارف يزني يا أبا القاسم؟ فأطرق مليًا ثم رفع رأسه وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وهذا مختصر ما ذكره القشيري -رحمه الله تعالى-[2] وجملة القول، فحسن الظن بجميع الفقراء واجب على كل مسلم، ويجب على كل مسلم ترك الخوض في أعراض الفقراء، وأن يحملهم على الظن الحسن، ويترك الاعتراض عليهم والإنكار بالقلب واللسان فمن سلّم سلم، ومن أنكر واعترض ندم.

---

(١) ونسب هذا القول أيضًا لأبي يزيد البسطامي -قدس سره- كما في السيوف الحداد لسيدي مصطفى البكرى (ص٧٥) بتحقيقنا.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية (ص١٤١).

ومن كلام سيدي -قدس الله تعالى روحه العزيزة- أقول هو الأستاذ سيدي شمس الدين الحنفي ﷺ إذا كان بين الفقراء رمادًا فلا تطأ عليه بقدمك تحترق.

وقال أهل العلم: من ساء اعتقاده في الأولياء يخشى عليه من سوء الخاتمة.

نعوذ بالله تعالى من ذلك، وقد انتهى الكلام على مقدمة الكتاب بحمد الله تعالى وعونه على سبيل الاختصار.

ثم قال في آخر الكتاب المذكور بعد أن نقل شيئًا من بعض كرامات الأستاذ ﷺ وسنذكر شيئًا منها في أواخر الكتاب كما ذكره الشيخ هنا: ولنعلم يقينًا أن الإيمان بكرامات الأولياء واجب، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وانطوى عليه رأي السلف الصالح رضي الله عنهم، ثبت ذلك بالنص كما قدمنا في أول الكتاب نقلاً أو عقلاً وشرعًا، وشواهده لغيره ونقوله مأثورة من الكتاب والسنة، ويكفيك عن جملتها قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس: ٦٢].

وقوله ﷺ: «**من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة**[١]» فإن أردت الوقوف على شيء من دلائلها، فعليك باتباع الرسالة إلى آخرها.

أقول لعلها رسالة القشيري -رحمه الله تعالى- قال: واستعن برياض الأذكار والأخيار وقوت القلوب حتى تبلغ المطلوب.

يقول العبد الفقير: وهذا كله يؤيد ما صرحنا به في أول الكتاب، وهو أنه لا منافاة بين كلام أئمتنا وكلام الإمام اليافعي المتقدم الذي نقلنا عنه هنا، فدلّ ذلك على أن الحكم إجماعي فافهم ذلك.

وأما كرامات الأستاذ سيدي شمس الدين الحنفي فسأذكر منها شيئًا بعد ذلك على سبيل التبرك إن شاء الله تعالى إلى أن قال: وأخبرني الشيخ العارف الورع الزاهد العالم العلامة المحقق سيدي شمس الدين بن كتيلة -رحمه الله تعالى

---

(١) تقدم تخريجه.

ونفعنا به- قال: كنت جالسًا يومًا بين يدي سيدي -يعني الشيخ الحنفي الكبير رحمه الله تعالى- فخطر ببالي أن أسأله عن القطب؟.

فقلت: يا سيدي ما معنى القطب؟ فقال لي: الأقطاب كثيرٌ فإن كل من أمَّ قومًا فهو قطبهم.

وأما القطب الغوث الفرد الجامع فهو واحد.

وتفسير ذلك أن النقباء: هم ثلاثمائة وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس، ولهم عشرة أعمال منها أربعة ظاهرة، وستة باطنة.

فأما الظاهرة: فكثرة العبادة والتحقق بالزهد والتجرد عن الإرادة وقوة المجاهدة.

وأما الباطنة: فهي التوبة والإنابة والمحاسبة والتفكر والاعتصام والرياضة، فهؤلاء الثلاثمائة لهم إمام منهم يأخذون عنه ويقتدون به فهو قطبهم.

ثم النجباء أربعون، وقيل: سبعون. أقول: في هذا دلالة على أن القطب لا يعلم عدد النجباء بيقين لقوله.

وقيل: سبعون. وهو إذ ذاك هو القطب الغوث الفرد إلا أن يحمل أن سؤال الشيخ له بعد توليته القطبانية فليتأمل.

قال: وهم مشغولون بحمل أثقال الخلق، فلا يتصرفون إلا في حق الغير، ولهم ثمانية أعمال: أربعة باطنة، وأربعة ظاهرة.

فأما الظاهرة: فالفتوة، والقوة، والتواضع والأدب، وكثرة العبادة.

وأما الباطنة: فالصبر، والرضا، والشكر، والحياء. وهو أهل مكارم الأخلاق.

وأما الأبدال: فهم سبعة رجال، وهم أهل فضل وكمال واستقامة واعتدال قد تخلصوا من الوهم والخيال.

ولهم أربعة أعمال ظاهرة، وأربعة أعمال باطنة.

فأما الأربعة الظاهرة: فهي الصمت والسهر والجوع والعزلة.

ولكل واحد من هذه الأربعة ظاهر وباطن.

فأما الصمت فظاهره ترك الكلام بغير ذكر الله تعالى، وأما باطنه فصمت الضمير عن جميع التفاصيل والأغيار.

وأما السهر: فظاهره عدم النوم، وباطنه عدم الغفلة.

وأما الجوع فعلى قسمين: جوع الأبرار بكمال السلوك، وجوع المقربين لموائد الأُنس.

وأما العزلة: فظاهرها ترك مخالطة الناس، وباطنها ترك الأنس بهم.

وللأبدال أربعة أعمال باطنة: وهي التجرد والتفريد والجمع والتوحيد، ومن خواص الأبدال أن من سافر منهم من موضعه، وترك جسدًا على صورته فذلك هو البدل لا غير.

والبدل على قلب إبراهيم عليه السلام فهؤلاء الأبدال لهم إمام مقدم عليهم يأخذون عنه ويقتدون به، وهو قطبهم لأنه مقدمهم.

ويؤيد هذا القول ما أخرجه الطبراني في «معجمه» من قوله ﷺ:

«لا يزال من أمتي أربعون على قلب إبراهيم الخليل[1]».

قال صاحب «مجمع الأحباب»: هو نصٌّ على ثبوت الولاية إلى يوم القيامة.

وقيل: الأبدال أربعون، والسبعة هم الأخيار، وكل منهم لهم إمام منهم هو قطبهم.

أقول: وهذا أيضًا فيه دلالة على أن القطب لا يعلم عدد الأبدال بيقين من عدد غيرهم من الأخيار كما تراه، إلا أن يكون ذلك قبل تولية الشيخ القطبانية، فلم يطلع على ذلك.

ثم الأوتاد هم عبارة عن أربعة رجال منازلهم منازل الأربعة أركان من

---

(١) ذكره ابن سبط العجمي في الكشف الحثيث (ص١٨٠)، والذهبي في الميزان (٥/٦٤).

العالم شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، مقام كل واحد مقام تلك الجهة.

وهم ثمانية أعمال: أربعة ظاهرة، وأربعة باطنة.

فالظاهرة: كثرة الصيام، وقيام الليل والناس نيام، وكثرة الإيثار، والاستغفار بالأسحار.

وأما الباطنة: فالتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم. ولهم واحد منهم هو قطبهم.

وأما الإمامان فهما شخصان أحدهما: عن يمين القطب، والآخر: عن شماله، فالذي عن يمينه: ينظر في الملكوت وهو أعلى من صاحبه، والذي عن شماله: ينظر في الملك، وصاحب اليمين هو الذي يخلف القطب.

ولهما أربعة أعمال ظاهرة وأربعة باطنة.

فأما الظاهرة: فالزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما الباطنة: فالصدق والإخلاص والحياء والمراقبة.

والغوث: عبارة عن رجل عظيم، وسيد كريم، يحتاج إليه الناس عند الاضطرار في تبيين ما خفي من العلوم المبهمة من الأسرار، ويطلب منه الدعاء لأنه مستجاب الدعاء «لو أقسم على الله لأبر قسمه» مثل أويس القرني في زمان رسول الله ﷺ.

قال: ولا يكون القطب قطبًا حتى تجتمع فيه هذه الصفات التي اجتمعت في هؤلاء الجماعة المتقدم ذكرهم انتهى كلام شيخ الإسلام سيدي شمس الدين.

قال المصنف قلت: وقد تقدم في أثناء هذا الكتاب -يعني ما ذكره فيه من كرامات الشيخ رحمه الله تعالى، وسنذكر منها بعضًا إن شاء الله تعالى- وقد اجتمع فيه الخصال المذكورة أنه كان إذا صلى، صلى عن يمينه اثنان روحانية وعن يساره اثنان جسمانية، وأنه عزم عليه اثنان، وكل واحد منهما حلف أنه يبات عنده، وزوجة سيدي حلفت أنه لا يبات إلا عندها، فلما أصبح الصبح اجتمعا عند سيدي في الزاوية وزوجة سيدي خلف الباب، فسمعت كل واحد منهما يقول له: والله يا سيدي كانت الليلة مباركة ببياتك عندي، والآخر يقول

له كذلك، فلما دخل عليها تعجبت من كلامهما لأنه كان بائتًا عندها كذلك، فلما سألته عمّا سمعته منهما قال لها: اكتمي ما سمعتِ خيرًا لك ولا تخبري به. فلم تخبر به أحدًا حتى انتقل الشيخ إلى رحمة الله تعالى.

وبهذا ثبت أن سيدي كان قطب زمانه لا يشك في ذلك أحدٌ ولا ينكره، نفعنا الله تعالى به والمسلمين انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

وقال مولانا شيخ الإسلام قدوة الأنام وحيد عصره وفريد دهره قطب زمانه شيخ السنة والطريقة ومعدن الحق والحقيقة الشيخ جلال الدين السيوطي نفعنا الله تعالى به في الدارين آمين:

بعد البسملة والحمد لله، **فصل في الكرامات:**

اعلم أن الكلام في الكرامات ينحصر في طرفين:

الطرف الأول: الجواز، والثاني: الوقوع.

أما الجواز: فلا خفاء أن ظهور الكرامة من الأولياء من الممكنات؛ لأنه إن لم يكن من الممكنات، فإما أن يكون من الواجبات وإما أن يكون من المستحيلات، وباطل أن يكون من المستحيلات؛ فإن المستحيل هو الذي لو قدر وجوده لزم منه محال عقلي، ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقلي.

وباطل أن يكون جريان الكرامات على الأولياء وجوبًا؛ إذ الطائفة مجمعة على أنه قد يكون الولي وليًّا وأن يخرق العادة له يتعين أن يكون من الجائزات، وكل شيء كان من الجائزات فلا يحيله العقل، وكل ما لا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه فعل فجائز أن يكرم الله سبحانه وتعالى به أولياءه، ثم إن هذه الكرامة قد يكون طيًّا للأرض ومشيًا على الماء وطيرانًا في الهواء وإطلاعًا على كوائن كانت وكوائن بعد لم تكن من غير طريق العادة، وتكثير طعام أو شراب أو إتيانًا بثمر في غير أيامه أو إنباع الماء من غير حفر أو تسخير الحيوانات بمادية أو إجابة دعوة بإتيان مطر في غير وقته أو صبرًا عن الغذاء مدة تخرج عن طور

العادة أو إثمارًا لشجرة لم تكن تثمر بأن كانت يابسة، وهذه كلها كرامات ظاهرة حسية.

وكرامات هي من عند الله -سبحانه وتعالى- أفضل منها وأجل، وهي الكرامة المعنوية كالمعرفة بالله تعالى والخشية له ودوام المراقبة له والمسارعة لامتثال أمره ونهيه والرسوخ في اليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة والاستماع من الله تعالى والفهم عنه ودوام الثقة به وصدق التوكل عليه إلى غير ذلك.

وسمعت شيخنا أبي العباس ﷺ يقول: الطيّ على قسمين: طي أصغر، وطي أكبر.

فالطيّ الأصغر: لعامة هذه الطائفة أن يطوي لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها في نفس واحد.

والطي الأكبر: طي أوصاف النفوس وصدق.

قال ﷺ: «فإن طي الأرض لو عجزك الله تعالى عنه وأفقدك إيَّاه ما نقص ذلك من رتبتك شيئًا عنده إذا قمت له بالوفاء بالعبودية».

وطي أوصاف النفوس لو لم تقدم عليه به لكنت من المفتونين وحشرت في زمرة الغافلين.

وقال الشيخ أبو الحسن ﷺ: إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان: كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة، فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفترٍ كذاب، أو ذو أخطاء في العلم والعمل بصواب، كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا، فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا، وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ﷻ، ومن الله تعالى، فصاحبها مستبد مغرور أو ناقص أو هالك مقبور.

واعلم أن اطلاع أولياء الله تعالى على بعض الغيوب لا يحيله العقل، وقد ورد به النقل.

قال: سيدنا أبو بكر ﷺ.

يقول العبد الفقير إلى شفاعته والرضا عنه: هو الإمام المقدم والهمام الأكرم والشفيق الأعلم خليفة رسول الله على أمته، والقائم بكتاب الله تعالى وسنته، ومظهر دينه وشريعته، عبد الله المتصف بالصديق المكنى بأبي بكر الملقب بعتيق -أعني عتيق الله- كما وعده الله بأخبار رسول الله، جعلنا الله تعالى ممن أحبه وأحب ذريته بعده لعائشة رضي الله عنها في مرض موته وزوجته حامل: إنما أخواك وأختاك ذو بطن خارجة أراها جارية، فأخبر أن في بطن امرأته جارية، وكان كما قال ﷺ.

وقال: عمر ﷺ.

قلت: هو إمام الدين وعلم اليقين، وخليفة سيد المرسلين الصادق الصدوق، مُزيل الكفر والفسوق عمر الفاروق قال: يا سارية الجبل. وسارية بأقصى العراق فسمع سارية صوته، وكان قد أطلعه الله تعالى على سارية وقد أحاط به العدو، فأمره بالانحياز إلى الجبل فانحاز هو والجيش الذي معه فانتصروا وظفروا، وكان قال ذلك وهو بأثناء الخطبة على المنبر فترك الخطبة، وقال: يا سارية الجبل، وعاد إلى خطبته، فجاء بعض الصحابة إلى علي ﷺ فقالوا له: بينما عمر اليوم يخطب إذ ترك خطبته، وقال: يا سارية الجبل ثم عاد لخطبته.

فقال علي ﷺ: ويَحَكُم، دعوا عمر، فإنه ما دخل في شيء إلا كان له المخرج منه، فبعد ذلك قَدِم سارية ﷺ وأخبر عن ذلك اليوم أنه سمع نداء عمر ﷺ يقول ذلك.

يقول العبد الفقير: لقد علمت يا أخي فيما قدمته لك من أخبار صاحب الشرع، وإذا لم يكن هذا أهل الكشف والكرامات فمن يكن ﷺ؟ ونفعنا بهم.

وقال: عثمان ﷺ.

قلت: هو السيد الكريم والإمام العظيم خليفة رسول الله على هذه الأمة،

وناصر الكتاب والسنة، وهو أمين الرحمن عثمان بن عفان ﷺ وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومأواه، قال لداخل دخل عليه- وكان قد نظر إلى محاسن امرأة في الطريق-: يدخل أحدكم وآثار الزنا في وجهه.

وأما علي بن أبي طالب ﷺ.

قلت: هو مدينة العلم وبابها، والخليفة على هذه الأمة وناصر سنتها وكتابها صهر رسول الله، وناصر دين الله العامل بكتاب الله بأنه من المحدثين يعني أنه من أهل المشاهدة والكشف الصريح، وناهيك بهذه الشهادة من ركون الأئمة إلى هذا الإمام الخليفة علمنا بعده، وإذا لم يكن هذا أهل الكشف والكرامة، فمن يكن ﷺ ونفعنا بهم، والمتمسك بسنة رسول الله المنصور الغالب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وجعل الجنة مثواه؛ إذ هو مقصد الطلاب، وقد جاء عنه في هذا الباب العجب العجاب حتى أنه ذكر الإخباريون أنه أرجف بالكوفة أن معاوية قد مات فقال ﷺ إذ بلغه: والله ما مات ولن يموت حتى يملك تحت قدميّ هاتين، وإنما أراد ابن هند أن يشيع ذلك حتى يستتر علمي فيه، فمرّ يومئذ كاتب أهل الكوفة معاوية، وعلموا أن الأمر صائر إليه وحكايات الأولياء في كل زمن وقُطر تتضمن ثبوت ذلك، فما بلغ حد التواتر، ولا يمكن حدّه.

أقول: انظر إلى تصريح الشيخ -رحمه الله تعالى: بأن الإخبار بكرامات الأولياء بلغ حد التواتر، وقول هذا الإمام حجة، وقد صرحت بذلك فيما تقدم أنه بلغ ذلك حد التواتر، وقد علمت أن حد التواتر هو ما رواه قومٌ عن قومٍ يؤمن تواطؤهم على الكذب، وهذا أمر مشاهد ثابت عقلاً ونقلاً، وإن مثل هؤلاء الأولياء أئمة العلماء الحاكون وناقلون عن بعضهم بعضًا هذه الكرامات حياةً ومماتًا صادقون، وأنهم لا يمكن تواطؤهم على الكذب، وعلى تقدير أنه لو لم يوجد لنا دليل من كتاب أو سنة أو نقل صريح عن أئمتنا بثبوت كراماتهم إلا هذه الحكايات المنقولة في كتب القوم ومدونة بكتب عديدة، وقد ملأت المشرق والمغرب وتواترت واشتهرت مفصلة بما رأيته من إكرام الله سبحانه وتعالى لهم حياةً ومماتًا، وهذا الذي رأيته خردلة في أرض فلاة أو نقطة من بحر؛ إذ لا يمكن

حصر جميع كراماتهم كما ذكره هؤلاء الأئمة ممن يقتدي بأقوالهم وأفعالهم، وهذا إذا كان لنا دليل على ثبوت كراماتهم حال الحياة والممات، وأنه أمر مجمع عليه.

ومع هذا قد أطلعتك على الأدلة المنقولة وبها أو بعضها يثبت ما ذكرناه، والله تعالى الهادي بمنّه الموفق بكرمه.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: ثم أنا أدلك يرحمك الله على أمر يسهل عليك التصديق بذلك، وهو أن اطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله تعالى ليس بجسمانيته ولا وجود صورته، وإنما هو بنور الحق سبحانه فيه.

ودليل ذلك قوله ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**[1]» فكيف يستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله تعالى بعد أن شهد له رسول الله ﷺ أنه إنما ينظر بنور ربه لا بوجود نفسه، وكذلك قوله في الحديث الذي تقدم- أي الحديث القدسي- «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به الحديث**[2]»، ومن كان الحق سبحانه وتعالى بصره الذي يبصر به فليس الاطلاع على الغيب عليه يستغرب.

وفي بعض طرق هذا الحديث: «**فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ولسانًا وقلبًا وعقلاً**».

فإن قلت: فكيف نصنع بهذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

فلم يستثني غير الرسول فاعلم أني سمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول: ومن معناه أو صدّيق أو ولي.

فإن قلت: هذه زيادة على النص- أي الكتاب- فاعلم أنه إذا قيل أن السلطان لم يأذن بالدخول إلا للوزير وحده ربما دخل مماليك الوزير معه وكان

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الأولياء (١).

الإذن لمتبوعهم إذنًا لهم، كذلك الولي، إذا أطلعه الله سبحانه وتعالى على غيب من غيوبه، فإنما ذلك لانطوائه في جاه النبوة وقيامه بصدق المتابعة، فما رأى ذلك بنفسه وإنما رآه بنور متبوعه.

وأيضًا إن الآية تشير إلى نفي اطلاع العباد على غيب من غيوبه، وإن ذلك إنما كان لمن هو مرتضى عنده بقوله: إلا من ارتضى من رسول، أخص الرسول بالذكر، ولم يذكر النبي ولا الصديق ولا الولي، وإن كان كل منهم من ارتضى؛ لأن الرسول أولى بذلك ممن سواه.

أقول: ويؤيد هذا أن الحديث القدسي الذي قدمه نقلاً من «الجامع الصغير» شاهد له وهو قوله تعالى: «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه... إلى آخره**»، ولفظ: «عبدي» صادق بإفراد العبيد أي: كل عبد طائع لله سبحانه وتعالى يتقرب إلى ربه ﷻ بالنوافل، وإذا تقرب إليه سبحانه وتعالى بالنوافل حاشا كرمه أنه لا يقربه.

قلت: بل عدة أحاديث واردة قدسية ونبوية مصرحة بأنه إذا تقرب العبد من ربه ذراعًا تقرب إليه باعًا وإذا أتاه عبده يمشي أتاه تعالى هرولة إلى غير ذلك مما سمعته واطلعت عليه منقولاً عنهم، وإذا أحب العبد ربه تعالى أو قربه فكان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، وإذا سأله أعطاه وأجاب دعاءه، ويشهد لذلك الحديث الشريف المتقدم ذكره: «**رب أشعث أغبر مدفوع الأبواب لو أقسم على الله لأبره**[1]»، وإذا أبره أطلعه على غيوبه، وإذا كان بصره الذي يبصر به أبصره بغيوبه إلى غير ذلك، وكل ذلك كرامة منه تعالى لعبيده الأولياء الصالحين نفعنا الله تعالى بهم أجمعين آمين.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: أمور تسهل عليك الإيمان بكرامات أولياء الله تعالى، وألا تستكثرها عليهم.

---

(١) تقدم تخريجه.

الأول: أن تعلم أن قدرة الله سبحانه وتعالى التي لا يكثر عليها شيء هي التي أظهرت الكرامة في هذا الولي، فلا تنظر إلى ضعف العبد، ولكن انظر إلى قدرة السيد ﷻ، فجحد الكرامة في الولي جحد لقدرة القدير، وعمّا يمنعك من شهود عظمة وصفه سبحانه.

الثاني: إنه ربما كان بسبب التارك الكرامة استكثارها على ذلك العبد الذي أضيفت إليه، وذلك العبد إنما ظهرت الكرامة عليه شاهدة لصدق طريق متبوعه، فهي بالنسبة إلى من ظهرت عليه وهو ذلك الولي كرامة، وهي بالنسبة إلى من ظهرت ببركات متابعته معجزة.

فلذلك قالوا: كل كرامة لولي فهي معجزة لذلك النبي الذي هذا الولي متبع له، فلا تنظر إلى التابع، ولكن انظر إلى عِظَم قدر المتبوع.

أقول: وهذا أيضًا تصريح بما ذكرته أولاً من معجزات الأنبياء لا تنقطع بموتهم بل هي باقية إلى ما يشاء الله سبحانه وتعالى.

قال: الثالث أن تعلم أن الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى لأوليائه من الإيمان واليقين بما أنت مصدق به ومثبت له أعظم مما استقربته، والكرامة من اطلاع على غيب أو طيران في الهواء أو مشي على ماء، فمثلك إذا استغربت ذلك على المؤمن كمثل من يستغرب على عبد من خواص الملك أعطاه الملك سقطًا مملوءًا ياقوتًا ثمينًا علمت أنت به كل ياقوتة تضمنها ذلك السقط شبه العلبة إلا أنه من خواص [....[1]] تساوي عشرة آلاف دينار الياقوتة، ثم قال ذلك العبد الذي هو من خواص الملك أو قيل عنه أن الملك أعطاه مائة دينار فاستغربت أنت ذلك، فهل يستصوب استغرابك هذا دونهم.

وما أكرم الله تعالى العباد في الدنيا والآخرة كرامة بمثل هذا الإيمان به والمعونة بربوبيته؛ لأن كل خير من خيرات الدنيا والآخرة، فإنما هو فرع الإيمان بالله تعالى من أحوال ومقامات وأوراد واردات وكل نور وعلم وفتح ونفوذ إلى غيب وسماع مخاطبته وجريان كرامة، وما تضمنته المحبة من حور وقصور وأنهار

---

(١) ما بين [ ] كلمة غير واضحة بالأصل.

وأثمار وكان به أهلها فيها من رضى عن الله ﷻ ورضى من الله ورؤية الله تعالى، فكل ذلك إنما هو نتائج الإيمان ووجود آثاره وإمداد أنواره، جعلنا الله وإيَّاك من المؤمنين بربوبيته، مخفين الإيمان الذي رضيه لخاصة عباده وبسطنا وإياك التسليم له في مراده.

واعلم أن من الناس من واجهه الخذلان من الله تعالى، فأنكر كرامات أوليائه تعالى أصلاً، فنعوذ بالله تعالى من هذا المذهب، وهو حقيقٌ ألاّ يذكر، لكن سبب ذكره حتى تعلم أن الله تعالى إذا أراد أن يضل عبدًا لم ينصره عقل، ولم ينفعه علم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١].

وقال سبحانه: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] كذلك كانت الأحوال والأقوال والأفعال ومراتب الإنزال موقوفة على توفيقه لا توجب أنوارًا ولا تستحق قبولاً، ولا يستوجب صاحبها إقبالاً حتى ينصره التوفيق ولعزازة قدره عند الله تعالى لم يذكره في كتابه العزيز إلا في موضع واحد، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] والجالب للتوفيق وعلامته صدق الرجعى إلى ربّ العزة ﷻ في أول كل فعل وترك بتحقيق الفقر والفاقة إليه، والانغماس في بحر الذل والمسكنة بين يديه، واستصحاب ذلك إلى الفراغ، ومن بعد ذلك أبدًا.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] فلا يدخل جنة علمك وعملك ومن أعطيت من نور وفتح.

فتقول كما قال من خذل فأخبر الله تعالى عنه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥] ولكن ادخلها كما نص

لك وقل كما رضي لك: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ [الكهف: ٣٩].

وافهم هاهنا قوله ﷺ: «**لا حول ولا قوة إلا بالله كنـــز من كنوز الجنة**[١]».

وفي رواية: «**كنـــز من كنوز تحت العرش**[٢]» فالترجمة ظاهر الكنـــز، والمكنوز فيها هو صدق التبرؤ من الحول والقوة، والرجوع إلى حول الله تعالى وقوته، ومن أنكر كرامات الله تعالى، فالدلائل النقلية والعقلية ترد عليه ويخشى على من هذا مذهبه سوء الخاتمة.

ومن الناس فرقة أخرى صدقوا بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمنهم كمعروف وسري والجنيد وأشباههم، وكذبوا بكرامات أولياء زمانهم فهم كما قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: والله ما هي إلا إسرائيلية، صدقوا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد ﷺ؛ لأنهم أدركوا زمنه.

وقوله في أخرى: يصدقون بأن في مملكة الله سبحانه وتعالى أولياء لهم كرامات من غير أن يسلموا ذلك لأحد من أهل زمنهم معينًا، فكل من ذكر لهم أنه ولي أو نسب إليه كرامة دافعوا إثبات ذلك بمقاييس اقتضتها عقولهم المقفولة بأقفال الغفلة، المخدوعة بمتابعة الهوى، فلن يجري عليهم هذا التصديق وجود الاقتداء، والإشراق نور الاهتداء؛ إذ الاقتداء لا يكون بولي مجهول العين في كون الله تعالى، بل إنما يكون الاقتداء بولي ذلك الله تعالى عليه، وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه تطوي عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته، فألقيت إليه القياد، فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك وكمائنها ودقائقها، ويدلك على الجمع على الله -سبحانه وتعالى- ويعلمك الفرار عمًّا سوى الله تعالى ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله يوقفك على إساءة نفسك ويعرفك إحسان الله تعالى إليك، فيفيدك معرفة إساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون إليها، ويفيدك العلم بإحسان الله تعالى إليك، الإقبال عليه، والقيام

---

(١) رواه البخاري (١٥٤١/٤)، ومسلم (٢٠٧٦/٤).

(٢) رواه البيهقي (٤٤٨/٢).

بالشكر إليه والدوام على ممر الساعات عن يديه.

فإن قلت: أين مَن هذا وصفه ! لقد دللتني على أعز من عنقاء مغرب، فاعلم أنه لا يعودك وجدان الدالين، وإنما قد يعودك وجود الصدق في طلبهم، جد صدقًا تجد مرشدًا وتجد لك آيتين من كتاب الله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١] فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله تعالى اضطرار الظمآن إلى الماء والخائف للأمن لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك، ولو اضطررت إليه -سبحانه وتعالى- اضطرار الأم لولدها إذا فقدته لوجدت الحق منك قريبًا ولك مجيبًا، ولوجدت الوصول غير متعذر عليك، ولتوجه الحق سبحانه وتعالى فبسبب ذلك إليك فهذا الكلام في طريقي الجواز والوقوع جميعًا، وذكر أعيان الكرامات التي اتفقت للسلف -رضي الله عنهم- لا يستطاع حصرها، وقد أشبع القول فيها الأستاذ أبو القاسم القشيري ﷺ في «رسالته» وأفرد له بابًا.

واعلم أن الكرامة زيادة تظهر للولي في نفسه وزيادة تظهر فيه لغيره، فإن ظهرت للولي في نفسه، فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفرديته وأحديته وأن قدرته لا تتوقف على الأسباب وأن العوائد والوسائط والأسباب حجب قدرته وسحب شمس أحديته فوافق عندها مخذول، وناقد منها إليه هو بالعناية موصول.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ: فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والإرادة والصفات الأزلية بجمع لا يفترق، وأمر لا يتعدد كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد يستوي من يعرف الله تعالى إليه بنوره كمن تعرّف إلى الله بفعله، ولأجل أنها تثبت لما ظهرت له ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أرباب النهايات في نهاياتهم؛ إذ ما عليه أهل النهاية من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه إلى مثبت، وهكذا كان السلف -رضي الله عنهم- لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى إلى وجود الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الإشهادية، ولا يحتاج جبل إلى مرساة، فالكرامة واقعة لزلزلة الشك في المنة، ومعرفة فضل الله تعالى فيمن أظهرت عليه، وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى.

والناس في الكرامات على ثلاثة أقسام:

- قسم يجعلونها غاية الأمر، فإن وجدوها عظموا من ظهرت عليه، وإن فقدوها لم يتوجهوا إليه.

- وقسم قالوا: وما هي الكرامات؟ إنما هي خدع يخدع بها أهل الإرادة ليقفوا على حدودهم، وحتى لا يلجوا مقامًا ليس هو لهم، حتى قال أبو تراب النخشبي لأبي العباس: ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله تعالى بها عباده؟

فقلت: ما رأيت أحدًا إلا وهو يؤمن بها فقال: من لم يؤمن بها فقد كفر، إنما سألتك من طريق الأحوال.

فقلت: ما أعرف لهم قولاً، فقال: بلى، قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق، وليس الأمر كذلك، إنما الخدع في حال السكون إليها، فأما من لم يقترح ذلك ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين، وكان هذا من أبي تراب بعد أن عطش أصحابه فضرب بيده الأرض فنبع الماء، فقال فتىً هناك: أريد أن أشربه في قدح، فضرب بيده إلى الأرض فناوله قدحًا من زجاج أبيض فشرب وسقانا.

قال أبو العباس المرسي ﷺ: وما زال القدح معنا إلى مكة -شرفها الله تعالى-.

والقول الفصل في ذلك أنه لا ينبغي أن يطلب معنى الكرامة أدبًا مع الله تعالى، ومن أظهرت عليه عظم لأنها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعال.

- القسم الثالث: وهو أن تظهر لك الكرامة في الولي لغيره، فالمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذي شهدها بصحة طريق هذا الولي الذي أظهرت عليه الكرامة، أما أن يكون جاحدًا فيرجع إلى الاعتراف أو كافرًا فيعود إلى الإيمان أو شاكًا في خصوصية ذلك العبد، فأظهرت عليه ليعرفك الله تعالى بما فيه من ودائع الإحسان وقد انبسط الكلام في هذه المقدمة، وما كان ذلك لنا باختيار، ولكن قد تضمنت علومًا وأسرارًا واطلعت من لم يصيب من الله تعالى مشرقات الأنوار، وهذا وإن ابتدأ بها بما قصدنا وإظهارنا ما أضمرنا، والله تعالى هو العالم بالبيان وهو ولي الفضل والإحسان له الحمد كما يجب لجلاله والشكر على نعمه

وأفضاله، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فائدة ذكرها الشيخ -رحمه الله تعالى- في أول هذه الرسالة قبل ذكره لكرامات الأولياء.

قال: اعلم أن المحبة من أجل مقامات اليقين حتى اختلف أهل الله تعالى أنها أتم مقام المحبة أو مقام الرضا، وإن كان الذي يقول به أن الرضا أتم لأن المحبة ربما حكم سلطان على المحب وقوي عليه وجود الشغف، فأداه ذلك إلى طلب ما لا يليق بمقامه ألا ترى أن المحب يريد دوام شهود الحبيب، والراضي عن الله تعالى راض عنه وصله أم قطعه؛ إذ ليس هو مع ما يريد لنفسه بل هو إنما مع ما يريد الله تعالى له المحب طالب لدوام مراسلة الحبيب، والراضي لا طلب له.

ولي في هذا المعنى:

وكنتُ قديمًا أطلبُ الوصلَ منهمُ ... فلمـــا أتاني الحكمُ وارتفعَ الجهلُ

تَيقــنتُ أنّ العــبدَ لا طلبَ لـــهُ ... فــإن قَربوا فضلٌ وإن بَعدوا فضلُ

وإن أظهروا لم يُظهروا غَير وصفهم ... وإن ستروا فالسِّتر من أجلِهم يحلو

وقال الشيخ أبو الحسن ﷺ: المحبة أخذة من الله تعالى لقلب عبده عن كل شيء سواه، فترى النفس مائلة بطاعته، والعقل محضًا لمعرفته، والروح مأخوذة في حضرته، والسر مضمورًا في مشاهدته، والعبد يستزيد فيزاد، ويفاتح بما هو أعزب من لذيذ مناجاته، فيكسى حلل التقريب على بساط القربة، ويمس أبكار الحقائق وقينات العلوم، فمن أجل ذلك قالوا: أولياء الله تعالى عرائس، ولا يرى العرائس المجرمون.

قال له القائل: قد علمت الحب، فما شراب الحب، وما كأس الحب، ومن الساقي، وما الذوق، وما الشرب، وما الرّي، وما السُكر، وما الصّحو؟ قال: الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب، والكأس هو اللطف الموصل ذلك إلى أقوات القلوب، والساقي هو المتولي بالمخصوصين الأكبر، والصالحين من عباده، وهو الله سبحانه وتعالى العالم بالمقادير ومصالح أحبابه، فمن كشف له عن ذلك الجمال، وحظي منه نفسًا أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذاتي

المشتاق، ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقًا، ومن توالى عليه الأمر، ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله تعالى المخزونة، فذلك هو الرَّي، وربما غاب عن المحسوس والمعقول، فلا يدري ما يقال ولا ما يقول فذاك هو السُكر، وقد تدور عليهم الكئوس وتختلف لديهم الحالات، ويردون إلى الذكر والطاعات، ولا يحجبون من الصفات مع تزاحم المقدورات، فذاك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم، فهم بنجوم العلم وثمر التوحيد يهتدون في ليلهم، وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم أولئك حزب الله **﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾**.

انتهى كلام الشيخ هنا رحمه الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين.

وحسبنا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



تنبيه الأذكياء
في بيان كرامات الأولياء
وما خصهم الله تعالى من الكرامات
حال الحياة وبعد الممات

تصنيف

الشيخ أحمد بن منصور الجندي الحنفي المصري

من علماء القرن الحادي عشر

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢٧٤٨

كتاب تنبيه الاذكيا في بيان كرامة الاوليا
وما خصهم الله تعالى من الكرامات
حال الحياة وبعد الممات خلافا
للمعتزلة تاليف العبد الفقير الى مولاه
الغني احمد الحنفي المصري
عامله الله بلطفه
الخفي

[redacted] السلمين

اسعد الله ناظرا فيه

صورة غلاف المخطوط


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي خصَّ بالكرامات الخارق للعادات من شاء من أوليائه وأحبائه حال الحياة وبعد الممات، ورفعهم كما أخبر درجات بحسب الأحوال والمقامات، وبَوأهم من فيض فضله الفياض من رحاب الجنة روضات، فهو الكريم الوهاب وقدرته تعالى صالحة لجميع المقدورات.

والصلاة والسلام على سيدنا صاحب الدلائل والخصائص والمعجزات، وعلى آله وأصحابه الأنجم الزاهرات والكواكب النيرات.

وبعد ..

فهذا الأُنموذج اللطيف والعنوان الشريف ما شرعت فيه إلا بعد النظر والتأمل ومراجعة بعض كتب القوم المعتمدة وأقوال أئمة المذاهب المعتبرة، وذلك بحسب الوسع والطاقة وإني وإن لم أكن للإكرام أهلاً، وسميته «تنبيه الأذكياء في بيان مناقب كرامة الأولياء، وما خصهم الله به من الكرامات حال الحياة وبعد الممات» ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة بها يتم الكتاب.

فالمقدمة: في ترجمة الكتاب.

والباب الأول: في مناقب الصحابة -رضي الله عنهم- وما أعدَّ الله لهم من الكرامات حال الحياة وبعد الممات.

والباب الثاني: في كرامات العلماء والبُلْه والمجذوبين. أعاد الله علينا من بركاتهم وإخواننا المسلمين.

والباب الثالث: في كرامات آل البيت الشريف الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا .

والخاتمة: في بيان آداب الزيارة وما ينبغي للزائر أن يفعله وما ينبغي له أن يدعه.

وأنا أسأل الله العظيم أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن يلهمني الصواب، إنه ذو الفضل العظيم وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

اعلم يا أخي أسعدك الله وأرشدك ووفقك الله للخير وأجراه على يديك أن كرامات الأولياء نفعني الله وإياك بهم ثابتة حال الحياة وبعد الممات يجب الإيمان بها والاعتقاد، ومن لم يعتقدها يخاف عليه الكفر، والأولياء هم العلماء؛ إذ ما اتخذ الله من ولي جاهل وما اتخذه لعلمه.

والكرامة من التكريم والإكرام، فكل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، والفرق بين المعجزة والكرامة هو أن المعجزة تقع عند قصد النبي وتحديه، والكرامة لا يُتحدى بها، -والتحدي- بالدال المشدّدة هو طلب المعارضة والمقابلة، ثم الناقض للعادة فعل يجريه الله على يد من يشاء من عباده، وهو في الحاصل على أربعة أنواع الأول :

هو «المعجزة»: وهو ما يجري على يد النبي مع التحدي ودعوى النبوة.

والثاني: هو «الكرامة»: وهو ما يجري على يد الولي مع متابعة الكتاب والسنة.

والثالث: هو «المعونة»، وهو للعوام، وهو ما يجري على يد واحد من عوام المؤمنين من غير دعوى أومكر.

أما الأخير: فهو «الاستدراج»: وهو ما يجري على يد الكافر والظالم ونحوهما، بخلاف «السحر» فإنه ليس بناقض للعادة، فإنه يمكن للعبد كسبه وتحصيله باختياره بتعلم السحر واستعماله.

وأما الفرق بين الشريعة والحقيقة هو أن الشريعة ما ورد بها التكليف، والحقيقة ما حصل بها التعريف، فالشريعة مؤيدة بالحقيقة، والحقيقة مقيدة بالشريعة، والشريعة وجود الأفعال لله تعالى، والقيام بشروط العلم بواسطة الرسل - عليهم الصلاة والسلام -.

والحقيقة: شهود الأحوال بالله، واستسلام لإثبات الحكم بتقدير لا بواسطة.

واختلف المشايخ رحمهم الله تعالى في أن الولي هل يجوز أن يعرف ذاته بأنه ولي لله تعالى، كما أن النبي يعرف أنه نبي من عند الله تعالى؟.

قال بعضهم: لا يعرف ذ لك على الحقيقة، لورود أولياء تحت قباب لا يعرفهم غير القليل(١).

وقال أكثر المشايخ: يجوز أن يعرف ذلك ليزداد في الشكر والتقوى.

وأول الأثر بأن المراد منه لا يعرفهم غير من يؤمن بهم.

واختلفوا أيضًا في أن الولي هل يجوز أن يعزل عن ولايته بعد قبول الله تعالى إياه وتشريفه له بالكرامات؟.

قال بعضهم: يجوز.

وقال بعضهم: لا ، لما ثبت عنه ﷺ: «أن الله يستحيي أن ينـــزع السر من أهله(٢)».

وورد في ذلك [«والولي ......»(٣)]، لأن الكريم إذا وهب هبة لا يعود في هبته، والله كريم وهاب، وليس من شروط الوليّ العصمة من المعاصي، لكن الولي إذا وقع في معصية يوفقه الله تعالى للتوبة الخالصة عقبها، فلا يستقر على لوث الآثام.

وأما النبي فمعصوم قطعًا، ولا يعزل عن منصب النبوة أبدًا، وهو متصف بالمرتبتين، وأنه أفضل من الولي الذي ليس بنبي، وأما تفضيل الأنبياء والرسل

---

(١) ومن هذا المقام كان أهل الطائفة الشهيرة بالملامتية يحضرون بمجالس اللهو ونحوه؛ ليطالعوا سرَّ الغيب، وصور القضاء، والقدر في عالم العين الخارجي، ويطّلعوا على أن العلم ليس إلا على هذا العين، والناس إذا رأوهم في تلك المجالس؛ يظنون بهم ظنَّ السوء، ويقولون: إنهم من أهل الملاهي، وأين هم من ذلك؟

فإنهم غائبون بأرواحهم، حاضرون بأشباحهم، معلومون بصورهم، مجهولون بحقائقهم؛ لأنهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فكيف يدركهم العقول، ويدخل فيهم الشعور؟ ولذا ورد:

«أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري».

ومن جملة تلك القباب حضورهم في مجالس أهل الغيبة، فإن الله تعالى جعل ذلك من أسباب سرّهم.

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/٢٨٤)، وقال: ليس بحديث، بل هو كلام يجري على الألسن.

(٣) في الأصل، سادس عشر الجد، وهو غير واضح.

بعضهم على بعض فذلك بتفضيل الله تعالى لقوله ﷻ:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

أضاف التفضيل إلى ذاته العليّة فيكون تفضيل بعضهم على بعض بتفضيل الله تعالى لهم.

قال المتكلمون من المحققين: نعم ما قالوا، ولي الله من يكون آتيًا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل، ويكون آتيًا بالأعمال الصالحة على وفق ما ورد بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، فهذا الكلام مختصر في تفسير الولي.

فأما قوله تعالى في صفاتهم: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩] ففيه بحثان:

الأول: إن الخوف إنما يكون في المستقبل من المكاره.

والحزن إنما يكون على الماضي.. إما بسبب أنه كان قد حصل في الماضي ما يكرهه ، أو لأنه فاته شيء أحبه .

البحث الثاني: نفي الخوف والحزن، إما أن يحصل للأولياء حال كونهم في الدنيا أو حال انتقالهم إلى الدار الآخرة، والدنيا دار خوف وحزن، والعبد لا يخلو عن ذلك فوجب حمل قوله: ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على أمر الآخرة. والخوف من الشيء أو الحزن على الشيء لا يحصل إلا بعد الشعور به، والمستغرق في نور جلال الله تعالى غافل عن كل ما سوى الله تعالى، فيمتنع أن يكون له خوف أو حزن، وهذه درجة عالية من لم يذقها لم يعرفها، ثم إن صاحب هذه الحالة قد تزول عنه هذه الحالة، وحينئذ يحصل له الخوف والحزن والرجاء والرغبة والرهبة بسبب الأحوال الجسمانية،كما يحصل لغيره.

وسمعت أن العارف بالله تعالى سيدي إبراهيم الخواص[1] كان في البادية

---

(١) هو سيدنا إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، كنيته أبو إسحاق.

المشهور بين العام والخاص، أوحد مشايخ وقته، عارف كثرت فوائده، وحسنت أخلاقه ومقاصده وانتفع به الطلاب، وارتفع قدره بين ذوي الألباب، وله في التوكل الحال المشهور، والذكر =

المنشور، والرياضة التامة، والسياحة العامة، قال الغزالي رحمه الله: كان لا يقيم في بلد أكثر من أربعين يومًا، وكان رأسًا في التوكل يرى الإقامة اعتمادًا على الأسباب قادحة في التوكل. فهو أحد من سلك طريق التوكل، وكان أوحد المشايخ في وقته، ومن أقران الجنيد، والنوري، له في السياحات والرياضات مقامات يطول شرحها.

قال محمد بن عبد الله الرازي: مرض إبراهيم الخواص بالري في المسجد الجامع، وكان به علة القيام، وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل ويعود إلى المسجد، ويركع ركعتين فدخل الماء ليغتسل؛ فخرجت روحه وهو في وسط الماء.

من كلامه:

قال جعفر بن محمد الخلدي: سمعت إبراهيم الخواص يقول: من لم يصبر لم يظفر.

قال وسمعته يقول: من لم تبك الدنيا عليه، لم تضحك الآخرة إليه.

وقال أبو بكر الرازي: سمعت إبراهيم الخواص يقول: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العالم من اتبع العلم، واستعمله واقتدى بالسنن، وإن كان قليل العلم.

وسئل عن الورع؟ فقال: ألا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أم رضي، ويكون اهتمامه بما يرضي الله تعالى.

قال: وقال إبراهيم: العلم كله في كلمتين: لا تتكلف ما كفيت، ولا تضيع ما استكفيت.

قال: وقال إبراهيم: المتاجر برأس مال غيره مفلس.

وقال أبو عبد الله الرملي: سمعت الخواص يقول: ليكن لك قلب ساكن، وكف فارغة، وتذهب النفس حيث شاءت.

وقال أبو الحسين الزنجاني: سمعت إبراهيم يقول: رأيت شيخًا من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يومًا على سبب في البرية، فنهاه شيخ كان معه، فأبى أن يقبل، فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب.

وكان إبراهيم يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السَّحر، ومجالسة الصالحين.

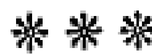
وقال إبراهيم: على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله، يلبسه الله من عزه، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين.

وقال إبراهيم: عقوبة القلب أشد العقوبات، ومقامها أعلى المقامات، وكرامتها أفضل الكرامات، وذكرها أشرف الأذكار، وبذكرها تستجلب الأنوار، وعليها وقع الخطاب وهو المخصوص بالتنبيه والعتاب.

وقال إبراهيم: اختار من اختار من عباده، لا لسابقة لهم إليه، بل لإرادة له فيهم، ثم علم ما يخرج منهم وما يبدو عليهم، أي بما فيهم من أنواع المخالفات، لأن من اشترى سلعة يعلم عيوبها لا يردها.

ومعه أحد تلامذته، فاتفق له في بعض الليالي ظهور حالة قوية، فجاءت السباع ووقفوا بالقرب منه، فلما أصبح زالت تلك الحالة، وفي الليلة الثانية، وقعت بعوضة على يده فأظهر الجزع من تلك البعوضة، فقال له المريد: كيف تليق هذه الحالة بما قبلها ؟!

قال الشيخ: «إنا لما تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الوارد[1]، فلما غاب ذلك الوارد فأنا الآن أضعف خلق الله تعالى».





=

مات -رحمه الله تعالى- في جامع الرَّي، وبها قبره، سنة إحدى وتسعين ومائتين إن صحّ.
وقال الخطيب: ذُكر أنه مات سنة أربع وثمانين ومائتين. وتولى أمره في غسله ودفنه يوسف ابن الحسين.

انظر ترجمته: طبقات الصوفية (٧)، (ص٥٨٤)، والطبقات الشعرانية الكبرى (١/١١٣)، ونتائج الأفكار القدسية (١/١٧٥)، والكواكب الدرية (١/١٨٤)، وتاريخ بغداد (٦/١٠٧)، وحلية الأولياء (١٠/٣٢٥)، وصفوة الصفوة (٤/٨٠)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص٥٥).

(١) قال سيدي علي وفا قدس سره: إذا قوي الوارد على قوة المورود جرى في مسالكه على غير نظام، ومن ثَمَّ نظر ذائق بعين الفرق إلى توقف نفوذ فعل الفاعل على قبول القابل؛ لتوقف تعين القابل على فعل الفاعل، فقال بلسان قبوله عن فاعله: (فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده)، ولو كان وارده تحت مكنته لقال عن فاعله: (وأخدمه وأعبده)، كما قال لسان العزة:

﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٧]. وانظر: «المسامع» (ص٢٥٩) بتحقيقنا.

الباب الأول في مناقب الصحابة رضي الله عنهم(١)

وما أعدَّ الله لهم من الكرامات حال الحياة وبعد الممات، وذلك ثابت بالآيات البينات والسنن الواضحات، وأقوال أئمة الدين الثقات من أهل السنة والجماعات خلافًا للمعتزلة وأصحاب العقول السخيفة.

قال الله تعالى على لسان نبيه الأمين:﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قال بعض المفسرين: أي: أحياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية والقرب من الله تعالى، والمراد بالقرب هنا قرب رحمة وعناية لا مبدأ ونهاية، والتمتع بنعيم الجنة.

ويستبشرون أي: يبشرون بالبشارة، وهي الخبر السار بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، أي: الذين من خلفهم زمانًا أو رتبةً ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ والمعنى: إنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة، وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين، وهو أنهم إذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة لا يُكدرها خوف وقوع محذور، ولا حزن فوات محبوب.

روي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر»(٢) الحديث.

ومعناه كما في تفسير الآية أنهم يأكلون من أثمار الجنة ويشربون من أنهارها.

---

(١) إن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كلهم أنوارٌ ليس فيهم ظلمةٌ؛ لتوهج ضياء شمس النبوة عليهم، وكمال محاسنهم، ثم أن الشمس إذا غربت تظهر الظلمة عقيب غروبها ولا تظهر إلا الكواكب الكبار، فكلما تغرب عن الأفق تكثر الظلمة، فتظهر سائر الكواكب إلى أن يظهر فجر الوعيد، وأيضًا الصحابة كانوا أهل حقٍّ، وسُنَّة، وطاعة، وعدل، ومعروف؛ ثم ظهر بعدهم عكس ذلك من الباطل والبدع، والمعاصي، والظلم، والمنكر، فبث الله تعالى في سائر البلدان رجالا قلدهم سيوفًا ماضيات تقطع أعناق المنكرين عليهم.

(٢) رواه الترمذي (١٧٦/٤)، والدارمي (٢٧١/٢).

فإن قلت: «يتوهم ضيق حواصل الطيور عليهم».

قلت: لا ضيق، لصلاحية القدرة أن تجعل الضيق واسعًا، كالولد في رحم أمه، والسبب في نــزول هذه الآية الشريفة - والله سبحانه وتعالى أعلم - شهداء أحد، وقيل شهداء بدر، والخطاب للنبي ﷺ أو لكل واحد.

وأما السنة: فما روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«**يموت المرء على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه**»[(١)].

وثبت عنه ﷺ أنه لما دفن بعض أصحابه وألحدهم بيده الشريفة كان يبكي ثم ضحك ﷺ فقال له بعض الصحابة: أضحك الله سنك يا رسول الله، ما رأينا كاليوم ضحكًا وبكاءً في ساعة واحدة؟ فقال النبي ﷺ: «**ضحكتُ أنه ابتدره سبعون حوراء كل واحدة منهن تجره إلى نفسها**»[(٢)].

ونقل الإمام المنذري صاحب «الترغيب والترهيب» رحمه الله تعالى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب أحد أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله .. ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا هو قبر إنسان، فقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبي ﷺ: «**هي المانعة، هي المنجية من عذاب القبر**»[(٣)].

وأما إجماع الأمة: فقد أجمع أئمة الدين وعلماء المسلمين من أهل السنة والجماعة نصرهم الله تعالى على إثبات كرامات الأولياء حياةً ومماتًا، ولكن نازع في ذلك طائفة من المعتزلة، وخلافهم لا يعد خلافـــًا، ولا يلتفت إلى قولهم.

والصحيح ما ذكر هنا من الدلائل الدّالة على كرامات الأولياء بعد وفاتهم أكثر من أن يحصى وأشهر من أن يستقصى، فلفظ «الولي» يدل على القرب،

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٠٦) نحوه.

(٢) لم أقف عليه هكذا.

(٣) رواه الترمذي (٥/١٦٤)، والدارمي (٢/٥٤٦).

فولي كل شيء هو الذي يكون قريبـــًا، منه والقرب من الله تعالى بالمكان والجهة محال لأن قياس الشاهد على الغائب فاسد، وإنما يكون القرب منه بالقلب أي: قرب رحمة وعناية، لا مبدأ ونهاية، ولما كان وليـــا لله تعالى كان الله تعالى وليـــا له، كما قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

ويقول ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَـزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦] وجاء لفظ «وليِّي» بثلاث ياءات .. الأولى: ياء فعيل، وهي ساكنة، والثانية: لام الفعل، وهي مكسورة قد أدغمت الأولى فيها فصارت ياء مشددة، والثالثة: ياء الإضافة، وهي مفتوحة، والولي هنا بمعنى الناصر والحافظ.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فسرت في الحديث -صححه الحاكم- بـــ «الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو تُرى له»(٢).

(١) رواه البخاري (٢٥٦٣/٦)، ومسلم (١٧٧٤/٤).

(٢) رواه مسلم (٣٤٨/١)، وأبو داود (٢٣٢/١).

قلت: الرؤيا الصالحة هي الصادقة التي توافق الواقع، وهي ما لم تكن من غلبة الخيال، ولا من مداخلة وسوسة الشيطان، فإنها إذًا تكون كاذبة خيالية أو شيطانية، ومنها الاحتلام وقد تكون للسالك حين سلوكه، وقد تكون من ضعف المزاج والقوى.

والرؤيا الصالحة من مثمرات الحق، ودلالة من أدلة الصدق، قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، وقال ﷺ: «هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو تُرى له»، قاله ابن عباس وعمران بن حصين، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر.

وفي لفظ عبد الله بن عمر هي الرؤيا الصالحة، وقال ﷺ: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا»، فجعل صدق الرؤيا موقوفًا على صدق الحديث، فصدق الحديث أمارة دالة على صدق الرؤيا.

وفي الصحيح واللفظ للبخاري فيما أسنده على أبي هريرة قال: قال ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة».

=

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «لم يبقَ من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة»، وفي لفظٍ آخر: «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات»، فإذا ثبتت فضيلة الرؤيا فهل يثبت بذلك فضل السبب الموصل إليها وهو النوم؟ فقد اختلف الناس في ذلك فمن ذاهب إلى أنه فضيلة، وقد تخاصم رجلان إلى حكيمٍ فقال أحدهما: النوم خيرٌ من السهر؛ لأنه عصمة عن المعاصي، وقال الآخر: هو غفلة عن ذكر الله تعالى ومعرفته، فقال الحكيم لمن فضّل النوم: الموت خيرٌ لك من الحياة، وقال للآخر: الحياة خيرٌ لك من الموت.

وقد كان شاه الكرماني تعوّد السهر فغلبه النوم مرة فرأى الحق في النوم، فكان بعد ذلك يتكلف النوم، فقيل له في ذلك فأنشأ يقول:

رَأَيْتُ سُرورَ قَلْبِي فِي مَنَامِي ... فَأَحْبَبْتُ المَنَامَ والنُّعاسَا

ففي هذه الرؤية درجة ومزية كريمة، وليس ذلك موجودًا في اليقظة، وأفضل درجات أهل الجنة هو النظر إلى مولاهم، والذي ظهر لي في ذلك أن الإنسان متى غلب عليه في حالة النوم رؤية الحق سبحانه والأنبياء- عليهم السلام - والملائكة والعرش والكرسي وما ناسب ذلك، فينبغي أن يكون النوم في حقه فضيلة وكرامة، وإلا فاليقظة فضيلة في حقه.

وقد رأى أبو بكر الآجري الحق تعالى في المنام، فقال له: أسأل حاجتك؟ فقال: اللهم اغفر لعصاة أمة سيدنا محمد، فقال: أنا أولى بهذا منك، سلْ حاجتك.

وقال أبو يزيد: رأيت ربي في المنام فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعالَ.

وقيل: رأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام فقال: يا رب كم لي أدعوك فلا تستجيب لي؟ فقال: يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.

وقال يحيى بن سعيد القطان: رأيت ربي في المنام فقلت: يا رب كم لي أدعوك فلا تستجيب لي؟ فقال: يا يحيى إني أحب أن أسمع صوتك.

فأما حقيقة الرؤيا فهو خواطر ترد على القلب من خيالات تتصور في الوهم، فتارة تكون من هواجس النفس، وتارة تكون من لمة الشيطان، وتارة تكون من لمة الملك، وتارة تكون تعريفًا وإلهامًا من الله تعالى، كما ورد في الحديث: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان».

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام، فيخطر لهم على سبيل الورود علم من حيث لا يعلمون، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة؛ لأنها من أجزاء النبوة، وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة، كما يكون في

لقوله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جُزءٌ من ستة وأربعينَ جزءًا من النبوة (١)».

أما البشرى في الآخرة فهي ثواب الجنة، لا تبديل لكلمات الله - أي: لا خلف لمواعيده - وذلك هو الفوز العظيم، وقيل: البشرى عبارة عن حصول البشرى لهم عند الموت لقوله تعالى: ﴿تَتَنَــزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١] .

فالبشرى في الآخرة سلام الملائكة عليهم كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وكما قال تعالى: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]

ويندرج في هذا الباب ما ذكره الله تعالى في هذا الباب من بياض وجوههم، وإعطاء الصحائف بأيمانهم، وما يرون منها من الأحوال السارة.

وقيل: إنها عبارة عمّا بشّر الله به عباده المتقين في كتابه المبين على ألسنة أنبيائه الصادقين من جنته، وكريم ثوابه، قال الله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١، ٢٢].

=

المنام وهي أعلى الدرجات؛ لأنها من درجات النبوة، واعلم أن من الشروط اللازمة والأحكام الجازمة عند علماء الآخرة، وجميع شيوخ المتصوفة المتقدمة منهم والمتأخرة، أنه متى ورد بعض هذه الواردات في منامٍ أو يقظة عند من يجد ذلك بمخاطباتٍ في الباطن، أو مطالباتٍ ترد على الظاهر بقولٍ كالهواتف، أو إشاراتٍ كالأمارات، أن توزن بميزان الشرع، فما كان منها لطلب حق استعمله، وما كان منها لطلب حظ أهمله؛ لأن إمضاء خاطر الحظ ذنبٌ من ذنوب الأحوال، تجب منه التوبة والاستغفار، كما تجب من ذنوب الأفعال والأقوال، وقد يرد منها ما يجب نفيه متى ورد بفضول المباح، وقد يرد ما يجب إتباعه، وهو ما كان من أسرار المعاملات كفرضٍ أمر به، أو فضلٍ ندب إليه، أو مباحٍ يعود صلاحه عليه، وقد يرد تارة بوارد سرور، وتارة بوارد حزن، وتارة بوارد بسط، وتارة بوارد قبض، على قدر منح ومواهب من معطٍ كريمٍ، وجوادٍ حكيمٍ.

(١) رواه البخاري (٦/٢٥٦٣)، ومسلم (٤/١٧٧٤).

ومن الكرامات بعد الموت

ما ثبت للإمام أبي بكر الصديق ﷺ بعد وفاته، وهو ما روي أن رافضيًّا قطع لسان سائل يسأل من يعطيه عشرة دراهم في حب أبي بكر الصديق ﷺ، فذهب السائل، وهو يبكي إلى قبر النبي ﷺ، فنام هناك فرأى النبي ﷺ ومعه الصحابة، وفيهم أبو بكر الصديق ﷺ(١).

فقال أبو بكر: يا رسول الله، هذا السائل قطع لسانه لأجلي، فدعاه النبي ﷺ ومسح بيده الشريفة على موضع القطع من لسانه، فأظهر الله له لسانًا أحسن من لسانه الأول وقال له: انظر قد أبدل الله صاحبك قردًا فرآه، فإذا هو قرد ومُسخ قردًا إلى أن مات. ذكر هذا في كتاب: «اتباع السنة».

وأيضًا ما ثبت أن الإمام أبا بكر الصديق ﷺ أنه كان يمشي مع النبي ﷺ فداس أبو بكر على نملة، فقتلها فقال أبو بكر: أترانا يا رسول الله نُؤاخذ بقتل هذه النملة فقال ﷺ: نعم يا أبا بكر فبكى أبو بكر ﷺ حتى بلّ لحيته الشريفة بدموعه ثم قال: اللّهم بحرمة هذه اللحية أحيي هذه النملة، فمشت في كفه، فبينما هما كذلك؛ إذ نـــزل جبريل ﷺ على النبي ﷺ وقال: يا رسول الله الحق يقرؤك السلام، ويقول لك قُل لأبي بكر: أما يستحي يقسم علينا بشيبته في إحياء نملة - وعزتي وجلالي - لو أقسم علينا أبو بكر بشيبته في إحياء جميع الموتى لأحييناهم له.

وكما ثبت لعمر ﷺ وكذا أثبتت الكرامة بعد الموت لسيدنا عثمان ﷺ حين قتله الخوارج - لعنهم الله تعالى- فصاحت امرأته فضربها خارجي، فصاح به عثمان ﷺ بعد ما طارت رأسه عن جثته: لَمَ تضربها قطع الله يديك ورجليك وأدخلك في النار في الدنيا والآخرة.

فذهب الخارجي وهرب من المدينة فلقيه ملك فقال له: أنت قتلت عثمان

(١) ذكره العبيدي في عمدة التحقيق (بتحقيقنا).

فأراد أن يقول لا فقال: نعم فقطع يده بيده، ونفخ فيه فاشتعلت عليه النار، فهو يصيح النار النار أين الفرار من النار.

وكما ثبتت الكرامة لأبي بكر وعمر وعثمان وثبتت لعلي ﷺ، وكذا ثبتت الكرامة بعد الموت لعبد الله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما -.

قال ميمون بن مهران: شهدت جنازة ابن عباس -رضي الله عنهما- فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض، فوقع على أكفانه، فدخل فيها فالتمس فلم يوجد فلما سوي عليه التراب سمعنا من سمع صوته ولا نرى شخصه يقول:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠]. والله أعلم.

* * *



الباب الثاني في فضل العلم وكرامات العلماء والبله والمجذوبين

أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاتهم أجمعين إنه هو البر الرحيم.

قال في روضة العلماء: من شرف العلم أن الله تعالى لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] طعنت الملائكة في آدم عليه السلام.

وفي ذريته حتى قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠][1].

---

(١) كان ينبغي لها السمع والطاعة، فالتبست عليها صورة الإخبار بصورة الشهوة، فما وقفت على حد الإطاعة والإنصات، والانقياد حتى قالت ما قالت.

فإنه ما يعرف أحدٌ من الحق إلا ما تُعطيه ذاته تعريفًا، أو تجليًا والمعرفة الإلهيّة للملائكة بالتعريف لا بالتجلّي كما اعترفوا بذلك، وقالوا: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة:٣٢].

وقال الشيخ الأكبر: (وليس للملائكة جمعية آدم) أي: حتى يعلم مقتضى الذات، فلهذا فاتها الانقياد الذاتي بخلاف الإنسان.

أما ترى أنه عَبَدَ الحجر، والمدر، والجماد وما ذلك إلا من المعرفة بالاقتضاء الذاتي، والإدراك الذوقي، وليس للملائكة تلك المعرفة الذاتية، بل ما لها إلا تنـزيه بحت، فافهم.

والرب هو المصلح لغةً، فما وقفوا على مقصود الحق من خلق الخليقة، ولو لم يكن الأمر كما وقع؛ لتعطّلت من الحضرة الإلهية أسماء كثيرة لا يظهر لها حكم.

قال ﷺ: «لو لم تذنبوا لجاء الله بقومٍ يذنبون فيستغفرون، فيغفر لهم» فنبَّه فيه أن كل أمرٍ في العالم إنما هو لإظهار حكم اسم إلهي، وإذا كان هكذا الأمر: أي كما وقع فلم يبقى في الإمكان أبدع من هذا العالم ولا أكمل، وفساده عين الصلاح، وإفساده عين الإصلاح مع أن السفك يدل على الغلبة، والعزّة التي لصاحب المرتبة ذي المنعة، والقوة، والشوكة.

قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٠٣].

قالوا: الخلافة العامة والعزّة التامة، حتى قيل فيهم: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقين:٨].

مع أن العزّة لله، فإن عزّتهم عزة الحق من مقام وحدة الوجود لله جميعًا، فافهم الإشارة: أي إلى أنهم عين الحق.

ويُستفاد من مجموع الآيتين، فإن كنت من أهلها أقل من هذا يكفيك، وإن لم تكن من أهلها، فكل الموجود ولو كان لسانًا ما يكفيك، فافهم.

وإنما وقع الغلط من استعجالهم بهذا القول من قبل أن يعلموا حكمة الله تعالى فيه، وما حملهم على ذلك إلا الغيرة التي فطرت عليها في جناب الله سبحانه ويحتمل أن يراد من النشأة لنشأتها: أي أنها قالت: من حيث نشأتها ومقتضائها؛ لأنها طبيعية: أي مخلوقة من الطينة.

ولولا أن الملأ الأعلى له جزء من طبيعة، ويدخل من حيث هيكلها النوريَّة المادية التشاجر، والخصام لما اختصمت، فإن الخصام من التنافر، والتنافر من التركيب، فإذا تجرَّد لا خصام، ولا نـزاع.

قال ﷺ في «الفتوحات»: لا بد في نشأتها من المنازعة، ولاسيما المولد من الإمكان فإنها مُولَّدة من مولد، فلو وقفوا مع روحانيتهم وتجرُّدهم، فلم يقولوا ما قالوا؛ بل يقولون: ذلك إليك تفعل ما تريد، انتهى كلامه ﷺ.

وذلك لأن أول جسم خلقه الله تعالى الأرواح المهيمة ومنهم: العقل الأول، وأمَّا النفس الكل التي هي اللوح المحفوظ، فهي بواسطة العقل، فكل ملكٍ خُلِقَ بعد هؤلاء، فداخلون تحت حكم الطبيعة، فهم من جنس أفلاكها التي خلقوا منها، وهم عمارها إلى أن ينتهي إلى ملائكة خلقت من العناصر إلى أن ينتهي إلى ما خلقت من أعمال العباد وأنفاسهم.

قال تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣١]، وهذه الأداة لا تكون إلا من الأعلى إلى الأدنى. كما قال تعالى: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦] استفهام التقرير بما هو به عالم؛ ليقيم الشهادة على نفسه بما ينطق به مع أنها ذات عيوب الغير، وهي بعينها فيها، ولم ترها في نفسها التي اتَّصفت بها في الوقت شيئًا، وبعدها شيء من حيث لم يشعر، فافهم.

وقال الشيخ الأكبر ﷺ: المنازعة هي المخالفة، والمخالفة هي الخصام والخصام من الطبيعة، ولا يكون إلا بين الضدين، ومن هذه قالت ما قالت ورجَّحت تدابيرًا كونيًّا على تدبير إلهي وهو من أكبر الفسادات مع أنه تعالى وصف نفسه الكريمة بأنه: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [السجدة:٥].

وما وصف نفسه إلا أن يعرِّف أنه ما يعمل شيئًا إلا ما يقتضيه حكمة الوجود وأنه أنـزله موضعه الذي لو لم ينـزله فيه لم يُوفَ الحكمة حقها، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى.

قال ﷺ: أي يبين أن الله تعالى أعطى كل شيء خلقه، حتى لا يقول أحدٌ ينبغي كذا، يقتضي كذا.

قال تعالى: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:٤٦].

قال ﷺ من هذا المقام: إن الله عصمني من القهر، فلم أنازع قط، وكل مخالفة تبدوا مني كمنازع، فهي تعليمٌ لا نـزاع، فافهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام أعطاه العلم والحكمة، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

خاطب الملائكة فقال: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] فأقروا بعجزهم؛ إذ كان لهم عبادة ولم يكن لهم علم قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

قال الله تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣] فلما أنبأهم بأسمائهم علموا فضله على أنفسهم كفضل العلماء على الجهلاء، فرفع الله قدره على قدر الملائكة بالعلم، وأمرهم بالسجود له لقيمة علمه كما قال: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

ووضع لآدم – صلوات الله وسلامه- عليه تاجًا من نور، فوقفت الملائكة

=

(وهو عين ما وقع منهم) وقعت فيما عابت به غيرها، ونازعت في الإطاعة والانقياد، وقالت ما قالت، ووقعت في الفساد وهم لا يشعرون، وكذلك وقع منها سفك الدماء.

ذكر رضي الله عنه في الباب الرابع والخمسين ومائة من «الفتوحات»: إن الملائكة التي أنـزلها الله في بدر كانوا من الملائكة، أو هم الملائكة التي قالوا في خلق آدم عليه السلام: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة:٣٠]، فأنـزلها الله سبحانه في بدر، فسفكوا، ووقعوا فيما عابوا به، انتهى كلامه رضي الله عنه.

ولو لم تعترض الملائكة ما ابتليت بالسجود، فلما علم الحق منها السحوف والعلو على آدم عليه السلام، فأنـزل لهذا العضال دواءً شافيًا، فأمرهم بالسجود، فلمَّا تحسُّوا هذا الدواء حَسْوًا برئوا من الزهو، وعلموا أنه يفعل ما يريد، وما ابتلوا به إلا عن إغضاب دقيقٍ خفي لا يشعر به إلا الراسخون. وهكذا كل انتقامٍ إلهي يقع بالظلم لا يكون إلا بعد إغضاب، وتحصيل معرفة الإغضاب على غاية الاستقصاء حتى يجتنبوا عنه في غاية الصعوبة، فإنه من علمِ الأسرار ما يعرفه كل أحد.

وكان حُذيفة اليماني صاحب رسول الله ﷺ عالمًا به، فلهذا سمِّي بهذا الاسم: أي صاحب السرّ، وليس علم أنفع منه في حق الأولياء، ذكره رضي الله عنه في الباب الحادي والأربعين وثلاثمائة من «الفتوحات».

وكل ذلك من عدم العلم والكشف بحقائق الأمور وعدم الاطّلاع بأحكام القضاء والقدر.

بين يديه صامتين، كما يقفون بين يدي الملوك لفضل علمه قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠].

أي: واذكر يا محمد: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فلا يقال خليفة على الحقيقة إلا آدم، كما تقدم.

ولداود لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] أي: تخلفني في تنفيذ أحكامي فيها، وهو آدم قالوا -أي الملائكة- ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] [1]بالمعاصي؟ أي-من بنيه- ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة:٣٠] ، أي: يريقها بالقتل.

كما كان بنو الجان، وكانوا فيها، فلما أفسدوا أرسل الله إليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾، أي: متلبسين

---

(١) قال سيدي علي وفا: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فإن شئت ذلك فلك الأمر كله، ﴿وَنَحْنُ﴾ عبادك ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، مع جعلك فيها ذلك، فكيف وأنت لا تجعل فيها خليفة، إما منك فيما تفعله من خلف حجاب سببيته، وإما منا ونحن عبادك الذين فطرتهم على طاعتك، وليس بخليفة إلا من قام بحكم مستخلفه.
فكلامهم هذا تفويضٌ وتبرؤٌ من الاعتراض الذي أشعر به إخبارهم، قبل إظهار المخبر به، كما يفعل بمن توطن على حصول ما لا يختاره، فمن فهم من هذا الخطاب اعتراضًا أو تعجبًا أو نحو هذا، فليرجع عنه لما ذكرنا، فهو أولى بحفظ حرمة المكرمين، ويمكن أن يكونوا تعرضوا بذلك؛ لأن يُجعلوا جنود هذا الخليفة المنوه بذكره، ويؤذن لهم في النـــزول معه عن مصافهم السمائية إلى محل خلافته، تعظيمًا لمن عظمه ربهم، فكأنهم قالوا: ما ثَمَّ من يكون جندًا له موجودًا إلا الجن الشياطين، وهم مفسدون سُفَّاكٌ للدماء، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]. فتجعل أولئك جنده، أو تجعلنا نحن جنده، ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فخلق له جنودًا مضافة للفريقين.
وعلى كل تقديرٍ فهم لم يصفوا خليفة ربهم بالإفساد وسفك الدماء، وإنما وصفوا به من يتأتى ذلك منه، وفي الخلافة كف إفساده، وقطع الخصومة الحاصلة بسبب فعله، وكيف يذموا من وقعوا له بأمر الله لهم ﴿سَاجِدِينَ﴾، وأنبأهم بأسمائهم التي بها صار لكلٍّ منهم مقام معلوم.

بالتسبيح بحمدك، أي: نقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي: نـنـزهك عما لا يليق بك، فاللام صلة والجملة حال، فنحن أحق بالاستخلاف[1].

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

والحكمة في استخلاف آدم أن ذريته فيهم المطيع والعاصي، فيظهر العدل بينهم.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١] أي: أسماء المسميات حتى القصعة والقصيعة بأن ألقى في قلبه علمها[2] ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ -أي: المسميات-

---

(١) عللت الملائكة بالتسبيح مع أنه تعالى أخبر أن كل شيء يسبح بحمده، ولكن هنا فرقٌ آخر، وهو أن تسبيح العالم يثبت بشهادة الله تعالى.
حيث قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:٤٤]: أي بحسب علمهم وقدر معرفتهم، فيكون ضمير بحمده راجعًا إلى كل شيء؛ لأنهم قدروا الله حق قدره، وتسبيحهم بأدعيائهم.
وإن كان في نفس الأمر يحتمل أن يكون موافق الحق، ولكن ما نعلم أن اختيارهم بهذا من الاتفاقات الحسنة ومن التعريف الإلهي؛ لأن المسبِّح أثبت على نفسه الحجاب، ولا يكون المسبِّح في حالة الشهود؛ لأن الشهود فناء، والعالم لا يفترِ عن التسبيح طرفة عين؛ لأن تسبيحه ذاتي كالنفس للمتنفس، فدلّ أن العالم لا يزال محجوبًا، وطلبهم بذلك التسبيح هو المشاهدة، فخلق الإنسان على صورته وأعطاه دوام المشاهدة، وعرف الملائكة بمرتبته السنيَّة، وأخبرهم: إن لهم بهذه الكرامة.
أما ترى قول الشيخ الأكبر ﷺ في «الفتوحات» أنه قال: كل العَالَم يسبِّح غير الإنسان الكامل؛ لأن التجلِّي له دائمٌ، وحكم الشهود له لازمٌ يا ليت شعري! لو قالت: نُسبِّحك بحمدنا: أي بما نحن عليه كان يخلِّصهم؛ لأن كل أحد ما يسبِّح إلا بحمده: أي بقدر علمه وكشفه.
قال تعالى تنبيهًا لذلك: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام:٩١] فافهم.

(٢) إنما تقوم الخلافة بعلم الأسماء أولاً كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ﴾[2] [البقرة:٣١]، ثم بالوصول إلى حقائق المسميات، ثم بالترقِّي إلى حقيقة الحقائق التي هي المسمَّى الحقيقي بأن يكون ظاهرًا بأسمائه الحسنى، ومتجليًا بصفاته العليا، ومتحققًا بحقائقه المثلى، فإن الخليفة لا بد وأن يكون على صورة المستخلف؛ كالوزير مع السلطان، وإليه الإشارة بقولة مَن قال: من أكبر أكابر الرجال سبحان مَن أظهر الأشياء وهو عينها يعني: أظهر آدم وهو عين صورة الحق في الظهور بالحقائق.
ولذا قال ﷺ: «خلق الله آدم على صورته»: أي على صورته الحقيقية إذ لا صورة لله تعالى إلا من حيث تنـزلاته واسترسالاته، وكذا أظهر الوزير وهو عين السلطان في رتبته وحكمه وظهوره، =

وفيه تغليب العقلاء ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾.

فقال لإلزام الحجة: ﴿أَنْبِئُونِي﴾ [البقرة: ٣١] -أي: أخبروني- ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ المسميات، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم، وأنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله، قالوا: سبحانك -تنــزيهًا لك عن الاعتراض عليك- لا علم لنا إلا ما علمتنا -أي: إياه- إنك أنت -تأكيد بالكاف- العليم الحكيم، أي: الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

قال تعالى لهم موبخًا: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة:٣٣] أي: ما غاب فيها، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أي: تظهرون من قولكم:

=

وذلّ هنا قدم مَن قال: كيف يكون الحق عين الأشياء، وهو من حيث وجوب وجوده، والأشياء من حيث إنها حقائق وماهيات ممكنة؟.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣]. فالشمس شمس وإن لم يرها الضرير، والعسل عسل وإن لم يجد طعمه المرور.

والحاصل: إن الكمال الحقيقي إنما هو بالوصول إلى مقام الخلافة والنبوة، وليس ذلك إلا للرجال من النساء دون النساء، فكمالهن كمال إضافي: أي بالنسبة إلى سائر النساء؛ ولذا لم يقل أحد من أرباب الحقائق: بخلافة النساء ونبوتهن؛ لأن الله تعالى لمّا جعل الرجال قوّامين على النساء ببعض الوجوه في مرتبة الشريعة؛ اقتضت الحكمة الإلهية أن يكونوا قوّامين أيضًا عليهم في مرتبة الحقيقة، وذلك لا ينافي كمالهن الإضافي.

وقد أشار إلى ذلك معنى الآية، فإن ما به التفضيل اثنان: الأول: موهبي؛ وهو الكمال اللائقة بالرجال، والثاني: كسبي؛ وهو الإنفاق من المال، إذ لا شك أنالمتفق عليه يكون من عيال المتفق وجزئياته، والجزء: إنما يقوم بالكل، فالكل قائم عليه قيام آدم على الضلع اليسرى، ثم على حواء؛ لأن حواء كانت ضلعًا من أضلاع آدم، ولّما سوّاها الله تعالى حواء تسوية النجار الخشب لم يكن هناك إلا تبدُّل الصورة، فكان آدم قائمًا عليها على كل حال.

وآدم عليه السلام شهد الله له بأنه علم آدم الأسماء كلها وقال ﷺ: «**علّمت الأسماء كلها كما علّم آدم الأسماء كلها**» ذكره الديلمي عن أبي رافع.

والأسماء إلهية غير متناهية، فإذا عرفت هذا، فاعلم أنه ﷺ قال في الباب السادس والأربعين من «**الفتوحات**»: واختلف أصحابنا في العلم المحدَث (بفتح الدال) هل يتعلق بما لا يتناهى من المعلومات أم لا ؟ فمَنْ منع أنْ نعرف ذات الله سبحانه مُنع منْ ذلك ومَنْ لم يُمنع منْ ذلك لم يُمنع حصوله.

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ إلى آخره، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ -أي: تسرون- من قولكم: لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم.

واذكر يا محمد: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، سجود تحية بالانحناء، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وهو أبو الجن مؤمنهم وكافرهم، كما أن آدم عليه السلام أبو الإنس مؤمنهم وكافرهم، كان إبليس مع الملائكة(١).

---

(١) قال ابن ناصر في شرح الفص الآدمي: و(إبليس) وكان اسمه حارث فأبلسه الله تعالى وطرده من رحمته، وطرد رحمته منه، فَسُمِّيَ إبليسًا: أي طريدًا.

فهو جزءٌ من العالم لم يحصل له هذه الجمعية لأنه مظهر اسم المضل، وآدم عليه السلام مظهر لاسم الله الجامع لجميع الأسماء الظاهرة في المظاهر المسمّاة بالعالم، والاسم المضل من جملة تلك الأسماء، واللبس على إبليس حقيقة الأمر لجهله بنفسه، فظنّه أنه الشرف من حيث النشأة العنصرية، ثم ظن أن أشرف الاستقصات النار؛ فرتَّب بالفكر الفاسد على هذا الوهم الكاسد الأقيسة الباطلة والمقدمات العاطلة في نفسه وتوهَّم منها النتيجة، وامتنع عن السجود حين أمره الله تعالى وما اكتفى بمجرد الامتناع وكان أستر له بل فضح نفسه عند العلماء بإظهار استدلاله، وجمع بين الجهل وسوء الأدب لخفته وطيشه. وقال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢].

وهذه أول معارضة ظهرت من إبليس في صنعة الجدال، فإنه جادل ربه وما أحسن في جداله؛ لأنه ما أعطي حقه إن الحق تعالى أراد بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]: أي يد تنـزيه وتشبيه، وإن شئت قلت: يد وجوب وإمكان، أو يد بخلاف سائر العالم مُلكًا وفلكًا.

قال تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] فهو مجموع العالم أجزاءه وله شرف الكلية على الأجزاء، وعلى الأجزاء أن يطيعوه ولا يعصوا له أمرًا؛ فأمر بهذه الحكم البالغة له سجدة إلا طاعة، والانقياد له إظهارًا لشرفه على الخلق المخلق؛ سيّما الملائكة عليهم السلام؛ لأنه كل الوجود، فما فهم اللعين هذه المقدمات المطوية والأسرار الوجودية، وحمَّل الخطاب على غير محله حسدًا من عنده؛ فجادل وعارض وتطاول، وذلك أنه لما فهم من لحن المخاطبة والقول إثبات الشرف لآدم، وما علم أيُّ شرفٍ يوجب أن يطاع، وينقاد بهذه السجدة، فادَّعى بطريق المعارضة لنفسه الشرف، واستدلَّ بأنه خُلق من نارٍ، وظنَّ أنه أعلى الاستقصات من حيث المكان، ولم يعلم أن الطين أشرف الاستقصات؛ فإن له الثبات والقرار، وللنار الطيش والتهتُّك والاستكبار، وما أعتبر أن التبن في الماء فوق التبر في المكان، فغفل عن المكانة أو استكبر وعاند واستكثر من الحسد، =

﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: امتنع عن السجود تكبرًا وحسدًا، وكان من الكافرين أي: بمعنى صارمن الكافرين.

وأما إعزاز الله العلم فله شواهد من الكتاب العزيز والسنة المطهرة أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] فانظر كيف بدأ بنفسه وثنّى بملائكته وثلّث بأهل العلم.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فقد رفعهم، كما أخبر درجات، وبوأهم من فيض فضله روضات الجنات.

وأما السنة: فما روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«يُحشر العلماء في صعيد واحد كأنها سبيكة فضة فيقول الله تعالى: يا معشر العلماء، إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم، إني لم أضع حكمتي فيكم وأنا أريد أن أعذبكم، انطلقوا مغفورًا لكم»[1].

وقال ﷺ: **«يقول الله تعالى: لا تحقروا عبدًا لي آتيته علمًا، فإني لم أحقره حين علمته»**[2].

قال العالم العامل القطب الرباني شيخ الإسلام حافظ العصر العارف بالله تعالى سيدي محيي الدين الإمام النووي- قدّس الله سره ونور ضريحه وأعاد علينا

=

فعوتب. استكبرت وعاندت أم كنت من العالين في الاحتجاج، ولك حجة في قولك ودعواك، فهذا لسان تبكيت وتعريض، وكان الأمر كما قلنا ظهر من آدم التمكين والثبات والتوجُّه في الأمور والأناة، والتدبُّر وإصابة الفكر والنظر في العواقب، وظهر منه قلة الأدب والجهل والتهتُّك والطيش والخفة، فإنه من مارج وهو نار مختلط بالهواء فله الخفة وعدم القرار والاستكبار.

وقال ﷺ في «الفتوحات»: اعلم يا أخي إني اتبعت ما حكي عن إبليس من الحجج فما رأيت أقصر منه حجة، ولا أجهل منه بين العلماء، وإن يخصني في جميع ما يرقمه بناني، وينطق به لساني، وينطوي عليه جناني بالإلقاء السبُّوحي، والنفث الروحي.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٠٢/٤)، وفي الصغير (٣٥٤/١)، والروياني في مسنده (٣٥٣/١) بنحوه.

(٢) رواه البيهقي في المدخل (٣٤٤/١)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (١١١/٤).

وعلى المسلمين من بركاته وإمداداته- في كتاب «التبيان[١]» ناقلاً عن الإمامين الجليلين الكبيرين إمامنا الأعظم أبي حنيفة النعمان، والإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمهما الله تعالى إنهما قالا: «إن لم يكن من العلماء أولياء لله تعالى، فليس لله ولي».

ومن كرامات سيدي محيي الدين النووي هذا أنه كان يُؤلف بعض الكتب ليلاً فانطفأ المصباح فأضاءت له بعض أصابعه كرامةً له رضي الله عنه.

قال: والدليل ما قالاه - رضي الله عنهما - ما روي عن الإمام الجليل الصحابي الكبير أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى قال: من عَادَ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب»**[٢].

يُشير إلى التحذير من إيذاء أولياء الله تعالى.

ومعنى «الإيذان» الإعلام و«الحرب» المحاربة، وهذا من التهديد في الغاية القصوى؛ لأن من حاربه الله أهلكه إهلاكًا، وهو المجاز البليغ؛ إذ لا تتصور محاربة الله تعالى، وكان المعني به المعاندة والمخالفة والكراهة لمن أحب الله تعالى، ومن أبغضهم فقد خالف الله تعالى وعانده.

ألا ترى أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام وكره ذلك إبليس اللعين عداوةً لآدم عليه السلام وكان منه ما كان، فنعوذ بالله من البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء، وإذا ثبت هذا القلب في جانب المعاداة، ثبت القلب في جانب الموالاة، وثبتت المحاربة لمن عادى أولياء الله تعالى، وهم المتحابون، وقد ورد: **«أين المتحابون لجلالي؟ اليوم أظلهم تحت ظلي يوم لا ظل إلا ظلي، وجبت محبتي للمتحابين في والمتباذلين في والمتزاورين في»**[٣].

وقال ﷺ: **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا»**[٤].

---

(١) انظر: التبيان (ص٥٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١/٢٣٤)، ومسلم (٢/٧١٥).

قلت: فإن الإظلال في الحقيقة: عبارة عن الإراحة سواء كان هناك ظل حقيقة أو لا، كما قال ﷻ: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً﴾[النساء آية: (٥٧)]. ويظلهم الله تعالى في ظلّه: إضافة الظل إليه سبحانه وتعالى إضافة تشريف، (كناقة الله)، والله تعالى منـــزهٌ عن الظل؛ إذ هو من خواص الأجسام.

(٤) رواه مسلم (١/٧٤).

فثبت بهذا أن الأولياء هم العلماء.

ومن الكرامات بعد الموت ما ثبت لحنظلة بن الراهب ﷺ حين استشهد يوم أحد وهو جُنب. رواه إمامنا الأعظم أبو حنيفة ﷺ ورحمه.

وهو أن حنظلة بن الراهب استُشهد يوم أحد، فغسلته الملائكة، وقال ﷺ: **«إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف الفضة»**[1].

وقال أسيد: فذهبنا ونظرنا إليه، فإذا رأسه تقطر ماء، فأرسل رسول الله ﷺ إلى امرأته فسألها، فأخبرته أنه خرج وهو جُنب وأولاده يسمون أولاد غسيل الملائكة، وهذه خصوصيته وكرامة لحنظلة بعد الموت ﷺ.

ومن الكرامات لإمامنا الأعظم أبي حنيفة ﷺ ما حكي أن شخصًا من أصحابه كان في داره نخلة لم تطعم شيئًا، فقال صاحب الإمام في نفسه: لآخذن شيئًا من أثر إمامنا أبي حنيفة فأضعه على هذه النخلة، فأخذ قلمًا كان يكتب به الإمام، فوضعه على رأس النخلة، وقال: هذا من أثر إمامنا أبي حنيفة وقد باركت يا رب في أبي حنيفة وما مسه أبو حنيفة، وهذا القلم قد مسه وكتب به، وقد وضعته في هذه النخلة التي لم تطعم فاجعلها تطعم ، فأطعمت وحملت بتمر كثير لم ينظر أحد مثله ولا أحلى منه ،كل ذلك ببركة إمامنا الأعظم أبي حنيفة.

وقال الإمام الربيع بن سليمان: كنت مع الإمام الشافعي لما دخل بغداد ، فقال لي: يا ربيع ، هل لك أن تبيت معي الليلة في مقبرة الخيزران؟

قلت: أفعل إن شاء الله، فلما صلينا المغرب والعشاء في الجامع الكبير ببغداد قال لي: اذهب بنا على مقبرة الخيزران، فلما دخل المقبرة قام قائمًا على قدميه يبكي ويمرّغ وجهه ولحيته على قبره إلى أن طلع الفجر، فقلت له: يا أبا عبد الله ، لقد رحمتك الليلة لما رأيتك تصنع بنفسك، وقد طلع الفجر. فقال لي:

---

(١) رواه ابن الجوزي في التحقيق (٢/١٠)، وابن سعد في الطبقات كما في البيان والتعريف للحسيني (٢٨٦/١).

يا ربيع، أو تعرف من هو صاحب هذا القبر؟ قلت: لا، قال: هذا قبر الإمام الأعظم والحبر المقدم الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت إمام الأئمة، الدعاء عند قبره مستجاب، ولقد قال الربيع بن سليمان: فوالله ما دخلت بغداد بعد ذلك وكانت لي حاجة مهمة إلا أتيت قبر أبي حنيفة، وتوسلت إلى الله بالنبي ﷺ وبه فتقضى.

ولما حجَّ الإمام أبو حنيفة حجته الأخيرة، قال لعلي: لا أقدر أن أحج مرة أخرى، فسأل حجبة الكعبة الشريفة أن يفتحوا له باب الكعبة، ويأذنوا له بالدخول ليلاً ليحيي تلك الليلة إلى الصباح، فقالوا: إن هذا لم يكن لأحد قبلك ولكنّا نفعل ذلك لك لسبقك وتفقهك وتقدمك في العلم، واقتداء الناس كلهم بك، ففتحوا له الباب فدخل فقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن فركع وسجد، ثم قام فقام على رجله اليسرى حتى ختم القرآن ثم ركع وسجد، فلما أتم الصلاة وسلم بكى وناجى.

وقال: إلهي ما عبدك هذا العبد حق عبادتك لكن عرفك حق معرفتك، فهَبْ نقصان خدمته لكمال معرفته، فهتف به هاتف من جانب البيت الشريف: يا أبا حنيفة، قد عرفت وأخلصت المعرفة، وخدمت فأحسنت الخدمة، قد غفرنا لك ولمن تبعك ولمن كان على مذهبك إلى يوم القيامة.

قال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه:

«أربعة من الأئمة قرءوا القرآن كله في ركعة واحدة: عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، والإمام أبو حنيفة -رضي الله عنهم».

ولما حجَّ أتى المدينة الشريفة ووقف بباب الحجرة الشريفة النبوية وبكى بكاءً شديدًا، وقال: يا رسول الله، قال الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

وها أنا أستغفر الله من ذنوبي، وأرجو شفاعتك فيها يوم القيامة، فسمع هاتفًا يقول: غفرنا لك أنت ومن تبعك ومن اقتفى آثارك وعمل بقولك إلى يوم القيامة.

وأنفق على تلك الحجة ما يزيد على عشرين ألف دينار على العلماء والفقراء الذين حملهم معه ذهابًا وإيابًا، وجاء إليه رجل أثنى عليه خيرًا ودعا له، فأمر له بمائة دينار، فقال الرجل: إني غني عنها، وإني لفي سعة، فقال له: فرقها أنت على الفقراء والمساكين، فإن من عادتنا إذا أخرجنا لله شيئًا لا نعود فيه.

وقال الإمام العمدة أبو زرعة المكي -رحمه الله تعالى-:

سمعت عثمان الأنطاكي يقول: رأيت كأن القيامة قد قامت، ومنادٍ ينادي من بُطْنَان العرش: أدخلوا النعمان بن ثابت وأبا يوسف ومحمد بن الحسن وزفر الهزيل والحسن بن زياد، الجنة.

وعن محمد بن عبد الله الحافظ قال: «رأيت أبا حنيفة ﷺ في المنام والملائكة تبشره بدار السلام».

وقال أبو الحسن بن عبدوس: «رأيت أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - في المنام وعليه ثياب بيض، فقلت له: ما فعل محمد بن الحسن؟ قال: بحر لا ينـزف، عنده مجمع القوم، قلت: فأبو يوسف؟ قال: فوقه بدرجات، قلت: فأبو حنيفة؟ قال: أقربهم إلى الله وسيلة، وقال محمد بن الحسن - في المنام- فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ثم قال: لو أردت أن أعذبك ما جعلت هذا العلم في صدرك، فقلت له: فأين أبو يوسف؟ قال: فوقي بدرجات، فقلت: فأين أبو حنيفة؟ قال : ذاك في أعلى عليين».

وقال الإمام الجليل الكبير العالم العمدة الكردري -واسمه الإمام الكردري تاج الدين أبو المفاخر عبد الغفور بن لقمان بن محمد[1]- في كتابه: «الرد والانتصار»: إن الله عز وجل ورسوله ﷺ مدحا أبا حنيفة، أما مدح الله له فقد

(١) اسمه كما في المصادر: محمد بن محمد بن عبد الستار العمادي الكردري ، الحنفي، حافظ الدين، شمس الائمة، أبو الوجد. فقيه، أصولي.

ولد في ١٨ ذي القعدة، وتوفي ببخارى في ٩ المحرم ٦٤٢ هـ.

من آثاره: الرد والانتصار لأبي حنيفة إمام فقهاء الأمصار، الفوائد المنيفة في الذب عن أبي حنيفة، وكتاب في حل مشكلات القدوري. وانظر: معجم المؤلفين (١١/١٩٧).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ولا شك أن أبا حنيفة كان من العلماء العاملين الخاشعين، فتناوله ظاهر الآيتين بالوصف بالخشية من الله تعالى، وبعقله أوامر الله تعالى، ومن كان بهذه الصفات كان أتقى الناس وأكرمهم عند الله تعالى.

قال تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال الشيخ العلامة المحقق العمدة عبد القادر الماردييني -رحمه الله تعالى- في كتابه: «الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية» في مناقب الإمام الجليل أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم: «إن أبا حفص الكبير رأى أبا يوسف في المنام وهو في حالة حسنة، فقال: يا أبا يوسف، أخبرني ما فعل الله بك؟ فقال: لما قبض الله تعالى روحي أخذها ملائكة معهم حرير من سندس وإستبرق، فجعلوا روحي في ذلك الحرير وصعدوا بها إلى السماء في أسرع من طرفة عين، فاستفتحوا، فقيل: من؟ فقالوا: روح أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، ففتحوا وقالوا: مرحبًا به، ثم إلى السماء الثانية ، ثم إلى السماء الثالثة، ثم إلى سماء سماء، حتى صعدت روحي تحت العرش، وإذا النداء من قبل الرب تبارك وتعالى: مرحبًا بالروح الطيب،كان في الجسد الطيب، ارجعوا بروح عبدي يعقوب إلى جسده لسؤال منكر ونكير، فرجعوا بروحي إلى قبري، ولبست الروح الجسد، ودخل على منكر ونكير فقالا لي: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قلت: هو عبد الله ورسوله، جاءنا بالهدى ودين الحق، فآمنا به واتبعناه، فقالا لي: والله إنا لنعلم أنك لموقن موفق، ثم ضربا القبر فانفسح مد البصر، وامتلأ نورًا وفرش بالروح والريحان، وجاء ملائكةٌ فقال لهما منكر ونكير: ماذا تريدون؟ قالوا: إن الرب عز وجل أمرنا أن نصعد بروح يعقوب إليه، فصعدوا بروحي إلى السماء، وإذا النداء من قبل الرب تبارك وتعالى: يا ملائكتي، اكسوا أبا يوسف من السندس والإستبرق، واجعلوا على رأسه تاجًا من اللؤلؤ، وأجلسوه على كرسي من ذهب مرصعٍ بالجوهر، وأمر الملائكة أن يأتوا بمحابر من نور وأقلام من نور،

وإذا النداء من قبل الله: يا أبا يوسف، أمل عليهم من علمي الذي علمتك كما كنت تمليه لأهل الدنيا في الأرض، فأمليتهم، فصاروا يكتبون، وإذا النداء : أنتم يا معشر العلماء خيرتي من خلقي، وأحب خلقي إلي، وما جعلت علمي فيكم إلا لمحبتي فيكم، ولو أردت إهانتكم ما وضعت علمي فيكم. فقلت له: هنيئًا لك يا أبا يوسف بما أعطيت من الفضل العظيم».

وقال خلف بن سالم: كان صدقة المغافري مستجاب الدعوة، وكان من أرباب الأحوال والكشف قال: لما دُفن الإمام أبو حنيفة ﷺ في مقبرة الخيزران سمعت صوتًا في ثلث الليل الأخير يقول ثلاث مرات:

ذَهَبَ الفقْه فَلا فقْــه لَكُــم فَاتّــقُوا اللهَ وَكونُــوا سُــجَّدا

مَاتَ نُعمَـــانُ فَمَنْ هَذَا الّذي مثْــل نُعمَـــان إذا سَــجَدا

قال الإمام أبو يوسف: ما بالبصرة ولا بالكوفة ولا بدار الإسلام كلها أحدٌ أحبُّ علي من أبي حنيفة ﷺ، والله إن خياله ممثل في عيني في ليلي ونهاري، ولا أرفع قدرًا في نفسي منه، وكنا نحدث عن الأكابر وكانوا يقولون عنه: كاد هذا الغلام أن يكون إمامًا في بطن أمه، وكان مقدّمًا على سفيان الثوري والليث ابن سعد ومالك بن أنس.

وقال الإمام أبو حازم: «ذكر لنا أبو يوسف قال: قدم على الإمام أبي حنيفة رجل من بحر الهند فقال: إني رجل من أهل الهند، خرجت أريد الصين فأصيبت مركبنا، فأتاني اثنان راكبا موجة من أمواج البحر فقال أحدهما: أتحب أن يخلّصك الله من هذا البحر وأهواله؟ قلت : نعم، قالا : تقرئ أبا حنيفة منا السلام، قلت: ومن أبو حنيفة؟ ومن أنتما؟ فقال لي أحدهما: أنا إلياس، وقال الآخر: وأنا الخضر - أو قال أنا الموكل بجزائر البحر-، وأبو حنيفة بالعراق، قلت: نعم، فنفضني البحر نفضة فإذا أنا بالساحل، وقد جئتك لأبلغك منهما السلام».

وقال أبو مطيع :«قال رجل من أهل بغداد: ركبت سفينة في البحر، فخرجت إلى جزيرة، فرأيت شيخًا قاعدًا أبيض الرأس واللحية، فسلمت عليه

فردّ علي السلام وقال لي: من أنت؟ ومن أي ؟ فقلت: من أهل بغداد، فقال لي: إذا أتيت بغداد فاقرئ مني السلام على أبي حنيفة النعمان بن ثابت، وقل له: إنك إمام أهل زمانك، وكلامك حجة في دين الله عز وجل، ثم غاب عني فلم أره، فعلمت أنه أبو إلياس الخضر، فأبلغت أبا حنيفة السلام، فبكى بكاءً شديدًا حين أبلغته، وقال: وعلى الخضر السلام ورحمته وبركاته».

ولم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبر الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ويتوسلون به إلى الله تعالى في قضاء حوائجهم، ويرون نجاح ذلك في الحال[1].

---

(١) وُلد سنة ثمانين من الهجرة، وتُوفي ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة، كان ﷺ حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، كثير الكرم، حسن المواساة لأخوانه.

وكان يُعرف بالريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من داره.

وكان يقول: ما صليت قط إلاّ ودعوت لشيخي حمّادًا، وكل مَن تعلمت منه علمًا أو علمته.

وكان الإمام الشافعي ﷺ يقول: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه، وكان لا ينام الليل، وسمّوه الوتد لكثرة صلاته، وصلّى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة.

وكان عامة الليل يقرأ القرآن كله في ركعة واحدة، وكان يُسمع بكاؤه حتى يرحمه جيرانه، وختم القرآن في الموضع الذي مات فيه سبعة آلاف مرة، وكان نومه دائمًا في الصيف ساعة بين الظهر والعصر، وفي الشتاء ساعة أول الليل، وأخذ العلم عن شيخه حماد، وهو عن إبراهيم النخعي، وهو عن علقمة، وهو عن ابن مسعود، وهو عن رسول الله ﷺ، ولذلك قالوا: الفقه زرعه عبد الله بن مسعود، وسقاه علقمة، وحصده إبراهيم النخعي وحماد، وطحنه أبو حنيفة، وعجنه أبو يوسف، وخبزه محمد، والناس يأكلون من خبزه، ونظمه بعضهم فقال:

الفقه زرع ابن مسعود سقى علقمة ... إبراهيم حصاده حماد دوّاس

نعمان طاحنه يعقوب عاجنه ... محمد خابزه والآكل الناس

وقد ظهر علمه بتصانيفه، قيل: إنه صنف في العلوم الدينية تسعمائة وتسعة وتسعين كتابًا.

قال الإمام الشافعي ﷺ: من أراد الفقه فليلزم أصحاب أبي حنيفة؛ فإن المعاني قد تيسَّرت لهم، وثبت أن ثابتًا والده أدرك الإمام علي بن أبي طالب فدعا له ولذريته بالبركة.

=

أنشأ الإمام أبو المؤيد الخوارزمي يمدح الإمام الأعظم أبا حنيفة قائلاً:

عن الشريعة قد مضى كشافها[1]

=

وصحَّ أن أبا حنيفة سمع الحديث من سبعة من الصحابة، وذكر في المنظومة المسماة بجواهر العقائد ثمانية من الصحابة ممن روى عنهم الإمام أبو حنيفة، فحيث قال:

مُعتقدًا مذهب عظيم الشأن ... أبو حنيفة الفتى النُّعمان

التابعي سابق الأئمة ... بالدينِ والعلمِ سِراج الأمَّة

جمعًا من أصحاب النبي أدركا ... آثارهم قد اقتفى وسَلَكا

طريقة واضحة المنهاج ... سالمة من الضلالِ الداج

وقد روى عن أنس وجابر ... وابن أبي أوفى كَذَا عَنْ عامر

أعني أبا الطفيل ذا ابن واثلة ... وابن أنيس الفتى وواثلة

عن ابن جزء قد روى الإمام ... وبنت عجرد هي التمام

فرضي الله الكريمُ دائمًا ... عنهم وعن كل الصحابة العظما

وأدرك بالسن نحو عشرين صحابيًا كما بسط في أوائل الضياء، وسُئل: أيما أفضل علقمة أو الأسود؟ فقال: والله ما نحن بأهل أن نذكرهم فكيف نفاضل بينهم!.

وكان يقول: سمعت عطاء يقول: ما من ملكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسلٍ إلا ولله عليهم الحُجَّة، فإن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له.

وكان له جار يهودي، وكانت قصبة خلائه تنضح على بيته، فمكث عشرين سنة ولم يعلم اليهودي قط بذلك، فبلغ اليهودي ذلك فبكى ثم جاء إليه وأسلم على يديه، وأُكره على تولّي القضاء، وضُرِبَ على رأسه ضربًا شديدًا أيام مروان فلم يلِ، ولما أُطلق قال: كان عندي همٌّ وغمٌّ من تولي القضاء أشد عليَّ من الضرب.

وكان الإمام أحمد إذا ذكر ذلك بكى وترحَّم عليهم.

ثم أكرهه أبو جعفر المنصور بعد ذلك، وأشخصه من الكوفة إلى بغداد، فأبى وقال: لا أكون قاضيًا، فحبسه وتُوفي في السجن ﷺ. انظر ترجمته: الطبقات الكبرى للشعراني (٤٥/١)، وكتب تراجم فقهاء المذهب.

(١) القصيدة كما وردت في الأصل، وبها اضطراب واضح.

فَظُهُورُهَا النُّعْمَانُ تَحْتَ جَنَانِـهِ ... عَمَّ التُّقَى وَالشَّرْعُ أَكْثَرُ عَصْرِهِ
بالأَصْغَرَيْنِ لِسَانُهُ وَجَنَانُـهُ ... فَجَنَانُهُ نَحْوَ الشَّرِيعَةِ مَاهِرُ
وَلِسَانُهُ رَطْبٌ بِحُسْنِ بَيَانِـهِ ... فَالْفِقْهُ يَشْكُو يُتْمَهُ وَضَيَامَهُ
وَمَتَى سَلُو الْفِقْهُ عَنْ النُّعْمَانِ ... لا نَفْعَ لِلْإِنْسَانِ طَرْفَةُ عَيْنِهِ
فِي طَرْفِهِ عَنْ خِلٍ عَنْ إِنْسَانِهِ ... عَجَبًا لِقَبْرٍ فِيهِ بَحْرٌ زَاخِرٌ
عَجَبًا لِبَحْرٍ لُفَّ فِي أَكْفَانِـهِ ... إِن رَاحَ فِقْهٌ خَالِصٌ فَهُوَ الَّذِي
سَكَّتُهُ شُعْلَةُ فِكْرِهِ فِي حَانِـهِ ... أَوْ فَاحَ وَرْدٌ تَهَجَّدَ قَدْ زَانَـهُ
ظَلَّ التُّقَاةُ فَذَاكَ مِنْ بُسْتَانِهِ ... أَوْ طَارَ مَنْشُورُ العُلُومِ إِلَى الوَرَى
فَهُوَ الَّذِي كَتَبُوهُ مِنْ دِيوَانِـهِ ... أَوْرَاقُ تُفَّاحِ الْقِيَاسِ بِنَشْرِهِ
وَبِطَعْمِهِ فَاعْرِفْهُ مِنْ أَسْنَانِهِ ... أَوْ سِرٌّ ذَا فَقْرٍ جِمَارُهُ فَائِقُ
عِنْدَ السُّؤَالِ فَذَا جَمَا نُعْمَانُهُ ... وَإِذَا رَأَيْتُمْ رَوْضَ فِقْهٍ نَاضِرٍ
بِالبَحْثِ يَسْقِي فَهُوَ رَوْضُ بَيَانِـهِ ... نُصِبَتْ مَوَائِدُ فِقْهِهِ فَوَائِـدِ
فِي كُلِّ عَصْرٍ وَهِيَ فَضْلُ خِوَانِهِ ... قَدْ جَاءَ أَهْلُ زَمَانِهِ بِزَبُورِهِم
فَمَحَاهُ بِالآيَاتِ مِنْ فُرْقَانِـهِ ... قَدْ سَدَّ إِيوَانَ القِيَاسِ بِفِكْرِهِ
وَاسْتَرَاحَ الخَلْقُ فِي إِيوَانِهِ ... حُسَّانُهُ أَنَا مُرْتَجِي فِي مَدْحِهِ
حُسْنِي شَفَاعَتُهُ إِلَى حُسَّانِهِ ... سُؤْلِي كَرَامَتُهُ إِلَى إِكْرَامِهِ

ومن كرامات الإمام مالك ﷺ والمرأة التي غُسّلت بالمدينة الشريفة ما قيل: إن غاسلة غسّلت امرأة بالمدينة في زمن الإمام مالك، فالتصقت يدها على فرجها، فتحير الناس في أمرها، هل تقطع يد الغاسلة أو فرج المرأة، فاستفتي الإمام مالك فقال: سلوها ماذا قالت لما وضعت يدها عليها؟ فسألوها، فقالت: قلت طالما عصى هذا الفرج ربه، فقال الإمام: هذا قذف، اجلدوها ثمانين جلدة

تخلص يدها، فجلدوها، فتخلصت يدها، فمن ثَمَّ قيل: «لا يُفتى ومالك بالمدينة»(١).

قال الإمام عبد الله بن المبارك ﷺ: «كنت عند مالك بن أنس، فدخل عليه الإمام أبو حنيفة فقام الإمام مالك مسرعًا، وقبَّل بين عينيه، وأجلسه مكانه، وجلس مالك بين يديه متأدبًا متواضعًا، فلما خرج من عنده أثنى عليه ثناءً حسنًا، ورفع مقامه ومحله، ثم قال: أتدرون من هذا الذي كان عندي؟ قالوا: من هو؟ -وعرفته أنا- قال: هذا أبو حنيفة العراقي، لو قال هذه الأسطوانة ذهبًا، أو قال هي من ذهب، لخرجت كما قال».

---

(١) كان ﷺ رجلاً طويلا. عظيم الهامة، أصلع، أبيض الرأس واللحية، شديد بياض الثياب، وكان لباسه الثياب العدنية الجياد، وكان إذا أراد أن يجلس لحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخّر وتطيَّب، ومنع الناس أن يرفعوا أصواتهم، وكان إذا دخل بيته جلس للمصحف وتلاوة القرآن، وكانت السلاطين تهابه، وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة.

وكان إذا قال في المسألة: لا أو نعم لا يُقال له: من أين قلت هذا؟!.

وأخذ العلم عن تسعمائة شيخ، منهم ثلاثمائة من التابعين، ولما ضربه جعفر بن سليمان العباسي في طلاق المكره وحمله على بعير قال: نادِ على نفسك، فقال: ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس، أقول: طلاق المكره ليس بشيءٍ، فبلغ ذلك جعفر فقال: أدركوه وأطلقوه.

وكان يقول: لا ينبغي للعالم أن يتكلّم بالعلم عند من لا يطيعه، فإنه ذلٌّ وإهانةٌ بالعلم.

وكان يقول: مِنْ حق طالب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية.

وكان يقول لمطرف: ماذا تقول الناس فِيَّ؟ فقال: أمَّا الصديق فيثني، وأما العدو فيقع، فقال: ما زال الناس هكذا لهم عدو وصديق، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسن كلها بالذم.

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟ فعرق وأطرق، وصار ينكث بعودٍ في يده، ثم رفع رأسه وقال: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهولٍ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج.

وُلد ﷺ سنة ثلاث وتسعين، وتُوفي سنة سبع وسبعين ومائة، ودُفن بالبقيع ﷺ.

انظر في ترجمته: حلية الأولياء (٣١٦/٦)، وتهذيب التهذيب (٥/١٠)، والديباج المذهب لابن فرحون (١٧_٣٠)، وصفة الصفوة (٩٩/٢)، الشذرات (٢٨٩/١-٢٩٢)، وكتب تراجم فقهاء المذهب.

ومن كرامات سيدنا الخضر مع الإمام الشافعي على القول بتقوى سيدنا الخضر وأنه ولي الله تعالى كما أشار إليه العلامة الحافظ نجم الدين الغيطي - رحمه الله تعالى - حيث قال: قيل تمنى الخضر وإلياس - عليهما السلام- على الله تعالى أربعة آلاف سنة أن يعلمهما الله تعالى سورة الفاتحة، وسألاه فلم يعطهما، فلما طال تضرعهما على الله تعالى قال: تلك ذخيرة ادخرتها لأمة محمد ﷺ، ولكن عليكما أن تشربا من ماء الحياة، فإن شربتما بقيتما إلى وقت حبيبي محمد ﷺ، فلما بعث محمد ﷺ أتيا الله فعلمهما سورة الفاتحة، فقالا: الآن تمت لنا النعمة، فلا نريد الحياة بعد هذا.

وقد اختلفوا في حياة الخضر ونبوّته [وعبارة الفتح] (١)، هل هو رسول لله؟ أو نبي فقط؟ أو مَلَك - بفتح اللام -؟ أو ولي فقط ؟ وهل هو باق أم مات؟.

قال الإمام العمدة العارف بالله تعالى سيدي أبو القاسم القشيري - قدّس الله سرّه العزيز- في «رسالته» في باب الأول: «لم يكن الخضر نبيًا وإنما كان وليًا».

وقال شيخ الإسلام الماوردي في تفسيره: «قيل هو ولي، وقيل نبي، وقيل أنه من الملائكة - وهذا الثالث غريب ضعيف أو باطل».

والخضر -بفتح الخاء وكسر الضاد، ويجوز بإسكان الضاد مع فتح الخاء وكسرها كما في نظائره - له لقب هو «بليا بن ملكان» -بفتح الباء ثم لام ساكنة في بليا، ثم بفتح الميم وإسكان اللام في ملكان - قال العلامة ابن قتيبة في «المعارف»: «قال وهب بن منبه : اسمه الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابد ابن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وقالوا: وكان أبوه من الملوك.

واختلفوا في سبب تلقيبه بالخضر، فقال الأكثرون: لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء(٢) - والفروة وجه الأرض وقيل: الهشيم من النبات - وقيل: لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله، والصواب الأول لما رُوي في صحيح

(١) هكذا وردت في الأصل.

(٢) انظر: شرح مسلم للنووي (١٣٦/١٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣٢٧/١).

البخاري عن همّام عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إنما سُمّي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من خلفه خضراء**»[١].

فهذا نصٌّ صريح صحيح، وكنيته أبو العباس، وهو صاحب موسى ﷺ الذي سأل السبيل إلى لقائه، وقد أثنى الله تعالى عليه في كتابه العزيز بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً**﴾ [الكهف: ٦٥].

وأخبر الله تعالى عنه في باقي الآيات بتلك الأعجوبات.

وموسى الذي صحبه هو موسى بني إسرائيل - كليم الله تعالى -.

كما جاء به الحديث المشهور في صحيح البخاري ومسلم، وهو مشتمل على عجائب من أمرها[٢].

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٤/٣)، ومسلم (١٣٦/١٥).

(٢) **فائدة جليلة**: اختلف في نبوّته ﷺ فقال الثعلبي في تفسيره: الخضر نبي معمر محجوب عن الأبصار، قيل له: إنك لا تموت إلا في آخر الزمان حين يُرفع القرآن.

واختلف في حياته أيضًا، والصحيح أنه حي.

سئل الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام عن الخضر ﷺ أحيٌّ هو؟ فقال: ما تقولون لو أخبركم ابن دقيق العيد أنه رآه بعينه أكنتم تصدقونه؟ قالوا: أي والله نصدقه. قال: فوالله لقد أخبر عنه سبعون صدِّيقًا أنهم رأوه كل واحدٍ منهم خيرٌ من ابن دقيق العيد.

قال اليافعي: وقوله هذا يرد قول ابن الجوزي في زعمه أن الخضر ليس بحيٍّ.

قلت: وأظنه قد رجع عن هذا القول؛ فإنه قد روى بإسناده المتصل أربع روايات:

الأولى: أن الخضر ﷺ حيٌّ، أخذ إياها عن الإمام عليٍّ بن أبي طالب ﷺ أنه رآه متعلقًا بأستار الكعبة، وهو يدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ يا مَنْ لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ...» الدعاء المشهور، وخاطبه الإمام وعرفه.

والثانية: عن الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال الراوي: لا أعلمه إلا مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «يلتقي الخضر وإلياس -عليهما السلام- في كل عامٍ في الموسم، فيحلق كل واحدٍ منهما رأس صاحبه ويفترقا عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا =

=

يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله».

والثالثة: عن الإمام عليٍّ ﷺ أيضًا: أنه يجتمع يوم عرفة بعرفات جبرائيل وميكائيل وإسرافيل والخضر -عليهم السلام، وذكر أنهم يتجاوبون بنحو هذا الذكر المذكور.

والرابعة: أن عيسى وإدريس في السماء وإلياس والخضر في الأرض.

روى هذه الروايات الأربع بإسناده المتصل.

قال ابن الصلاح: الخضر حي عند جمهور العلماء، وإنما شذَّ بإنكاره بعض المحدثين، وفي شرح مسلم عن الجمهور أنه حيٌّ موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند السَّادة الصوفية، وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، ووجوده في المواضع الشريفة أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر.

وعن كعب الأحبار ﷺ «أربعة من الأنبياء أحياء أمان لأهل الأرض: اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى» -عليهم السلام -أجمعين.

قال وهب: ولما قال الله تعالى لموسى ﷺ: إن لي عبدًا من عبادي الذين لم أجعل للشيطان عليهم سبيلا، وأن مسكنه في جزيرة من جزائر البحر، فانطلق نحو البحر فإني أرشدك إليه، «فسار موسى ومعه فتاه يوشع بن نون – عليهما السلام – حتى وصلا إلى عين الحيَّات، وأحيا الله السمكة التي كانت مع يوشع؛ لأجل غدائهم، ونسي يوشع أن يخبر موسى، فسارا طويلاً حتى طلب موسى الغداء، فذكر يوشع حياة السمكة، فأخبره بها، فارتدا على آثارهما قصصًا، فوجداه يعبد الله، فسأله موسى ﷺ المصاحبة، وكان منه ما قصَّه الله تعالى».

واعلم أن الفيض الذي يجى به القلب، ويقال له: الروح أيضًا، إمَّا أن يلقيه الله تعالى بلا واسطة؛ وهو أعزُّ وأندر، وإمَّا أن يلقيه بواسطة ملك من الملائكة كجبريل، فإنه ملك ملوك الأرواح، وروح القدس؛ وهو عزيزٌ ونادرٌ، وإمَّا أن يلقيه بوساطة شيخ من المشايخ الكاملين، ورئيسهم الخضر ﷺ في الإفاضة والإلقاء؛ وهو كثير شائع، وذلك لأن الصحبة الجسمانية مؤثِّرة، والأخذ من المجانس المصاحب أغلب.

ثم إن الإلقاء من الله، ومن الملك، ومن الخضر، ومن المشايخ أمر واحد في المعنى؛ لأن الشيخ إذا كان خليفة الرسول في المعنى، والرسول خليفة الله في الحقيقة؛ فإلقاؤه عين إلقائه، ولا يلقى المحل إلا بقدره، اللّهم إلا أن يقال: إن نفخ خاتم الأولياء أقوى من نفخ المشايخ؛ لأنه ملك ملوك المشايخ؛ فهو أغنى منهم؛ كالسلطان فإنه أغنى من الوزير، وهو ممَّن دونه، ولا شك أن الأخذ من الأغنى لا

=

ومن كرامات الإمام الشافعي(١):

سيما إذا علّق ذلك به؛ كان أنفع، وقد يجتمع الإلقاءات، فيلقى الشيخ في بداية الأمر، ثم خاتم الأولياء في وسط الحال، ثم الروح المطهّر النبوي في نهايته، ثم الله تعالى في نهاية النهايات.

وقد يتقدّم إلقاء الله تعالى إذا كان المحل أقبل وأكمل استعدادًا، ويكون النفخ من طريق الفاتحة، ومن غيرها، وله صور مختلفة؛ لكن النفخ أقوى لقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، فصورة النفخ أقوى من سائر الصور، وقد يكون بحيث يمصّ السالك فم الشيخ، أو الخضر، أو النبي، أو يأكل السكر من يده، فذلك إشارة إلى كثرة الفيض، ولذّة المعرفة، وقوة الحقيقة.

ومقام الخضر عليه السلام قيل أن في الجانب الأيمن من منبر الجامع النوري مقام الخضر عليه السلام: يعني كثيرًا ما يراه الصالحون هناك، والله أعلم.

وقيل: إن مقامه بين المحراب والمنبر في الجامع الموسوم بالأحمر حتى قيل: إن مَنْ صلّى الصبح فيه أربعين صباحًا يجتمع فيه به والله أعلم.

وأنا أسأل الله الكريم أن ينفعني ببركاته، ويفيض عليّ من نفحاته، ويمن عليّ بملاقاته، وإن لم أكن أهلاً لذلك المجد العظيم، والشرف، الجسيم ولو رؤيا منام، والله ذو الفضل العظيم.

(١) يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف، وُلد رضي الله عنه سنة خمسين ومائة من الهجرة، وعاش أربعًا وخمسين سنة، وتُوفي سنة أربعة ومائتين، تفقّه في مكة على مسلم بن خالد الزنجي، ثم قدم المدينة ولزم الإمام مالك، وقرأ عليه الموطأ حفظًا فأعجبه قراءته، وقال له: اتقِ الله فإنه سيكون لك شأنٌ.

قال الربيع بن سليمان: رأيت على باب الإمام الشافعي سبعمائة راحلة تطلب سماع كتبه.

وكان يقول: وددت أن الخلق تعلموا مني هذا العلم ولا يُنسب إليّ منه حرفٌ.

وكان يقول: وددت أني إذا ناظرت أحدًا أن يظهر الله تعالى الحق على يديه.

وكان يقول: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وكان يقول: من أراد الآخرة فعليه الإخلاص في العلم.

وكان يقول: من طلب العلم بعز النفس لم يصلح، ومن طلبه بذلّ النفس وخدمة العلم أفلح.

وكان يقول: تفقّه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقّه.

قال الإمام المُزني والربيع: «كنا يومًا عند الإمام الشافعي، إذ جاءه شيخ عليه جبة صوف وعمامة صوف وفي يده عكاز، فقام الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى- وسوَّى عليه ثيابه واستوى جالسًا وسلَّم على الشيخ وجلس، وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبةً له، فقال له الشيخ: أسأل؟ ، قال الشافعي: اسأل، قال له سيدنا الخضر: بأي شيء تقوم الحجة في دين؟ قال: كتاب الله، قال: =

وكان يقول: جمال العلماء كرم النفس وهمته للورع والحلم.

وكان يقول: ليس العلم ما حُفظ إنما العلم وما نفع.

وكان يقول: الناس في غفلةٍ عن هذه السورة: ﴿وَالْعَصْرِ*إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:١،٢]، وكان قد جزَّأ الليل ثلاثة أجزاء، يتفكر في العلم في الثلث الأول، والثاني يصلي، والثالث ينام.

وفي روايةٍ: وما كان ينام إلا يسيرًا، وكان يختم في كل يوم ختمةً.

وكان يقول: ما كَذَبْتُ قط، وما فزعت من الفقر قط، وما تركت غسل الجمعة قط.

وكان يقول: من أحب أن يختم الله تعالى بخيرٍ فليحسن الظن بالناس.

وكان يقول: ليس بأخيك من احتجت لمداراته.

وكان يقول: من علامة الصادق في إخوته لأخيه: أن يقبل علله، ويسد خلله، ويغفر ذلـــله.

وكان يقول: ليس سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا هم يعدل فراقهم.

وكان يقول: التكبُّر من أخلاق اللئام.

وكان ﷺ كثير الأسقام، وكان ﷺ ذا هيبةٍ، وكان أصحابه لا يجترءوا أن يشربوا الماء وهو ينظر إليهم.

وكان يقول: أحب لكل مسلمٍ أن يكثر الصلاة على رسول الله ﷺ.

قال الربيع: دخلت على الشافعي ليلة مات، فقلت له: كيف أصبحت؟ فقال: من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، ولكأس المنيَّة شاربًا، ولسوء أعمالي ملاقيًا، وعلى الكريم واردًا، ثم بكى ﷺ.

وماذا؟ قال: وسنة رسول الله ﷺ، قال: وماذا؟ قال: اتفاق الأمة، قال: من أين قلت: من الأمة؟ أمن كتاب الله ؟ قال: فتدبر الشافعي ساعة، فقال سيدنا الخضر للشافعي: قد أجلتك ثلاثة أيام، فإن جئت بحجة من كتاب الله في الاتفاق وإلا تب على الله تعالى، فتغيّر لون الشافعي، ثم ذهب الشيخ فلم يخرج ثلاثة أيام ، قال: فخرج في اليوم الثالث وقد انتفخ وجهه ويداه ورجلاه، فلم يكن بأسرع إذ جاءه الشيخ وسلّم وجلس، فقال الشافعي -رحمه الله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء:١١٥] و(نُصله) هنا من أجل خلاف المؤمنين، فاتفاقهم إذن فرض، فقال: صدقت، وقام، فلمّا ذهب قال الإمام الشافعي ﷺ: قرأت القرآن كله يومًا وليلة ثلاث مرات حتى وقفت على هذا.

ومن كرامات الإمام الورع الزاهد الناسك العابد إمام السنة سيدي: أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى –[١] ما حكاه الإمام أبو الفرج الجوزي

---

(١) يُضرب به المثل في اتّباع السُّنّة واجتناب البدعة، وكان لا يدع قيام الليل قط، وله في كل يومٍ وليلة ختمة، وكان ورده كل يومٍ وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما ضُرب بالسِّياط ضعف بدنه، فكان يصلّي مائةً وخمسين ركعة كل يومٍ وليلة، وحجَّ خمس حجات ثلاث ماشيًا، وكان ينفق في كل يومٍ نحو عشرين درهمًا، وكان يصوم الدّهرَ كله، وكان يوصل الصوم فيفطر كل يومٍ على تمرٍ وسويق، وكان يلبس الثياب النفيسة البيض، ويتعهّد شاربه وشعر رأسه وبدنه. وكان مجلسه خاصًّا بالآخرة، لا يُذكر فيه شيءٌ من أمور الدنيا. وعن بعضهم قال: بت ليلةً عند أحمد فجاءني بإناء فيه ماءٌ، فوضعه عندي، فلمّا أصبح نظر إلى الإناء فوجده كما هو فقال: سبحان الله! يطلب العلم من لا ورد له من الليل!.

ولما قدم للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجلٍ يُقال له: أبو الهيثم العيار فوقف عنده وقال: يا أحمد أنا فلان اللص، ضُربت ثمانية عشر ألف سوطٍ لأقرّ فما أقررت، وأنا أعرف أني على الباطل، فاحذرْ أن تقلق وأنت على الحق من حرارة السوط، فكان الإمام أحمد كلما أوجعه الضَّرب يتذكر كلام ذلك اللّص ويتأسّى به.

قال الفضيل بن عياض: حُبس الإمام أحمد ثمانية وعشرون يومًا، وكان فيها كل قليل يُضرب بالسياط حتى يُغمى عليه، ويُنخس بالسيف، ثم يُرمى على الأرض ويُداس عليه، ولم يزل كذلك إلى أن تولّى المتوكّل فرفع المحنة عن أحمد، وأمر بإحضاره وإكرامه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار =

- رحمه الله تعالى - قال: «قرأت بخط شيخنا أبي الحسن قال: كُشف قبر الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله تعالى عنه- حين دفن السيد الشريف أبو جعفر بن أبي موسى إلى جانبه، وجثته لم تتغير، وكفنه صحيح لم يبل، قال: وبين وفاة الإمام أحمد ووفاة أبي جعفر مائتا وتسعة وعشرون سنة».

قال أبو الفرج: «كنت أزور قبر الإمام أحمد بن حنبل فتركته مرة، فقيل لي في المنام: تركت قبر إمام السنة؟.

وجاء بعضهم إلى قبره من ستمائة فرسخ، وأخبر أنه رأى في المنام ببلده الذي أتى منه خلقًا قد فتحت لهم أبواب السماء والملائكة تتنـزل عليهم، فسأل عن ذلك فقيل له: هؤلاء زوار قبر الإمام أحمد بن حنبل.

وروي أن رجلاً رأى في المنام على قبره قنديلا، فسأل عن ذلك، فقيل له: هذا بنـزول أحمد بينهم، وقد كان فيهم من يعذّب فيرحم به.

وعن الإمام أبي عبد الله الزبيري قال: جاءني رجلٌ من أهل البصرة يقال له أبو محمد القرشي من ذوي العلم والصلاح والدين، فقال لي: يا أبا عبد الله، أخبرك برؤيا تسر بها؟ قال: رأيت النبي ﷺ في النوم وعنده أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي المرتضى، إذ جاءه أربعة فقرّبهم، فعجبت من تقريبه لهم، فسألت بعض من بحضرته عن القوم، فقالوا: هذا الإمام أبو حنيفة، وهذا الإمام مالك، وهذا الإمام الشافعي.

السُّنة، وأن القرآن غير مخلوق، ولما أُدخل أحمد بن حنبل على المتوكل قال لأمه: يا أماه، قد نارت الدار بهذا الرجل، ثم أتوا بثيابٍ نفيسة فألبسوها له فبكى، وقال: سلمت منهم عمري كله حتى إذا دنا أجلي بُليت بهم وبدنياهم، ثم نـزعها لما خرج.

تُوفي ﷺ سنة إحدى وأربعين ومائتين، وقد استكمل سبعًا وسبعين سنة، ولما مرض اجتمع الناس والدواب على بابه لعيادته حتى امتلأت الشوارع والدُّروب، فلمَّا قُبض صاح الناس وعَلَت الأصوات بالبكاء، وارتجّت الأرض بموته، وخرج أهل بغداد إلى الصحراء يصلُّون عليه، فحصروا من حضر من الرجال ثمانين ألف رجل، ومن النساء ستون ألفًا، سوى من كان في الأطراف، فإنهم مع ذلك يكونون أكثر من ألف ألف، وفي رواية: فبلغوا ألفي ألف ﷺ.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل قال: رأيت النبي ﷺ أخذ بيد الإمام أبي حنيفة فأجلسه بجنب أبي بكر الصديق ﷺ، وأخذ بيد الإمام مالك بن أنس فأجلسه إلى جنب الإمام عمر بن الخطاب ﷺ، وأخذ بيد الإمام الشافعي فأجلسه إلى جنب سيدنا عثمان ﷺ، وأخذ بيد الإمام أحمد بن حنبل فأجلسه إلى جنب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ .. فعلمت أن منـــزلة كل واحد من هؤلاء الأئمة الأربعة بمنـــزلة من بجانبه من الصحابة الأربعة رضي الله تعالى عنهم أجمعين[١].



(١) قلت: اعلم أن الأئمة الأربعة من أهل المعرفة والكشف، وهم أقطاب في العلم والولاية.
وقد جاء على المذاهب الأربعة الأولياء المحققون، ومن البعيد أن يكون المتبوع أنقص حالاً من التابع، فرئيس الأولياء الشافعية؛ هو الشافعي، وهكذا الحنفية والمالكية والحنابلة، وإن كان هنا مقال آخر؛ وهو أن التقلد بمذهب من المذاهب أمر صوري، ناظر إلى ظاهر الشريعة، وللمحققين في باطن الحال أمر آخر؛ وهو طريق الإطلاق، والمشي من وجه مخصوص جامع إلى الله تعالى، فذلك لا ينافي التمذهب بمذهب معين في الظاهر.
وقد غفل عن هذا أكثر مَن يُعدُّ من العارفين؛ فظنوا أن الأئمة الأربعة لم يصلوا إلى مقام الحقيقة وأن أهل الحقيقة لا يتقلّدون بمذهب من المذاهب، فذلك الظن من قصور المعرفة، ونقصان الحال.

الباب الثالث في مناقب أهل البيت وفضائلهم وكراماتهم حال الحياة وبعد الممات

قال في «الفنون العرفانية والمواهب الرحمانية»[(١)]: ومن خصائصه ﷺ أن الله سبحانه وتعالى أنــزل في أهل بيته قرآنًا يتلى على سائر الألسنة إلى يوم القيامة، بل وفي الآخرة أيضًا، لأن كلام الله تعالى صفته، وهي لا نهاية لها ولا تقييد، وقد كان رسول الله ﷺ عبدًا محضًا، وقد طهّره الله وأهل بيته تطهيرًا وأذهب عنهم الرجس-وهو كل ما يشينهم- قال تعالى :﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فلا يضاف إليهم إلا مطهّر، ولايُضيفون إليهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس، ولقد شهد النبي ﷺ لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلهي حيث قال ﷺ: «**سلمان منّا أهل البيت**[(٢)]»، وإذا كان كذلك فلا يُضاف إليهم إلا مطهّر مقدّس، قد حصلت له العناية الربانية الإلهية بمجرد الإضافة، فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم؟ فهم المطهّرون، بل هم عين الطهارة[(٣)].

وهذه الآية الشريفة تدل على أن الله تعالى قد أشرك أهل بيت الرسول ﷺ معه، وذلك في قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

فدخل أولاد فاطمة الزهراء كلّهم رضي الله عنهم، ومن هو من أهل البيت، مثل سلمان الفارسي إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية الشريفة.

---

(١) لسيدي محمد بن محمد بن عبد الرحمن البهنسي الشافعي النقشبندي المتوفى سنة ١٠٠١ إحدى وألف، له: إزالة العبوس عن قصيدة ابن عروس. وبلوغ الأرب بسلوك الأدب. والفنون العرفانية والهيأت الملكانية في التصوف فرغ منها بمكة سنة ٩٩٥ خمس وتسعين وتسعمائة.
انظر: هدية العارفين (١/ ٥٨٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٦٩١/٣)، والديلمي في الفردوس (٣٣٧/٢).

(٣) انظر: الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ للشيخ النبهاني (ص١٨) بتحقيقنا.

فهم المطهّرون اختصاصًا من الله تعالى، وعناية لهم، لشرف سيدنا محمد ﷺ، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة، فإنهم يُحشرون مغفورًا لهم، لأن الله تعالى شهد بتطهيرهم وذهاب الرجس عنهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قال بعض المحققين من العلماء الراسخين في معنى هذه الآية الشريفة: إن وجود الآل شعبة من النبي ﷺ؛ لأن فاطمة –رضي الله تعالى عنها– بضعة منه ﷺ، وبنوها بضعة منها، فهم بضعة منه ﷺ.

أما قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

فالمغفرة هنا كناية عصمة، أي: ليعصمك الله فيما يقدم من عمرك وفيما تأخر منه، وهذا القول في غاية الحسن، نعم هذا القول في غاية الحسن، لكن إذا حُمّل قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ أي: ليعصمك.

قلنا: المراد بالمغفرة العصمة، فما المراد بالذنب؟ وعلى ما يُحمّل؟ قيل في الجواب: إنه قبل أن يوحى إليه تزوج خديجة – رضي الله عنها – قبل أن تسلم، وإنما أسلمت على يده ﷺ وهي أول من أسلم من النساء، وما كان منه قبل أن يوحى إليه فمغفور له لأنه كان من غير عزم ولا تعمد على خلاف فيه[1].

---

(١) فائدة جليلة: قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وهو ما تقدّم على فتح كعبة القلب من الهيئات التلوينية الظلمانية، وما تأخّر عنه من الهيئات التلوينية النورانية، فإن نور التمكين يسترها جميعًا؛ ولذا كان لا ينتقض وضوءه بالمنام؛ لصفوة مرآته، وقوة حضوره مع نور الأنوار الذي لا ظلمة معه أبدًا، ولا تلوين اللّهم إلا أن يكون التلوين الممدوح الذي هو الحيرة الحاصلة من أنواع التجليّات.

وفي هذا المقام سرُّ قوله: ما بينكما ما بين كلاميكما؛ فإن موسى قدّم نفسه حيث قال: (إن معي)، ومحمد ﷺ قال: ﴿اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فكما قدّم الجلالة؛ عمّم المعية، وذلك لخروجه عن نفسه بالكلية، كما دلّ عليه قوله يوم القيامة: «أمتي أمتي»، حين يقول الأنبياء عن آخرهم: نفسي نفسي، وقال موسى: (سَيَهْدِينِ) فخص الهداية بنفسه.

وقد ورد في الحديث الصحيح: «**حسنٌ وحسين وفاطمة وعلي معي فوق العرش**»(١).

وكذلك بقية أزواجه معه في محله الشريف بطريق الضرورة.

وورد أيضًا في بعض الآثار أن جميع زوجاته معه في محله ودرجته في الجنة لشرف التابع بالمتبوع، قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - في تفسير قوله تعالى ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠] أن المراد آل محمد ﷺ، فهم من سلَّم الله عليهم بعظمته وقدرته وسلطانه تعظيمًا لشأنهم وتكريمًا لهم.

وأخرج الحاكم(٢) عن ابن عباس ﷺ أن آل النبي ﷺ معه في الشرف ودخول الجنة لقوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

فإذا ألحق ذرية مطلق المؤمنين بهم، فكيف لا يُلحق ذريةِ النبي ﷺ به؟! قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: جعل الله أهل بيت النبوة مساوين له في خمسة أشياء:

الأولى: في السلام، قال الله تعالى: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**».

وقال نبينا ﷺ: «**اللّهم اهدِ قومي**»؛ لأن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين، فنجا أمته من المهالك، وقد أخذت قوم موسى الصاعقة ونحوها، فأين هم من هذه الأمة المرحومة؟ وقال موسى: (ربي).

والاسم الرب قد يستدعي القهر والجلال بخلاف الجلالة في المقالة النبوية؛ لأن الله تعالى خصَّصها في البسملة، فقال عقبها: الرحمن الرحيم تصريحًا للرحمة التي تضمنها الجلالة(١) فكأنه قال: إنك إذا ذكرت الله تعالى؛ فقد ذكرت الرحمن العام رحمته في الدنيا، والرحيم الخاص رحمته في الآخرة.

ومن ثم سمَّى أمته الأمة المرحومة.

وهكذا شأنه ﷺ مع شأن الأنبياء في غير هذا الموضع، وكذا شأن أمته مع أممهم؛ ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله يختصُّ برحمته مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم؛ ولذا قال ﷻ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣] فافهم جدًا.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٠٨/١).

(٢) رواه في المستدرك (٥٠٩/٢).

وقال لأهل بيته: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠].

والثانية: في الصلاة على النبي ﷺ وعلى الآل في التشهد الأخير.

والثالثة: في الطهارة حيث قال تعالى: (:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

الرابعة: في تحريم الصدقة الواجبة، والمراد بها الزكاة لأنها أوساخ الناس، لقوله ﷺ «**لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد**»[١].

وأما الصدقة التطوع فتدفع لهم[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢/٧٥٤).

(٢) قال الشيخ النبهاني: وفي كشف الغمة: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ﷺ كثيرًا ما يقول عن الصدقة: «إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّها لاَ تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلاَ لآلِ مُحَمَّدٍ».

وكان أنس ﷺ يقول: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما يومًا تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «كُخْ كُخْ ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ».

وكان ﷺ يقول لبني هاشم وبني المطلب: «إِنَّ لَكُمْ فِي خُمُسِ الْخُمُسِ مَا يَكْفِيكُمْ أَوْ يُغْنِيكُمْ».

وعن أنس: كان رسول الله ﷺ يقسم سهم ذوي القربى على بني هاشم وبني المطلب دون بني نوفل وعبد شمس ويقول: «إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء أبو رافع مولى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن فلانًا عاملك على الصدقة دعاني لأكون مساعدًا له ويعطيني منها، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لاَ تَحِلُّ لَنَا، وإِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ».

وقال المناوي قوله: «إنما هي أوساخ الناس»: أي أدناسهم وأقذارهم؛ لأنها تطهر أدرانهم، وتزكي أموالهم ونفوسهم. ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

كغسالة الأوساخ، فهي محرمة عليهم بعملٍ أو غيره، حتى من بعضهم لبعضٍ، ومن زعم استثناءه، فقد أبعد.

وقد سأل بعض الآل عمر أو غيره جملاً من الصدقة فقال: أتحب أن رجلاً بادنا في يوم حر غسل ما تحت كذا فشربته، فغضب وقال: أتقول لي هذا؟ قال: إنما هي أوساخ الناس يغسلونها اهـ.

وفي البحر المورود لسيدي الوالي الكبير الشيخ عبد الوهاب الشعراني ﷺ: لما سأل الفضل ابن عباس =

والخامسة: في المحبة لقوله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ**﴾ [الأنفال:٣٣]..

قال بعض المحققين من العلماء الراسخين في تفسير هذه الآية الشريفة أي: والنبي ﷺ فيهم، فرفع عنهم العذاب ما دام فيهم، وكذا ما دام أحدٌ من أهل البيت موجودًا؛ لأن أولاد فاطمة بضعة منها، وهي بضعة رسول الله ﷺ فهم بضعة منه، والبضعة قائمة مقام الكل في هذا المنصب الشريف، كما أن العلماء قائمون بمنصب الوراثة، قال عليه السلام: «**العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتي وورثة الأنبياء**»(١).

قال: وكان إمامنا الأعظم أبو حنيفة رحمه الله من المتمسكين بولايتهم والمنتسب لودهم، حتى أنه آل إلى شخص من آل البيت باثني عشر ألف درهم هبة منه دفعة واحدة.

وقال الإمام أبو يوسف: «كان إمامنا أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - في المسجد، والناس مزدحمون عليه، وهو يفتيهم، فوقف عليه الإمام جعفر بن الصادق عليه السلام، فظعن به الإمام أبو حنيفة فقام إليه وقال: يا ابن رسول الله، لو شعرت بك أول ما وقفت ما رآني الله تعالى أقعد وأنت قائم، فقال له: اجلس يا إمام، فوالله لو رآك جدي رسول الله ﷺ لسُرّ بك، أنت سراج هذه الأمة وعالمها»(٢).

=

النبي ﷺ أن يستعمله على الصدقات قال ﷺ: «مَعَاذَ اللهِ أَنْ أَسْتَعْمِلَكَ عَلَى غُسَالَةِ ذُنُوبِ النَّاسِ».

وقد قال بعض أئمة اللغة: إن الوسخ يشمل الغائط فما دونه، ولكنه ﷺ كان يكني عن القبيح ما أمكن.

(١) رواه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين (١٢٩/٢)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٨٣/٢).

(٢) قد كان الإمام أبو حنيفة يعظِّم أهل البيت كثيرًا، ويتقرَّب بالإنفاق على المستترين منهم والظاهرين، حتى قيل أنه بعث إلى مستترٍ منهم باثني عشر ألف درهم.

=

ومن كرامات سيدنا الحسن ﷺ بعد وفاته:

ما حُكي أن شخصًا من المجوس تغوّط على قبره فجن وجعل ينبح كما ينبح الكلب ثم مات ذلك الشخص فسُمع من قبره يعوي كعواء الكلب. أخرجه الإمام أبو نعيم وابن عساكر عن الأعمش[1].

ومن كرامات والدة سيدنا الحسن السيدة **فاطمة الزهراء** - رضي الله

=

وكان يحضُّ أصحابه على ذلك، ولمّا ضرب جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة الإمام مالكًا، ونال منه حُمل مغشيًا عليه، ولما أفاق قال: أشهدكم أني جعلت ضاربي في حلٍّ، ثم سُئل فقال: خفت أن أموت وألقى النبي ﷺ واستحي منه أن يُدخل آله النار بسببي.

ولما قدم المنصور المدينة أقاده من جعفر فقال: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوط إلا وقد جعلته في حلٍّ؛ لقرابته من رسول الله ﷺ.

ولمبالغة الإمام الشافعي فيهم محبة صرَّح بأنه من شيعتهم رضي الله عنهم.

قال البيهقي: ولما نسبه الخوارج إلى الرفض حسدًا وبغيًا قال ﷺ:

يا راكبًا قِفْ بالمحصّب مِـن مِنًـى ... واهتفْ بساكن خيفهـا والنَّـاهض
سحرًا إذا فاضَ الحجيج إلى مِنَـى ... فيضًا كملتطم الفـرات الفـائض
إن كان رفضًا حـبُّ آل محمـدٍ ... فليـشهد الـثقلان أني رافـض

وقال له المزني ﷺ: إنك رجلٌ توالي أهل البيت، فلو عملت في هذا الباب أبياتًا.

فقال ﷺ:

وما زال كتمانيك حـتى كـأنني ... بـردِّ جـواب الـسائلين بـأعجم
وأكتم ودّي مع صـفاء مـودتي ... لتسلم من قـول الوشـاة وأسـلم

قال العلاّمة ابن حجر الهيتمي في كتابه المُسمّى بالصواعق:

ثم اعلم أن هذا النسب العليّ نافعٌ في الدنيا والآخرة، وأنه مّما يحق الافتخار به عند ذوي العقول في الدنيا.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/٣٠٥).

عنهما- ابنة النبي ﷺ ما حكاه صاحب «جوهر العقدين» قال: «أخبرني الشيخ العمدة شهاب الدين يونس أن أحد مشايخه ممن يوثق به أخبره أن شخصًا من أعيان المغاربة عزم على التوجه من بلده إلى الحج الشريف، فأحضر إليه شخص من أهل الثروة مبلغًا- وأظنه قال أنه مائة دينار- وقال له: إذا وصلت إلى المدينة الشريفة فاسأل عن شخص من الأشراف بها يكون صحيح النسب فتدفع ذلك إليه، عسى أن يكون لي بذلك وصلة إلى جده ﷺ، قال: فلما رجع إليه ذلك المغربي أخبر أنه قدم المدينة وسأل عن أشرافها، فقيل له: إن نسبهم ثابت إلا أنهم يُظهرون البدع، فقال: فكرهت دفع ذلك لأحد منهم، فجلس إلي واحدٌ منهم قلت له: لو كنت من أهل السنة لدفعت إليك مبلغًا عندي، قال: فشكى إلي فاقةً شديدة وسألني شيئًا من المبلغ فقلت: لا سبيل إلى أن أعطيك شيئًا منه، فذهب عني، فلما نمت تلك الليلة رأيت أن القيامة قد قامت، والناس يجوزون على الصراط، فأردت أن أجوز فأمرت فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - بمنعي فمنعت، فصرت أستغيث فلا أجد مغيثًا، حتى أقبل رسول الله ﷺ فاستغثت به وقلت: يا رسول الله، فاطمة - رضي الله عنها - منعتني الجواز على الصراط، فالتفت إليها ﷺ وقال: لم منعت هذا؟ فقالت: لأنه منع ولدي رزقه، فالتفت ﷺ إلي وقال: قالت: إنك منعت ولدها رزقه.

قال: فانتبهت فزعًا مرعوبًا، وأخذت المبلغ وذهبت إلى ذلك الشريف، قال: كيف جئتني به وقد منعتني منه بالأمس؟.

قال: فقصصت عليه القضية فبكى وقال: أشهدك وأشهد الله ورسوله أني تائبٌ تائبٌ نادمٌ أبدًا.

وحكى التقي المقريزي رحمه الله تعالى عن يعقوب بن يوسف بن علي بن محمد أنه كان بالمدينة الشريفة فقال الشيخ أبو عبد الله محمد الفارسي:

«كنت أبغض أشراف المدينة النبوية لما يُظهرون من البدع، قال: فرأيت وأنا نائم في المسجد النبوي تجاه القبر الشريف وصاحب القبر الشريف ﷺ يقول لي: يا فلان، ما لي أراك تبغض أولادي؟ فقلت: حاشا لله يا رسول الله، ما

أكرههم، وإنما كرهت منهم ما رأيت، فقال لي الرسول ﷺ مسألة فقهية «الولد العاق يلحق بالنسب أم لا؟» فقلت: نعم يا رسول الله، يلحق، فقال: «هذا ولدٌ عاق»، قال: فلما انتبهت صرت لا ألتقي أحدًا من الأشراف إلا أكرمته وعظمته وقبلت يده .

وقال الإمام الحافظ تقي الدين في «تاريخ البلد الأمين» عن محمد بن حمزة ابن يوسف: «أنه توقف عن الصلاة على رجل من آل البيت لأنه كان يلعب بالحمام، فرأى النبي ﷺ في المنام ومعه ابنته فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- فأعرضت عنه فاستعطفها حتى أقبلت عليه فعاتبته، وقالت: أما يسع جاهنا مُطَيِّرًا ؟».

قال الشيخ إبراهيم المواهبي نقلاً عن شيخه العارف بالله تعالى أبي المواهب التونسي – قدّس الله سرّه العزيز – إن أول من تلقى القطبانية عن المصطفى ﷺ فاطمة الزهراء مدة حياتها، ثم انتقلت منها إلى أبي بكر ثم إلى عمر ثم إلى عثمان ثم إلى علي ثم إلى الحسن رضي الله عنهم أجمعين.

ومن كرامات القطب الرباني السيد الشريف العلوي **سيدي أحمد البدوي** ما ثبت له حال حياته وبعد وفاته – قدّس الله سرّه العزيز ونوّر ضريحه الشريف ودامت إمداداته وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته وسره ومدده –[1] وهو

(١) هو شيخنا الشيخ الحسيب النسيب أبو العباس السيد أحمد البدوي ﷺ شهرته ﷺ في جميع الأرض تُغني عن تعريفه، ونذكر جملة من أحواله تبرُّكًا به فنقول: مولده بمدينة فاس بالمغرب؛ لأن أجداده الكرام انتقلوا أيام الحجّاج إليها حين أكثر القتل في الشرفاء.

فلما بلغ سبع سنين، سمع أبوه قائلاً يقول: يا عليّ انتقل من هذه البلاد إلى مكة فإن لنا في ذلك شأنًا، وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة.

قال الشريف حسن أخو السيد أحمد: فما زلنا ننزل على عربٍ، ونرحل على عربٍ، فيتلقونا بالترحيب والإكرام حتى وصلنا مكة في أربع سنين، فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا، ومكثنا عندهم في أرغد عيشٍ، حتى تُوفي والدنا سنة سبع وعشرين وستمائة، ودُفن بباب المعلاّ، وقبره هناك ظاهرٌ يُزار.

=

=

قال الشريف حسن: فأقمت أنا وأخوتي، وكان أحمد أصغرنا سنًّا، وأشيحنا قلبًا، وكان من كثرة ما يتلثم لقبناه بالبدوي، فأقرأته القرآن في المكتب مع ولدي الحسين، ولم يكن في فرسان مكة أشجع منه، وكانوا يسمونه في مكة العطَّاب، فلما حدث عليه حادث الوله تغيرت أحواله، واعتزل عن الناس فكان لا يكلّم الناس إلا إشارةً.

قال بعض العارفين: أنه حصلت له جمعيّة على الحق تبارك وتعالى فاستغرقته إلى الأبد، ولم يزل حاله يتزايد إلى عصرنا هذا.

ثم أنه في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى في منامه ثلاث مراتٍ قائلاً يقول له: قُم واطلب مطلع الشمس، فإذا وصلت مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس، وسر إلى طندتا: أي طنطا؛ فإن بها مقامك أيها الفتى، فقام من منامه وشاور أهله، وسافر إلى العراق فتلقَّاه أشياخها، منهم السيد عبد القادر الكيلاني، والسيد أحمد الرفاعي بالترحيب والإكرام.

وأن السيد أحمد رأى الهاتف في منامه يقول له: يا أحمد سر إلى طندتا، فإنك تقيم بها وتربي بها رجالاً وأبطالاً منهم: عبد العال، وعبد المجيد، وعبد الوهاب، وعبد المحسن، وعبد الرحمن، وكان في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة، فدخل ﷺ مصر، ثم قصد طندتا فدخل على الحال مسرعًا إلى دار شخص من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط، فقصد إلى سطوح غرفته، وكان طول ليله ونهاره واقفًا شاخصًا ببصره إلى السماء، وقد انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر، وكان يمكث الأربعين يومًا وأكثر لا يأكل، ولا يشرب، ولا ينام، ثم نـزل من السطح، وخرج إلى ناحية [المنارة] فتبعه الأطفال، وكان منهم: عبد العال، وعبد المجيد، فورمت عين السيد أحمد فطلب من عبد العال بيضة يعملها على عينه، فقال: وتعطيني الجريدة الخضراء التي معك، فقال له السيد أحمد: نعم، فأعطاها له فذهب إلى أمه، فقال لها: هنا بدوي عينه توجعه قد طلب مني بيضة، وأعطاني هذه الجريدة، فقالت: ما عندي شيء.

فرجع وأخبر السيد أحمد فقال: اذهب فائتِ بواحدة من الصومعة، فرجع عبد العال فوجد الصومعة قد مُلئت بيضًا، فأخذ له واحدة منها، وخرج بها إليه، ثم أن عبد العال تتبع السيد أحمد من ذلك اليوم، ولم تقدر أمه على تخليصه منه، وكانت تقول: يا بدوي الشؤم علينا، فكان السيد أحمد يقول: لو قالت: يا بدوي الخير كان أصدق، ثم أرسل يقول لها: إنه ولدي من يوم قرن الثور، وكانت أم عبد العال قد وضعته في معلف الثور، فطأطأ الثور ليأكل فدخل قرنه في القماط، فشال عبد العال على قرنه، فهجَّ الثور به فلم يقدر أحدٌ على تخليصه، فمدَّ السيد أحمد يده وهو بالعراق، فخلَّصه من القرن فتذكرت أم عبد العال الواقعة، واعتقدت به من ذلك اليوم، فلم يزل السيد

=

أحمد على السطوح مدة اثني عشر سنة.

وكان عبد العال يأتي إليه بالرجل أو الطفل فيطأطئ من السطوح فينظر إليه نظرة واحدة فيملأه مددًا، ويقول لعبد العال: اذهب به إلى بلد كذا وكذا أو موضع كذا، وكانوا يُسمون أصحاب السطوح.

وكان ﷺ لم يزل ملثمًا بلثامين، فاشتهى عبد المجيد يومًا رؤية وجه السيد أحمد، فقال: يا سيدي أريد أرى وجهك، فقال: يا عبد المجيد كل نظرة برجل، فقال: يا سيدي أرني لو مت فكشف له اللثام الفوقاني فصعق ومات في الحال.

وكان ﷺ غليظ الساقين، طويل الذراعين، كبير الوجه، أكحل العينين، طويل القامة، قمحي اللون، وكان في وجهه ثلاث نقط جدري في خده اليمين واحدة، وفي الأيسر اثنتان، أقنى الأنف، على أنفه شامتان، من كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدسة، وكان بين عينيه جرح موسي جرحه ولد أخيه الحسين بالأبطح حين كان بمكة، ولم يزل من حين كان صغيرًا باللثامين والفرزتين.

ولما حفظ القرآن العظيم اشتغل بالعلم مدة على مذهب الإمام الشافعي ﷺ حتى حصل له حادث الوله، فترك ذلك الحال، وكان إذا لبس ثوبًا وعمامة لا يخلعها لغسلٍ ولا غيره حتى تذوب فيبدلوها له بغيرها، والعمامة التي يلبسها الخليفة كل سنة في المولد هي عمامة الشيخ أحمد بيده.

وأما البشت الأحمر من لباس الشيخ عبد العال.

وكان ﷺ يقول: وعزة ربي سواقي تدور على البحر المحيط.

قال الشيخ محمد الشناوي: إن شخصًا أنكر حضور مولده فسُلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستغاث بالسيد أحمد، فقال: بشرط ألاَّ تعود، فقال: نعم، فردَّ عليه ثوب إيمانه، ثم قال له: وماذا تنكر؟ قال: اختلاط الرجال والنساء، فقال له السيد أحمد: ذلك واقعٌ في الطواف، ولم يمنع أحدٌ منه، ثم قال: وعزة الربوبية ما عصي أحد في مولده إلاَّ وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش في البراري، والسمك في البحار، وأحميهم من بعضهم بعضًا فيعجزني الله ﷻ عن حماية من يحضره مولدي.

ووقع ابن اللبان في حق السيد أحمد فسُلب القرآن والعلم والإيمان، فلم يزل يستغيث بالأولياء فلم يقدر أحدٌ يدخل في أمره، فدلوه على الشيخ ياقوت العرشي، فمضى إلى السيد أحمد وكلّمه في القبر فأجابه، وقال: أنت أبو الفتيان رُدَّ على هذا المسكين رأس ماله، فقال: بشرط التوبة، فتاب ورد عليه رأسماله، وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان في الشيخ ياقوت، وقد زوَّجه الشيخ ياقوت ابنته، ودُفن تحت رجليه بالقرافة.

وواقعة ابن دقيق العيد وامتحانه للسيد أحمد مشهورة، وهو أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أرسل

أن السلطان الملك الغوري كان من المنكرين عليه، فبينما هو ذات يوم في خلوة له مع عياله إذا بالحائط قد انشق وخرج منه رجل فبقي ثالثهما، فقال له السلطان الغوري: من أنت أيها المتهجم على الملوك؟ أما خفت سطوتي؟ فقال: أنا أحمد البدوي لأي شيء تنكر على الأولياء؟ لئن أنكرت ثانيا لأزيحن رأسك عن جثتك، فتاب الغوري من الإنكار عليه من ذلك الوقت.

ومن كراماته بعد وفاته أيضًا ما أخبر به العارف بالله تعالى سيدي محمد الشناوي نفعنا الله به أحد مشايخ سيدي عبد الوهاب الشعراوي، كان قد أخذ علي العهد في القبة تجاه سيدي أحمد البدوي، وسلمني إليه بيده، فخرجت اليد الشريفة من الضريح فقبضت على يدي فقال سيدي محمد الشناوي لسيدي أحمد البدوي: يا سيدي، ليكن خاطرك على عبد الوهاب، واجعله تحت نظرك، فسمع سيدي أحمد البدوي وهو يقول من داخل القبر: نعم.

ومن كراماته أيضًا ما حكاه سيدي عبد الوهاب الشعراوي قال: تخلفت عن ميعاد حضوري لمولده سنة ثمان وأربعين وتسعمائة، وكان هناك بعض الأولياء، فأخبروني أن سيدي أحمد البدوي كان ذلك اليوم يكشف الستر عن

=

إلى السيد أحمد الشيخ عبد العزيز الديريني، وقال له: امتحن لي هذا الرجل الذي اشتغل الناس بأمره عن هذه المسائل، فإن أجابك عنها فهو وليٌّ لله تعالى، فمضى إليه وسأله عنها فأجابه عنها بأحسن جواب، وقال: هذه الأجوبة مسطرة في الكتاب الفلاني فوجدوها في الكتاب كما قال.

وكان الشيخ عبد العزيز إذا سُئل عن السيد أحمد قال: هو بحرٌ لا يُدرك له قرار، وإخباره ومجيئه من بلاد الفرنج، وإغاثة الناس من قطّاع الطريق، وحيلولته بينهم وبين من استنجد به كثيرة لا تحويها الدفاتر.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وقد شاهدت أنا بعيني سنة خمس وتسعمائة أسيرًا على منارة الشيخ عبد العال، مقيَّدًا مغلولاً، وهو مختبط العقل فسألته عن ذلك، فقال: بينما أنا في بلاد الفرنج آخر الليل توجَّهت إلى السيد أحمد، فإذا أنا به فأخذني وطار بي في الهواء فوضعني هنا، فمكث يومين ورأسه دائر عليه من شدَّة الخطفة.

تُوفي ﷺ سنة خمس وسبعين وستمائة ﷺ وقدس روحه، وأعاد علينا من بركته آمين.

الضريح ويقول: أبطأ عبد الوهاب ما جاءنا.

قال سيدي عبد الوهاب: أخبرني شيخي سيدي محمد الشناوي أن شخصًا أنكر حضوري مولد أحمد البدوي فسُلب الإيمان، فلم تكن فيه شعرةٌ تحب الإسلام، ثم أنه تاب وندم ورجع عن الإنكار فرُدّ عليه إيمانه بعد التوبة ثم قال له: ماذا تنكر؟ قال: اختلاط الرجال بالنساء، فقال: ذاك وقع في الطواف ولم يمنع منه أحد، ثم قال: وعزة الربوبية ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحر وأحميهم من بعضهم، أفيعجزني الله ﷻ حماية من حضر مولدي؟!

ومن كراماته أيضًا بعد الوفاة، ما حكي أن ابن اللبان وقع في حق سيدي أحمد البدوي فسُلب القرآن والعلم والإيمان، فلم يزل يستنجد بالأولياء فلم يقدر أحد أن يدخل في أمره، فدلوه على سيدي ياقوت القرشي، فمضى إلى سيدي أحمد البدوي وكلّمه في القبر، فأجابه، فقال القرشي للسيد أحمد البدوي: أنت أبو الفتيان، رد على هذا المسكين رأس ماله- يعني القرآن والعلم والإيمان - فقال: بشرط التوبة، فتاب، فرد عليه رأس ماله.

قال سيدي عبد الوهاب: قد شاهدت بعين رأسي - سنة خمس وأربعين وتسعمائة - أسيرًا على منارة سيدي عبد العال مقيدًا مغلولاً وهو مخبط العقل فسألته عن حاله فقال: بينما أنا في بلاد الإفرنج آخر الليل توجهت إلى سيدي أحمد البدوي، فإذا وأنا به قد أخذني وطار بي في الهواء، فوضعني في هذا المحل، فمكثت يومين وأنا على هذه الحالة لا أفيق من شدة الخطفة!

ومناقبه وكراماته حال الحياة وبعد الموت كثيرة لا تحصى ﷺ ونفعنا به.

ونسب سيدي أحمد البدوي - قدّس الله سرّه وجعل الفردوس مقرّه- ينتهي إلى سيدي علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وكذا سيدي إبراهيم الدسوقي ينتهي نسبه الشريف إلى من ذُكر.

قال: «ذكر في وصية شيخ الإسلام شهاب الدين السهروردي - رحمه الله تعالى ونفعنا به - أن العارف بالله تعالى شيخ الطائفة سيدي أبي القاسم الجنيد

- قدّس الله سرّه وجعل الفردوس مقرّه وأعاد علينا من بركاته ومدده - أخذ الطريق عن السري السقطي، وهو أخذ عن معروف الكرخي، وهو أخذ عن داوود الطائي، وهو أخذ عن الحبيب العجمي، وهو أخذ عن الحسن البصري، وهو أخذ عن أمير المؤمنين إمام المتقين سيدنا علي ﷺ، وهو أخذ عن رسول الله ﷺ».

وذكر في كتاب «الرشف لعلّة الكشف» أن معروفًا الكرخي أخذ عن الرضا وهو أخذ عن أبيه الكاظم وهو أخذ عن أبيه جعفر الصادق وهو أخذ عن أبيه محمد الباقر وهو أخذ عن أبيه زين العابدين علي بن الحسين وهو أخذه عن أبيه الحسين وهو أخذه عن جده رسول الله ﷺ.

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراوي نفعنا الله به[1]: حججت سنة سبع

---

(١) أرّخ سيدي عبد الوهاب الشعراني لنفسه في كتابه لطائف المنن فقال:

أحمد الله تعالى حيث جعلني من أبناء الملوك فإني بحمد الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد ابن علي بن محمد بن زوفا بن الشيخ موسى، المكنى في بلاد البهنسا بأبي العمران، جدي السادس ابن السلطان أحمد بن السلطان سعيد، بن السلطان فاشين، بن السلطان محيا، بن السلطان زوفا، ابن السلطان ريان، بن السلطان محمد بن موسى، بن السيد محمد ابن الحنفية، بن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

ولد الشعراني على أصح الروايات وأشهرها في ٢٧رمضان عام ٨٩٨ هـ بيلدة قلقشندة وهي قرية جده لأمه، ثم انتقل بعد أربعين يومًا من ولده إلى قرية أبيه ساقية أبي شعرة وإليها انتسب، فلقب بالشعراني، وعرف بهذا اللقب واشتهر به، وإن كان هو قد سمّى نفسه في مؤلفاته بالشعراوي.

ولقد اضطرب رجال التاريخ في تحديد مولده، فلقد ذكر صاحب «النور السافر» تاريخًا لمولده قبل هذا التاريخ بقليل، والمناوي وعلي مبارك والمستشرق شاخت فقد أبدوا التاريخ الذي ذكرناه، وهو المعتمد.

والشيخ الشعراني يقول في صراحة: إن من منن الله عليه أنه لم تكن هناك عوائق تعيقني عن طلب العلم والعبادة منذ طفولتي، وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداي ولحمتي، وهذه القناعة أغنتني عن الوقوع في الذل لأحدٍ من أبناء الدنيا، ولم يقم لي أنني باشرت حرفةً ولا وظيفةً لها معلوم دنيوي، من منذ بلغت، ولم يزل الحق تعالى يرزقني من حيث لا احتسب إلى وقتي هذا، وعرضوا علي الألف دينار وأكثر فرددتها ولم أقبل منها شيئًا، وكان التجار والكبراء يأتون بالذهب والفضة فأنثرها في صحن جامع الغمري، فيلتقطه المجاورون.

=

=

وحفظ الشعراني في قريته كما يحدثنا في المنن القرآن الكريم، ثم حفظ أبا شجاع والأجرومية، ودرسهما على أخيه الشيخ عبد القادر.

وتوفي والده قبل أن يبلغ العاشرة، فنشأ يتيمًا من الأبوين، وكان الله وحده كما يقول هو نصيره ووليه.

ويقص علينا الشعراني تاريخ حضوره إلى القاهرة بذلك الأسلوب القلبي الأخاذ الذي عرف عن الشعراني فيقول:

وكان مجيئي إلى القاهرة سنة عشرة وتسعمائة، وعمري إذ ذاك اثنتا عشرة سنة، فأقمت في جامع سيدي أبو العباس الغمري، وحنن الله علي شيخ الجامع وأولاده فمكثت بينهم كأني واحدٌ منهم، آكل ما يأكلون، وألبس ما يلبسون، فأقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية وآلاتها على الأشياخ.

ثم يقول: ولم أزل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع في المعاصي معتقدًا عند الناس، يعرضون عليَّ كثيرًا من الذهب والفضة والثياب، فتارة أردها، وتارة أطرحها في صحن الجامع، فيلتقطها المجاورون.

ولبث الشعراني في مسجد الغمري، يعلّم ويتعلم ويتهجد ويتعبد سبعة عشر عامًا، ثم انتقل إلى مدرسة أم خوند، وفي تلك المدرسة بزغ نجم الشعراني وتألق.

ويقول الشعراني: ولقد اجتمعت بخلائق لا تحصى من أهل الطريق ألتمس لديهم المفاتيح والأبواب، فلم يكن لي وديعة عند أحد منهم.

قرأ الشيخ على العلماء والأئمة كتب ومتون ما لا يحصى كثرة، وحبب إليه علم الحديث فلزم الاشتغال به والأخذ عن أهله، ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين ولا لدونه النقلة، بل هو فقيه النظر، صوفي الخبر، له دراية بأقوال السلف ومذاهب الخلف، وكان ينهي عن الحط على الفلاسفة وتنقيصهم، وينفر ممن يذمهم، ويقول هؤلاء عقلاء، ثم أقبل على الاشتغال بالطريق مجاهدًا نفسه مدة، وقطع العلائق الدنيوية، ومكث سنين لا يضطجع على الأرض ليلاً ولا نهارًا، بل اتخذ له حبلاً بسقف خلوته يجعله في عنقه ليلاً حتى لا يسقط.

وكان يطوى الأيام المتولية، ويديم الصوم، ويفطر على أوقية من الخبز، ويجمع الخروق من الكيمان فيجعلها مرقعة يستتر بها، وكانت عمامته من شراميط الكيمان وقصاصة الجلود، واستمر كذلك حتى قويت روحانيته، وكان يفتتح مجلس الذكر عقب العشاء، فلا يختمه إلا عند الفجر.

فقد عاش الشعراني حياته تحت ظلال المساجد ليله ونهاره متبتلاً في طلب العلم، عالمًا في التعبد، عاش نقيًا طاهرًا مجاهدًا في سبيل الكمال العلمي والكمال الخلقي.

فكان صوفيًا في منهجه الذي أخذ نفسه به طوال حياته، يقول في المنن: إن من منن الله عليَّ أن ألهمني مجاهدة نفسي من غير شيخ منذ طفولتي.

=

وأصبحت زاوية الشعراني التي أسسها ليتلقى فيها الطلاب علوم الظاهر مع أذواق الباطن من أعظم منارات العلم والثقافة والتوجيه في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وغدت مثابةً للعلماء والأدباء، ومنبرًا للدعوة والإرشاد، وساحةً للذكر والعبادة، ورواقًا يرسل الشعاع الروحي النقي في عصرٍ انطفأت فيه المصابيح، وخمدت مشاعل الحياة.

وأصبح الشعراني قطب الرحى في عصره يلوذ به طلاب العلم وطلاب الذوق، كما يلجأ إليه أصحاب الحاجات والشفاعات، وعلى باب الزاوية يزدحم الأمراء والكبراء.

فكان الإمام متحلق بخلق التصوف متأدب بآدابه وأخذ نفسه بكل ما كتب وسطر في كتبه فكان خلقه صورة رسالته.

وكان الشعراني يرى أن الإنسان لا يكون إنسانًا إلا إذا شارك الناس كافة في أحزانهم وآلامهم؛ لأن الإنسانية وحدة متماسكة خيرها مشترك، وعذابها مشترك، يقول: من ضحك أو استمتع بزوجه أو لبس مبخرًا أو ذهب إلى مواضع المتنـــزهات أيام نـــزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء.

وكان رحيمًا بالناس، ورحيمًا بنوعٍ خاصٍّ بالعصاة والمذنبين، لأنهم أشد الناس ضعفًا، وأحوجهم إلى العطف والنصح والرحمة.

يقول متحدثًا عن مبادئه: ثم ستري لعورات الناس وعيوبهم ورحمتي بالعصاة حال تلبسهم بالمعصية، فإنهم أشقى الناس حينئذ.

ثم يقول واصفًا خلقه: ثم غيرتي على أذني أن تسمع زورًا، وعيني أن تنظر محرمًا، ولساني أن يتكلم باطلاً.

وكان الشعراني يرى أن العبادة لا تصلح إلا بصلاح القلب ونقاء الأخلاق، فكان لا يقوم إلى الصلاة إلا إذا فتش قلبه، هل فيه غلٌّ أو حقد، أو حسد، أو نميمة، أو شهوة صغيرة أو كبيرة، بل كان يستحيي أن ينام وفي قلبه شيء من هذا؛ لأن النوم رحلة الروح إلى الملأ الأعلى.

ويسمو الشعراني في أدب النفس، ويرتفع في معارج الخلاق، فيقول: ومما أنعم الله به عليَّ عدم خروجي من بيتي إلا إذا علمت من نفسي القدرة بإذن الله على هذه الثلاث خصال: تحمل الأذى عن الناس، وتحمل الأذى منهم، وجلب الراحة لهم.

وقال ابن العماد الحنبلي: حسده طوائف فدسوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشرع، وعقائد زائغة، ومسائل تخالف الإجماع، وأقاموا عليه القيامة، وشنعوا وسبوا ورموه بكل عظيمة فخذلهم الله وأظهره عليهم، وكان مواظبًا على السنة مبالغًا في الورع، مؤثرًا ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه، متحملاً للأذى موزعًا أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسلك وإفادة، واجتمع بزاويته من العميان وغيرهم نحو مائة فكان يقوم بهم نفقة وكسوة، وكان عظيم الهيبة وافر الجاه والحرمة، تأتي إلى بابه الأمراء.

وكان يسمع لزاويته دوي كدوي النحل ليلاً ونهارًا.

وكان يحيي ليلة الجمعة بالصلاة على المصطفى ﷺ ولم يزل مقيمًا على ذلك معظمًا في صدور الصدور

وأربعين وتسعمائة، وأردت الذهاب إلى زيارة قبر أخي وصاحبي في الله تعالى أبي الفضل، وكان قد دفن ببدر شرفها الله تعالى، وكنت إذ ذاك لا أعرف قبره، فقلت: أقسمت عليك بالله يا أخي أن تنطق لي من القبر وتعرفني قبرك، فناداني من داخل القبر: تعالى، فإني هنا فعرفت قبره بتعريفه لي.

وقال أيضًا سيدي عبد الوهاب الشعراوي: قصدت أخي الشيخ أبا العباس الحريثي المدفون بثغر دمياط في حاجة مهمة، وأنا فوق السطح بمدرسة أم خوند بمصر المحروسة، فرأيته قد خرج من قبره يمشي من دمياط، وأنا أنظر إليه إلى أن صار بيني وبينه نحو خمسة أذرع فقال لي: يا أخي، عليك بالصبر، ثم اختفى عني، وقال أيضًا سيدي عبد الوهاب: لما صُلّي على سيدي محمد بن عبيد البصري سُمع في الجو كأن أصوات طبول تضرب، وكانوا كلما رفعوا أيديهم بالتكبير للصلاة عليه سمعوها.



=

إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته.

ومن كلامه: دوروا مع الشرع كيف كان لا مع الكشف فإنه قد يخطئ.

وقال: ينبغي إكثار مطالعة كتب الفقه عكس ما عليه المتصوفة الذين لاحت لهم بارقة من الطريق فمنعوا مطالعته، وقالوا: إنه حجاب جهلاً منهم.

وقال: ذهب بعض أهل الكشف إلى أن جميع الحيوان لهم تكليف إلهي برسول منهم في ذواتهم لا يشعر به إلا من كشف عن بصره، فإن لله الحجة على خلقه فلا يعذب أحدًا إلا جزاء، فلا إشكال في إيلام الدواب.

وقال: الجبر آخر ما تنتهي إليه المعاذير، وذلك سبب مآل أهل الرحمة إلى الرحمة.

وجال قلم الشعراني في كل أفق من آفاق المعرفة العلمية والذوقية.

فكتب في الأصلين، في التصوف، والتوحيد، والفقه والأصول، والتفسير، والحديث، والتاريخ والمناقب، واللغة، والنحو، والطب، وغيرها من العلوم.

وانتقل الشيخ ﷺ في جمادى الأولى من سنة ٩٧٣ هـ.

ودفن بجانب زاويته بحي باب الشعرية، بالقرب من بين السورين، وضريحه الشريف بمسجده المبارك.

وانظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٣٧٢/٨). ولطائف المنن للشعراني (٣٢/١)، (٢٣٦/٢). والكواكب الدرية للمناوي (٦٩/٤). وكرامات الأولياء للنبهاني (١٣٤/٢). والكواكب السائرة للغزي (١٧٦/٣)، ومناقب الشعراني للشيخ المليجي (تحقيق أخي وصديقي محمد نصار)، ومقدماتنا لكتب الشيخ وهي كثيرة زادنا الله من تحقيقها، والعمل على خدمة تراث الشعراني ﷺ.

ومن كرامات **الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي** - عفا الله عنه وسامحه ونفعنا به - ما حكاه سيدي عبد الوهاب الشعراوي من أخٍ له في الله تعالى أنه كان لي بيت يشرف على ضريح العارف بالله تعالى سيدي محيي الدين ابن العربي، فجاء شخص من المنكرين بعد صلاة العشاء بنار يريد أن يحرق تابوت الشيخ، فخسف بهذا الشخص دون القبر سبعة أذرع، فغاب في الأرض وأنا أنظر إليه، فاعتقدته من تلك الليلة، فأخبرت أهله بالقصة فجاءوا وحفروا فوجدوا رأسه، وكلما حفروا نــزل وغاب في الأرض إلى أن عجزوا فتركوه وأهالوا عليه التراب .. كذا في الطبقات الكبرى .

ومن كرامات الشيخ سيدي **أبي الحسن الشاذلي** بعد وفاته - أعاد الله علينا من بركاته - ما نقله الثقات، وهو أن الأستاذ أبا الحسن الشاذلي لما احتُضر قال التلميذ له: إني أموت في هذا اليوم، فإذا مت فغسلني وانتظر من يصلي علي فصلِّ معه، وقال : فنــزلت ملائكة من السماء غسلته، وأقبل رجل ملثم لا يُرى منه سوى عيناه فصلى على الشيخ وذهب، فتبعه التلميذ وأقسم عليه ليقفن، فوقف، فكشف التلميذ عن وجهه، فإذا هو أبو الحسن الشاذلي، فقال: ما هذا يا أستاذ؟ فقال: «نفس لم تكن في موتها كما كانت في حياتها، وإلا ليست بنفس» .

ومن كرامات السيد الجليل العارف بالله تعالى **محمد بن أبي بكر الحكمي** بعد وفاته ما حكاه الإمام اليافعي -رحمه الله- في «نشر المحاسن» قال: «أخبرني بعض الأولياء العارفين بالله تعالى أنه كلّمه السيد الكبير محمد بن أبي بكر الحكمي بعد أن انشق قبره وخرج إليه منه وهو مشدود الوسط، فقلت: يا سيدي، ما لي أراك مشدود الوسط؟ فقال: نحن بعد في الطلب، من زعم أنه وصل فقد كذب».

ومراد الشيخ أن من توهم أنه قد وصل إلى مقام ليس فوقه مقام أو إلى نهاية ليس فوقها مطلب فقد كذب؛ لأن فضل الله تعالى واسع وليس له نهاية، فما من مقام إلا فوقه مقام يمكن أن يصل إليه العبد بفضل الله تعالى، والمراد

بالوصول: الوصول إلى مقام معلوم، ومنها انقلاب البحر وجفافه لبعض أوليائه، كما ذكر في رسالة الإمام القشيري رحمه الله تعالى قال: «كنا في سفينة، فمات رجلٌ عليلٌ كان معنا في السفينة، فأخذنا في تجهيزه، وأردنا أن نلقيه في البحر فصار جافًا، ونــزلت السفينة على الأرض، فخرجنا وحفرنا له قبرًا وواريناه، فلما فرغنا من دفنه استوى الماء وارتفعت السفينة وسرنا».

وفي «نشر المحاسن» للإمام اليافعي أيضًا أن بعض الصالحين مات في السفينة فأرادوا إلقائه في البحر، فرأيت البحر قد انشق نصفين ونــزلت السفينة إلى الأرض، فأخرجناه وحفرنا له قبرًا، ودفناه، فلما فرغنا استوى الماء وارتفعت السفينة وسرنا.

وقال في «نشر المحاسن» أيضًا: «روينا في الرسالة عن أبي يعقوب السوسي – رحمه الله تعالى – قال: جاءني مريد بمكة المشرفة، فقال لي: يا أستاذ، أنا غدًا أموت وقت الظهر، فخذ هذا الدينار فاحفر لي بنصفه قبرًا وكفني بنصفه الآخر، ثم لما كان غد وقت الظهر جاء وطاف ثم تباعد ومات، فغسلته ووضعته في اللحد، ففتح عينيه، فقلت: أحياة بعد موت؟ فقال: يا أخي، وكل محب لله حي».

وسيدي إبراهيم بن أدهم – قدّس الله سرّه وجعل الفردوس مقرّه – يقول: رفعت جنازة بالساحل فقلت: بارك الله في الموت، فسمعت قائلاً من داخل سرير الميت يقول: وما بعد الموت، قال إبراهيم: فدخل على منه رعب حتى ما قدرت أحمل قائمة من السرير فغلبتني، فدُفن الميت وانصرف الناس عنه، فقعدت عند القبر مفكرًا في القائل من السرير، فغلبتني عيناي فنمت ورأسي على ركبتي عند القبر، فإذا بشخص قد خرج من القبر أحسن الناس وجهًا وأطيبهم رائحة وأنقاهم ثوبًا، وهو يقول: يا إبراهيم، قلت: لبيك، فمن أنت رحمك الله؟ قال: أنا القائل من السرير «وما بعد الموت» فقال له: بالذي فلق الحبة (أي: شقق الحبة) وبرأ النسيمة (خلق الخلق) وتردّى بالعظمة قال تعالى في

حديثه القدسي: «**العظمة ردائي والكبرياء إزاري**»[(١)] ألا قلت لي من أنت؟ قال: أنا السُّنة، أكون لصاحبي في الدنيا حافظًا، وعليه رقيبًا، وفي القبر نورًا، وفي القيامة سائقًا وقائدًا إلى الجنة.

ومن كرامات سيدي **أحمد البهلول** بعد موته ما حكي أنه كان يقول: لا تدفنوني إلا خارج باب القرافة في الشارع فقالوا له: قد عملنا لك قبرًا في جامع بطيخة، فقال: إن قدرتم أن تحملوني فافعلوا، فلما مات- رحمه الله تعالى- عجزوا أن يحركوا سريره إلى ناحية جامع بطيخة، فلما حملوه إلى ناحية القرافة خفَّ عليهم.

ومن كرامات سلطان أهل العشق الشيخ سيدي **عمر بن الفارض**[(٢)]-

---

(١) رواه مسلم (٢٠٢٣/٤).

(٢) مولده بالقاهرة في شهر ذي القعدة سنة سبع وسبعين وخمسمائة، وتُوفي أيضًا بالقاهرة بجامع الأزهر بقاعة الخطابة في شهر جمادى الأوّل سنة اثنين وثلاثين وستمائة، ودُفن بالقرافة بسفح الجبل المقطّب عند مجرى السّيل، تحت المسجد المعروف بالعارض الذي هو أعلى الجبل المذكور.

وكان ﷺ معتدل القامة، وجهه جميلٌ حسنٌ، مشرَّب بحمرة ظاهرة، وإذا تواجد وغلب عليه الحال يزداد وجهه نورًا وجمالاً، ويتحدّر العرق من سائر جسده حتى يسيل تحت قدميه على الأرض، وكان عليه نور وجلالة وهيبة، وكان إذا حضر في مجلسٍ يظهر على ذلك المجلس سكون وسكينة، وكان يحضر مجلسه من الفقراء والفقهاء والقُرَّاء وأكابر الدولة من الأمراء، والوزراء، والقضاة، ورؤوس الناس، فيكونون معه في غاية الأدب، وإذا خاطبوه كأنهم يخاطبون ملكًا عظيمًا، وإذا مشى في المدينة يزدحم الناس عليه، يلتمسون منه البركة والدعاء، ويقصدون تقبيل يده، فلا يمكّن أحدًا من ذلك بل يصافحه، وكانت ثيابه حسنة ورائحته طيبة، وكان ينفق على من يرد عليه نفقة متّسعة، ويعطي من يده عطاءً جزيلاً، ولم يكن يتسبَّب في تحصيل شيء من الدنيا، ولا يقبل من أحدٍ شيئًا.

وبعث إليه السُّلطان الكامل ألف دينار فردَّها إليه، وسأله أن يجهز له ضريحًا عند قبر أمه في قُبَّة الإمام الشافعي ﷺ، فلم يأذن له بذلك، ثم استأذنه أن يجهِّز له مكانًا يكون له مزارًا يُعرف به، فلم ينعم له بذلك.

قال الشيخ كمال الدِّين محمد ولده: سمعت والدي الشيخ عمر يقول: كنت في أول تجريدي استأذن والدي، وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل المقطّم، وأقيم في هذه السّياحة ليلاً ونهارًا ثم أعود إلى
=

والدي؛ لأجل بره ومراعاة قلبه، وكان والدي يومئذ خليفة الحكم العزيز بالقاهرة ومصر، وكان من أكابر أهل العلم والعمل، فيجد سرورًا برجوعي إليه، ويلزمني بالجلوس معه في مجالس الحكم ومدارس العلم، ثم أشتاق إلى التجريد وأستأذنه وأعود إلى السياحة، وما برحت أفعل ذلك مرة بعد مرة إلى أن سُئل والدي أن يكون قاضي القضاة فامتنع ونـزل عن الحكم، واعتزل الناس وانقطع إلى الله بالجامع الأزهر إلى أن تُوفي، فعاودت إلى التجريد والسِّياحة وسلوك الطريقة، فلم يُفتح عليَّ بشيء، فحضرت يومًا من السِّياحة إلى المدينة، ودخلت المدرسة السوقية فوجدت رجلاً شيخًا بقالاً على باب المدرسة يتوضأ وضوء غير مرتَّب، غسل يديه ثم غسل رجليه ثم مسح برأسه ثم غسل وجهه، فقلت: يا شيخ إنك في هذا السِّن في دار الإسلام، وأنت تتوضَّأ وضوء غير مرتَّب، فنظر إليَّ وقال: يا عمر أنت ما يُفتح عليك في مصر، وإنما يُفتح عليك بالحجاز في مكة، فاقصدها فقد آن لك وقت الفتح، فعلمت أن الرَّجل من أولياء الله تعالى، وأنه يتستر بالمعيشة وإظهار الجهل بترتيب الوضوء، فجلست بين يديه وقلت له: يا سيدي، وأين أنا ومكة ولا أجد ركبًا ولا رفقةً في غير أشهر الحج؟! فنظر إليَّ وقال: هذه مكة، فتركته وطلبتها فلم تبرح أمامي حتى دخلتها في ذلك الوقت، وجاءني الفتح حين دخلتها، وترادف ولم ينقطع، وشرعت في السِّياحة في أوديتها وجبالها، وكنت أستأنس فيها بالوحش ليلاً ونهارًا، وأقمت بوادٍ بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب الجد، وكنت آتي منه كل يوم وليلة وأصلِّي في الحرم الصلوات الخمس، ومعي سبعٌ عظيم الخلقة يصحبني في ذهابي وإيابي، ويبْرُك لي كما يبرك الجمل، ويقول: يا سيدي اركب، فما ركبته قط.

وتحدث بعض جماعة من أكابر المشايخ المجاورين بالحرم بمكة بتجهيز مركوب يكون عندي في البرِّيَّة، فظهر لهم السبع عند باب الحرم، فرأوه وسمعوا قوله: يا سيدي اركب، فاستغفروا الله، وكشفوا رؤوسهم واعتذروا إليَّ.

ثم بعد خمسة عشر سنة سمعت الشيخ البقال يناديني: يا عمر، تعالَ إلى القاهرة، فاحضر وفاتي، فأتيته مسرعًا فوجدته قد احتضر، فسلَّمت عليه وسلَّم عليَّ، وناولني دنانير ذهب وقال: جهِّزني بهذه، وافعل كذا وكذا، واستأجر من يحمل جنازتي إلى القرافة، واعطِ كل واحدٍ دينارًا، واتركني على الأرض في هذه البقعة، وأشار بيده إليها فلم تبرح بين عيني وهي بالقرافة عند مجرى السَّيل، قال: وانتظر قدوم شخص يهبط إليك من الجبل، فصلِّ أنت وهو عليَّ، وانتظر ما يفعل الله في أمري، وتُوفي الشَّيخ البقَّال فجهزته كما أشار، وطرحته في البقعة كما أمرني، فهبط إليَّ رجلٌ من الجبل كما يهبط الطَّير المسرع لم أره يمشي على رجليه، فعرفته بشخصٍ كنت أراه يصفع قفاه في الأسواق، فقال: يا عمر تقدَّم فصلِّ بنا على الشَّيخ، فتقدمت وصليت إمامًا، ورأيت طيورًا خضرًا وبيضًا صفوفًا بين السماء والأرض يصلُّون معنا، ورأيت طائرًا منهم عظيم الخلقة أخضر قد هبط

عند رجليه وابتلعه، وارتفع إليهم، وطاروا جميعًا ولهم زجل بالتسبيح إلى أن غابوا عنّا، وقال لي ذلك الرجل: يا عمر، أما سمعت أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهم شهداء السيوف! وأمّا شهداء المحبّة فكلهم أجسادهم وأرواحهم في أجواف طيور خضر تسرح في الجنة، وهذا الرجل منهم يا عمر، وأنا كنت منهم، وإنما وقعت مني هفوة فطُردت عنهم، وأنا أصفع قفاي بالأسواق ندمًا وتأديبًا على تلك الهفوة، قال: وارتفع الرجل إلى الجبل الطائر إلى أن ارتفع عنّي.

قال الشيخ محمد: قال لي والدي: إنما حكيت لك هذا لأرغبك في سلوك طريقنا، فلا تذكره لأحد في حياتي، فلم أذكره لأحدٍ حتى تُوفي، ودُفن في تلك البقعة حسب وصيّته، وضريحه بها معروفٌ يُزار.

قال سبطه ﷺ:

جزْ بالقرافةِ تحتَ ذيـلِ العَـارِض   وقُلْ السَّلامُ عليكَ يَا ابن الفَارضِ
أبرزت في نظمِ الـسُّلوكِ عَجَائبًـا   وكشفت عن سرٍّ مصونٍ غـامضِ
وشربت من بحـرِ المحبّـة والـولا   فرُويت من بحـرٍ محـيطٍ فـائضِ

وقال غيره:

لَمْ يَبْقَ صـيب مزنـة إلا وقـد   وجبت عليه زيارة ابـن الفـارض
لا غرو أن يُـسقى ثـراه وقـبره   باقٍ ليومِ العرض تحـت العَـارض

قال ولده الشيخ كمال الدّين محمد ﷺ: كان الشيخ في غالب أوقاته لا يزال داهشًا، شاخصًا بصره، لا يسمع من يكلّمه ولا يراه، فتارة يكون واقفًا، وتارة يكون قاعدًا، وتارة يكون مستلقيًا على ظهره، مستجي كما يستجي الميت، ويمر عليه العشرة أيام متواصلة وأقل وأكثر وهو على هذه الحالة، لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك، ثم لم يستفق وينبعث من هذه الغيبة حتى [يتحدق]، ويكون أول كلامه أنه يملي من القصيدة ما فتح الله تعالى عليه.

قال سبطه ﷺ: طالعت في مجموعٍ بخط شيخ رجل صالح، فرأيت من جملتها فيه القصيدة الثانية المُسمّاة بنظم السلوك، ورأيت قبلها ترجمة هذه صورتها: قال الشيخ المحقق شرف الدين عمر بن الفارض قدس سره ونوّر ضريحه: هذه القصيدة الغراء، والفريدة الزّهراء التي لم يُنسج على منوالها، ولا سنح خاطرٌ بمثلها، وتكاد تخرج عن طوق وسع البشر ألفاظًا ومعاني، وكان سمّاها أوّلًا: أنفاس الجنان ونفائس الجنان، ثم سمّاها: لوائح الجنان وروائح الجنان، ثم رأى النبي ﷺ فقال له: سمِّها نظم السلوك، فسمّاها بذلك.

وحكى جماعة يُوثق بهم ممن صحبوه وباطنوه، أنه لم يكن نظمها على حدّ نظم الشعراء أشعارهم، بل كان يحصل له جذبات يغيب فيها عن حواسه الأيام نحو الأسبوع والعشرة أيام، فإذا أفاق أملى ما فتح الله تعالى عليه به، منها نحو الثلاثين والأربعين والخمسين بيتًا، ثم يدع حتى يعاوده ذلك الحال، ومَن تأمَّلها حقَّ التأمُّل علم أنَّ لها نبأ عظيمًا، صانها الله عن غير أهلها، ثم كتب القصيدة بعد هذه الترجمة.

وحُكي أنه: لما فوَّض أمر قاضي القضاة التقي الدين في أيام الملك المنصور، وقع في حق شيخ الشيوخ شمس الدين الأيكي في مجلس حفل، وقال له: أنت تأمر الصُّوفية بالاشتغال بنظم السلوك قصيدة ابن الفارض، وهو يميل فيها إلى الحلول، وأهانه بالكلام فدعا عليه وقال: مثَّل الله بك كما مثلت فيَّ، فعُزل عقيب ذلك من الوزارة في آخر الدولة المنصورية، ثم عُزل عن القضاء في الدولة الأشرفية، وصُودر ومُثِّل به، وحُبس مدة، ونُسب إلى سوء الاعتقاد، وإلى أنه وقع في كلامٍ يفسق به.

قال سبط الشيخ عمر: فلما منَّ الله تعالى عليه بالخلاص من هذه النكبة حضَرْتُ عنده أنا والشيخ سعد الدِّين الحارثي، وسمعته يحمد الله تعالى على حسن العافية والسَّلامة، فعرضت له بذكر واقعته مع الشيخ شمس الدين الأيكي، ووقوعه في حقِّه وحق شيخنا الشيخ عمر ابن الفارض، وأنه نسبهما إلى الحلول، وأنهما بريئان منه، وقلت: وكيف يُتصور أن الشيخ يميل إلى الحلول في قصيدته وقد نـزه عقيدته عنه بقوله:

وكيفَ وباسمِ الحقِّ ظـلَّ تخلقـي تكون أراجيف الـضَلاَل مُخـيفتي
وهـا دحيـة وافي الأمـين نبيّنـا بصورته في بـدء وحـي النبـوة
أجبريل قل لي كان دحية إذْ بـدا لمهدي الهُدى في صـورة بـشرية
وفي عِلْمِه عـن حاضـريه مزيـة بماهية المرئـي مـن غـير مريـةِ
يرى ملكًا يـوحي إليـه وغـيره يرى رجلاً يدعي إليـه بـصحبةِ
ولي مـن أتم الـرؤيتين إشـارة تُنـزه عن رأي الحلول عقيـدتي
وفي الذِّكر ذكر اللبس ليس بمنكـرٍ ولم أعد عن حكمي كتاب وسنَّة

فقال: أنا أحب الناس في نظم الشيخ عمر بن الفارض، وحفظت ديوانه وأنا شابٌّ وانتفعت به، وهذه الأبيات ما كان سمعتها قط إلا في هذه الساعة، وقد زال من ذهني الآن ما كنت اعتقده من ميل

الشيخ في قصيدته إلى الحلول، وأنا استغفر الله مما جرى من الكلام في حقّه، فقلت له: وفي حق الشيخ شمس الدين الأيكي؟ فقال: نعم، وما برحت في قلقٍ من دعائه إلى أن حلّت بي هذه المحنة، فالله تعالى يغفر لي وله، وأنا تائبٌ إلى الله تعالى من الوقوع في حقّ أهل هذا الطريق انتهى.

وقال ولده الشيخ محمد: سمعت والدي الشيخ عمر يقول: حصلت مني هفوة فوجدت لها مؤاخذة في باطني بسببها، وانحصرت باطنًا وظاهرًا حتى كادت روحي تخرج من جسدي، فخرجت هائمًا على وجهي، فطلعت الجبل المقطب وقصدت مواطن سياحتي، وأنا أبكي وأستغيث وأستغفر، فلم يفرج ما بي، فنـــزلت إلى القرافة ومرَّغتُ وجهي في التراب بين المقابر، فلم ينفرج ما بي، فقصدت مدينة مصر ودخلت الجامع الأزهر، ووقفت في صحن الجامع خائفًا مذعورًا، وجددت البكاء والتضرُّع والاستغفار، فلم ينفرج ما بي، فقلت على حالٍ مزعجٍ، وصرخت وقلت:

مَنْ ذَا الذي مَـا سَـاءَ قَـطْ ... ومَــنْ لَــهُ الحُـسْنَى فَقَــطْ

فسمعت قائلاً يقول بين السماء والأرض، أسمع صوته ولا أرى شخصه: محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط.

وقال أيضًا: رأيت الشيخ نهض قائمًا ورقص زمانًا طويلاً، وتواجد وجدًا عظيمًا، وتحدر منه عرق كثير حتى سال تحت قدميه، وخرَّ إلى الأرض، واضطرب اضطرابًا شديدًا، ولم يكن عنده غيري، ثم سكن حاله، وسجد شكرًا لله تعالى، فسألته عن سبب ذلك فقال: يا ولدي، فُتح عليَّ بمعنى بيت واحد لم يفتح بمثله، وهو:

وعَلَى تفنن وَاصِـفيه بحُـسْنِهِ ... يفنى الزمان وفيه ما لم يُوصــف

وقال ﷺ أيضًا: قال: كان الشيخ ماشيًا في السوق بالقاهرة فمرَّ على جماعةٍ من الحرسية يضربون بالناقوس، ويغنُّون بهذين البيتين:

مَوْلَاَي سهرنا نبتغي مِنْكَ وصال ... مَوْلَاَي فلم تسمح فنمنا بخيــال

مَوْلَاَي فلم تطرق فلا شك بــأن ... ما نحن إذًا عندك مــولاي ببــال

فصرخ الشيخ صرخة عظيمة، ورقص رقصًا كثيرًا في وسط السوق، ورقص معه ناس كثير من المارين في الطريق، حتى صارت جولة عظيمة، وتواجدت النّاس إلى أن سقط أكثرهم إلى الأرض، والحراس يكررون ذلك، وخلع الشيخ كل ما كان عليه ورمى بهم إليهم، أو خلع الناس معهم ثيابهم، وحُمل بين الناس إلى الجامع الأزهر وهو عريانٌ مكشوف الرأس، ولم يبقَ عليه سوى لباس، وأقام في

هذه السكرة أيامًا مُلقى على ظهره، مستحي كالميت، فلما أفاق جاء الحرّاس إليه ومعهم ثيابه، وقدموها بين يديه فلم يأخذها، وبذل الناس لهم فيها ثمنًا كثيرًا، فمنهم من باع، ومنهم من امتنع من بيع نصيبه وأمسكه عنده تبرُّكًا به.

وقال ﷺ أيضًا: كان الشيخ ماشيًا في الشارع الأعظم بالقرب من مسجد ابن عثمان وكنت معه، وإذا بنائحة تنوح وتندب على ميتة في طبقة من النساء، وهن يجاوبنها وهي تقول:

سِـــتِّي مُتِّـــي مـــن حقًّـــا أي والله حقًّـــا حقًّـــا

فلما سمع الشيخ صرخ صرخة عظيمة، وخرَّ مغشيًا عليه، فلما أفاق صار يقول ويردِّد مرارًا:

نَفْـــسِي مُتِّـــي مـــن حقًّـــا أي والله حقًّـــا حقًّـــا

وقال ﷺ أيضًا: كان الشيخ جالسًا في الجامع الأزهر على باب قاعة الخطابة بالقرب من المنبر، وعنده جماعة من الأمراء والفقراء، وفيهم جماعة من مشايخ الأعجام المجاورين بالجامع الأزهر وغيرهم، وكلما ذكروا حالاً من حال الدنيا مثل البيت والفراش وغير ذلك، يقولون: هذا زخم العجم، فبينما هم في هذا الكلام وإذا بالمؤذنين رفعوا أصواتهم بالأذان جملةً واحدةً، فقال الشيخ: وهذه زخم العرب، وصرخ صرخة عظيمة وتواجد، وصرخ كل من كان حاضرًا حتى كانت لهم في الجامع ضجَّة عظيمة.

وفي طبقات المناوي: أنه مرَّ رجلاً يومًا ومعه بلالين: أي مياذر، فدعاه رجل: يا صاحب البلالين، فطرب الشيخ عمر قدس سره، وصاح وبكى وناح.

ومن خوارقه العجيبة وأحواله الغريبة أنه قدس سره رأى جملاً لسقا فكلف به، وهام وصار يأتيه كل يوم ليراه، ويسقي بأجماله شيئًا كثيرًا، وكان يشخص في بعض الأيام إلى الأسطوانة أو العمود الأسبوع فأكثر فلا يطرف بعينه، وله من أمثال هذه الواقعات كثير، وكان عشّاقًا يعشق مطلق الجمال، بل زعم بعض الكبار أنه عشق برنية في دكان عطار.

وذكر القوصي في التوحيد أنه كان للشيخ عمر قدس سره جوار بالبهنسا يذهب إليهنَّ فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد، ولكل قوم مشرب، ولكل جماعةٍ مطرب، وليس سماع الفسَّاق كسماع سلطان العشَّاق.

وحُكي عن الشيخ شمس الدِّين بن عمارة المالكي أنه كان ينكر على الشيخ عمر ﷺ، فتوجَّه لزيارة أخيه يوسف فأجهده العطش، ولم يجد ماء إلا في قلة على قبر الشيخ عمر ﷺ، فرجع عن إنكاره.

نفعنا الله ببركاته بعد وفاته- ما حكاه تلميذ سيدي عمر بن الفارض قال: حضرت يومًا من السياحة إلى مدينة مصر بالقاهرة، فدخلت المدرسة السيوفية فوجدت شيخًا بقالاً على باب المدرسة يتوضأ وضوءًا غير مرتب فقلت له: يا شيخ، أنت في هذا السن في دار الإسلام على باب المدرسة بين ظهور العلماء وأنت تتوضأ وضوءًا خارجًا عن الترتيب الشرعي؟! فنظر إليّ وقال: يا عمر، أنت ما يُفتَح عليك في مصر، وإنما يفتح عليك بالحجاز بمكة المشرفة، فاقصدها، فقد آن لك وقت الفتح، فعلمت أن الرجل من أولياء الله تعالى، وأنه يستتر بالمعيشة، وإظهار الجهل بعدم ترتيب الوضوء، فجلست بين يديه متأدبًا متواضعًا.

وقلت له: يا سيدي، أين أنا؟ وأين مكة؟، ولا أجد ركبًا ولا رفقة في غير أشهر الحج، فنظر إليّ وأشار، وقال: هذه مكة أمامك، فنظرت معه، فرأيت مكة شرّفها الله تعالى فتركته، وطلبتها فلم تبرح أمامي إلى أن دخلتها في ذلك الوقت، وجاءني الفتح حين دخلتها وترادف ولم ينقطع، فأقمت خمس عشرة سنة، فبعد تمام هذه المدة سمعت الشيخ البقال يناديني:

يا عمر، تعال إلى القاهرة واحضر وفاتي، فأتيته مسرعًا، فوجدته قد احتُضر فسلّمت عليه وسلم علي، وأعطاني دنانير ذهب، وقال لي: جهّزني بهذه الدنانير، وافعل كذا وكذا، واعط حملة نعشي – والنعش سرير الميت ولا يُسمّى

=

وكان الشيخ عز الدين بن جماعة ينكر عليه أيضًا، فرأى في النوم جماعة قد وقفوا بين يدي الشيخ عمر ﷺ، وقيل له: هؤلاء المنكرون عليك، فقطع ألسنتهم، فانتبه مذعورًا ورجع عن إنكاره.

ولما وصل شيخ الإسلام محمد بن إلياس قاضي القضاة إلى مصر صار ينال من الشيخ عمر ﷺ، ويتوعّد زواره ومن ينشد كلامه يوم الجمعة عند قبره على العادة، وتطلّب كتاب شرح المنهاج للسبكي؛ لكونه حط فيه على الشّيخ عمر ﷺ ونقصه، فابتُلي بمرضٍ فما شُفي منه حتى رجع. والحكايات في ذلك كثيرة.

نعشًا إلا وعليه الميت، فإن لم يكن فهو سرير وميت منعوش أي: محمول على النعش من «مصباح المنير» - إلى القرافة كل واحد دينارًا، واتركني على الأرض في هذه البقعة، وأشار بيده إليها، فلم تزل بين عيني أنظر إليها وهي بالقرافة تحت المسجد المعروف بـ (العارض) بالقرب من مراكع موسى بسفح الجبل المقطم، ثم قال لي: وانتظر قدوم رجل يهبط إليك من الجبل، فصلّ أنت وهو علي، وانظر ما يفعل الله تعالى في أمري، قال سيدي عمر: فتوفي، فجهزته كما أشار وطرحته في البقعة كما أمرني، فهبط إلي رجل من الجبل كما يهبط الطير المسرع، لم أره يمشي على رجليه، فعرفته بشخصه وكنت أراه يُصفع قفاه في الأسواق - صفعه صفعًا، والصفعة هي أن يبسط الرجل كفه فيضرب بها قفا الإنسان أو بدنه، فإذا قبض كفه ثم ضربه فليس بصفع بل يُقال ضربه من مصباح المنير- فقال: يا عمر، تقدّم فصلّ بنا على الشيخ، فتقدمت فصليت إمامًا، ورأيت طيورًا خضرًا أو بيضًا صفوفًا بين السماء والأرض يصلون معنا، ورأيت طيرًا منهم أخضر عظيم الخلقة قد هبط عند رجليه وابتلعه وطاروا جميعًا وكان لهم زجل -والزجل بفتحتين الصوت، يقال سحاب زجل أي: ذو رعد .. من مختار الصحاح- بالتسبيح إلى أن غابوا عنا، فقال عمر: أما سمعت أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح؟ أي: ترعى في الجنة حيث شاءت- وهذا الرجل منهم يا عمر، وأنا كنت منهم وإنما حصلت مني هفوة - أي: خطأ أي زلة- فطُردت عنهم فأنا أصفع قفاي في الأسواق ندمًا وتأديبًا.

ومن الكرامات بعد الموت: ما حكاه سيدي أبو سعيد الخرّاز[1]

---

(١) اسمه أحمد بن عيسى وهو من أهل بغداد، من أئمة القوم وجلة مشايخهم.

قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء.

أخذ عن إبراهيم بن بشار الخراساني ومحمد بن منصور الطوسي، روى عنه علي بن محمد الواعظ المصري وأبو محمد الجريري وعلي بن حفص الرازي ومحمد بن علي الكتاني وآخرون.

وقد صحب سريًا السقطي وذا النون المصري، قال أبو القاسم عثمان بن مردان النهاوندي: أول ما لقيت أبا سعيد الخراز سنة اثنتين وسبعين فصحبته أربعة عشر سنة.

=

قال السلمي: هو إمام القوم في كل فنٍ من علومهم له في مبادىء أمره عجائب وكرامات، وهو أحسن القوم كلامًا خلا الجنيد فإنه الإمام.

قال القشيري: صحب ذا النون والسريِ والنباجي وبشرًا الحافيز

قال ومن كلامه: كل باطن يخالفه ظاهرٌ فهو باطلٌ.

وقال ابن الطرسوسي: أبو سعيد الخراز قمر الصوفية.

وعنه قال: أوائل الأمر التوبة، ثم ينتقل إلى مقام الخوف، ثم إلى مقام الرجاء، ثم منه إلى مقام الصالحين، ثم إلى مقام المريدين، ثم إلى مقام المطيعين، ثم منه إلى المحبين، ثم ينتقل إلى مقام المشتاقين، ثم منه إلى مقام الأولياء، ثم منه إلى مقام المقربين.

قال السلمي: أنكر أهل مصر على أبي سعيد وكفّروه بألفاظه، فإنه قال في كتاب السر: فإذا قيل لأحدهم: ما تقول؟ قال: الله، وإذا تكلم قال: الله، وإذا نظر قال: الله فلو تكلمت جوارحه، قالت: الله، وأعضاؤه مملوءة من الله. فأنكروا عليه هذه الألفاظ وأخرجوه من مصر. قال ثم رُدَّ بعدُ عزيزًا.

ويروى عن الجنيد قال: لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا، فقيل لإبراهيم ابن شيبان: ما كان حاله؟ قال: أقام سنين ما فاته الحق بين الخرزتين.

وعن المرتعش قال: الخلق عيال على أبي سعيد الخراز، إذا تكلم في الحقائق.

ومن كلامه:

قال الكتاني: سمعت أبا سعيد يقول: من ظنَّ أنه يصل بغير بذل المجهود فهو متمني، ومن ظنّ أنه يصل ببذل المجهود فهو مُتَعَنّي.

وقال أبو سعيد الخراز: إن الله تعالى عجّل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجّل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل نصيبهم من كل كائن فعيش أبدانهم عيش الجنانيين، وعيش أرواحهم عيش الربانيين، لهم لسانان لسان في الباطن، يعرفهم صنع الصانع في المصنوع، ولسان في الظاهر، يعلمهم علم المخلوقين، فلسان الظاهر يكلم أجسامهم، ولسان الباطن يناجي أرواحهم.

وسئل أبو سعيد عن الأنس ما هو؟ فقال: استبشار القلوب بقرب الله تعالى، وسرورها به، وهدوؤها في سكونها إليه وأمنها معه من حيث الروعات، وإعفاؤه لها من كل ما دونه أن يشير إليه حتى يكون هو المشير لأنها ناعمة به، ولا تحمل جفاء غيره.

وكان أبو سعيد الخراز نائمًا فانتبه وقال: اكتبوا ما وقع لي في هذا النوم، إن الله تعالى جعل العلم دليلاً عليه ليعرف، وجعل الحكمة رحمة منه عليهم، ليؤلف، فالعلم دليل إلى الله، والمعرفة دالة على الله، فبالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة تنال المعروفات، والعلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف، فالمعرفة تقع

قال: كنت مجاورًا بمكة -شرفها الله تعالى - فجزت يومًا بباب بني شيبة، فرأيت شابًا حسن الوجه ميتًا، فنظرت إليه فنظر وجهي فتبسم في وجهي وقال لي: يا أبا سعيد، أما علمت أن الأحبّاء أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار ؟

وفي رسالة القشيري عن الشيخ أبي سعيد الخراز: كنت مجاورًا بمكة، فخرجت يومًا بباب بني شيبة، فرأيت شابًا حسن الوجه ميتًا، فنظرت إليه، فنظر وجهي فتبسم وجهي وقال: أما رأيت، أما علمت أن الأحبّاء أحياء وإن ماتوا، وإنما ينقلون من دارٍ إلى دار؟ انتهى.

قال بعض العارفين: ففي هذه الكرامة تصرُّفٌ بكلام الموتى انتهى.

***



=

بتعريف الحق، والعلم يدرك بتعريف الخلق، ثم تجري الفوائد بعد ذلك.

وقال أيضًا: مثل النفس مثل ماء واقف طاهر صاف، فإن حركته تظهر ما تحته من الحمأة، وكذلك النفس تظهر عند المحن، والفاقة والمخافة، ومن لم يعرف ما في نفسه كيف يعرف ربه؟.

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وثمانين ومائتين، وقيل: بل توفي سنة سبع وسبعين ومائتين.

انظر ترجمته في: الحلية (١٠/٢٤٦)، وسير أعلام النبلاء (١٣/٤٢١)، وطبقات الصوفية (ص٢٢٨)، وشذرات الذهب (٢/١٩٢)، والطبقات الكبرى للشعراني (١/١١٧)، وكتابنا الإمام الجنيد.

الخاتمة في بيان آداب الزيارة وما ينبغي للزائر أن يفعله وما ينبغي له أن يدعه

ينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها، ويحضّر قلبه في إتيانها، وأن يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه، ونفعَ المزور بما يتلوه عنده من القرآن العظيم والدعاء له، ويسأل الله تعالى ويتوسل إليه بالنبي ﷺ وبمن من أولياء الله تعالى، ولا يقول بحق أنبيائك وأوليائك؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، ولا يكون حظه من الزيارة الطواف على الأحداث والنظر إلى الصحراء والتلذذ بالفرج؛ لأنه لا ثواب إلا بالنية الصالحة، وأن يسلّم على من يزوره من الأموات كما يسلم على من يزوره من الأحياء، وذلك لما روي عن سلمان بن بريدة عن أبيه قال النبي ﷺ: «**إذا خرجوا إلى المقابر يأمرهم أن يقولوا السلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات**»[1] الحديث. وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لا يمر بقبر إلا وقف وسلم عليه، وقال نافع: «كان ابن عمر ﷺ يجيء إلى القبور فيقول: السلام على رسول الله ﷺ، السلام على أبي بكر، السلام على أبي، قال: رأيته يفعل ذلك أكثر من مائة مرة».

وقال أبو هريرة ﷺ إذا مرَّ الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلّم عليه ردَّ عليه السلام، وإن لم يصل إلى القبر فيسلّم عليه من بعيد، فما أحسن ما قال بعضهم على لسان ميت:

وَأَوْفُوا لِيَ السَّلامَ فإنْ أَبَيْـتُمْ ... فَارْمُوا بالسَّلاَمِ عَلَـى بِعَـادِ

وأن يجتنب المشي على القبور والجلوس عليها والصلاة عليها وقال ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[2].

وأن يجتنب تقبيل القبر والستر والتابوت والعتبة ومسحه على وجهه،

---

(١) رواه البخاري (١٧٩٩/٤)، ومسلم (٦٧١/٢).

(٢) رواه البخاري (٤٤٦/١)، ومسلم (٣٧٧/١).

وذلك لقول سيدنا عمر ﷺ حين قبل الحجر: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» متفق عليه[1].

وكذلك يجتنب إلقاء نفسه على القبر، والتمعك بترابه، فإن ذلك ليس من الأدب ، لما رُوي أن رجلاً ألقى نفسه على قبر رسول الله ﷺ، فناداه شاب من ناحية المسجد: يا ابن أخي، لو كان رسول الله ﷺ حيًا ثم أتيت لزيارته ما كنتَ صانعًا ؟ قال: أقف بين يديه وأسلّم عليه، قال: كذلك فافعل، فإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا.

قال: ينبغي للزائر إذا أراد زيارة قبور الأنبياء -عليهم السلام- والأولياء -رضي الله عنهم- الحرمة لهم والاعتقاد فيهم والأدب مع الله تعالى، ويدعو الله بما شاء من الخيرات متأدبًا مع الله تعالى في دعائه، وإذا دخل القبور ينبغي له أن يقرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد، ويجعل ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم لورود الأثر بذلك، والجواز أن يجعل الإنسان ثواب عمله لغيره وله بمثله بحيث ألا يُنقص من أجرهما شيء عند أهل السنة والجماعة، خلافًا للمعتزلة؛ لأنهم تمسكوا بظواهر الكتاب والسنة على غير بصيرة ، ودليل أهل السنة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: فيُجعل الولد يوم القيامة في ميزان أبيه، ويشفّع الله الآباء في الأبناء[2].

وعليه قوله تعالى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١].

---

(١) رواه البخاري (٧٥٩/٢)، ومسلم (٩٢٥/٢).

(٢) رواه الطبري في التفسير (٢٤/٢٧).

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده فيقال أنهم لم يدركوا ما أدركت فيقول: يا رب فإني عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به» كذا ذكره الإمام القرطبي في التفسير[1].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«من مرَّ على المقابر فقرأ قل هو الله إحدى عشرة مرة، ثم وهب أجرها للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات»**[2].

وعن أنس ﷺ أنه سأل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، إنا نتصدق على موتانا ونحج عنهم وندعو لهم فهل يصل ذلك إليهم؟ قال: «نعم، إنه ليصل إليهم ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدي إليه»[3].

وعنه قال قال رسول الله ﷺ: **«من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفّف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات»**[4].

وعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«اقرءوا على موتاكم سورة يس»[5]. رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه .

وعنه أنه ﷺ ضحى بكبشين أملحين، أحدهما عن نفسه، والآخر عن أمته-[6] أي: جعل ثوابه لأمته- وهذا تعليم منه ﷺ أن الإنسان ينفعه عمل غيره، والاقتداء به هو الاستمساك بالعروة الوثقى .

وقالت المعتزلة: ليس له ذلك، وتمسكوا بظاهر قوله تعالى:

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

---

(١) انظر: (٦٧/١٧).

(٢) رواه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٧٩٧/٢)..

(٣) رواه ابن ماكولا في الإكمال (٣١٣/٢).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٣/١٥).

(٥) رواه أبو داود (١٩١/٣)، والنسائي في الكبرى (٢٦٥/٦)، وابن حبان (٢٦٩/٧)، .

(٦) رواه الدارقطني في سننه (٢٨٥/٤)، والبيهقي في الكبرى (٢٨٧/٩)، ونحوه في البخاري ومسلم.

فالجواب عن هذه الآية الشريفة من عدة أوجه:

أحدها أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ**﴾ [الطور: ٢١].

«فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء» كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما.

الوجه الثاني: خاص بقوم إبراهيم وموسى -عليهما السلام- لأنه وقع حكاية عمّا في صحفهما بقوله تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**﴾ [النجم: ٣٦، ٣٧].

فأمّا هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سُعي لهم، وباقي الآيات والأخبار ما تقدم آنفًا.

وأمّا ما ورد من حديث الإمام أبي هريرة ﷺ «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث..**[1]» إلى آخر الحديث.

وسُئل الإمام أبو جعفر الطحاوي عن هذا الحديث، وعن قوله ﷺ:

«**من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**»[2]، وعن قوله ﷺ: «**كل ميت يُختم على عمله، إلا المـُـرابط في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة**»[3]؟.

قيل: القسمان المذكوران في هذا الحديث زائدان على الثلاثة المذكورة في حديث أبي هريرة ، فكيف يكون التوفيق بينهما؟

فأجاب - رحمه الله تعالى - بأن السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به، والذي ذكر عن المرابط فإنه عمله الذي قدمه في حياته فينمو له إلى يوم القيامة، وأما الثلاث المذكورة في حديث أبي هريرة فإنها أعمال تحدث بعد وفاته فلا تنقطع عنه لأنه سبب الأعمال، فهذه الأشياء يلحقه منها ثواب طارئ، خلاف

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢/٧٠٥).

(٣) رواه الترمذي (٤/١٦٥)، وابن حبان (١٠/٤٨٤).

أعماله التي مات عليها، فإذًا لا اختلاف بين الأحاديث، وقوله في الحديث «فله أجرها وأجر من عمل بها» الصواب: أجره بتذكير الضمير وهو عائد إلى صاحب الطريقة، أي: له أجر عمله وأجر من عمل بها بسنته.

قال الإمام التوربشتي في عامة نُسخ: «المصابيح»: «فله أجرها» هو غير سديد روايةً ومعنى، وقد وهم فيه بعض المتأخرين من رواية الصحيحين، وليس ذلك من رواية الشيخين.

وأما الزيارة[1]، فهي تارةٌ تكون فرضًا، وأُخرى سُنة، وتارة مستحبة،

---

(١) قال الشيخ حسن العدوي: اعلم أن حكم الزيارة الأصل فيه الندب وذلك للرجال، ويُحرِّم للشواب من النساء، ويجوز للقواعد اللاتي لا أرب للرجال فيهن.

قال الأستاذ الشيخ عبد الباقي على خليل: وأخذ بعضهم اختصاص الزيارة بالرجال دون النساء من قوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» بناءً على الأصح عند الفقهاء والأصوليين من عدم دخولهن في خطاهم قال: انتهى.

قال: والأحسن الاستدلال على منعهن بخبر: «ارجعن مأزورات غير مأجورات»، قال: وهذا في الزمن القديم فكيف بهذا الزمن كما في المدخل انتهى.

لكن قال العلاّمة الأمير: قوله: والأحسن..إلخ فيه أن هذا الحديث في خروجهن خلف الميت، وقد قيل أنه منسوخ خاص بأول الزمن من حيث كن يخرجن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى انتهى.

قال في «المواهب اللدنية»: قد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي قال: وأوجبها الظاهرية، قال: ومحل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال، وفي النساء خلاف الأظهر في مذهب الشافعي الكراهة انتهى.

فعليك بما سمعته من التفصيل، ويؤيده رواية الإمام البخاري عن أبي يعلى قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازةٍ، فرأى نسوة فقال: أتحملنه؟ قلن: لا، قال: أتدفنه؟ قلن: لا، قال: فارجعن مأزورات غير مأجورات».

قال القسطلاني: واستفهامه ﷺ منهن إنكاري وتوبيخ على خروجهن انتهى.

وأما زيارتهن للقبور فمستحبة لغير الشواب منهن، ما لم يلزم على ذلك اجتماع على القبر لتعديدٍ أو نوحٍ وإلا حُرِّم.

ويدل لذلك ما أخرجه الإمام البخاري قال: «مرَّ النبي ﷺ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ، فقال: اتقي الله واصبري، قالت: إليك عني فإنك لم تصب مصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب =

النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك يا رسول الله، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى».

قال الإمام القسطلاني: زاد في رواية يحيى: «فسمع منها ما يكره» قال: أي من نوح أو غيره على القبر، وزاد في رواية مسلم: «قيل لها: هل تعرفينه؟ قالت: لا، فقيل لها: هو رسول الله ﷺ، فأخذها مثل الموت من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه رسول الله ﷺ»، قال: وإنما اشتبه عليها ﷺ؛ لأنه من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه إذا مشى كعادة الملوك والكبراء انتهى.

فأنت تراه ﷺ إنما أمرها بالتصبّر والاحتساب، ونهاها عن البكاء، ولم ينهها عن الزيارة.

وقال العلاَّمة المذكور: يندب لهن زيارة قبور الأنبياء والأولياء لرجاء الخير والبركة انتهى.

قلت: والأظهر تقييد هذا بغير الشواب اللاتي يخشين من خروجهن الفتنة، ويدل لهذا التقييد قول العلاَّمة المذكور في شرحه على البخاري: أن ما ورد من الأمر بالزيارة محمول على الندب بالنسبة للرجال، وأما الشواب من النساء فالظاهر الحرمة.

قال: وعليه يحمل حديث الإمام الترمذي: «لعن الله زوَّارات القبور».

قال: وقال القرطبي: يحتمل أن الحرمة منصبة على الكثرة أخذًا من قوله: زوارات للمبالغة، وحمل بعض الشُّراح ذلك على زيارتهن للتعديد والبكاء والنوح على ما جرت به عادتهن.

قال الشارح القسطلاني: ولو قيل بالحرمة في حقهن في هذا الزمان لا سيما نساء مصر لما في خروجهن من الفساد لم يبعد انتهى.

وقوله: البكاء: أي برفع صوت، وأما مجرد حزن وسيلان دمع فلا كراهة ولا منع؛ لما ذكره الإمام القسطلاني عن الإمام الترمذي: «دخل رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون وهو ميتٌ فأكبَّ وقبَّله وبكى حتى سالت دموعه على وجنتيه».

وفي رواية عنه ﷺ: «إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم، وإن الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه: أي إن أوصاهم بذلك» انتهى.

قال الإمام القرطبي: قال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور لا سيما إن كانت قاسية، وذلك لما فيه من مزيد الاعتبار والتأمل فيما صار إليه أمرهم.

قال في كنـز الأسرار: وما زال على ذلك أهل الفضل واليقين.

وقد كان النبي ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم نسخ النهي، وأمر بعد ذلك بالزيارة لقوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهدكم في الدنيا وتذكركم الآخرة».

=

وفي روايةٍ للطبراني في التفسير عن زيد بن ثابت: «زوروا القبور ولا تقولوا هجرًا: أي قولاً باطلاً»، وكلاماً لا يعني بل المقصود الاشتغال بالاعتبار والتأمل والتدبر في أحوال الآخرة، ولا ينبغي الاشتغال بغير ذلك من أكلٍ وخلافه، كالضحك مما ينافي التدبر المطلوب.

وفي الحديث قال العلاّمة الأجهوري: رُوي من حديث أبي هريرة ﷺ: «أن النبيَّ ﷺ خرج إلى المقبرة وقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، فنسأل الله لنا ولكم العافية».

قال: وعن ابن عبد البر بسندٍ صحيحٍ: «ما من أحدٍ يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد -عليه السلام».

وورد أن النبيَّ ﷺ زار قبر أمه وقبر عثمان بن مظعون.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «مرَّ النبي ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليها وقال: السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع، نسأل الله لنا ولكم العافية، أنتم سلفنا ونحن بالأثر» انتهى.

وفي نسخة الشيخ عبد الباقي: وأخرج بن أبي شيبة عن الحسن قال: من دخل المقابر فقال: اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا، وهي بك مؤمنة، أدخل عليها روحًا منك وسلامًا مني، استغفر له كل مؤمنٍ مات منذ خلق الله آدم»، وأخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ: «كُتب له بعدد من مات من ولد آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات» انتهى.

قال: وظاهر الأول استغفار من لم يدخل مقبرته أيضًا، وظاهر الثاني العموم في عددهم أيضًا.

قال العلاّمة الأمير: قوله: ابن أبي شيبة هو من مشايخ البخاري، وقوله: روحًا منك -بفتح الراء: أي رحمة، قال تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٩] انتهى.

وفي الحديث عنه ﷺ: «من زار قبري وُجبت له شفاعتي»، وفي روايةٍ: «من زارني بالمدينة محتسبًا كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة».

ومعنى وجوب الشفاعة للزائر ثبوت شفاعة خاصة منه ﷺ لذلك الزائر لا دخوله في العموم، وهذا يستلزم البُشرى بالموت على الإيمان، ولا يخفى ما في الإضافة من تمام التشريف، فإن الشفاعة تعظم بشرف الشافع.

وفي روايةٍ للبيهقي: «من مات في أحد الحرمين بُعث مع الآمنين يوم القيامة، ومن زارني محتسبًا إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة»، ويجب على الزائر تمام الأدب عند قبره الشريف ﷺ فإنه حيٌّ يشاهده.

=

=

قال العلامة السبكي: حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا، يشهد لذلك صلاتهم في قبورهم، فإن الصلاة تستدعي جسدًا حيًّا، وكذلك الصفات المذكورة للأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج للطعام والشراب، وأما الإدراكات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى انتهى.

وظاهر عبارة المحقق المذكور تقتضي مساواة الشهداء للأنبياء في حياتهم في البرزخ، والذي ذكره في «الجواهر» أن حياة الأنبياء في البرزخ أقوى وأكمل من الشهداء؛ ونصّه لا شك أن حياة الأنبياء في البرزخ أكمل من حياة الشهداء مع اعتقادنا ثبوت نحو السمع والبصر لكل ميت، وعود الحياة له، كما ثبت نعيم القبر في السُّنة وعذابه، وإدراكهما مشروط بالحياة لكن يكفي حياة جزء يقع به الإدراك ولا يتوقف على الحياة البينة، نعم الظاهر من الأدلة أن حياة الشهداء أقوى من حياة الأولياء، وإذا علمت ذلك فيجب عليك حينئذ أن تكون في غاية الأدب عند زيارته ﷺ، خافضًا لصوتك، وجلا حزينًا على ذنوبك.

وفي «الشفاء» بسند جيد عن ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين الإمام مالكًا ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ فقال مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإن الله تعالى أدّب قومًا فقال: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢]، ومدح قومًا فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات:٣].

وذمّ قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات:٤]، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًّا، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم استقبل وجه رسول الله ﷺ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى، بل استقبل واستشفع به قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء:٦٤] انتهى.

وقوله: (وهو وسيلة أبيك آدم) ظاهر لما صحح الحاكم عنه ﷺ لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد ﷺ لما غفرت لي: أي ألا غفرت، فقال: يا آدم كيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، قال تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما

=

خلقتك، فهو ﷺ رحمة لكافة الخلق لا سيما لأمته في حياته وبعد مماته، كما في الحديث عنه ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ومماتي خير لكم تُعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله تعالى عليه، وما رأيت من شرٍّ استغفرت الله لكم».

والذي عليه الاعتماد والتحقيق أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وأن النبيَّ ﷺ يسر بطاعة أمته، وينبغي للزائر مزيد التوسل به ﷺ في إقالة ذنوبه وعثراته، كما كان يتوسل به في حياته.

قال في المواهب اللدنية: اعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ من أعظم القربات وأرجى الطاعات والسبيل إلى أعلى الدرجات، إلى أن قال: وينبغي لمن قصد زيارة قبره الشريف أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه؛ لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشَد الرحال إلا إليها، وهو أفضلها عند مالك إلى أن قال: وينبغي لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه ﷺ في طريقه، فإذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فليردد الصلاة والتسليم عليه ﷺ، وليسأل الله أن ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين، وليغتسل ويلبس النظيف من ثيابه ماشيًا باكيًا، قال: ولما رأى وفد عبد القيس رسول الله ﷺ ألقوا أنفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها، وسارعوا إليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه، قال: ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى أصابت بعض الثرى والجدران.

قال: ويستحب صلاة ركعتين قبل الزيارة.

قال: قيل: وهذا ما لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف، وإلا استحبت الزيارة أولاً.

قال في تحقيق النصرة: هو استدراك حسن، قال: ورخص بعضهم تقديم الزيارة مطلقًا.

قال: قال ابن الحاج: وكل ذلك واسع، قال: وينبغي للزائر أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه، وليكن مقتصدًا في سلامه بين الجهر والإسرار.

وفي البخاري أن عمر ﷺ قال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ضربًا، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ، قال: فيجب الأدب معه ﷺ كما في حياته.

قال: وينبغي للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة، وإن جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو أبلغ في الأدب من الإتيان من جهة رأسه المكرم، ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه ﷺ بأن يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار.

قال شارحه الزرقاني: وهذا المسمار وقد أزيل الآن وصار بدله شباك من نحاس أصفر يقابله الزائر.

قال القسطلاني: وقد رُوي أن مالكًا لما سأله أبو جعفر المنصور العباسي: يا أبا عبد الله أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله ﷻ يوم القيامة.

قال: وينبغي للزائر أن يقف عند محاذاة أربعة أذرع، ويلازم الأدب والخشوع والتواضع، غاضًا البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته، ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته؛ إذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم، ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، وذلك عنده جلي لا خفاء به.

قال: وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب: ليس من يومٍ إلا ويُعرض على النبي ﷺ أعمال أمته غدوةً وعشيةً، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم.

قال: ويمثل الزائر وجهه الكريم ﷺ في ذهنه، ويحضر قلبه جلال رتبته، وعلو منـــزلته، وعظيم حرمته، وإن أكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه إلا كأخ السرار؛ تعظيمًا لما عظم الله من شأنه.

قال: ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح وأطراف: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وسائر عباد الله الصالحين، جزاك الله أفضل ما جازى نبيًا ورسولاً عن أمته، وصلّى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه، وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلّغت الرسالة، وأدّيت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده.

قال: ومن ضاق وقته عن ذلك فليقل ما تيسر منه.

قال: وعن نافع عن ابن عمر كان إذا قدم من سفرٍ دخل المسجد، قال شارحها: أي فصلّى ركعتين ثم أتى القبر المقدس فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه.

قال القسطلاني: وينبغي أن يدعو ولا يتكلف السجع.

قال: وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ فقال: يا رب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين، فنودي: يا هذا ما أذنّا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك، فارجع أنت ومن

معك من الزوار مغفورًا لكم، قال: وقد بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال: صلّى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة، ناداه ملكٌ: صلّى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة.

قال: قال الشيخ زين الدين وغيره: والأولى أن ينادي: يا رسول الله، وإن كانت الرواية يا محمد، فإن أوصاه أحدٌ بإبلاغ السلام إلى النبي ﷺ فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان، ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع، فيُسلم على أبي بكر ﷺ؛ لأن رأسه بحذاء منكب النبي ﷺ، فيقول: السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين، السلام عليك يا من أيّد الله به يوم الردة الدين، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير، اللهم ارضَ عنه وارضَ عنا به، ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب ﷺ فيقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا من أيّد الله به الدين، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير، اللهم ارضَ عنه وارضَ عنا به.

قال الإمام المذكور: ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه سيدنا محمد رسول الله ﷺ بعد السلام على سيدنا أبي بكر وعمر، فيحمد الله تعالى ويمجده، ويصلي على النبي ﷺ، ويكثر الدعاء والتضرع، ويجدد التوبة في حضرته الكريمة، ويسأل الله تعالى بجاهه أن يجعلها توبةً نصوحًا، ويكثر من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه.

قال: وفي «الشفا» للقاضي عياض قال: «رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: نعم، وأرد عليهم».

قال: ولا شك أن حياة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ثابتة معلومة مشتهرة، ونبينا أفضلهم، قال: وإذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته ﷺ أكمل وأتم انتهى.

أسأل الله الكريم متوسلاً إليه بوجاهة نبيه العظيم أن يعطف علينا هذا القلب الرحيم، وأن يمن علينا بزيارته مع القبول والتكريم.

وفي الإمام الترمذي والنسائي وقال: حسنٌ صحيحٌ عن عثمان بن حنيف: «أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادعُ الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خيرٌ لك فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد وقد شق عليَّ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا سيدنا يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي لي حاجتي، اللهم شفّعه فيَّ».

وصححه البيهقي وزاد: «فقام فأبصر».

وقد ذكر الإمام ابن حجر في «الدر المنضود» أنه ينبغي لمن وقع في شدةٍ أو حاجةٍ طالبًا قضاءها من ذي إمارة أن يفعل ذلك فيقضي الله حاجته.

وروى أبو سعيد السمعاني عن علي ﷺ قال: قدم علينا أعرابيٌّ بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره، وحثى على رأسه من ترابه، وقال: يا رسول الله، قلت: فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنـزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء:٦٤]، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه قد غُفر لك.

ومن ذلك المعنى ما ذكره الإمام العتبي قال: كنت جالسًا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء:٦٤]، وقد جئتك مستغفرًا من ذنوبي متشفعًا إلى ربي.

قال: ثم انصرف، فحملتني عيناي فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: «يا عتبة ألحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له».

ولا شك أن الزيارة يحصل بها السرور لرسول الله ﷺ، وينشأ من ذلك النفع العميم للزائر، ومما يدل لذلك ما رواه ابن عساكر بسند جيد عن أبي الدرداء في قصة بلال بن رباح، وكان مقيمًا بالشام ببيت المقدس بعد وفاة رسول الله ﷺ، فرأى النبي ﷺ منامًا وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني، فبات حزينًا خائفًا، فركب راحلته وقصد المدينة، فحين وصل القبر الشريف صار يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبّلهما، فقالا له: نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد، فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما أن قال: (الله أكبر) ارتجت المدينة، فلما قال: (أشهد أن لا إله إلا الله) زادت رجتها، فلما أن قال: (أشهد أن محمدًا رسول الله) خرجت العواتق من خدورهن، وقلن: بُعث رسول الله ﷺ، فما رأينا يومًا أكثر به باكيًا ولا باكيةً بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم»، فإذا علمت ذلك أن الزيارة وصلة مع الحبيب.

وقد وقع لبعض العارفين مخاطبته له ﷺ ورده عليه، فمد يده الشريفة من الشباك فقبّلها، والزيارة إما ماشيًا أو راكبًا على قدر الطاقة، والمشي أفضل عند الاستطاعة؛ لقوله ﷺ: «من اغبرت قدماه في سبيل الله غُفر له»، والمراد بسبيل الله: مطلق طاعة، كما ذكر الفقهاء في السعي للعيد والجمعة،

والاغبرار عادةً إنما يكون بالمشي، فهو مجاز مرسل من إطلاق المسبب على السبب، وأما أفضلية الركوب في الحج فلفعله ﷺ، وإلا فقد ورد أن الملائكة تصافح ركاب الإبل وتعانق المشاة، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

خاتمة تتعلق بانتقاله ﷺ لدار البقاء والتكريم، وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد مشاهد الأنبياء والمرسلين، وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود، وانفراده بالسؤدد في مجمع مجامع الأولين والآخرين، وترقيه في جنات عدن أرقى مدارج السعادة، وتعاليه في يوم المزيد أعلى معالي الحسنى وزيادة.

قال في المواهب اللدنية في فصل وفاته ﷺ: اعلم وصلني الله وإياك بحبل تأييده، وأوصلنا بلطفه إلى مقام توفيقه وتسديده، أن هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الأجفان، ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان.

قال: ولما كان الموت مكروهًا بالطبع؛ لما فيه من الشدة، لم يمت نبيٌّ من الأنبياء حتى يُخيَّر، وأول ما أعلم النبي ﷺ باقتراب أجله بنـــزول سورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ*وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً*فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ [النصر:١، ٢، ٣] ، فإن المراد من هذه السورة: إنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد، ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجًا، فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار، فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ، وما عندنا خير لك من الدنيا، فاستعد للنقلة إلينا، وهذه آخر سورة نـــزلت عليه يوم النحر بمنى في حجة الوداع، وعاش بعدها قيل: أحدًا وثمانين يومًا، وعن ابن عباس: تسع ليال.

قال: وفي الطبراني عن ابن عباس: لما نـــزلت: «إذا جاء نصر الله والفتح» نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه، فأخذ بأشد ما كان قط في أمر الآخرة.

قال: وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر، قال الشارح: كان قبل وفاته بخمس ليال فقال: «إن عبدًا خيَّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر ﷺ وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: أي أبو سعيد: فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيَّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: أي أبو سعيد: فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال النبي ﷺ: «إن آمن الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا تبقى في المسجد خوخة إلا سُدَّت إلا خوخة أبي بكر»، رواه البخاري ومسلم.

قال **الحافظ ابن رجب**: وكان ابتداء مرضه ﷺ في أواخر شهر صفر، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا في المشهور.

قال: وأول مرضه ﷺ كان صداع الرأس، قال: والظاهر أنه كان مع حُمَّى، فإن الحُمَّى اشتدَّت به في مرضه، فكان يجلس في مخضب ويُصب عليه الماء من سبع قرب لم تُحلل أو كيتهن يتبرد بذلك.

وفي البخاري قالت عائشة رضي الله عنها: «لما دخل بيتي واشتد وجعه قال: أهريقوا عليَّ من سبع قرب لم تُحلل أو كيتهن لعلي أعهد إلى الناس، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ ثم طفقنا عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن».

قال: ولعل الحكمة في هذا العدد أن له خاصية في دفع ضرر السم والسحر يدل عليه رواية عروة عنه ﷺ قال: «ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم»، والأبهر: عرق مستبطن بالصلب متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه، ولذلك كان ابن مسعود وغيره من أكابر الصحب يرون أنه ﷺ مات شهيدًا من السمِّ، فعلم من ذلك أنه ﷺ اشتد عليه مرض الموت من وجوه ثلاثة: صداع، وحُمَّى، وأثر السم السابق، ولعل الحكمة في ذلك زيادة الكمال والدرجات يدل له حديث البخاري عن عبد الله قال: «دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا، قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك أن لك أجرين، قال: أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»، والوَعْك -بفتح الواو وسكون العين: ألم الحُمَّى وقيل: الحُمَّى.

وقال أبو هريرة: ما من وجع يصيبني أحب إليَّ من الحُمَّى؛ إنها تدخل في كل مفصلٍ من ابن آدم، وإن الله يعطي كل مفصلٍ قسطًا من الأجر.

وفي رواية الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان قالت: «أتيت النبي ﷺ في نساء تعوده، فإذا سقاء يقطر عليه من شدة الحُمَّى، فقال: إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

ويُروى أنه كان ﷺ عنده في مرضه سبعة دنانير، فكان يأمرهم بالصدقة بها، ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه، فدعا بها فوضعها في كفه، وقال: «ما ظنُّ محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه، ثم تصدَّق بها كلها»، رواه البيهقي.

قال القسطلاني: انظر إذا كان هذا سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف حال من لقي الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة، وما ظنه بربه تعالى.

=

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه الذي قُبض فيه فسارها بشيءٍ فبكت، ثم دعاها فسارها بشيءٍ فضحكت، فسألناها عن ذلك فقالت: سارني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.

وفي روايةٍ عن عائشة رضي الله عنها أيضًا قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا وهديًا برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة، وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك، فلما مرض دخلت عليه فأكبّت عليه فقبلته.

واتفقت الروايتان على أن الذي سارها به أولاً فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميتٌ من مرضه ذلك، واختلفتا فيما سارها به فضحكت، ففي رواية عروة: أنه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقًا به، وفي رواية مسروق: أنه إخباره إياها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وجعل كونها أول أهله لحوقًا به مضمومًا إلى الأول: أي الذي سارها به أولاً وهو إخباره ﷺ إياها بأنه ميتٌ من مرضه.

قال: وهو الراجح، فإن حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة، وهو من الثقات الضابطين، فمما زاده مسروق قول عائشة -رضي الله عنها- فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزنٍ، فسألتها عن ذلك، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى توفي النبي ﷺ فسألتها فقالت: أسرَّ إليَّ أن جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن كل سنةٍ مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي.

قال: وفي رواية للطبراني عن عائشة رضي الله عنها أنه قال لفاطمة: إن جبريل عليه السلام أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المؤمنين أعظم رزية منكِ، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبرًا.

قال: وفي الحديث إخبارها ﷺ بما سيقع فوقع كما قال ﷺ، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة رضي الله عنها كانت أول من مات من أهل بيت رسول الله ﷺ بعده حتى من أزواجه ﷺ.

قال: ولما اشتدَّ به وجعه ﷺ قال: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فقالت له عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجلٌ رقيقٌ، إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء، قال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فعاودته مثل مقالتها، فقال: إنكن صواحبات يوسف، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، رواه الشيخان.

قال: و(صواحبات) جمع صاحبة، والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن، فإن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها لكونه لا يسمع الناس القراءة لبكائه، ومرادها زيادة على ذلك، وهو ألا يتشاءم الناس به، وقد صرَّحت هي بذلك كما عند وفاته ﷺ،

=

=

فقالت: «لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبدًا».

وفي البخاري قال: «مرَّ أبو بكر والعباس بمجلسٍ من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل أحدهما على النبي ﷺ فأخبره بذلك، فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئتهم».

وقوله: (كرشي وعيبتي) قال الشارح: بفتح الكاف وكسر الراء والشين المعجمة، وعيبتي بفتح العين وفتح الموحدة، أراد بطانته: أي موضع سرّه وأمانته.

قال: وفي صحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أغمي على رسول الله ﷺ ورأسه في حجري، فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء، فلما أفاق قال: أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل».

قال: وظاهره أن الرفيق: المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين.

قال ابن الأثير في النهاية: الرفيق: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين.

وقيل: المراد به الله تعالى رفيق بعباده، وقيل: حظيرة القدس.

قال: «ولما احتضر ﷺ اشتدَّ به الأمر، قالت عائشة: ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبيِّ ﷺ، قالت: وكان عنده قدح من ماء، فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول: اللهم أعني على سكرات الموت».

وفي رواية: «فجعل يقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات».

قال بعض العلماء: إن ذلك لشدة الآلام والأوجاع؛ لرفعة منـــزلته، وقيل: طربًا وفرحًا بلقاء ربه، ألا ترى إلى قول بلال حين قال له أهله وهو في السياق: واحزناه، ففتح عينيه وقال: واطرباه، غدًا ألقى الأحبَّة محمدًا وصحبه، فما بالك بلقاء النبي ﷺ ربه تعالى، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون، وهذا موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه، ويؤيد الأول رواية الإمام البخاري بقوله: «ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه، فقال لها: لا كرب على أبيك بعد اليوم» انتهى.

قال الخطابي: والمراد بالكرب ما كان يجده ﷺ من شدة الموت، وكان ﷺ فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر انتهى.

=

=

وفي البخاري من حديث أنس بن مالك: أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين، وأبو بكر ﷺ يصلي بهم، لم يفاجئهم رسول الله ﷺ، قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ فأشار إليهم بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر.

وفي رواية عند البخاري في الصلاة فتوفي من يومه ذلك، وفي رواية البخاري أيضًا عن أنس: «أنه لم يخرج إلينا ﷺ ثلاثًا، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه، فلما وضح له وجه رسول الله ﷺ فما نظرنا منظرًا قط كان أعجب إلينا من وجه رسول الله ﷺ حين وضح لنا، قال: فأومأ رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب».

ورواه مسلم أيضًا قال: وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «لما بقي من أجل الرسول ﷺ ثلاث، نـزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكرامًا لك وتفضيلاً لك، وخاصة لك، ليسألك عمّا هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني يا جبريل مكروبًا، ثم أتاه في اليوم الثاني، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه في اليوم الثالث، فقال له مثل ذلك، ثم استأذن فيه ملك الموت، قال الشارح: أي في اليوم الثالث، وجبريل عنده في الدخول فقال جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت، يستأذن عليك، ولم يستأذن على نبيٍّ قبلك، ولا يستأذن على نبيٍّ بعدك، قال: ائذن له، فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال: يا رسول الله، إن الله ﷻ أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمر، إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، فقال جبريل: يا محمد، إن الله قد اشتاق إلى لقائك، قال ﷺ: فامضِ يا ملك الموت لما أُمرت به، فقال جبريل: يا رسول الله، هذا آخر موطئي من الأرض، إنما كنت حاجتي من الدنيا، فقبض روحه» انتهى.

فلما توفي رسول الله ﷺ وجاء من التعزية سمعوا صوتًا من ناحية البيت: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفسٍ ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفًا من كل هالكٍ، ودركًا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإنما المصاب من حرِم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال علي ﷺ: أتدرون من هذا؟ هو الخضر عليه السلام»، رواه البيهقي في دلائل النبوة، وذكره الإمام الغزالي في الإحياء عن ابن عمرو، رواه ابن أبي الدنيا عن أنس، ورواه الحاكم في المستدرك.

=

=

قال البيهقي: وقوله في الحديث السابق: «إن الله اشتاق إلى لقائك».

معناه: قد أراد لقائك بأن يردك من دنياك إلى معادك، زيادة في قربك وكرامتك.

قال: ولما توفي رسول الله ﷺ كان أبو بكر غائبًا بالسنح، يعني العالية عند زوجته بنت خارجة، وكان ﷺ قد أذن له في الذهاب إليها، فسل عمر بن الخطاب ﷺ سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله ﷺ، وكان يقول: إنما أُرسل إليه كما أُرسل موسى ﷺ، فلبث عن قومه أربعين ليلة، والله إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم، فأقبل أبو بكر ﷺ من السنح حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة رضي الله عنها، فدخل فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثي يقبّله ويبكي، ويقول: توفي والذي نفسي بيده، صلوات الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيًّا وميتًا.

وفي حديث ابن عباس عند البخاري: «أن أبا بكر ﷺ خرج وعمر بن الخطاب ﷺ يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر ﷺ: أما بعد، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت»، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنـزل الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.

وفي حديث ابن عمر: «أن أبا بكر ﷺ مرَّ بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين، قال: وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم، فقال: يا أيها الرجل إن رسول الله ﷺ قد مات، ألم تسمع الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤]، ثم أتى المنبر.

قال القرطبي: وفي هذا أدل دليل على شجاعة الصديق؛ فإن الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ، فظهرت عنده شجاعته وعلمه حين قال الناس: لم يمت رسول الله ﷺ واضطرب الأمر، فكشف الصدِّيق بهذه الآية ما نـزل بهم، ولما صعد على المنبر تشهد وصلّى على نبيه ثم قال: أما بعد إلى أن قال: ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا: أي يكون آخرنا موتًا، أو كما قال: فاختار الله ﷻ لرسوله الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله، فخذوا به تهتدوا لما هدي له رسول الله ﷺ.

وقال الإمام ابن المنير: لما مات ﷺ طاشت العقول، فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام، وكان عمر ممن خبل، وعثمان من أخرس، وعلي ممن أقعد،

=

وكان أثبتهم أبو بكر الصديق ﷺ، جاء وعيناه منهملاتان، وزفراته تردد، وغصصه تتصاعد وترتفع، فدخل على النبيِّ ﷺ فأكبَّ عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال: طبت حيًّا وميتًا، انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء قبلك.

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها: «إن أبا بكر دخل على النبيِّ ﷺ بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه، ووضع يده على صدغيه، وقال: وانبياه، واصفياه، واخليلاه.

قال: وقالت فاطمة عند وفاته: يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه من إلي جبريل تنعاه».

قال الحافظ ابن حجر: الصواب: «من إلي جبريل نعاه»

قال: وقد عاشت فاطمة -رضي الله عنها- بعده ستة أشهر، فما ضحكت تلك المدة، وحق لها ذلك.

قال: وأخرج أبو نعيم عن علي ﷺ قال: لما قُبض رسول الله ﷺ صعد ملك الموت باكيًا إلى السماء، والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتًا من السماء ينادي: وامحمداه، قال: وكان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول: يا عبد الله اتق الله، فإن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

ورُوي أن بلالاً لما كان يؤذن بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه، فإذا قال: (أشهد أن محمدًا رسول الله) ارتجَّ المسجد بالبكاء والنحيب، فلما دُفن ترك بلال الأذان.

قال: وقد كانت وفاته ﷺ يوم الإثنين بلا خلاف، وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتدَّ الضُّحى، ودُفن يوم الثلاثاء، وقيل: ليلة الأربعاء، وهو الذي عليه الجمهور، وقيل غير ذلك.

قال: والذي تولى غسله علي والعباس، وابنه الفضل يعينانه، وقثم وأسامة وشقران مولاه ﷺ يصبون الماء، وأعينهم معصوبة من وراء الستر؛ لحديث علي ﷺ: «لا يغسّلني إلا أنت، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طُمست عيناه»، رواه البزار والبيهقي.

وفي رواية للبيهقي: «غسَّل علي النبي ﷺ، فكان يقول وهو يغسّله: بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًا».

وفي رواية ابن سعد: «وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط».

قال الإمام القسطلاني: قيل: جعل علي على يده خرقة، وأدخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه، وحنطوا مساجده ومفاصله، ووضئوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه، وجمروه عودًا وندًا.

وفي حديث عائشة -رضي الله عنها قالت: «كُفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة»، وقوله: (سَحولية) بفتح السين نسبة إلى سحول: قرية من اليمن، وقوله:

ليس فيها قميص ولا عمامة: أي ليس في الكفن ذلك أصلاً، وقيل: معناه في ثلاثة أثواب ما عدا القميص والعمامة، فيكون كُفِّن في خمسة.

قال النووي مرجحًا للأول في شرح مسلم: والصواب أن القميص الذي غُسِّل فيه النبي ﷺ نـــزع عنه بعد تكفينه.

قال: لأنه لو أبقى مع رطوبته لأفسد الأكفان.

قال: وأما رواية: «كُفِّن في ثلاثة أثواب وقميصه الذي تُوفي فيه» فحديث ضعيف.

وفي حديث ابن عباس: «لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء، وُضع على سريره في بيته، ثم دخل الناس عليه ﷺ إرسالاً يصلون عليه، حتى إذا فرغوا دخل النساء، حتى إذا فرغن دخل الصبيان، و لم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد لا يستطيع جواد بعد غايتهم» انتهى.

قال الشارح الزرقاني: أخرج الترمذي: «إن الناس قالوا لأبي بكر ﷺ: أنصلي على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: وكيف نصلي؟ قال: يدخل قومٌ فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يدخل قومٌ فيصلون فيكبرون ويدعون فرادى».

قال: قال عياض في شرح مسلم: الذي عليه الجمهور أن الصلاة على النبي ﷺ كانت صلاة حقيقية لا مجرد الدعاء فقط، وما احتج به الأقلون من أن المقصود من الصلاة عليه عود التشريف على المسلمين، يرده أن الكامل يقبل زيادة التكميل.

قال: نعم لا خلاف أنه لم يؤمهم أحد عليه لقول علي ﷺ: «هو إمامكم حيًا وميتًا» فلا يقوم عليه أحد انتهى.

قال الإمام القسطلاني: وفي رواية: «إن أول من صلّى عليه الملائكة أفواجًا، ثم أهل بيته، ثم الناس فوجًا فوجًا، ثم نسائه آخرًا».

قال: ورُوي أنه لما صلّى أهل بيته، قال الشارح: أي أرادوا الصلاة، فلم يدر الناس ما يقولون، فسألوا ابن مسعود، فأمرهم أن يسألوا عليًا، فقال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦]، لبيك اللهم ربنا وسعديك صلاة البر الرحيم، والملائكة المقربين، والنبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وما سبّح لك من شيءٍ يا رب العالمين، على سيدنا محمد بن عبد الله خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الشاهد البشير، الداعي إليك بإذنك، السراج المنير.

قال: ذكره في كتاب تحقيق النصرة، قال الشارح الزرقاني: ولعل حكمة الأمر بهذه الآية تذكيرهم بالصلاة والسلام عليه في هذا الموطن، لبيك اللهم ربنا إجابة لك بعد إجابة فيما أمرتنا به من

=

الصلاة والتسليم عليه، وسعديك: أي إسعادًا بعد إسعاد، ثم بعد الصلاة اختلفوا في موضع دفنه فقال قومٌ: في البقيع، وقال آخرون: في المسجد، وقال قومٌ: يُحمل إلى أبيه إبراهيم، حتى قال العالم الأكبر صدِّيق الأمة: سمعته ﷺ يقول: «ما دُفن نبي إلا حيث يموت»، كما في رواية الترمذي: «ما قبض الله نبيًا إلا في الموضع الذي يحب أن يُدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه»، وفي رواية: «لا يُدفن إلا حيث تُقبض روحه»، فقال علي: وأنا أيضًا سمعته، فحفر أبو طلحة لحد رسول الله ﷺ في موضع فراشه حيث قُبض.

وقد اختُلف فيمن أدخله قبره:

قال: وأصح ما رُوي أنه نــزل في قبره عمه العباس، وعلي، وقثم بن العباس، والفضل ابن العباس، وكان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ قثم بن العباس.

قال الشارح: أي لأنه تأخر.

قال الإمام القسطلاني: ولما دُفن ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت: «كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب، وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها.

قال في المواهب: فإن قلت: أنه ﷺ تُوفي يوم الإثنين ودُفن يوم الأربعاء: أي قبيل الفجر، فَلِمَ أُخّر دفنه ﷺ وقد قال لأهل بيت كانوا قد أخّروا دفن ميتهم: «عجِّلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه».

قال: والجواب أن التأخر إما لأنهم كانوا لا يعلمون حيث يُدفن، أو لأنهم اشتغلوا في أمر الخلافة، فنظروا فيها حتى استقر الأمر فيها لصدِّيق الأمة، فبايعه أول يوم طائفة من المهاجرين والأنصار، ثم بايعه الجميع بالغد بيعة أخرى على ملإٍ منهم، وكشف الله للصدِّيق الكربة من أهل الردة وغيرهم بعد المبايعة، ثم رجعوا بعد ذلك إلى النبي ﷺ فنظروا في دفنه، فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه.

قال أنس: ما رأيت يومًا كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ المدينة، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ.

قال: وفي رواية للترمذي: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيءٍ»، قال الشارح: أي: بسبب حلوله فيها.

ورواية البخاري: «ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيءٍ فرحهم برسول الله ﷺ» انتهى.

قال الترمذي: فلما كان اليوم مات فيه أظلم منها كل شيءٍ، وما نفضنا أيدينا من التراب، وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

قال: ومن آياته ﷺ بعد موته ما ذكر من حزن حماره عليه، يعني: يعفور حتى تردى في بئرٍ، وكذا ناقته فإنها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت.

=

فالفرض: زيارة البيت الشريف على وجه التعظيم لقوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

أي: فرض ثابت في رقاب الناس؛ لأن «على» هنا للوجوب.

والزيارة التي تكون سنة: هي زيارة قبره الشريف ﷺ، ينال بها الزائر سعادة الدارين، فإذا وقف عند قبر النبي ﷺ يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ثم يتأخر عن صوب يمينه قدر ذراع للسلام على أبي بكر، وذلك لأن رأسه عند منكب رسول الله ﷺ، ويقول: السلام عليك يا أبا بكر صفي رسول الله ﷺ وثانيه في الغار، جزاك الله عن أمة رسول الله ﷺ خيرًا، ولقاك في القيامة أمنًا وبرًا، ثم يتأخر عن صوب يمينه قدر ذراع، وذلك لأن رأس عمر عند منكب أبي بكر -رضي الله عنهما، ويقول: السلام عليك يا عمر الذي أعز الله بك الإسلام، جزاك الله عن أمة نبيه أحسن الجزاء، ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل في حق نفسه ويتشفع به إلى ربه، ومن أحسن ما يقول عند قبر النبي ﷺ:

السلام عليك يا رسول الله، سمعت عن الله سبحانه وتعالى:

=

قال: وفي حديث أبي موسى في رواية مسلم عنه أنه ﷺ قال: «إن الله إذا أراد بأمة خيرًا قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره».

وإنما كان قبض النبي ﷺ قبل أمته خيرًا؛ لأنهم إذا قبضوا قبله انقطعت أعمالهم، وإذا أراد الله بهم خيرًا جعل خيرهم مستمرًا ببقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات، نسلاً بعد نسل، وعقبًا بعد عقب.

قال: ولما قُبض ﷺ تزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة.

قال: إذا كان عرش الرحمن قد اهتزَّ لموت بعض أتباعه فرحًا واستبشارًا لقدوم روحه، فكيف بقدوم روح الأرواح، أسأل الله العظيم متوسلاً إليه بهذا النبي الكريم وبنور وجهه الذي ملأ أركان عرشه، أن يزرع في قلوبنا معرفته ومحبته، وأن يجعل أرواحنا سابحات في عالم الملكوت مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون. وانظر: «مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار» بتحقيقنا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ [النساء:٦٥]، وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي، مستشفعًا بك إلى ربي، وكذلك زيارة المسجد الأقصى ومسجده ﷺ، وهو ما أُوِّل عليه الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**تُشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**»[1]

وأما زيارة قبور الأولياء فمستحبة، والدعاء عندها مستجاب، والنذر للأولياء جائز لقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

وقال عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١].

وقال ﷺ : «**من نذر وسمَّى فعليه الوفاء بما سمَّى**»[2]

وقال ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه**»[3].

والأصل أن النذور تُحمل على أصولها في الفرائض، فكل ما له أصل في الفرائض يلزم الناذر بنذره، كالصلاة والصيام والصدقة والهدي والحج وما أشبهها، وكل ما ليس لها أصل في الفرائض لا يلزم الناذر بنذره، كالمشي إلى بيت المقدس والأماكن التي ينفرد بالذهاب إليها سوى الحرم.

---

(١) رواه البخاري (٤٠٠/١)، ومسلم (١٠١٥/٢)، وأبو داوود (٢١٦/٢)، والترمذي(١٤٨/٢).

(٢) ذكره الزيلعي في نصب الراية (٣٠٠/٣)، والحافظ في الدراية تخريج أحاديث الهداية (٩٢/٢).

(٣) رواه البخاري (٤٠٠/١)، ومسلم (١٠١٥/٢)،وأبو داوود (٢١٦/٢)، والترمذي (١٤٨/٢).

وقلت: فهذا الأمر والنهي الذي في الحديث؛ للوجوب، ومنه يعلم أن نذر المعصية لا ينعقد، وعن الإمام أبي حنيفة: إن مَن نذر صوم يوم العيد؛ يقضيه في يوم آخر، وكذا مَن نذر ذبح ولده؛ فإنه لا يذبحه؛ بل يتقرَّب إلى الله تعالى بقربان، والنذر وإن كان قربةً مشروعةً بالنسبة إلى العوام لكن الخواص إنما يعلمون بالخواطر، والإيجاب ليس إلا لله تعالى.

قال سيدي عبد الوهاب الشعراوي: أخبرني الشيخ محمد البرلسي - رحمه الله تعالى - أن شخصًا نذر: إن ولدت فرسي حصانًا فهو لسيدي عيسى بن نجم الدين البرلسي، فولدت حصانًا، فأراد بيعه وقال: أي شيء يعمل سيدي عيسى بهذا الحصان؟ فبينما هو مارٌّ به ذات يوم وقد صار تجاه سيدي عيسى، رمح الحصان من صاحبه حتى دخل الزاوية، فذهب صاحبه خلفه، فدخل الحصان قبر الشيخ ﷺ.

ومن كرامات العارف بالله تعالى سيدي أبي الحسن البكري الصديقي بعد وفاته: ما أخبر عنه بعض من أثق به -.أنه اجتمع مع داود باشا زمن توليته مصر المحروسة للصلاة على جنازة رجل مات من بني العباس، وكان إلى جانب الشيخ سيدي أبي الحسن ولده سيدي محمد ولد الشيخ وكان إذ ذاك صغيرا، فسأل داود باشا عنه، فأخبره الشيخ أنه ولده، -وهو الآن في درجة الإفتاء- ثم بعد مدة توفي الشيخ سيدي أبي الحسن والد سيدي محمد - رحمه الله تعالى - فلما بلغ داود باشا موت الشيخ سيدي أبي الحسن كتب لولده سيدي محمد جميع ما كان بيد والده من تدريس ونحوه، فاستكثر علماء عصره على سيدي محمد لحداثة سنه، وظنوا أنه ليس فيه كفاءة لهذا الشيء، فعقد الشيخ سيدي محمد ولد سيدي أبي الحسن درسًا بالجامع الأزهر، وحضر في درسه أعيان علماء عصره، فأتى لهم بشيء أبهر منه العقول، فتعجب كل من كان حاضرًا في المجلس، واستكثروا ذلك على ولد الشيخ لصغر سنه، فلما فهم منهم ذلك أخبرهم أن والده سيدي أبي الحسن كان الحاضر في المجلس، وكان يلقنه جميع ما أبداه، فسلّم الكل به.

ومن كرامات الإمام أبي المكارم **الليث بن سعد** - قدّس الله سرّه وجعل الفردوس مقرّه ونفعنا به - بعد وفاته، ما حكي أن شخصًا من القرّاء كان فقيرًا ذا فاقة، فقصد زيارة الإمام والتوسل به إلى الله تعالى، فلمّا نـــزل به بات ليلته يتلو القرآن العظيم بمقام الإمام، فلمّا أصبح خرج من عند الإمام، فحين رجوعه وجد طائرًا على حائط -وهو الذي يسمونه بعض الناس عندهم «دُرّة» - يتلو

القرآن مرتّلاً، فقال في نفسه: هذه الدرة لا تصلح إلا للملك، فأخذها، ودفع له فيها ألف دينار لما رأى منها، فقضى الرجل بها دينه وأزال فاقته، ثم إن تلك الدرة باتت ليلتها تتلو القرآن مرتّلا بحضرة السلطان، فتعجب السلطان من ذلك، وفي اليوم الثاني جاء يسمعها فوجدها قد ماتت، فأراد السلطان إلقائها كما هو المعتاد، فطارت من بين يدي السلطان، فظن أن صاحبها علمها الحيلة، فأمر بحبسه، فأتاه الإمام وأخبره أن هذا الرجل قصدني وقد أضر به الفقر والفاقة، وأن هذه الدرة ما هي درة وإنما هي روحي، وقد جدت بها عليه، فلما سمع السلطان هذا من سيدي الليث أطلق الرجل وأحسن إليه، فلهذا سُمّي الشيخ أبا المكارم، وعلى كل حال يا أخي، فالاعتقاد أولى من انتفائه.

قال بعضهم عفا الله عنه:

وَالْمَرْءُ حَسْبِ اعْتِقَادِهِ رَفْـعٌ ... وَكُلّ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ لَمْ يَنْتَفِـعْ

والحق في ذلك أنه ينبغي الاعتقاد فيمن يُعتقد فيه، وحسن الظن فيمن يُحسَن الظن فيه، وترك الاعتراض فيمن لا يُعترض عليه، كالعلماء المحققين والبُله والمجذوبين الفقراء الصادقين، وقد أثنى الله عليهم في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

فانظر يا أخي كيف بدأ بنفسه، وثنى بملائكته، وثلّث بأهل العلم، وهذا الشرف لأهل العلم لأجل العلم.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] رفعهم كما أخبر درجات.

قال في الضياء المعنوي في شرح «مقدمة الغزنوي»[(١)]: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين

(١) هو للغزنوي الحنفي، وللسيد علي بن عبد الله البقردي، وقيل: القبردي، نـزيل الشام المتوفى في حدود ١٠٥٥ هـ، كتاب: «المصابيح الأخروية شرح الضياء المعنوية في الفروع».

الدرجتين خمسمائة عام» والدرجات هي الطبقات من المراتب.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ﴾ [القصص: ٨٠].

بيّن تعالى أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم.

وقال ﷺ: «يُحشر العلماء في صعيد واحد كأنهم سَبيكة فضة، فيقول الله تعالى: يا معشر العلماء، إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم، إني لم أضع حكمتي فيكم وأنا أريد أن أعذبكم ، انطلقوا مغفورًا لكم[(١)]»

وقال ﷺ: «العلماء مصابيح الأرض خلفاء الأنبياء وورثتي وورثة الأنبياء[(٢)]».

وقال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء، يحبهم أهل السماء، وتستغفر لهم الحيتان في البحر[(٣)]».

وقال ﷺ: «العلماء قادة والمتقون سادة ومجالستهم زيادة[(٤)]».

وقال ﷺ: «العبد عند ظنه بالله، وهو مع من أحب[(٥)]».

وورد: «من أحب قومًا حُشر معهم، وإن لم يعمل بعملهم[(٦)]».

وقال ﷺ: «خصلتان لا شيء فوقهما من الخير: حسن الظن بالله، وحسن الظن بعباد الله[(٧)]».

وورد :«رُبَّ أشعثٍ أغبر لو أقسم على الله لأبرّه[(٨)]».

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤/٣٠٢)، وفي الصغير (١/٣٥٤)، والروياني في مسنده (١/٣٥٣) بنحوه.

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/٣٨٣)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/٧٣٦).

(٣) ذكره القرطبي في التفسير (٤/٤٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/٧٣٦).

(٤) ذكره المناوي في الفيض (٤/٣٨٤)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/٨٣).

(٥) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/٣٧٤)، وعزاه لأبي الشيخ.

(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٣/١٩) نحوه.

(٧) انظر: فيض القدير (٣/٣٨٥).

(٨) رواه مسلم (٤/٢٠٢٤).

أشعث: أي: منتشر شعر الرأس، أغبر اللون في وجوه الطاعات.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا كان يوم القيامة جاء أقوام والناس في الحساب قد أنبت الله لهم أجنحة خضراء، فتساقطوا على حيطان الجنة، فيقول لهم خزنة الجنة: من أنتم؟ فيقولون: نحن من ولد آدم، فيقولون: هل شهدتم الحساب؟ قالوا: لا، قالوا: أعبرتم الصراط؟ قالوا: ما الصراط؟ فيقال لهم: بما نلتم هذه المنـــزلة؟ قالوا :كنا نعبد الله سرًا فأدخلنا الجنة سرًا». كذا في مسند الفردوس[1].

سأل سائل سيدنا إلياس كم الأبدال؟ قال إلياس عليه السلام: «ستون رجلاً: خمسون ما بين عريش مصر إلى شاطئ الفرات، ورجلان بالمصيصة، ورجل بأنطاكية، وسبعة في سائر الأمصار، بهم يسقون الغيث، وبهم ينصرون على العدو[2]» رواه الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى.

ثم إن لهم رتب ودرجات وأحوال ومقامات.

فمنهم من هو قائم لله بحجة في الدين، مرفوع به البلاء عن عباده المسلمين.

ومنهم نجباء بالحياء والمراقبة.

ومنهم نقباء بالمحبة والإيثار.

ومنهم أبدال بالرضا والتوكل[3].

---

(١) رواه الديلمي (١/٢٥٥).

(٢) ذكره الحافظ في الإصابة (٢/٣١٢).

(٣) الأبدال: هم سبعةٌ لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل إقليم واحدٌ.

أحدهم: على قدم الخليل.

والثاني: على قدم الكليم.

والثالث: على قدم هارون.

والرابع: على قدم إدريس.

والخامس: على قدم يوسف.

والسادس: على قدم عيسى.

=

ومنهم أوتاد بعلم التوحيد وأدب الدعوة.

ومنهم من أفرده الحق بحاله، ومدار حال الأولياء كلهم عليه، ومن حاله يأخذ كل ولي علم حاله، وأن يراه ويلتقي معه، لأن الأحوال في مقامات الإيمان ودرجات اليقين مجموعة فيه، فالصالحون كثير يخالطون العوام لصلاح حال الناس بهم في دنياهم، والنجباء في العدد أقل منهم يخالطون العوام لصلاح حال الناس بهم في دينهم ودنياهم، والنقباء في العدد أقل منهم وهو يخالطون الخواص لمزيد أحوال الناس بهم في بركات الدين والدنيا، والأبدال في العدد أقل منهم نازلون في الأمصار العظام، لا يكون منهم في المصر الواحد إلا الواحد بعد

=

والسابع: على قدم آدم، على الكل السلام، وهم عارفون بما أودع الله تعالى في الكواكب السيّارة من الأمور والأسرار.

ولهم من الأسماء أسماء الصفات، فمنهم عبد الحي، وعبد العليم، وعبد المريد، وعبد القادر، وهذه أسماء أربعة الأوتاد، وباقيهم عبد الشكور، وعبد السميع، وعبد البصير، لكل صفةٍ إلهية رجلٌ من هؤلاء الأبدال، بها ينظر الحق إليه وهي الغالبة عليه.

فما من رجلٍ إلا وله نسبةٌ إلى اسمٍ إلهيٍّ منه يتلقى ما يرد عليه من الحضرة الإلهية. وسُمِيَ هؤلاء أبدالاً؛ لأن أحدهم إذا فارق موضعًا وأراد أن يخلف به رجلاً آخر بدلاً منه لأمر يريده في مصلحة وقربة كان له القدرة على ذلك، فيترك شخصًا على صورته لا يشكُّ من رآه أنه عين ذلك الرجل، وليس كذلك بل هو شخصٌ روحانيٌّ أقامه مقامه، فكل من له هذه القوة فهو من الأبدال.

أما من يقيم الله بدله شخصًا لأمرٍ ما ولا علم له به فليس منهم، ومعنى قولهم: (فلانٌ على قدم فلان) أنه مثله في علومه ومعارفه التي ترد على قلبه، فإن المعارف الإلهية إنما ترد على القلوب، وكل علمٍ يرد على قلب الشخص الكبير من ملكٍ أو رسولٍ فإنه يرد على قلب من ورثه في مقامه.

وقد يقولون: (فلانٌ على قلب فلان)، ومعناه: ما ذُكِرَ: أي يتقلب في علومه ومعارفه.

وقد تُطلق الأبدال على أربعين رجلاً يُسمُّون أيضًا الرجبيين، وهم رجالٌ لهم القيامة بعظمة الله تعالى، وهم الأفراد وأرباب القول الثقيل المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل:٥]، سُمُّوا رجبيين؛ لأن حالهم لا يكون لهم إلا في شهر رجب من أوله إلى انفصاله، ثم يفقد ذلك الحال من أنفسهم إلى دخول رجب من السنة الآتية، ومنهم من يبق عليه أمر من ذلك في سائر السنة، وقليل من يعرفهم من أهل هذه الطريق، وهم متفرقون في البلاد ويعرف بعضهم بعضًا، فمنهم باليمن وبالشام وبديار بكر.

الواحد، فطوبى لأهل بلدة كان فيها اثنين.

والأوتاد: واحد باليمن وواحد بالشام وواحد بالمشرق وواحد بالمغرب.

والله سبحانه وتعالى يدير القطب في الأقطار الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء، وقد سترت أحوال الغوث - وهو القطب - عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه، غير أنه يُرى عالم جاهل أبله فطِن تارك آخذ قريب بعيد سهل عسر آمن حذر، وكُشفت أحوال الأوتاد للخاصة وسُترت عن العامة، وكُشفت أحوال البدلاء للعامة والخاصة، وسُترت أحوال النجباء والنقباء عن العامة خاصة، وكُشف حال بعضهم لبعض، وكُشف حال الصالحين للعموم والخصوص ليقضي الله أمرا كان مفعولا، وعدة النجباء ثلاثمائة، والنقباء أربعون، والبدلاء ستون ، وقيل ثلاثون، وقيل أربعة عشر، وقيل سبعة، والأوتاد أربعة، فإذا مات القطب جعل مكانه خيار الأربعة، فإذا مات أحد الأربعة جعل مكانه خيار السبعة، فإذا مات أحد السبعة جعل مكانه خيار الأربعين، فإذا مات أحد الأربعين جعل مكانه خيار الثلاثمائة، فإذا مات أحد الثلاثمائة جعل مكانه خيار الصالحين، فإذا أراد الله قيام الساعة أماهم أجمعين.

قال الله سبحانه في كتابه المبين:

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: «لولا دفع الله بجنود المسلمين سراياهم ومرابطهم لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد».

وقال بعض المحققين من المفسرين: «لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لفسدت أي: أهلكت بمن فيها».

قال رسول الله ﷺ: «**يُدفع بمن يصلي من أمتي عن من لا يصلي ، وبمن يزكي عن من لا يزكي ، وبمن يصوم عن من لا يصوم ، وبمن يحج عن من لا**

يحج، وبمن يجاهد عن من لا يجاهد، ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما ناظرهم الله طرفة عين[1]».

وقال بعض المحققين من المفسرين: «لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الفجار لفسدت أي: أهلكت بمن فيها».

قال رسول الله ﷺ: «**يُدفع بمن يصلي من أمتي عن من لا يصلي، وبمن يزكي عن من لا يزكي، وبمن يصوم عن من لا يصوم، وبمن يحج عن من لا يحج، وبمن يجاهد عن من لا يجاهد، ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما ناظرهم الله طرفة[2]».**

قال النبي ﷺ: «**لولا عباد لله ركع ، وصبية رضع وبهائم رتع ، لصُبَّ عليكم العذاب صبًّا[3]».**

ونظمه بعضهم:

لَـــوْلاَ عُبَّـــادُ للإلَـــهِ رُكَّـــع وَصِبْيَةٌ مِـــن الْيَتَـــامى رُضَّـــع
وَمُهْمِـــلات في الْفَـــلا رُتَّـــع صُبَّ عَلَيكُمْ الْعَـــذَابِ الأَوْجَعْ

والمراد بقوله لولا عباد الله الشيوخ الصالحون والعجائز من النساء الصالحات والأطفال والبهائم، لقوله ﷺ: «**هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم**» رواه الإمام البخاري.

قال ﷺ: «**خرج نبي من الأنبياء يستقي، فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء، فقال: ارجعوا، فقد استجيب لكم من أجل النملة[4]».**

رواه الحاكم وقال أنه صحيح الإسناد.

فهم القوم الذين أسعد الله بهم جليسهم، أعاد الله علينا وعلى المسلمين من

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٦/٩٧).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٦/٩٧).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/٢١٠)، والطبراني في الكبير (٢٢/٣٠٩)، وفي الأوسط (٦/٣٢٧)، وأبو يعلى في مسنده (١١/٥١١)..

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (١/٤٧٣).

بركاتهم العميمة، وأنشر علينا من طيب رائحتهم ما تسكن به النفوس السقيمة، فبركاتهم موفورة وخيراتهم مشهورة ومناقبهم كثيرة وفضائلهم شهيرة، ولهم من الكرامات وخوارق العادات حال الحياة وبعد الممات ما شاع وذاع وملأ البقاع وتشنفت بذكره الأسماع، قال بعضهم نظم:

عَلَوْ مِنَ الْمَدْحِ حَتَّى مَا يُزَانُ بِهِمْ كَأَنَّمَا الْمَدْحُ مِنَ مِقْدَارِهِمْ بِضَعُ

ما ذُكروا في مكان إلا ردت به البركات، ولا في شدة إلا سدت من جميع الجهات، ولا في وقت غلاء إلا رخصت الغلات، ولا في قحط إلا زال، وأنشأ الله السحب الماطرات، ولا في وباء إلا خف وزال، ولا في جوع إلا حصل الأمن وصلح الحال.

ولا بأس ببناء قبور الأولياء وإحكامها عند الضرورة إذا خيف دثارها وانطماسها، وذلك لأن الدعاء عندها مستجاب، وأفضل منه صرفه إلى الفقراء والمساكين والمحتاجين.

ويروى أن سيدنا إبراهيم خليل الرحمن - عليه السلام - وعلى نبينا وعلى سائر النبيين أفضل الصلاة وأشرف التسليم، لما بنى البيت الشريف زاده الله تشريفًا وتعظيمًا وفرغ من بنائه فرح بذلك وسُرَّ به فأوحى الله تعالى إليه: ألا أدلك على أفضل مما صنعته عندي يا إبراهيم؟ أن تطعم جوعانًا، أو تغيث ملهوفًا، فبنى سيدنا إبراهيم عليه السلام بيتًا وجعل له بابين ، فجعل الإنسان يدخل ويأكل ويشرب ويأخذ ما يحتاج إليه من كسوة، ويخرج من الباب الآخر.

تنبيه: اعلم يا أخي- أيقظك الله للخيرات- أن من أعجب وأغرب ما روي من الكرامات ما حكاه الإمام العالم الهمام شيخ مشايخ الإسلام شهاب الملة والدين أحمد بن يونس أحد شراح «كنـز الدقائق ومعدن الحقائق»، قال طاب ثراه وجعل الله الجنة مأواه: قال الحافظ ابن السمعاني: «جمعت الرحلة بين محمد بن جرير الطبري، وبين محمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن المروزي، ومحمد بن هارون الروياني بمصر فافتقروا، ولم يبق ما يقوتهم، وأضرّ بهم الحال، فاجتمعوا ليلة في منـزل كانوا يأوون إليه، فاتفقوا على أن يستهموا، فمن

خرجت عليه القرعة سأل الناس لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال: أمهلوني وأصلي صلاة الاستخارة، فاندفع بالصلاة، فإذا هم بالشموع وشخص من قبل أمير مصر يدق عليهم الباب، فأخرج صرة فيها دنانير وقال: أيكم محمد بن جرير؟ فأشاروا إليه، فدفع إليه الدنانير وقال: أيكم محمد بن هارون؟ فقيل هذا، فدفع إليه مثلها وقال: أيكم محمد بن مروزي؟ فقيل هذا فدفع إليه مثلها ثم قال: أيكم محمد بن خزيمة؟ فقيل هو هذا يصلي، فلما فرغ من الصلاة دفع إليه مثلها، ثم إن الأمير كان قائلاً فرأى في النوم خيالاً أو طيفًا قال له: إن المحامد طووا نُسَحَهُم، فبعث بهذه الصرر، وقال الرسول: يقول لكم الملك: إذا نفدت ابعثوا إليه يزدكم»[١].

قال الإمام العامل الورع الزاهد الحسن بن سفيان النسوي:

أحدثكم ببعض ما تحملته في طلب العلم من المشقة والجهد، وما كشف الله عني وعن أصحابي ببركة العلم وصفاء العقيدة من الضيق والضنك، اعلموا أني كنت في عنفوان شبابي ارتحلت من وطني لطلب العلم والحديث، فاتفق حصولي بأقصى المغرب وحصولي بمصر في تسعة نفر من أصحابي طالبي العلم وسامعي الحديث، وكنا نختلف إلى شيخ كان أرفع أهل عصره في العلم منـــزلة، وأعلاهم إسنادًا، وأصحهم رواية، فكان يملي علينا في كل يوم مقدارًا يسيرًا من العلم، حتى طالت المدة وخفت النفقة ودعتنا الضرورة إلى بيع ما عندنا، حتى أدى بنا ذلك على أن طوينا ثلاثة أيام بلياليها جوعًا وسُوء حال، قال: وأصبحنا بكرة اليوم الرابع بحيث لا حراك لأحدنا من الجوع وضعف الأطراف، وأحوجت الضرورة إلى كشف قناع الحشمة وبذل الوجه للسؤال، فلم تسمح أنفسنا بذلك، ولم تطب قلوبنا، وأنف كل واحد منا عن ذلك، والضرورة تحوج إلى السؤال، على كل حال وقع اختيار الجماعة على كتب رقاع باسم كل واحد منا، وأشار لها قرعة، فمن ارتفع اسمه عن الرقاع كان هو القائم لأصحابه، فارتفعت الرقعة التي اشتملت على اسمي، فتحيرت، ولم تسامحني نفسي بالمسألة واحتمال المذلة، فعدلت إلى زاوية من المسجد أصلي

---

(١) ذكر القصة ابن نقطة في التقييد (١/١١٨)، والخطيب في التاريخ (٢/١٦٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/٢٧٠).

ركعتين طويلتين قد اقترن الاعتقاد فيهما بالإخلاص، أدعو الله سبحانه بأسمائه العظام لكشف الضر، ولسياقة الفرج، فلم أفرغ بعد إتمام الصلاة حتى دخل المسجد شاب حسن الوجه نظيف الثياب طيب الرائحة يتبعه خادم في يده منديل فقال: من فيكم الحسن بن سفيان؟ فرفعت رأسي من المسجدة فقلت: أنا الحسن بن سفيان، فما الحاجة؟ فقال: إن الأمير أحمد بن طولون يقرؤكم السلام ويعتذر إليكم في الغفلة عن تفقد أحوالكم والتقصير الواقع من رعايته حقوقكم، وقد بعث نفقة في الوقت، وهو زائركم غدًا بنفسه، ويعتذر بلفظه إليكم، ووضع بين يدي كل واحد منا صُرّة فيها مائة دينار، فتعجبنا من ذلك وتحيرنا وقلت للشاب: ما القصة؟ فقال: أنا أحد خدام الأمير المخلصين، به دخلت عليه بكرة يومي هذا مسلّمًا في جملة أصحابي فقال: أريد أن أخلو يومي هذا، فانصرفوا أنتم إلى منازلكم، فانصرفنا، فلم أستوف قعودي حتى أتاني رسول الأمير مسرعًا يطلبني حثيثًا، فأتيته، فوجدته منفردًا في بيت واضعًا يمينه على خاصرته لوجع أصابه، فقال لي: أتعرف الحسن بن سفيان وأصحابه ؟ فقلت: لا ، فقال: اقصد المحلة الفلانية والمسجد الفلاني، واحمل هذه الصرر وسلمها في الحين إليه وإلى أصحابه، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع بحال ضعيفة، ومهِّد عذري لديهم، وعرفهم أني صبيحة الغد زائرهم، ومتعذر شفاهة إليهم، فسألته عن السبب الذي دعاه إلى هذا فقال: دخلت هذا البيت منفردًا على أن أستريح ساعة، فلما هدأت عيني في المنام– أي: سكنت– رأيت فارسًا في الهواء متمكنًا تمكن من يمشي على بسيط الأرض وبيده رمح، فكنت أتعجب من ذلك حتى نـــزل إلى باب هذا البيت، فوضع سافلة رمحه على خاصرتي وقال: أدرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم فأدركهم، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع في المسجد الفلاني، فقلت له: من أنت؟ قال: رضوان خازن الجنة، ومنذ أصاب سافلة رمحه خاصرتي أصابني وجع شديد لا حراك لي به، فعجل بإيصال هذا المال إليهم ليزول هذا الوجع. قال الحسن –رحمه الله تعالى: فتعجبنا من ذلك وشكرنا الله سبحانه وتعالى وأصلحنا أمورنا، ولم تطب أنفسنا بالمقام حتى لا يزورنا الأمير ولا يطلع الناس على أسرارنا ليكون ذلك سبب ارتفاع اسم وانبساط جاه، وينبسط ذلك بنوع من الرِّياء والسمعة، وخرجنا تلك الليلة من مصر، فأصبح كل واحد منا واحد عصره وبديع دهره في العلم والفضل، فلما أصبح أتى الأمير أحمد بن طولون إلى المسجد لزيارتنا فلم يجدنا، فأمر بابتياع تلك المحلة

بأسرها ووقفها على ذلك المسجد على من ينـــزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم نفقة لهم حتى لا تختل أمورهم ولا يصيبهم من الخلل ما أصابنا، وذلك كله من قوة الدين وصفوة الاعتقاد.

قال العارف الكبير وسراج أهل الملة الشهير سيدي ابن عطاء الله السكندري [1] -نفعنا الله به وبسرّه ومدده-: متى وفقكَ للطلب فاعلم أنه يريد

---

(١) هو سيدي أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الشيخ تاج الدين أبو الفضل الجذامي السكندري الشاذلي.

إمام تاج علمه مرتفع، وشمل فضله مجتمع، وخبر نعته مشتهر، ودر حكمه منتشر، ومصنفاته مفيدة، وحلل ذكره على مر الأيام جديدة.

هجر النوم وقلاه، ولو لم يكن له غير كتاب التنوير لكفاه.

قال التاج السبكي: أراه كان شافعيًا، وقال غيره: كان مالكيًا.

وله اليد الطولى في العلوم الظاهرة، والمعارف الباطنة، إمام في التفسير والحديث والأصول، متبحر في الفقه، وله وعظ يعذب في القلوب، ويحلو في النفوس.

وكان قد تدرب بقواعد العقائد الشرعية، وهذبته العلوم، فاستدل بالمنطوق على المفهوم، فساد بذلك العصابة الصوفية، فكان له من الرياسة شرب معلوم، وهو صاحب كتاب الحكم الذي من تأمله قال ما هذا منشور، إن هذا إلا لؤلؤ منثور، كل سطر منه جنة قد حُفت بالثمار، وأحدقت بأنوار الأزهار، وكل شطر من سطر لو يباع بثمن بخس لاشتري بألف دينار.

صحب العارف المرسي، وأخذ عنه جمع من الأعيان، وانتفع به خلق كثر، منهم شيخ الشافعية التقي السبكي.

وأصله من الإسكندرية، ثم قطن مصر، وصار يعظ الناس ويرشدهم، وله الكلمات البديعة المفردة بالتدوين.

مات سنة تسع وسبعمائة، ودفن بالقرافة بقرب بني الوفا قدس الله أسرارهم.

ومن كراماته أن الكمال بن الهمام زار قبره، فقرأ عنده سورة هُود حتى وصل إلى قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:١٠٥] وأجابه من القبر بصوت عال: يا كمال، ليس فينا شقي. فأوصى بأن يُدفن هناك.

ومنها أن رجلاً من تلامذته حج، فرأى الشيخ في المطاف، وخلف المقام، وفي المسعى، وفي عرفة. فلما رجع سأل عن الشيخ: هل خرج من البلد في غيبته إلى الحج؟ قالوا: لا.. فدخل إليه وسلم عليه، فقال له: من رأيت في سفرك هذه من الرجال؟ قال: يا سيدي، رأيتك.. فتبسم وقال: الرجل الكبير يملأ الكون، لو دُعِيَ القطب من حجر لأجاب. وانظر: الكواكب الدرية (٥٨٣/٢) بتحقيقنا.

أن يعطيك. فها أنا أسأل الله تعالى وأتوسل إليه بنبيه ﷺ قائلاً:

يَا سَيِدِي يَا رَسُولَ اللهِ خُـذْ بِيَـدِي عَبْدٌ ضَعِيفٌ وَلِّـي بِالْبَـابِ تَطْفِيـلُ
يَا سَيِدِي يَا رَسُولَ اللهِ خُـذْ بِيَـدِي يَا مَنْ بِهِ لِلْهُـدَى وَالْخَـيرِ تَحـصِيلُ
يَا سَيِدِي يَا رَسُولَ اللهِ خُـذْ بِيَـدِي فَكَمْ عَلَى بَابِ فَضْلٍ مِنْـكَ مَـدْلُولُ
يَا سَيِدِي يَا رَسُولَ اللهِ خُـذْ بِيَـدِي أَنْتَ الرَّجَاءُ وَفِي الحَاجَـاتِ مَـأْمُولُ
يَا آلَ بَيْتِ رَسُـولِ اللهِ يَـا عَـرَبُ قَدِ احْتَمَى نَازِلٌ فِـيكُمْ وَمَنْـزولُ
يَا أَبَا بَكْرُ وَيَا عُثْمَـانُ يَـا عمـرُ مَنِ اسْتَغَاثَ بِكُم مَّـا ذَاكَ مَخْـذُولُ
يَا أَحْمَدُ يَا أَبَـا الزَّهْـرَاءَ فَاطِمَـةٍ وَيَـا عَلِـيُّ لَدَيـهِ الـسِّرِّ مَبْـذُولُ
وَيَا حُسَيْنُ مِنْ السِّبْطَيْنِ يَـا حَـسَنُ مَنِ اسْتَغَاثَ بِكُم فَـالْخَيرُ مَحْـصُول
يَا أَهْلَ الكِسَاءِ وَيَا مَنْ ضَمَّهُم شَرَفٌ مَـعَ الرَّسُـولِ وَإِكْـرَامٌ وَتَأهِيـلُ
الطَّيِّـبِينَ الثَّنَـا وَالطَّـاهِرِينَ بِـهِ وَفِي فَضَائِلِهِم مَـا شِـئْتُمُوا قُولُـوا
فَالفَضْلُ فِي حَسَبٍ مِنْهُم وَفِي نَسَبٍ عَنْهُم كَمَا هُو فِي الأَخْبَـارِ مَنْقُـولُ
يَا آلَ طَهَ وَيَـس الْمُحِـبُّ لَكُـم فِي جَنَّـةِ الْخُلْـدِ لا يَلْوِيـهِ تَبْـدِيلُ
يَكْفِيكُمُوا شَـرَفٌ بَـيْنَ الأَنَـامِ إِذَا مَا كَانَ فَخْـرٌ بِـهِ لِلْمَـرءِ تَفْـضِيلُ
قَدْ طَهَّرَ اللهُ بَيْتَـا حُزْتُمُـوهُ كَمَـا قَدَ أَذْهَبَ الرِّجسَ عَنْكُم فَهُو مَفْصُولُ
يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ يَـا شَـرَفَ قَلْبِـي عَلَـى حُـبِّكُم وَاللهِ مَجْبُـولُ
فَهَلْ لِصَبٍّ مُحِـبٍّ نَجْـدَةً بِكُـم فَقَلْبُـهُ بِـسِهَامِ الْبَـيْنِ مَبْتُـولُ
قَدْ تَـوَلَّى عَلَيـهِ اللَّيْـلُ يَـسْهَرُهُ فِكْرًا وَعَنْهُ جَمِيـلُ الـصَّبْرِ مَعْـزُولُ
وَلَيسَ يَكْشِفُهَا يَـا خَيْـرَ وَاسِـطَةٍ سِوَى الْحَبِيْبُ الَّذِي فِي جَاهِهِ طُـولُ
يَا أَحْمَدُ يَا أَبَـا بَكْـرَ وَيَـا عُمَـرُ مَنَ اسْتَغَاثَ بِكُمْ مَـا ذَاكَ مَخْـذُولُ

وَيَا ضَجِيعَيْهِ فِي قَبْرٍ حَوَى شَرَفًا ... عَلَيْكُمَا مِنْ إِلَهِ الْعَرْشِ تَجْلِيلُ

يَا رَبِّ يَارَبِّ يَا مَوْلايَ يَا ثِقَتِي ... يَا مَنْ عَلَيْهِ لِكُلِّ الْخَلْقِ تَعْوِيلُ

إِنْ جِئْتُ أَذْكُرُ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ أَدبٍ ... فَأَنْتَ أَدْرَى بِشَرْحٍ فِيهِ تَطْوِيلُ

أَنْتَ الْغَنِيُّ وَكُلُّ الْخَلْقِ سَائِلُهُ ... وَهَلْ سِوَى بَاعِثُ الأَرْزَاقِ مَسْئُولُ

فَمَنْ هُوَ الْعَبْدُ لَوْلا ذَاكَ أَهَّلَنِي ... بِجَاهِ أَحْمَدِ تَنْوِيهٌ وَتَأْوِيلُ

يَقْضِي بِعَفْوٍ وَغُفْرَانَ لِمَادِحِهِ ... مَا كَانَ فِي مَدْحِهِ لِلْعَبْدِ تَأْهِيلُ

يَجْنِي الرِّضا وَتَسْكُنُ فِيهِ أَرْقَتُهُ ... إِذَا عَرَاهُ مِنَ الدَّارَيْنِ تَهْوِيلُ

يَا رَبِّ عَبْدُكَ أَحْمَدُ الْفَقِيرُ لَهُ ... ذَنْبٌ أَضَرَّ بِهِ وَالضَّيْفُ مَحْمُولُ

يَا مَنَ إِذَا رُمْتُ مَدْحًا فِيهِ يَسُرُّهُ ... فَهَانَ لِي فِي بُحُورِ الشِّعْرِ تَفْعِيلُ

يَا مَنْ إِذَا قُلْتُ مَدْحًا فِي شَمَائِلِهِ ... فَالوَصْفُ مِسْكٌ وَفِيهِ النَّظْمُ مَغْسُولُ

يَا ربِّ عَبْدُكَ فِي بَابِ الرَّجَا وَلَهُ ... فِي مَدْحِ أَحْمَدِ تَرْتِيبٌ وَتَرْتِيلُ

نَزِيلُ بَابِكَ يَرْجُو رَحْمَةً وَسِعَتْ ... وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ عَنْ مَوْلاهُ تَحْوِيلُ

فَاغْفِرْ لَهُ وَلِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ ... تَغْفِرْ لَهُ فَعَلَيْهِ السِّتْرُ مَسْبُولُ

ثُمَّ الصَّلاَةُ وَتَسْلِيمُ الإِلَهِ عَلَى ... بَدْرٍ بِهِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ تَلْمِيلُ

مُحَمَّدٌ الْمُصْطَفَى وَالآلُ ثُمَّ عَلَى ... أَصْحَابِهِ مَا بَدَا شَرَفٌ وَتَأْصِيلُ

دعاء وتوسل: اللهم إني أؤمن بك حقًا، ونبيك صدقًا، وبملائكتك ورسلك، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من عندك، وأقر بوحدانيتك، وأستعينك، وأتوكل عليك، وأستغفرك وأتوب إليك، وأخشى سطوتك وأرجو رحمتك وأشهد ألاّ إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأنّ محمدًا عبدك ورسولك، عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث من الآمنين الفرحين المطمئنين المستبشرين برحمة الله وكرمه، جزى الله سيدنا ونبينا محمدًا ﷺ عنا خيرًا كما

هو أهله، وحياه بالسلام، يا لطيف يا كافي يا حفيظ يا شافي يا رحيم يا باقي يا كريم يا الله، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سبحان الله ملأ الميزان ومبلغ الرضا وزنة العرش، لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر، وعدد كلماته التامات كلها، أسألك السلامة برحمتك يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبي الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا.

وحسبك يا أخي ما تلي من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار المروية، وأقوال أئمة الدين المرضية، والدعاء لجنابكم الشريفة بكرةً وعشية.

نفعني الله وإياك بما فيه وما هو مشتمله عليه، وأوصلك إلى الخيرات بسببه إنه الكريم الرحيم ومنه السلام والتسليم، لاشك أنك يا أخي منور البصيرة صافي القلب والسريرة، وفقك الله لذلك وسلك بنا وبك أشرف المسالك، وتقبل الله منك يا أخي الجميل وقابلك عليه بالثواب الجزيل.

اللهم ثبت دولة هذه السلطنة الشريفة العثمانية، والعصابة العادلة المحمدية لا زال بعون الله، وعنايته محفوظة محروسة محمية بجاه سيدنا محمد خير البرية، وآله الأنجم الظاهرة الزكية آمين أهل البيت الشريف ذوي الاحترام وأولياء الله الكريم لا تنكر ومناقبهم وكراماتهم حال الحياة وبعد الممات أشهر من أن تذكر يعجز القلم عن الحصر واللسان عن الوصف، وهذه قطرة من البحر المحيط أو ذرة من سعة البسيط خلافًا للفرقة المعتزلة وما دسوه على الأئمة، وإنما حملنا على ذكر هذه المناقب الشريفة شدة الاعتقاد، وترك الانتقاد، زادني الله وإيَّاكم حبًّا لهم واعتقادًا.

فتأمل يا أخي بعين بصيرتك ما ذكر في هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير المعنى المهذب المبنى ما يغني الناظر فيه عن كثير من المطولات، وعن صرف الفكر إلى التأويلات، فقد قدمنا لكم فيه التحرير الشافي والقول الوافي والجواب الكافي.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوقع هذا في صدور الأفاضل مواقع القبول وأن يصونه من نظر كل حاسد وجهول وأن يزينه بزينة الإخلاص وأن يجعل ثوابه لمؤلفه وقارئه ومستمعه والناظر فيه النجاة يوم القصاص، إنه على ذلك قدير وبإجابة الدعاء وتحقيق الرجاء جدير.

خاتمة النسخة

تمّ الكتاب بعون الله الكريم الوهاب، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد.

وكان تأليفه على يد جامعه، ومؤلفه العبد الفقير إلى مولاه الغني أحمد الحنفي بن منصور الجندي لطف الله به، وعفا عنهما أجمعين.

وكانت الكتابة في سنة خمس وسبعين بعد الألف على يد كاتبه الفقير الحقير الراجي عفو ربه القدير محمد بن دوست محمد البلخي غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه، ولمن دعا له بالفوز.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نفحات القرب والاتصال
بإثبات التصرُّف للأولياء بعد الانتقال

تصنيف

شيخ الإسلام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الحموي المصري

المتوفى ١٠٩٨ هـ



تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمصنف

هو الشيخ إمام الأئمة السيد أحمد بن محمد مكي ، أبو العباس شهاب الدين الحسيني الحموي، المصري، الحنفي.

أخذ العلم من الشيخ الأجهوري، وابن علان، والطوخي، والبشبيشي، والغزي، واللقاني وغيرهم.

من مصنفاته:

- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر لابن نجيم.
- الدر النفيس في تبيان نسب الشافعي محمد بن إدريس.
- نثر الدر الثمين على شرح مُلا مسكين.
- تلقيح الفكر شرح نخبة ابن حجر.
- الدر الفريد في بيان حكم التقليد.
- النفحات المسكية في صناعة الفروسية.
- إتحاف الأذكياء بتحقيق عصمة الأنبياء.
- شرح كنز الدقائق.
- حسن الابتهاج برؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج.

وغيرها كثير.

وتوفي الشيخ رحمه الله سنة ١٠٩٨ هـ.

وانظر ترجمته في:

- عجائب الآثار للجبرتي (١/١١٤).
- معجم المؤلفين لكحالة (١/٢٥٩).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مقدمة المصنف

الحمد لله الذي شرّف أولياءه بأنواع الكرامة، ومتّعهم بالنظر إلى وجهه في دار المقامة ، فهم في روضات الجنات يحبرون، قال تعالى: ﴿**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس:٦٢]، قد تركوا زخارف الدنيا، وأووْا من هجيرها إلى ظله فرحين بما آتاهم من فضله، فهم المميزون عن غيرهم في عالم الرفات ببقاء كراماتهم بعد الممات، كما دلَّ على ذلك إطلاق عبارات الأئمة الذين هم هداة الأمة.

والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه، وأكرم أصفيائه سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات الظاهرة، والكرمات الباهرة.

وعلى آله وأصحابه ذوي النفوس القدسية، والأخلاق الأُنسية، ما سَطعت أنوار الكرامات لأوليائه بعد الممات.

وبعد ...

فقد جرى في المجلس العالي، مجمع المفاخر والمعالي، مجلس سيد الوزراء حقًّا، المؤيد من السماء صدقًا، الوزير الأعظم، والدستور المفخم، أكرم الوزراء، وأعظم الكبراء، كافل الديار المصرية، والأقطار اليوسفية، الوزير عبد الرحمن باشا، بلغه الله في الخيرات ما يشاء: الكلام على كرامات الأولياء، وأنها هل تنقطع بالموت، وأن الأولياء هل لهم تصرف في الحياة بعد الممات في البرزخ؟ وإن مَن اعتقد ظهور الكرامة لهم بعد الموت هل يكفر؟

وطلب مني – حفظه الله تعالى وحباه وكَبَت أعداءه –: تحرير الكلام على ذلك، والتقصي عما هنالك، فأقول وبالله الهداية إلى سواء السبيل:

مَن هو الولي:

قال العلامة الثاني سعد الدين التفتازاني:

الولي: هو العارف بالله تعالى وصفاته، المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللّذات والشهوات.

الفرق بين خوارق العادات:

الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان، والعمل الصالح؛ يكون استدراجًا، وما يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة، وهي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يُعجز المنكرين عن الإتيان بمثله[1].

الدليل على وقوع الكرامة:

والدليل على حقيقة الكرامات: ما تواتر عن الكثير من الصحابة، ومن بعدهم بحيث لا يمكن الإنكار خصوصًا الأمر المشترك، وإن كانت الأحاديث دالة للتفاصيل آحادًا، وأيضًا الكتاب ناطق بظهورها من مريم على القول: بأنها وليَّة لا نبيَّة، وهو الصحيح، ومن صاحب سليمان عليه السلام، وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز يعني: بدعوى أن الكرامة أمر ممكن، وكل ممكن جائز الوقوع.

---

(١) فائدة: قد يتهم الفلاسفة بإنكار الكرامات والمعجزات الحسية من حيث إنهم يعتقدون بالتلازم الضروري في الاقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات، فليس في الإمكان إيجاد السبب دون المسبب، ولا وجود المسبب دون السبب، ويترتب على هذا إنكار الالفلاسفة الأمور الخارقة للعادة، التي قد تكون معجزة أو كرامة مثل قلب العصا ثعباناً وإحياء الموتى وشق القمر، ومن المعلوم أنهم يثبتون ثلاث قوى تصدر عنها الأفعال الخارقة وهي:

١- القوة المتخيلة ٢- القوة النظرية العقلية ٣- القوة النفسية العملية.

وانظر: تهافت الفلاسفة للغزالي (ص٢٣٦)، والكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد (ص١٢٦)، والإشارات والتنبيهات لابن سينا، القسم الثالث (ص١١٦)، والإرشاد للجويني (ص٣١٦).

ثم قال بعد كلام: والحاصل أن الأمر الخارق للعادة فهو بالنسبة إلى النبي ﷺ معجزة سواء ظهر ذلك من قبله أو من قبل آحاد من أمته، وبالنسبة إلى الولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله، فالنبي لا بد له من علمه بكونه نبيًا، ومن قصد إظهار خوارق العادات، ومن حكمه قطعًا بموجب المعجزات بخلاف الولي، انتهى الكلام مع زيادة تقرير له.

هل تقع الكرامة بعد الموت؟

ومنه يعلم أن الكرامة لا تختص بحال الحياة، فلا تنقطع بالموت، بخلاف المعجزة للنبي حيث اعتبر في حقيقتها الاقتران بدعوى النبوة، وقصد إظهارها عند تحدي المنكرين، وحينئذ فما يظهر من الخوارق بعد موت الأنبياء؛ يكون كرامة لهم لا معجزة، فمَن أطلق عليها لفظ المعجزة؛ فقد تسمَّح بخلاف كرامة الوالي، إذا لم يعتبر في حقيقتها دعوى الولاية، وقصد إظهار الكرامة؛ بل الولي مظهر لها إذ هي كما تقدم عبارة عن الأمر الخارق للعادة، وهو الفعل الذي لا يدخل تحت كسب العبد واختياره؛ بل هو حاصل بفعل الله تعالى، والولي مظهر له: أي محل الظهور، وفي هذا لا فرق بين حياة الولي وموته.

هذا ما أفاده كلام المحقق التفتازاني في شرح العقائد النسفية.

أدلة وقوع الكرامة بعد الموت عقلاً:

فإن قلت: ما الدليل على جواز وقوع الكرامة بعد الموت، وعدم اختصاصها بحال الحياة؟

قلت: الدليل على ذلك: إن الكرامة بعد الموت أمر ممكن، وكل ممكن جائز الوقوع، فالكرامة بعد الموت جائزة الوقوع، إذ لو لم نقل بجواز الوقوع للزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح، وهو محال[1].

---

(١) فائدة: في جواب لسيدي علي الخواص حسبما في «الدرر» التصريح بأن الأولياء لهم الإطلاق والسراح في البرزخ، فليسوا كغيرهم، ولا شكَّ أن الصحابة رضي الله عنهم هم سادات الأولياء وأئمتهم، وخصوصًا الخلفاء المفضلون بالنص الصريح، رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم آمين.

وأيضًا لو قلنا بعدم جواز الوقوع مع كونها مخلوقة لله تعالى ومقدورة له، إذ هي من جملة الممكنات وقدراته تعالى متعلقة بجميع الممكنات بأسرها إيجادًا وإعدامًا على وفق إرادته تعالى، لزم تعجيز القدرة، تنــزَّهت قدراته تعالى عن ذلك.

الدليل النقلي على وقوع الكرامة بعد الموت:

فإن قلت: لا يلزم من جواز الوقوع فهل ثم دليل على الوقوع؟

قلت: نعم، وهو ما نقله الحافظ عبد العظيم المنذري في كتاب «الترغيب والترهيب»، حيث قال: عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ضرب بعض الصحابة خباءه على قبره، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا أحسب أنه بئر، فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك، فقال النبي ﷺ:

«**هي المنجية، هي المانعة، تنجيه من عذاب القبر**»[1] رواه الترمذي، وقال حديث غريب، انتهى، قال شارحه الفاضل الفيومي: ورواه الحاكم، انتهى.

وهذا دليل على وقوع الكرامة بعد الموت بتقريره ﷺ، حيث أقر قراءة الميت سورة الملك، وقال: «**هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر**».

وتقريره ﷺ دليل شرعي تثبت به الأحكام كما تقرر في محله من الأصول.

الرد على مَن أنكر وقوع الكرامة بعد الموت:

ولا يعارض ما حررناه، وبالدليل أثبتناه قول قاضي القضاة الأوشي الحنفي في منظومته في العقائد المسماة ببدأ الأمالي فقال:

كراماتُ الـولي بـدارِ دُنيـا لها كونٌ فهمِ أهـلِ النَّـوالِ

إذ ليس بنص، ولا ظاهر في انقطاع الكرامات بالموت، واختصاصها بحال الحياة؛ لأن الدنيا عبارة عن كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل

---

(١) رواه الترمذي (٥/١٦٤).

الدار الآخرة، ولا شكَّ أن البرزخ من المخلوقات الموجودة قبل الدار الآخرة فالمراد بالدنيا في كلامه: ما قابل الآخرة، وهي ما بعد الموت من القبور لا ما قبله حتى يشمل ما بعد الموت إلى البعث، وإن احتمله الكلام احتمالاً غير مؤيد بدليل.

ومن ثمة نقل ابن القيم عن أبي يعلى: أن عذاب القبر من الدنيا، لانقطاعه قبل البعث بالفناء، ولا يعرف أمد ذلك، وأيّده الجلال في «شرح الصدور» ويؤيده ما أخرجه هنَّاد بن السري في «الزهد[1]» عن مجاهد قال: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة، فإذا صيح بأهل القبور، يقول الكافر: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢].

فيقول المؤمن من جنبه: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢].

في المواهب اللدنية بإسناد صحيح إلى عكرمة مولى ابن عباس أنه سئل عن يوم القيامة: أهو في الدنيا أم في الآخرة؟ فأجاب: بأن نصفه الأول الذي يقع فيه الفصل والحساب من الدنيا، ونصفه الآخر الذي يقع فيه الانصراف إلى النار من الآخرة، انتهى.

فإذا كان يوم القيامة بعد فناء البرزخ وما يتعلق به حكم في نصفه الأول بأنه من الدنيا فبالأولى أن يحكم على البرزخ أنه من الدنيا حقيقة، فعلى هذا يؤخذ جواز وقوع كرامات الأولياء بعد الموت من قوله: (بدار دنيا)، ومن ثمة لم يتعرض أحد فيما رأيته في شروح النظم مع كثرتها إلى التصريح بانقطاع الكرامات؛ بل قال شارحه الجلال: التقييد بدار دنيا؛ لأن الاختلاف بين أهل السنة والمعتزلة وقع فيها؛ لأنها دار محل كرامة جميع المؤمنين.

وقال شارحه السمهودي: ينبغي أن يكون ظهور الكرامات لهم بعد موتهم، أولى من ظهورها حال حياتهم؛ لأن النفس باقية صافية من الأقذار والمحن

---

(١) رقم (٣١٩)، بتحقيقنا.

وغيرها، وقد شوهد ذلك من كثير منهم بعد موته، وقد يدخل ذلك في كلام الناظم، فإن قوله: (بدارِ دنيا) صادق بحياته وبعد موته انتهى.

الرد على من نسب إنكار وقوع الكرامة بعد الموت إلى الإمام أبي حنيفة ﷺ:

وبهذا ظهر أن مَن احتج بهذا البيت على انقطاع الكرامات بالموت حتى نسب إلى مذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - القول بانقطاع الكرامات بالموت واهم، وعن طريق أهل الهدى ضال، إذ لم يثبت في شيء من كتب مذهب أبي حنيفة أصولاً وفروعًا القول بانقطاع الكرامات بالموت، بل لم يثبت في شئ من كتب المذاهب الثلاثة، فمَن ادعى ذلك فعليه البيان، وعند الامتحان يكرم المرء أو يُهان.

وفي شرح مقدمة الإمام ابن الليث السمرقندي الحنفي الفاضل القرماني ما نصه: ومن كرامات الإمام أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- بعد الموت، ما رواه الأئمة أنه لمّا غُسِّل -رحمه الله- ظهر على جانبه سطر: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ*ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً*فَادْخُلِي فِي عِبَادِي*وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ [الفجر:٢٧،٢٨،٢٩،٣٠].

وعلى يده اليمنى: قوله تعالى: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:٣٢]، وعلى يده اليسرى: قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**﴾ [الكهف:٣٠]، وعلى بطنه: قوله تعالى: ﴿**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ**﴾ [التوبة:٢١]، ولمّا وضعوه على الجنازة سُمع صوت هاتف يقول:

يا قائمَ الليلِ طويلَ القيـــامِ　　كثيرَ التهجدِ كثيرَ الـــصيامِ

أباحكَ السيدُ دارَ السلامِ

ولمّا وضع في قبره سُمع هاتفًا يقول: ﴿**فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾ [الواقعة:٨٩]، هذا ما يتعلق بعدم انقطاع الكرامات بالموت.

الكلام على تصرف الأولياء، والمراد منه:

وما يتعلق بالتصرف، فاعلم أن تصرف الأولياء حال حياهم من جملة كراماهم، وهو في كل زمان لا شك فيه، ولا ينكره إلا معاند.

قال التاج السبكي: إن من أنواع الكرامة مقام التصريف.

وأمّا ما يتعلق بما بعد مماهم، فقد تقدم أن كرامتهم لا تنقطع بالموت.

ثم إن تصرف الأولياء في حياهم وبعد مماهم؛ إنما هو بإذن الله تعالى وإرادته، لا شريك له في ذلك خلقًا وإيجادًا، أكرمهم الله تعالى به، وأجراه على أيديهم، وبسببهم خرقًا للعادة، تارة بإلهام، وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم؛ بل قد حصل من الصبي غير المميز، وتارة بالتوسل إلى الله تعالى بهم في حياهم، وبعد مماهم مما هو ممكن في القدرة الإلهية.

ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك منهم قبل الموت وبعده نسبتهم إلى الخلق والإيجاد والاستقلال بالأفعال، فإن هذا لا يقصده مسلم، ولا يخطر ببال أحد من العوام فضلاً عن غيرهم، فصرف الكلام إليه ومنعه من باب التلبيس في الدين، والتشويش على عوام المسلمين، فلا يظن بمسلم بل ولا بعاقل توهم ذلك فضلاً عن اعتقاده.

التحذير من المجازفة بتكفير مَن يقول بالتصرف للأولياء بإذن الله تعالى:

وكيف يحكم بالكفر على مَن اعتقد ثبوت الكرامات لهم بعد مماهم، وعلى مَن اعتقد ثبوت التصرف لهم في حياهم وبعد مماهم، حيث كان مرجع ذلك إلى قدرة الله تعالى خلقًا وإيجادًا.

كيف وكتب جمهور المسلمين طافحة به، وإنه جائز وواقع لا مرية فيه بوجه البتة، حتى كاد أن يلحق بالضروريات بل بالبديهيات، وذلك لأن كرامات أولياء هذه الأمة في حياهم وبعد مماهم، تصرفًا وغيره من جملة معجزات النبي ﷺ الدالة على صدق نبوته، وعموم رسالته الباقية بعد مماته التي لا ينقطع دوامها، ولا تجددها بتجدد الكرامات في كل عصر من الأعصار إلى يوم القيامة.

الرد على منكري الكرامة والتصرف بعد الموت:

ثم إن المنكر للكرامات بعد الموت، والتصرف حل الحياة وبعد الموت، إمَّا أن يصدق بكرامات الأوفياء أو يكذب بها، فإن كان ممن يكذب بها؛ فقد سقط البحث معه، فإنه يكذب ما أثبتته السنة بالأدلة الواضحة، وإن كان ممن يصدق بها؛ فالكرامة بعد الموت، والتصرف في حال الحياة وبعد الممات من جملة الكرامات.

قال العلامة ابن حجر:

ليس العجب من إنكار المعتزلة للكرامات؛ فإنهم خاضوا فيما هو أقبح من ذلك، وأنكروا النصوص المتواترة المعنى عن النبي ﷺ كسؤال الملكين وعذاب القبر والحوض والميزان، وغير ذلك من عظيم كذبهم وافترائهم، لتقليدهم لعقولهم الفاسدة وتحكيمهم لها على الله وآياته وأسمائه وصفاته، فما رأوه موافقًا لتلك العقول السقيمة الفاسدة اللئيمة قبلوه، وما لم يروه لم يبالوا بتكذيب القرآن والسنة والإجماع؛ لأن كلمة الغضب حقت عليهم، وقبائح المذام تسابقت إليهم.

وإنما العجب من قوم تسموا باسم أهل السنة، ومع ذلك يبالغون في الإنكار؛ لأن كلمة الحرمان حقت عليهم حتى ألحقتم بأهل البوار، وأوجبت عليهم نوعًا من الوبال والخسران، وهؤلاء أقسام: منهم مَن ينكر على مشايخ الصوفية وتابعيهم، ومنهم من يعتقدهم إجمالاً، وإن لهم كرامات ومتى عين له واحد أو رأى كرامة أنكر ذلك؛ لما خيل له الشيطان، ولبَّس عليه، وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان انتهى.

أقسام الناس في التصديق بالكرامات:

وفي روض الرياحين الناس في الكرامات أقسام:

- منهم مَن يُنكرها مطلقًا، وهم أهل مذهب معروفون، وعن الهدى والتقوى مُصْرَفُون.

- ومنهم من يصدق بكرامات من مضى دون أهل زمانه، وهم كبني

إسرائيل صدَّقوا بموسى عليه السلام حين لم يروه، وكذبوا بمحمد ﷺ حين رأوه مع كونه أعظم.

- ومنهم من يصدق بالأولياء لكن لا يصدق بأحد معين، وهذا محروم من الإمداد؛ لأن من لم يسلم لأحد معين لا ينتفع بأحد أبدًا.

قلت: وقد حدث الآن بديار الروم طائفة تُسمى القاضي زادليَّة، تثبت كرامات الأولياء حال حياتهم، وينكرونها بعد وفاتهم، وتنكر كرامات التصرف حال حياتهم وبعد مماتهم، وهؤلاء وإن لم يبالغوا كالمعتزلة في الإنكار، فهم على شفا جرف هار.

ما يعين على التصديق بالكرامات:

قال العلامة ابن حجر:

ومطالعة كتب الصوفية تحصل العلم بوقوعها ضرورة، وقد رأينا من كراماتهم أحياءً وأمواتًا ما يوجب ذلك، فلا ينكرها إلا مخذولٌ فاسدُ الاعتقاد في أولياء الله تعالى وخواص عباده نفعنا الله بهم انتهى.

قال العلامة الثاني سعد الدين التفتازاني في «شرح المقاصد» بعد الكلام:

وبالجملة: فظهور كرامات الأولياء تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء، وإنكارها من أهل البدع ليس بعجيب، إذ لم يشاهدوا ذلك في أنفسهم، ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم في العبادات، واجتناب المنهيات، فوقعوا في أولياء الله أهل الكرامات يأكلون لحومهم، ويخرقون أديمهم، جاهلين كون هذا الأمر مبنيًا على صفاء العقيدة، ونقاء السريرة، واقتفاء الطريقة؛ بل العجب من قول بعض فقهاء أهل السنة فيما يروى عن إبراهيم بن أدهم، إنه رؤي بالبصرة وبمكة يوم التروية: أن من اعتقد جوازه؛ فقد كفر، والإنصاف ما قاله النسفي، وقد سُئل عما قيل: إن الكعبة كانت تزور أحد الأولياء هل يجوز القول به؟

فقال: نقض العادة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة.

قال اليافعي: ومعلوم أن الكعبة في مكانها لم تفارقه، وإن من وراء العقل طورًا آخر انتهى.

تصحيح مفهوم مَن أنكر الكرامة، ونسب ذلك لبعض أهل السنة:

قال الإمام السبكي: إني لأتعجب كل العجب من منكر الكرامات، ويزداد تعجبي منه عند نسبة إنكارها للأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني، وهو من أساطين أهل السنة، والجماعة على أن نسبة إنكارها إليه كذب، وإنما الذي ذكره الرجل في كتبه، إنها لا تبلغ خرق العادة حيث قال: ما كان معجزة لنبي لا يجوز مثله كرامة لولي، وإنما غاية الكرامات إجابة دعوة، وشربة ماء في مفازة أو كسرة في منقطعة، أو ما يضاهي ذلك انتهى.

وجرى على نحوه الإمام الحليمي، ثم الأستاذ القشيري، فقال: الكرامة لا تنتهي إلى وجود ولد من غير أب وقلب جماد بهيمة.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا أعدل المذاهب، وجرى على ما قاله القشيري التاج السبكي في «جمع الجوامع».

قال الزركشي: ليس الأمر كما قال؛ بل الذي قاله القشيري مذهب ضعيف، والجمهور على خلافه، وقد أنكروا عليه حتى ولده أبو النصر في كتابه «المرشد»، وإمام الحرمين في «الإرشاد».

قال الإمام النووي في «شرح مسلم» في باب البر والصلة[1]: إن الكرامات تجوز بخوارق العادات على اختلاف أنواعها، ومنعه بعضهم وادعى إنها تختص بمثل إجابة دعوة ونحوه، وهذا غلط من قائله، وإنكار للحس؛ بل الصواب جريانها بقلب الأعيان.

وقال المحقق التفتازاني في «شرح المقاصد» بعد كلام:

قال إمام الحرمين: والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العادات في معرض الكرامات، وإنما تمتاز عن المعجزات بخلوها عن دعوى النبوة، نعم قد يرد في بعض المعجزات نص على أن أحدًا لا يأتي بمثله أصلاً كالقرآن، وهو لا ينافي الحكم بأن كل معجزة لنبي جاز أن تكون كرامة لولي؛ لأن الامتناع هنا يعارض انتهى.

(١) انظر: (١٦/١٠٨).

ومثله الإسراء والمعراج، يقظة بالروح والجسد، وعلم الخمس التي استأثر الله بعلمها، وكذلك العلم بحقيقة الروح.

تنبيه:

ذكر الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه «الجواهر والدر» أن بعض مشايخه ذكر له أن الله يوكل بقبر الولي ملكًا يقضي حوائج الناس، كما وقع للإمام الشافعي، والسيدة نفيسة، وسيدي أحمد البدوي، يعني: في إنقاذ الأسير من يد أسره من بلاد الإفرنج.

وتارة يخرج الولي من قبره بنفسه يقضي حوائج الناس؛ لأن للأولياء الانطلاق في البرزخ، والسراح لأرواحهم انتهى.

تحقيق القول في عالم المثال[1]، وتطور الولي:

(١) اعلم أنَّ الحق سبحانه وتعالى ربط العوالم والموجودات جليلها وحقيرها، كبيرها وصغيرها بعضها ببعض، وجعل بعضها مرائي ومظاهر للبعض، فالعالم السفلي بما فيه مرآة للعالم العلوي، ومظهر لآثاره، وكذلك العالم العلوي مرآة تتعيَّن فيه أرواح أفعال العالم السفلي تارة وصورها تارة أخرى، والمجموع تارة أخرى، وعالم المثال الكلي من حيث تقيده في بعض المراتب، ومن حيث عموم حكمه وإطلاقه أيضًا مرآة لكل فعل وموجود، ومرتبته وانفراد الحق سبحانه بإظهار كل شيء على حد علمه به لا غير، وجعل ذلك الإظهار تابعًا لأحكام النكاحات الخمس التابعة للحضرات الخمس، فظهور الموجودات على اختلاف أنواعها وأشخاصها متوقف على سر الجميع النكاحي على اختلاف مراتبه المذكورة، وأحكامها المشار إليها، فإن قيل: ما الحضرات الخمس وما بيانها؟.

قلنا: اعلم أن الحضرات الكليَّة التي إليها الاستناد والمرجع هي الخمسة التي أولها:

الغيب الإلهي الذي هو معدن الحقائق والمعاني المجردة الإجمالية.

وثانيها: الغيب الإضافي وهو عالم الأرواح المجردة.

وثالثها: عالم المثال يتصور فيها الأرواح كالأشباح.

ورابعها: عالم الشهادة ولها الصور المركبة الطبيعية والبسيطة.

وخامسها: الأمر الجامع وكل موجود لا بد أن يستند إلى أحد هذه المراتب الخمس، أو يكون مظهر الحكم الجميع كالإنسان الكامل. ولها باعتبار آخر تفصيل آخر وهو هكذا غيب الغيب، وهو التعين الأول الإجمالي، والغيب الثاني هو التعين الثاني حضرة حقائق الأسماء والأعيان الثانية، والشهادة الإضافية وهي عالم الأرواح والشهادة الحقيقية، وهي عالم الأشباح وعالم المثال ما بين الشهادتين، وهي عالم تتنزل فيه الأرواح على صورة الأشباح، وتتروحن الأجسام إليه وتصير أجسادًا، فالأمر الجامع بهذا الاعتبار تصير المرتبة السادسة الجامعة للكل فافهم.

أقول: تحقيق قوله: (وتارة يخرج الولي من قبره ...إلخ): إن الذي عليه المحققون من الصوفية أن الأمر في عالم البرزخ والآخرة على خلاف عالم الدنيا، فيحضر الإنسان في صورة واحدة في عالم الدنيا المُسمى بـ (عالم الشهادة) إلا الأولياء كما نقل عن الشيخ قضيب البان[1]: أنه رؤى في صور مختلفة.

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن عيسى بن يحيى بن عبد الله بن أبي جعفر محمد الثعلب بن عبد الله الأكبر، ابن محمد الأكبر، ابن موسى الثاني، ابن عبد الله، ابن موسى الجون، ابن عبد الله المحض، ابن حسن المثنى، ابن الإمام الحسن السِّبط، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

.وأمه الكريمة أم الخير زهرة بنت أبي الرِّضا يحيى بن أبي الغنائم محمد بن سيف الدين موسى، ابن أبي زيد الإمام محمد الجواد، ابن الإمام عليّ الرِّضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين، والسبط ابن الإمام عليّ بن أبي طالب- رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

كان ﷺ وأرضاه جليلاً جميلاً حسن الشكل والقد، ولذلك سموه قضيب البان وغلب عليه المشيخة، فقيل الشيخ قضيب البان، وهو ﷺ من السيادة في أشرف مكان، وكان ﷺ معتقد الملوك والخلفاء العباسية، تُوفي أبوه وهو صغيرٌ وضمه إليه السيد الشريف عبد الله بن يحيى الموصلي وأحسن تربيته، وُلد ﷺ بالموصل في شهر رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وتُوفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وفي تاريخ المؤيد أنه ﷺ تُوفي سنة سبعين وخمسمائة تقريبًا، ولم يكن في آل الحسن في عصره مثله، ولا في الموصل من السادة الحسنية غير أهل هذا البيت كلهم أماجد، وقضيب البان غرة جبهة هذا البيت- رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وغالب سادات الموصل من أبي الحسن عبد الله الأعرج أبي الحسين الأصغر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ويكنّى أبوه ﷺ بأبي ربيعة، وجده بأبي الخضر، وكلهم أفاضل بحر بن بحر، تُوفي أبوه وله اثنتا عشرة سنة، وتعلم القرآن وحفظه وهو ابن تسع سنين، وأحسن علم القراءة والتجويد والعربية، وشيئًا من فقه الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، وأخذ الحديث والفقه عن الشيخ أبي الحسن عليّ بن إدريس وغيره، وصحب الشيخ عبد القادر الكيلاني، ولبس منه الخرقة، وصحب الشيخ الأجل حيوة بن قيس الحرَّاني، والشيخ عدي بن مسافر الهكاري، وتتلمذ لمشايخ عديدة كبار كلهم أقطاب، =

فحرقت له العادات، وظهرت على يده الكرامات، وكانت له قدم راسخة في قطع المسافات البعيدة في اللحظات اليسيرة، وكان يصلّي إمامًا بالشيخ عدي بن مسافر ثم استدعاه الشيخ عبد القادر الكيلاني، فصلّى به نحو عشرين سنة، وكان يطول له الزمان فيفعل في الوقت اليسير من أعمال البر ما لا يقدر على حمله في الشهور الكثيرة، تطوى له الحروف والكلمات، ويطول له الزمان فكان يختم القرآن في اليوم سبعين ختمة، وكان له التصريف في العالم العلوي والسفلي، وطارت مناقبه في جميع الأقطار، وكان الغالب على أحواله في بداية أمره الاستغراق والوله، ثم انتقل إلى مرتبة القطبية والتصريف، وكان في أول أمره ربما شطح فقطع الهامة البعيدة في الزمن اليسير، ثم يعود إلى محله.

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: وجهت وجهي إلى الله تعالى، واستغرقني الحال، واختطفني الشهود زمانًا حتى تداركني الله تعالى بالعناية، ورأيت الحق تبارك وتعالى في منامي فقال لي: أنت عبدي حقًا قد جعلتك من أهل صفوتي، وأيدتك بروح مني في خلقي، ارجع إلى خلقي على سنة جدك محمد عبدي ورسولي ﷺ، فلما رجعت إلى حسي رأيت النبي ﷺ وابن عمه عليًا ﷺ واقفين على رأسي، آخذا كل منهما بيدي -رضي الله تعالى عنهما- وكان الشيخ حيوة بن قيس الحرّاني ﷺ يحبه محبة عظيمة، وكان يلازم مجلسه، ويتزاوران وما كان يقع عليه بصر أحد إلا أحبه وهابه واجتذب قلبه، وكان الناس يقصدونه من كل قطر وناحية، ويستشفون به من كل عارض، وكانت الموصل والعراق في زمنه آمنة من القرع والخطف، وحملوا إليه أعمى مقعدًا، فصرخ صرخة عظيمة انصدعت لها القلوب، فقام يمشي بصيرًا، واكتبوا على أقدامه يقبلونها، وهو ﷺ يتبسّم.

ومن كلامه ﷺ: لكل زمان فرد يخلو بأسرار الله تعالى، ويقوم وحده بأمر الله تعالى فلا تتحرك ذرة في العالم العلوي والسفلي حتى يحيط بها علمًا، ويراها عينًا ويعطيها من الوجود فيضًا لبقاء عينها.

وقال بعض أصحابه: كنّا نراه سنة لا يأكل ويشرب، وسنة لا يشرب ويأكل، وسنة لا يأكل ولا يشرب، وكان يتطور بأي هيئة شاء، وكنّا نراه ينمو حتى يملأ البيت، ويصغر حتى لا يكاد يُرى، ويعلو في الجو حتى يغيب في السماء، ثم يهبط نازلا، وسُئل عن حالة نموه فقال: هي حالة الجمال، وعن حالة اضمحلاله فقال: هي حالة الجلال، وكان يسكن بقصر له في المعْلى، وكان للقصر طاقات كثيرة من جوانبه الأربعة فوق أربعين طاقة، فمرّ الخليفة العباسي على القصر، فناداه من أسفل القصر، والناس ينظرون فنظر الشيخ إليه من جميع الطاقات، فدخل الخليفة عليه، وصار يقبّل قدميه وهو يتبسّم في وجهه.

=

وذكر يومًا عند الشيخ رضي الدين يونس في مدرسته، فوقعوا فيه، ووافقهم يونس، فبينما هم كذلك إذ دخل السيد قضيب البان فبهتوا فقال: يا يونس هل تعلم علم الله كله؟ فقال: لا، فقال: فإن كنت أنا مِن عِلم الله الذي لا تعلمه فلم يدرِ يونس ما يقول، ثم خرج عنهم فتبعه أبو محمد عبد الله الماردي، وكان في الجماعة يريد أن يطلّع على بعض أحواله فرقبه إلى الليل، فخرج من الموصل، وقد فتح الله تعالى له الباب، وكان مغلقًا ومشى حتى انتهى في زمان يسير إلى نهر عنده شجرة عليها ثياب معلّقة فاغتسل ولبسها، وقام يصلّي إلى الفجر، وغلب النوم على الماردي، فاستيقظ فلم يره فوقف متحيّرًا فمرّ به ركب فسألهم عن الموصل، فقالوا: هي على قدر ستة أشهر عنّا، فمكث إلى الليل، فإذا بالسيّد قضيب البان قد أقبل، وعمل عمله الليلة السّابقة، فلمّا أضاء الفجر تبعه الماردي، فما كان إلا يسير حتى وصل إلى الموصل، والتفتُ إليه فعرك أذنه.

وقال: لا تعد إلى الإنكار، وإياك وإفشاء الأسرار، قال: وصلينا الصبح مع الناس، وكان قاضي الموصل مسيء الظن بالسيّد قضيب البان في بداية أمره، وعزم أن يكلّف السلطان إخراجه من الموصل، ولم يقل لأحد عمّا في نفسه، فلقيه في بعض الأزقة منفردين، وتمنى لو كان معه أحد ليأمره بإمساكه، فتحول إلى هيئة كُردي.

ثم انتقل إلى صورة جندي، ثم في صورة بدوي في أربع خطوات خطاها، ثم قال للقاضي: يا قاضي هذه أربع صور رأيتهن، فمن هو قضيب البان من هذه الصور حتى تقول للسلطان في إخراجه من الموصل؟ فلم يتمالك القاضي أن أكبّ على يديه وقدميه يقبلهما، واستغفر الله تعالى من ذلك الخاطر.

ولما تُوفي الشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان قد أوصى ألا يُغسِّله غير السيد قضيب البان، والشيخ شهاب الدين السهروردي فحضرا فغسَّله السيد قضيب البان، وصبَّ الماء السهروردي، ونزل في قبره السيِّد قضيب البان، وكان يُدعى هو ومريدوه إلى بيوت الناس في الليلة الواحدة، فيجيب كل داعٍ عزم عليه، وإن كانوا عشرين، ثم يدخلهم قصره ويشتغل معهم بالتوحيد، فكان كل واحد منهم يراه في بيته ويقوم بخدمته وخدمة أصحابه، وهو لم يفارق زاويته، وكان يُرى في مواضع كثيرة متعددة بهيئات متخالفة في الوقت الواحد، ودعاه الخليفة إلى بيته، فأجابه وكان الخليفة إذ ذاك في الموصل، ثم دعاه الشيخ أبو العشائر الموصلي فأجابه، ثم صلّى المغرب في رباطه، وسار بالمريدين إلى بيت أبي العشائر، وصارت لهم ليلة عظيمة إلى الفجر، ثم رجع إلى زاويته فدخل عليه حاجب الخليفة يتشكّر إليه ليلته وحضوره عنده ومعه هدية سنية ونفقة كثيرة للفقراء الملازمين لزاويته، فتعجّب الناس من قوته، وتمكنه في ولايته.

=

=

وكان مشايخ عصره يقولون: إنما حال الشيخ قضيب البان من وراء العقول ومن كلامه أن الولي الروحاني لم تزل له همة متعلقة في كل دار وعالم، وله لكل عالم وجه يرى به أهل ذلك العالم على حسب مراتبهم ومقاماتهم، وإذا صرَّفه الحق تبارك وتعالى في عالم الحس لم يزل تصريفه باقيًا على حسب ما وهبه الحق تعالى من قوة سريان روحانيته؛ خصوصًا في دار الدنيا؛ فإنها محل الظهور، وإذا مات سرى سره في مقامه الذي كان يتعبد الله تعالى فيه في الدنيا، وتعلقت همته بما له من أصحاب وذرية ومريدين، ولم تزل له فيهم آية بعد انتقاله من دار الدنيا، فلمَّا نُقل ﷺ من دار الدنيا كان يشاهد أكثر أصحابه يتعبَّد الله تعالى في رباطه، ويتردد إليه في أوقات متعددة على هيئته المعروفة، ويرونه في النوم والخيال إذا قصدوه، وكانت له أخت في الموصل ضريرة حافظة للقرآن قد كبر سنها حتى جاوزت مائة سنة، وكانت مُقعدة فكان يحسن مداراتها، ولما تُوفي كانوا يرونه يتردد إليها بصورته، وكانت تسأله عن أحوال الآخرة فيجيبها، ويقضي مهمَّاتها وحوائجها حتى انتقلت إلى رحمة الله تعالى، وهذه الأحوال لم تتفق لغيره ﷺ وأرضاه.

وكان من كراماته الباهرة: أن رباطه إذا دخله جنب احترقت ثيابه من غير نار، وكان يُسمع من قبره الشريف قراءة القرآن كله خصوصًا يس في ليلة الجمعة، وكان قنديل حضرته المشرَّفة يُرى من المسافة البعيدة مشعولاً فإذا دخل الرائي مقبرته لم يرَ الذي كان يراه من البعد، وما كان يقع في ضمير أحد من الداخلين عليه شيء إلا أخبره به، وكشف له عن مشكلاته، وكان يطعمهم الثمار الطرية من الأشجار اليابسة، ويظهر لهم قلب الأعيان حتى يكون الجماد حيوانًا والحيوان جماد.

وعن الشيخ أبي الفتح المقدسي قال: كنت في بداية أمري في سنجار مجاور الجامع النوري على سبيل التجريد والتوكل، وكنت أحبُّ الاجتماع بالشيخ قضيب البان إلا أني مُقعد لا أقدر على المشي ولا أستطيع الركوب لداءٍ لحقني، قال: فدخل عليَّ ذات ليلة بعد صلاة المغرب رجل، فسلَّم عليَّ وجلس إليَّ، وأنسني، ثم أخرج لي حلوى وأطعمني، ثم قال لي: كم تطلب من الله تعالى أن يجمعك بقضيب البان؟ فقلت: بلى يا سيدي إن لي زمانًا أتمنى على الله ذلك، فقال: أنا الفقير الذي طلبته من الله تعالى، قد أرسلني الحق تبارك وتعالى إليك، فوقعتُ على أقدامه أقبلها، ثم دعا لي، ومسحَ على بدني فعوفيت، وكاشفني بكل أحوالي وخواطري التي كانت مني ونسيتها، وعاهدني، وألبسني طاقية، وقام يُصلِّي الليل كله، ويختم القرآن في ركعاته، وودعني عند الصبَّاح وانصرف عني، فأقبل عليَّ أهل البلد بالقبول، وجعلوا يتبركون بي وزوَّجوني، ولم أكن أقرأ ولا أكتب ففتح الله تعالى عليَّ ببركته كل باب خير، فكنت كلما أشتاقه أراه حاضرًا إلى جانبي.

وقال الشيخ أبو المكارم: كنت في جزيرة ابن عمر فصحبني رجلٌ صالحٌ من أهلها، ودعاني إلى منـــزله
=

فأكرمني، وذكر لي أن عليه ديونًا كثيرة، منها كرى الدار الذي يسكنها مدة طويلة قال: فتوجعت له، وعزمت أن أذكر حاله لبعض الأمراء، قال: ونمت عنده فرأيت الشيخ قضيب البان في المنام يقول: قل للرجل أن أباه كان قد أودع في هذه الدار كذا وكذا ذهبًا وفضة، وأراني الموضع، فلما استيقظت دعوت الرجل فأخبرته، فقال: صدق كانت الدّار لنا، وكان لأبي فيه وديعة ولا أعلم موضعها، وقد افتقرت وبعت الدار وعدت أستأجرها من المشتري قال: فحفرنا فظهر المال أكثر من عشرة آلاف مثقال، فقال: يا أبا المكارم خذ ما تريد، قال: فقلت: والله لا آخذ شيئًا، فألحَّ عليَّ وقال: خذه نذر للشيخ الذي دلنا على مكان المكال، فأخذت منه نصيبي، وأعطاني ألف دينار للشيخ قضيب البان قال: فلما عدت إلى الموصل استقبلني الشيخ باسمًا.

وقال: يا أبا المكارم إن الله تعالى رحم الرجل بك، وأمرني أن أعرفك بمحل ماله الذي دفنه، وغار عليك أن تذكر ذلك لأحد من أهل الدنيا ممن أضمرته بخاطرك، فألهمني أن أعرفك به منامًا قال: فخطر لي أنه كيف اطلع على ذلك مع كونه في الموصل ونحن في الجزيرة، فالتفتَ إليَّ وقال: يا أبا المكارم إن الله تعالى إذا ألبس أحدًا من خلقه خلعة ولايته، وشرّفه بقربه أطلعه على كنوز الأرض شرقًا وغربًا، وعرّفه أمر ما كان وما يكون وما هو كائن.

قال بعضهم: ولهذا المعنى قال بعض الأولياء: لو دبّت نملة دهراء على صخرة صماء في ليلة ظلماء وراء جبل قاف، ولم يطلعني بها الحق تعالى منه بلا واسطة لتفتت مرارتي.

ومنه من قال: لو حُجب عني طرفة عين لتفتت من ألم البين.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي:

خدمت السيّد قضيب البان في الموصل زمانًا طويلاً، وكنا إذا جلبنا الدراهم والدنانير يقوم فيمشي وسط رباطه خطوات، فنرى الذهب والفضة تحت أقدامه، فنأخذ ما يكفينا ونترك ما لا نحتاج إليه، وكانت الجمادات والحيوانات والنباتات تُكلّمه إذا كلّمها، وكنّا إذا سألناه عن مغيب رفع رأسه إلى الهواء ونظر إلى السماء، وسأل الله تعالى فنسمع الجواب بنطق فصيح ولا نرى شخصًا فيكون كما سمعنا، وكنا نسير معه على دجلة وكأنها تحت أرجلنا أرض صلبة، وربما كان يأمر الجانب الشرقي فيلتأم إلى الغربي أو بالعكس، ويخطوها خطوة واحدة ونحن معه، وكان إذا دخل السوق لم يقع بصره على أحد إلا قام له وأكبَّ على يده وقدمه يقبلهما.

وكان ﷺ مهابًا جميلاً لا يصرف رائيه نظره عنه حتى يغيب هو، وكان جوّادًا سخيًا وهّابًا حليمًا سهل الجانب لين العريكة، يعطي عطاء من لا يخاف الفقر.

وكان على جانب دجلة وبعض المذنّبين يقلم أظفاره فجاءته صرة فيها مائة وسبعون دينارًا فأعطاها للمزين فقال بعض الحاضرين: هي ذهب، فقال الشيخ ﷺ: كلما نراه ذهبًا قال: فرأيت الأرض كلها قد صارت ذهبًا مضروبًا فغشي على الرجل، وحُمل إلى داره مغشيًا عليه، وكان إذا غضب لله تعالى ترى دخانا نازلاً من السماء، وعجاجًا، واضطرابًا شديدًا في دجلة، وهواء عاصفًا يملأ الأقطار، فلا يسكن حتى يسكن غضبه.

وعن الشيخ أبي الحسن عليّ بن الصباغ قال: كنت أنا والشيخ أبو عبد الله القرشي والشيخ أبو العباس القسطلاني عنده جلوساً فقال: يا محمد يا قرشي، قال له: لبيك يا سيدي، قال: إن الله تعالى يريد أن يلبسك ثوبًا يخصك به في آخر عمرك وقد صرّفك به متى شئت لبسته، ومتى شئت خلعته، فعُمي في آخر عمره وجذم في مصر، وكانت الملوك تجالسه على السّماط وتواكله ولا يأنفون منه، وكان يرى طورًا سليمًا بصيرًا ملثّمًا، ولونه مجذومًا أعمى، وكانت زوجته من أقارب الملك، فكان إذا دخل عليها يصير سليمًا من الآفة بصيرًا.

وإذا خرج عنها عاوده حاله، ورآه الشيخ أبو الوفا في الحمام بصيرًا نقي الجسم، وإلى جانبه شيء معلّق، فلمّا اغتسل قام فلبسه فخرج مجذومًا أعمى، وقال: يا أبا الوفا هذا القميص الذي قال عنه الشيخ قضيب اللبان، اخلعه إذا شئت، والبسه إذا شئت.

وعن بعض العارفين، واسمه خليفة قال: رأيت رجلاً في الهواء جالسًا فسألته عن حاله، فقال: يا خليفة خالفت الهوى، وركبت التقوى فأسكنت في الهواء، قال: فتركته، وسرت حتى دخلت رباط الشيخ عبد القادر الكيلاني فوجدته بين يديه يسأله عن مسائل من علم الحقيقة والمعارف لم أفهم منها شيئًا، وقام الشيخ عبد القادر مكانه، فسألت الرجل فقلت: أراك هنا، فقال: وهل لله تعالى وليّ مصطفى إلا وله إلى هنا تردد؟! ومن هنا استمداد فقلت: أراك تواضعت له، فقال: كيف لا أتواضع مع مَن ولاني على مائة رجل يسكنون الهواء، لا يراهم إلا من شاء الله تعالى؟! أتصرف فيهم قبضًا وبسطًا! ثم ذهب من حيث لا أدري فخلوت بالشيخ فسألته عنه، فقال أبو عبد الله الحسين قضيب البان الموصلي: مقدّم الأبدال، قال: وما كنت نظرته قبل ذلك ولا أعرفه، فصرت أزوره في محله، وكنت عنده في غاية المحبّة.

ومناقبه ﷺ وأرضاه كثيرة، وفيما أوردناه كفاية.

ومشهده الشريف المحترم هذا الآن خارج السور غربي المدينة على مقدار يسير عن باب (سنجار)، وإلى جنب قبره المحترم قبر آخر، والظاهر أنها أخته الحافظة ﷺ وعنها وعن آبائه الكرام، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

ويسَّر ذلك أن روحانيتهم غلبت جسمانيتهم، فجاز أن تظهر في صور كثيرة، وحمل على قوله ﷺ لأبي بكر لَمّا قال له: وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: «**نعم و أرجو أن تكون منهم**»[١].

وقالوا: إن الروح إذا كانت كلية كروح نبينا ﷺ[٢]، ربما تظهر في سبعين

=

وعند قبره الشريف يُجاب الدعاء، وتُكشف الحوباء، وتُغفر الذنوب، وتُنوَّر القلوب، وتُشفى الأسقام، وتذهب الآلام ولا يزوره أحد ويتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته إلا استجاب الله تعالى دعاءه، وقضى حاجته سريعًا، وقد جربت ذلك كثيرًا نفعنا الله ببركاته، وأعاد علينا من إمداداته في الدنيا والآخرة آمين. وانظر: الانتصار للكردي (ص٥٤٦) والكواكب للمناوي (١/٦٩٣).

(١) رواه البخاري (٢/٦٧١)، ومسلم (٢/٧١١).

(٢) اعلم أن من أسماء الحقيقة المحمدية القلم الأعلى، والعقل الأول، والنور ونور الأنوار، والروح الأعظم، والروح الكلي، والعرش الذي يستوي عليه الرحمن.

وقال الشيخ العطار في شرح الصلاة الأكبرية: اعلم أن حقيقته ﷺ هي البرزخ بين الوجود والشهود، وذلك في مرتبة التعين الأول، أول مراتب الذات، وقد تقدّم ذلك في موضعه، ثم إن هذه الحقيقة ظهر ظلها وأثرها بالبرزخ الكائن بين الأسماء والأعيان، وهو حقيقة الإنسان الكامل، فكان مظهر الحقيقة المحمدية وهي باطنة، ثم ظهرت تلك الحقيقة بالعقل الأول: أي أول صابر زمن العلم إلى العين، ويُسمَّى بالقلم الأعلى، وبالقلم النوراني، وبلوح القضاء، وأم الكتاب، وبالنور المحمدي.

وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري**».

وقد يُسمَّى أيضًا بالروح الكلي لإجماله وانطوائه على جميع الأرواح من غير أن يتفضل أو يتميز فيه شيء، بل الكلية لازمة له؛ لكونه مظهر اسم جامع، أعني الرحمن، وحقيقة كلية والمظهر طبق الظاهر.

وقد عرَّف القلم السيد السند -قُدِّس سره- بأنه: علم التفصيل، فإن الحروف مظاهر تفصيله كانت مجملة في مداد الدواة، ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها، فإذا انتقل المداد منها إلى القلم تفصلت الحروف باللوح، وتفصل القلم بها إلى الغاية، يعني القلم هو مجمل لكنه مبدأ التفصيل، فإذا جمع المفصل كان هو القلم، فما خرج عن إجماله هذا.

وقولنا: أول ما برز إلى العيان، يعني بحسب ما يظهر وظهر؛ إذ هذا القلم وبقية من هو في مرتبته من

=

الأرواح المهيمة صفة القدم من وجه، وصفة الحدوث من وجه، يعني من وجه افتتاح وجوده عن عدم، فلأوليته وقدمه ذلك بخلاف أزلية الواجب وأوليته، فإنه تنـزّه في ذلك عن ذلك يعني بحسب التعقل، وإلا فهو أزلي أبدي لا يقبل العدم ولا الحدوث بحال؛ لكونه أثر القديم ولحياته الذاتية.

فإن قلت: وكيف يكون قديمًا وحياته ذاتية، وهذان الوصفان للحق تعالى؟

قلت: إن السادة يقولون بالقدم نحو هذا، والفرق بين قدمه وقدم الحق تعالى تأخر نحو هذا مما قيل بأنه قديم في التعقل عن قدمه تعالى، وكون حياته ذاتية بجعل الحق لها كذلك، وحياته تعالى لا تكون بجعل جاعل.

وهذا العقل مظهر الاسم الأول، فالحق تعالى وصف بالأولية في هذا المقام من وراء حجاب هذا العقل.

والفرق بين هذه الأولية الكائنة بهذا المظهر والأولية الذاتية: أن الأولى معناها سبق الوجود، وهذه معناها افتتاح الوجود عن عدم: أي عن عدمٍ متعقل.

وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل**»: أي أول ما قبل أمر التكوين من غير واسطة حيث إنه مجرد ولا مادة له، وليس هو مخلوقًا بالواسطة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء: ٨٥]، حيث إنكم لم تفرقوا بين عالم الأمر وعالم الطبيعة.

فإن قلت: وكيف يكون مخلوقًا وهو قديم، والخلق يقتضي الحدوث؟.

قلت: هو حادثٌ قديمٌ: أي حادث بالحدوث الذاتي، حيث إنه أثر القديم الواجب قديم بالزمان، حيث إنه ليس مسبوقًا بالعدم الزماني.

فإن قلت: فكيف تثبت قدم نحو هذا من المجردات، فهو وإن وُصف بالقدم إلا أنه لا يسابق بوجوده وجود بارئه سبحانه فإن له أزلية الآزال، وليس معه فيها سواه، وقد أُشير إلى هذا، فكيف تعطل صفات الحق تعالى.

وكيف تقول بقوله ﷺ: «**كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين**».

فهل عندك سوى الكلام الذي لا طائل تحته، وهذا بحث خارج عن الصدد، ولنرجع إلى ما كنا بصدده من أنه ﷺ باعتبار سره هو هذا القلم النوراني، فإنه نفس روحه الشريفة بل روح الكمّل من الأنبياء، لكنه بمحمد ﷺ أتم؛ لأن هذا القلم لإجماله وعدم تفصيله كان أقرب نسبة إلى البرزخ الأول برزخ البرازخ، وهو الحقيقة المحمدية.

فلذا كان انتسابه للنور المحمدي دون بقية الكمّل؛ لقوله ﷺ: «**وإني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته**».

فلتمكنه في هذا المظهر الأول علم أنه خاتم الأنبياء في عالم الأرواح دون بقية الرسل، فإنهم لم يعلموا

ألف صورة، ذكر ذلك المحقق ابن أبي جمرة، فإذا جاز لأرواح الأولياء عدم الانحصار في صورة واحدة في عالم الدنيا؛ فترى في صور مختلفة لغلبة روحانيتهم جسمانيتهم، فأحرى ألا تنحصر أرواحهم في صورة واحدة في عالم البرزخ الذي الروح فيه أغلب على الجسمانية.

وقالوا أيضًا: الولي إذا تحقق في الولاية مُكِّن من التصور في صور عديدة، وتظهر روحانيته في وقت واحد في جهات متعددة.

فالصورة التي ظهرت لِمَن رآها حقٌ، والصورة التي رآها آخر في ذلك الوقت حق، ولا يلزم من ذلك وجود شخص في مكانين في وقت واحد؛ لأن فيما هنا تعدد الصور الروحانية لا الجسمانية، فإذا جاز للروح أن تُرى في صور عديدة في الدار الدنيا؛ لن تحقق في الولاية، فأحرى أن تُرى في صور عديدة في عالم البرزخ الذي الغلبة فيه للأرواح على الأجسام.



=

ذلك لعدم تمكنهم في هذا الروح الكلي.

قال تعالى مشيرًا إلى ذلك: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسان﴾ [الرحمن: ١، ٣] فالإنسان هو آدم، والذي تعلم القران هو محمد ﷺ: أي ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسان﴾، وإن لم يكن هذا مرادًا كان المقام يقتضي تقديم خلق الإنسان على تعليم القران، والله أعلم.

فكان ﷺ نبي الباطن والظاهر دونهم، فإنهم ما أحسوا بنبوتهم إلا بالظاهر، فكان ﷺ رسول الرسل ونبي الأنبياء، وكانوا نوابًا عنه حيث لم يخرج نبي من الباطن إلى الظاهر إلا بإذنه، وإن هذا الروح الكلي ما ظهر بأحدٍ من الكمَّل كما ظهر بالمزاج الشريف الاعتدالي مزاج المصطفى ﷺ.

فإن قلت: قد أشممنا منك رائحة تناسخ.

قلت: هنا سرٌ لطيفٌ فإن كنت فطنًا لا يخفى عليك.

ووصف القلم بالنوراني إشارة إلى تجرده عن المادة. وأن هذا النوراني لا يُدرك بالحس، وأنه فوق حكم الطبيعة: أي العنصرية. فإن قلت: وهلا كان أرواح في مرتبة هذا الروح الكلي؟

قلت: نعم، وهم الأرواح المهيمون المعبر عنهم بالعالين بقوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، وهم قد هاموا بجماله وجلاله حتى إنهم لم يدركوا سواه، ولا يعلمون أنفسهم، فنسبتهم إلى الأسماء الذاتية كالفرد والأحد الحاصلين من التجلِّي الأول، أقرب عليهم أزكى سلام. وانظر: كشف الأسرار للعطار (ص١٧١) بتحقيقنا.

ويقوى ذلك ما ثبت في السنة، وصحَّ أن النبي ﷺ رأى موسى قائمًا يصلي في قبره ليلة الإسراء، ورآه في السماء السادسة تلك الليلة.

وقد أثبت الصوفية عالمًا متوسطًا بين الأجساد والأرواح سمُّوه: (عالم المثال)، وقالوا: هو ألطف من عالم الأجساد، وأكثف من عالم الأرواح، وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال.

يستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ [مريم:١٧]، فتكون الروح كروح جبريل عليه السلام مثلاً في وقت واحد مدبرة لشبحه الأصلي، ولهذا الشبح المثالي، فإذا جاز تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من العالم المثالي في عالم الدنيا، ففي عالم البرزخ أولى، وعلى هذا فالذي يخرج من القبر الشبح المثالي، هذا تحقيق المقام وليس وراء علم الله مقام.

هذا وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في طبقاته في ترجمة القطب سيدي شمس الدين محمد الحنفي[(١)]: أنه قال في مرض موته: مَن كان له حاجة

(١) هو سيدي محمد بن حسن بن علي، الشيخ شمس الدين الحنفي، الصوفي الشاذلي، صوفي معالمه سامية، مناهل معارفه طامية، سيرته فاضلة صالحة، وموازين عمله راجحة، حسن السياسة، وافر الجلالة والرئاسة.

ولد تقريبًا سنة سبع وستين وسبعمائة، نشأ يتيمًا من أبويه، فحفظ القرآن واشتغل قليلاً، وسمع البخاري، والشفا على التنوخي وغيره، وكتب عن الزين العراقي.

وجد واجتهد حتى صار من ذوي العلوم اللدنية والأسرار الربانية، والكرامات الظاهرة والأنفاس الطاهرة، يخضع له الملوك فمن دونهم.

وكان ظريفًا، جميلاً في بدنه وملبسه، ويغلب عليه شهود الجمال.

وفي الواقع .. إنه من ذريه الصدِّيق.

قال العيني في تاريخه: لم نجد أحدًا من الأولياء أكثر كرامات منه.

وكان رفيقه في المكتب الحافظ ابن حجر، ولما بلغ أربع عشرة سنة، قعد يبيع الكتب بالكتبيين، فمرَّ عليه رجل فقال: يا محمد، ما للدنيا خُلقت. فترك الحانوت وجميع ما فيه للناس، وذهب ولزم الزهادة والإقبال على العبادة، وحُبِّب إليه الخلوة، فاختلى سبع سنين، في خلوة تحت الأرض - وهي التي دفن فيها - فسمع قائلاً يقول له: اخرج وانفع الناس وإلا سلبناك.. فقال: ما بعد السلب إلا القطيعة، فخرج، فوجد الناس يتوضئون على الفسقية، فمنهم بعمائم بيض وصفر وزرق، وبصورة قرد وكلب وخنزير وثعلب، وغير ذلك على صورة ما في قلوبهم فقال: اطلعت

على عواقب الأمور، ولا ينبغي لي ذلك، فإنه من صفاته تعالى.. فسأل الحجب عن ذلك فحجب عنه.

وقال: وجدت مقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي أعلى من مقام الشيخ عبد القادر الكيلاني!

وكان يتكلم على الخواطر، ويخاطب كل واحد بحاله.

وقال له رجل: كان الجيلي يعمل ميعادًا سكوتيًا، فاعملوا كذلك. فجلس على كرسي فتكلم سرًّا، فصار كل واحد يقول: الشيخ ألقى في قلبه كذا، فيصدقه.

وقال له رجل: ادع الله أن يرزقني محبته، قال: لا أقول لك كما قال غيري: عبئ كفنك، لكن احضر الميعاد في زاويتنا، فحضر، فألقى عليه كلامًا في المحبة، فغشي عليه، ومات بعد أسبوع.

وكان يلبس ملابس الملوك، فدخل عليه أحد الفقهاء فأنكر عليه وقال: إن كان وليًا يعطني هذا السلاري الذي عليه أبيعه وأنفقه على عيالي. فنزعه فورًا وأعطاه إياه، فباعه، ثم جاءه ثانيًا، فوجده عليه، رآه أحد محبيه فقال: هذا لا يصلح إلا للشيخ، فاشتراه وأهداه له.

وقعد في جوف الليل يتوضأ، فانقضّت عليه امرأةٌ من الجو فقالت له: أنت قلت في ميعادك بالمغرب، في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦] أن الملك قيام الليل؟

قال: نعم. فسلمت عليه، ورجعت من حيث جاءت.

وشكى إليه سالم بن مريم - وكان أميًا - عدم حفظ القرآن، فصارت مواعظه كله آيات قرآنية، وأحاديث نبوية تجري على لسانه من غير شعور منه، ولا علم أنه من القرآن والسنة.

قال العيني في تاريخه: طالعت طبقات الصوفية والعلماء من الصحب إلى عصرنا، فلم نر أحدًا أُعطى من العز والجاه والرفعة عند الملوك ما أعطي الحنفي.

وكان إذا دخل عليه سلطان مصر لم يقم له ولا لغيره من القضاة الأربع، ولم يغير قعدته لدخول أحد منهم قط.

قيل: وعدّة من سلك على يده اثني عشر ألفًا.

وأرسل جاريته "بركة" إلى السلطان ططر لما عزل ابن حجر فقال: قولي له أعده فأعاده.

ومرض السلطان فعاده الشيخ، فأمر بإخراج فرس مسرج، وبالقبة والطير أن يُجعلا على رأسه، والأمر بين يديه، ففعلوا.

وأتاه رجلٌ من علماء المالكية ليمتحنه فقال: إن استطاع أن يسألني، ما عدت أجلس على سجادة الفقراء.. فلما أتاه قال له: ما تقول؟ فلم يمكنه النطق.

وسمع بائع الحمص الأخضر يقول: يا ملانة بفليس فقال: أي شيء رخصها؟ فسمعه يقول: يا ملانه بقلبين.. فقال: ما صيرها رخيصة إلا كونها بقلبين.

وكان إذا دخل الحمام وحلق، تقاتل الناس على شعره للتبرك.

وكان أهل الروم يكتبون اسمه على أبواب الدور للتبرك.

وكان رجال الطيران في الهواء يأتونه، فيعلمهم الآداب، ثم يطيرون، والناس تنظر.
وكان ينزل البحر، فيزور سكانه، فيمكث ساعة، ثم يخرج، فلا تبتل ثيابه.
وكان إذا نادى مريده من مصر- وهو في الريف - يجيبه ويحضر.
وكان كل ولي دخل مصر بغير أذنه سلب. ودخل مصر رجل أعجمي معه قفة، كل من طلب منه شيئًا، أخرجه منها. فأرسل إليه فقال: أكرمنا من قفتك.. فوضع يده، فلم يجد شيئا.
وكان آخر يمد يده في الهواء فيقبض ذهبًا ، ويعطيه من شاء، فأحضره وطلب منه، فقبض قبضة وأعطاه إياها، فطلب منه ثانيًا وثالثًا، وهو يعطيه دون منع فقال: زدني. فقبض، فلم يجد شيئًا. فقال له: خزائن الله لا تنفذ، وسلبه وضربه وأخرجه.
ونظر إمام زاويته إلى امرأة جميلة، ثم دخل ليصلي بالناس فمنعه، فعرف أنه اطلع عليه فتاب فقال: صلّ، وما كل مرة تسلم الجرة.
وقال: لو كنت في زمن ابن أدهم سلكته الطريق، وتركته في مملكته، يكون ملكًا وليًا .
وقال: في مرض موته: من له حاجة فليأت قبري، يطلب حاجته تقضي، فإن ما بيني وبينكم إلا نحو ذراع تراب، ومن حجبه عن أصحابه ذراع فليس برجل.
وكان يقول لمن خاف ظالمًا: إذا دخلت عليه قل بسم الله الخالق الأكبرِ، حرز لكل خائف، لا طاقة لمخلوق مع الله.
وحضر ميعاده الجلال البلقيني والبساطي، فتكلم على الفاتحة فقال الجلال: طالعت نحو أربعين تفسيرًا، فلم أر فيها شيئًا من هذه الفوائد.
وقال: أول ما تنـــزل الرحمة على حلقة الذكر، ثم تنتشر لمن هو خارجها.
وكان يأمر أصحابه بالذكر في المواضع المهجورة، ويقول: تشهد لكم، وإذا ركب قسم جماعته قسمين: قسم يمشي أمامه، وقسم يمشي خلفه، ويأمرهم برفع الصوت بالذكر ويقول: هو شعارنا في الدنيا، وحين نقوم من قبورنا. فكان الناس إذا سمعوا الذكر عرفوا أن الشيخ قادم.
وكان إذا زار القرافة فسلم على أحدٍ في القبر، رد السلام بصوت يسمعه الحاضرون.
وكان يكنس زاويته وحده، وهو يتلو القرآن.
وسمع بعض مدرسي الحنفية يقول خلافًا للشافعي فزجره وقال: قل رضي الله عنه، ولا تعد تذكر أحدًا من الأئمة إلا بالتراضي.
وكان يكره للفقير لبس الطليحية الحمراء ويقول: الفقر في الباطن لا الظاهر.
وكان إذا تغير على فقير، ظهرت عليه إمارة المقت، ويقول: ليس للفقراء عصا يضربون بها، إنما هو تغير قلوبهم.
ودخل مرة بستانًا فقالوا له: ما تقول الساقية في نعيرها؟ قال تقول لا يُرى ملآن إلا طالعًا، ولا فارغًا إلا نازلاً.

فأتى إلى قبري ويطلب حاجته؛ أقضيها له؟ فإن ما بيني وبينه غير ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب، فليس برجل انتهى.

قال بعض الفضلاء: علم من كونه قال ما ذكر في مرض موته إنما قاله قبل ذلك، ونقل عنه أيضًا الشيخ عبد الوهاب الشعراني من أن: (الولي إذا مات انقطع تصرفه في الكون من الإمداد، وإن حصل للزائر مدد بعد الموت أو قضاء حاجته، فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت يعطي الزائر من المدد على قدر مقام المزور).

محمول على أنه قاله قبل أن يُعلمه الله بإلهام أن الولي يتصرف بعد الموت، وبهذا يحصل التوفيق بين كلاميه.



=

وقال: الصالح منصلح لحضرة الله، ولا يصلح لها إلا من تخلى عن الكونين.

وقال: إذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون وعدم الإمداد للزائرين، فإن حصل مدد للزائر أو قضاء حاجته فمن الله على يد القطب!

وكانت به أمراض تهد الجبال، ومرض سبع سنين ملازمًا لفراشه، ولما دنت وفاته سأله الله أن يبتليه بالقمل والنوم بقرب الكلاب، والموت على قارعة الطريق، فحصل له ذلك، وتزايد عليه القمل حتى صار يسبح على فراشه، ودخل كلب، فنام معه فيه.

ومات على طرف حوشه، والناس يمرون عليه في الشارع، سنة سبع وأربعين وثمانمائة، ودفن بزاويته.

خاتمة
تحقيق القول في الإخبار بالمغيبات عن طريق الكشف

من جملة الكرامات الإخبار ببعض المغيبات، والكشف[1]، وهو درجات

---

(١) فائدة: قال الشريف الكيلاني في مجمع البحرين شرح الفصين (بتحقيقنا): اعلم أن سبب الاختلافات التي وقعت في الكشوف والأذواق حتى طَعنوا فيهم وقالوا: لو كان كشفًا صريحًا وعلمًا صحيحًا لما وقع الاختلاف بينهم، فحملوا مسائلهم الكشفية على المسائل النظرية الفكرية التي هي تخطئ وتصيب، هو عدم الاستشراف على أمهات الحقائق وأصول المقامات، بل يتكلمون على تفاصيل متنقلين من بعض الفروع إلى بعض أُخر، فلذلك يقع الخلاف بينهم ويرد النقض عليهم، ويبدوا حكم الحيرة فيهم عند المحاققة، كما يقع بين المتوسطين وأهل البدايات من أهل الله أصحاب المكاشفات الظاهرة، الذين تبرز لهم الحقائق والحضَرات وغيرهما، مما لا يدرك إلا كشفًا، ولكن بحكم الطبيعة فإن لها حكمًا عليهم ما داموا في ربقة الطبيعة، فتختلف الكشوف باختلاف الطبائع فيخطئ ويصيب، بل الكشف لا يخطئ أبدًا، فإن المتكلم في مدلوله يخطئ ويصيب كالرؤيا، فإن كشفه صحيح فما يقع من الغلط إلا في التعبير.

ذكره ﷺ في باب إحدى وثلاثمائة من «الفتوحات» بخلاف المتمكنين من أهل الله رضي الله عنهم في علمهم الموهوب، وكشفهم التام المطلوب، يعرفون غاية ما أدرك كل بفكره، واطّلع بحسبه ونظره، ويعرفون سبب تخطّيه الناظرين بعضهم بعضًا، وما الذي أدركوه وأصيبوا ما الذي فالذي فاتهم، ومن أي وجه أصابوا ومن أي وجه أخطأوا، وهكذا حالهم رضي الله عنهم مع أهل الأذواق والمكاشفين الذين لم يتحققوا بالذوق الجامع، ويعرفون أيضًا حال المتمكنين، ومن غلب عليهم من الأسماء والأحوال والمقامات، التي أوجب لهم تعشُّقهم وتقيدهم بما هم فيه، ومن الذي له أهلية الترقّي من ذلك، ومن ليس له ذلك فيقيّمون -رضي الله عنهم- أعذار الناس وهم لهم منكرون، وبمكانكم جاهلون، وعن مقامهم عمون، ولهذا التحقق والإشراف لم يقع بين الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلاف في الأصول من أحكام الحضرات الأصلية الإلهية، وإن تفاضلوا في الاطلاع وما نقل من خلاف عنهم صلوات الله عليهم إنما ذلك في جزئيات الأمور والأحكام الفرعية الشرعية؛ لكونها تابعة لأحوال المكلفين وأزمانهم، وما تواطئوا عليه، وما اقتضته مصالحهم فتتعيَّن الأحكام الإلهية في كل زمان بواسطة رسول ذلك الزمان، بما هو الأنفع لأهله، وأما هم صلوات الله عليهم مما عدا الأحكام المذكورة فمتفقون، وكل تال يقرر قول من تقدمه ويصدقه، لاتحاد أصل مآخذهم صلوات الله عليهم أجمعين وصفاء محلهم حال التلقي من الحق سبحانه عن أحكام العلوم المكتسبة، والعقائد المقيِّدة، والتعلقات الطبيعية ونحو ذلك.

أما ترى قوله تعالى يُشير إلى هذا المقام: ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ

﴿شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤] فليس بين القوم بحمد الله خلاف فيما يتحققون به، بل هم في شغلهم أحقّ وأصح من أهل الحسّ فيما يدركونه بحواسهم، بل: ولا نقول أن الحق مع أحد القولين أو مع إحدى الطائفتين، بل نقول: إن الحق مع كل طائفة، وكلهم صادقون في قولهم ولكن باعتبار المواطن والمصارف، فإن كنت عارفًا بالمواطن وعرفت صدق كل من هذا، وعرفت أن كل مجتهد مصيب ما معناه فقم في كل موطن باستحقاقه تحمدك المواطن، والمواطن شهد أحق عدل عند الله، فإنها لا تشهد إلا بصدق فافهم.

فإني أدّيتك الأمانة مع السلامة من البشاعة.

واعلم أنّ الحق سبحانه وتعالى ربط العوالم والموجودات جليلها وحقيرها، كبيرها وصغيرها بعضها ببعض، وجعل بعضها مرائي ومظاهر للبعض، فالعالم السفلي بما فيه مرآة للعالم العلوي، ومظهر لآثاره، وكذلك العالم العلوي مرآة تتعيّن فيه أرواح أفعال العالم السفلي تارة وصورها تارة أخرى، والمجموع تارة أخرى، وعالم المثال الكلي من حيث تقيده في بعض المراتب، ومن حيث عموم حكمه وإطلاقه أيضًا مرآة لكل فعل وموجود، ومرتبته وانفراد الحق سبحانه بإظهار كل شيء على حد علمه به لا غير، وجعل ذلك الإظهار تابعًا لأحكام النكاحات الخمس التابعة للحضرات الخمس، فظهور الموجودات على اختلاف أنواعها وأشخاصها متوقف على سر الجميع النكاحي على اختلاف مراتبه المذكورة، وأحكامها المشار إليها فإن قيل: ما الحضرات الخمس وما بيانها؟ قلنا: اعلم أن الحضرات الكليّة التي إليها الاستناد والمرجع هي الخمسة التي أولها: الغيب الإلهي الذي هو معدن الحقائق والمعاني المجردة الإجمالية.

وثانيها: الغيب الإضافي وهو عالم الأرواح المجردة.

وثالثها: عالم المثال يتصور فيها الأرواح كالأشباح.

ورابعها: عالم الشهادة ولها الصور المركبة الطبيعية والبسيطة.

وخامسها: الأمر الجامع وكل موجود لا بد أن يستند إلى أحد هذه المراتب الخمس، أو يكون مظهر الحكم الجميع كالإنسان الكامل.

ولها باعتبار آخر تفصيل آخر وهو هكذا غيب الغيب، وهو التعين الأول الإجمالي، والغيب الثاني هو التعين الثاني حضرة حقائق الأسماء والأعيان الثانية، والشهادة الإضافية وهي عالم الأرواح والشهادة الحقيقية، وهي عالم الأشباح وعالم المثال ما بين الشهادتين، وهي عالم تنـزل فيه الأرواح على صورة الأشباح، وتتروحن الأجسام إليه وتصير أجسادًا، فالأمر الجامع بهذا الاعتبار تصير المرتبة السادسة الجامعة للكل فافهم.

ثم اعلم ثانيًا أن أوّل المراتب والاعتبارات العرفانية المحققة لغيب الهويّة هو الاعتبار المسقط لسائر الاعتبارات، وهو الإطلاق الصرف عن القيد والإطلاق، وعن الحصر في أمر من الأمور الثبوتية

تخرج عن حدِّ الحصر، وذلك موجود الآن بكثرة، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً*إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦،٢٧]؛ لأنّا لا نعلم عموم الغيب، فيجوز أن يختص بحال القيامة بقرينة السياق.

=

والسلبية كالأسماء والصفات، وكلما يتصور ويعقل ويفرض بأي وجه تعقل وتصور وفرض فهو غير ذلك، وليس لهذا المقام لسان فغاية التنبيه عليه هذا، وأمثاله هذا هو حقيقة الحق التي لا تُدرك ولا تعلم ولا يحكم عليها، لا بسلب ولا بإيجاب، وتسمى هذه المرتبة مرتبة لا تعين، وإنما سموها بهذا الاسم لضرورة البيان والتواصل إلى الإفهام، وإلا فهي منـزّهة عن الإحاطة علمًا وشهودًا ووجودًا سيّما عن التسمية، وكيف لا والمسمى مدرك، وقد قررنا أنها ما تدرك فإن قيل فكيف اتّصل علمنا بهذا المشهد الأنـزه الغريب والمقام الأنوه العجيب.

قلنا: ذكر صدر الدين القونوي قُدِّس سرُّه في شرح الفاتحة إن هذا القدر من المعرفة المتعلقة بهذا الغيب ولا غيب إنما هي معرفة إجمالية حاصلة بالتعريف الإلهي الأجلى الأعلى؛ أو بالكشف الأجلى الذي لا واسطة فيه غير نفس التجلي المتعين من هذه الحضرة الغير المتعيِّنة، وكوشف صاحب الكشف الأوسع الأتم أن كل تعيّن مسبوق بلا تعيّن، ثم الاستدلال عليه ثانيًا بما ظهر منه وامتاز عنه من الأسماء والآثار الوجودية والتجليات النوريّة فإنه أصل كل غيب فافهم.

واستخلص المقصود من الكلام غير متقيِّد بالألفاظ وأدوات التوصيل، فإن المقام ما هو مقام المحاققة فافهم فإذا فهمت هذا فلترجع ونقول: أول الاعتبار اعتبار علمه نفسه بنفسه، وكونه هو بنفسه هو فحسب من غير تعقُّل تعلق، أو اعتبار حكم، أو تعين أمر ثبوتي أو سلبي كان ما كان مما يقبله غيره بوجه من الوجوه ما عدا هذا الاعتبار الواحد المنفي حكمه عن سواه، وهو مستند الغنى والكمال الوجودي الذاتي والوحدة الحقيقة الصرفة وقوله: «**كان الله ولا شيء معه**» ونحو ذلك، وهو أول ما يصح أن يعلم المسمَّى بالتعين الأول، فعلّم نفسه بنفسه غنيٌّ عن العالمين فافهم.

والاعتبار الثاني: شهوده نفسه في مرتبته سواه من غير أن يدرك ذلك الغير نفسه؛ لقرب نسبته وعهده ممن امتاز عنه، ولغلبته حكم الغيب المطلق والتجلي الوحداني، ثم ظهر حكم تعلق الإرادة بنسبق التفضيل والتدبير؛ لاتحادي عالم التدوين والتسطير، وإبراز الكلمات الإلهية التي هي مظاهر نوره وملابس نسب علمه ومرائي أسمائه وتعيناتها في رقٍّ مسطور، فكانت ثمرته شهود الظاهر نفسه في مرتبة الغير والسوي الممتاز عنه في الشهادة الأولى المسمَّى بها خلقًا، وسوى هذا غاية الخلق وحكمه الإيجاد وهي قوله : «**أحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف**» وهذا معنى قوله الشيخ الأكبر ﷺ في أوّل الفصوص: إن رؤية الشيء نفسه بنفسه ليس مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون كالمرآة، فشاء أن يخلق الخلق حتى يكون مرآة يرى فيها فافهم.

أو المراد سلب العموم نحو لم يقم كل إنسان لا عموم السلب نحو كل إنسان لم يقم، ولا يعارضه أيضًا قوله تعالى: ﴿لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

ووجه عدم المعارضة أن علم الأولياء إنما هو إعلام من الله لهم، وعلمنا بذلك إنما هو بإعلام لنا، وهذا غير علم الله تعالى الذي تفرد به، وهو صفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة المنـــزهة عن التغير وسمات الحدوث والنقص والمشاركة والانقسام؛ بل هو علم واحد علم به جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها، كان وما يكون، أو ما جاز أن يكون، وليس بضروري ولا كسب ولا حادث بخلاف علم سائر الخلق.

فعلم الله الذي تمدَّح به، وأخبر في الآيتين المذكورتين أنه لا يشاركه فيه أحد، فلا يعلم الغيب إلا هو، ومن سواه إن علموا جزئيات منه فبإعلام الله تعالى واطلاعه لهم، وحينئذ لا يطلق عليهم أنهم يعلمون الغيب، إذ لا صفة لهم يقتدرون بها على الاستقلال بعلمه، وأيضاً هم ما علموا وإنما أُعلموا، وأيضًا هم ما علموا غيباً مطلقًا؛ لأن من أعلم بشيء منه تشاركه فيه الملائكة أو نظراؤه ممن اطلع، ثم إعلام الله تعالى للأولياء ببعض المغيبات لا يستلزم محالاً بوجه، فإنكار وقوعه عناد، ومن البداهة إنه لا يؤدي إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذي تمدَّح به واتصف به في الأزل وفيما لا يزال.

وإذا كان كذلك؛ فلا بدع في أن الله تعالى يطلع بعض أوليائه على بعض المغيبات، فإن ذلك أمر ممكن جائز عقلاً وشرعًا، وواقع نقلاً عن جمهور أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدثين والأصوليين، فإنهم نصوا على ثبوت كرامات الأولياء، وأنها جائزة وواقعة بجميع خوارق العادات لا فارق بينها وبين المعجزة إلا التحدي، ودعوى النبوة، فمن الإخبار بالمغيبات إخبار الصديق ﷺ في مرض موته بولد يُولد له بعده، وهي أُنثى.

تحذير العلماء من الإفتاء بالتكفير فيما له وجه من التأويل[١]:

(١) فائدة جليلة: قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

قال الكلبي: لا تقل ما ليس لك به علمٌ.

وقال البيضاوي: لا تتبع ما لم يتعلق به علمك تقليدًا أو رجمًا بالغيب؛ ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٦]: أي كل هذه الأعضاء كان عنه سؤلاً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يسأل الله العباد فيما استعملوها، وفي هذا زجرٌ عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرم، وإرادة ما لا يجوز، كذا ذكره الواحدي.

وقال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب:٦٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ [الأحزاب:٧٠]، قاصدًا إلى الحق، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧١]، يوفقكم للأعمال الصالحات، أو يُصلحها بالقبول والإثابة عليها، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، ويجعلها مُكفرة باستقامتكم في القول والعمل، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الأوامر والنواهي ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾، يعيش في الدنيا حميدًا، وفي الآخرة سعيدًا.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خيرًا أو ليسكتْ» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدوُّ الله وليس كذلك إلا حار: أي رجع عليه» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «مَنْ قفَى مُسلمًا بشيءٍ يريد به شينه: أي عيبهُ حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال».

وقال ﷺ: «مَنْ رمى مُسلمًا بشيءٍ يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال».

وقال ﷺ: «إيَّاكم والظن؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تجسَّسوا ولا تنافسوا» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «حسنُ الظنِّ من حسنِ العبادةِ» رواه النسائي والترمذي وأبو داود: أي اعتقاد الخير والصلاح في حق المسلمين عبادةٌ حسنةٌ من جملة العبادات.

قال الشيخ مجد الدين -رحمه الله تعالى: لا يجوز أن يُنكر على القوم ببادئ الرأي؛ لعلوِّ مراقبتهم في الفهم والكشف، ولم يبلغنا عن أحد منهم أنه أمَرَ بشيءٍ يهدم الدين، ولا نهى أحدًا عن الوضوء ولا الصلاة، ولا غيرها من فروض الإسلام ومستحبَّاته، إنما يتكلمون بكلامٍ يدقُّ عن الأفهام، وكان يقول: قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم إلى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التي =

لم يُصرِّح بها كتابٌ ولا سنَّةٌ، ولكن أكابر العلماء العالمين قد يردون ذلك إلى الكتاب والسنَّة بطريقٍ دقيقٍ لحُسن استنباطهم وحسن ظنِّهم بالصالحين، وكان يقول: كما أعطى الله تعالى الكرامات للأولياء التي هي فرع المعجزات، فلا بدع أن يعطيهم من العبادات ما يعجز عن فهمها فحول العلماء.

وكان شيخ الإسلام المخزومي -رحمه الله تعالى- يقول: لا يجوز لأحدٍ من العلماء الإنكار على الصوفية إلا إن سلك طريقهم، ورأى أفعالهم، وأقوالهم مخالفةً للكتاب والسنَّة، وإما بالإشاعة عنهم، فلا يجوز الإنكار عليهم، ولا سبُّهم، وأطال في ذلك، ثم قال: وبالجملة فأقل ما يحقُّ على المنكر حتى يسوغ له الإنكار على أقوالهم، أو على أفعالهم، أو على أحوالهم أن يعرف سبعين أمرًا، ثم بعد ذلك يسوغ له الإنكار منها غوصه في معرفة معجزات الرسل عليهم السلام على اختلاف طبقاتهم، وكرامات الأولياء على اختلاف طبقاتهم، ويؤمن بها ويعتقد أن الأولياء يرثون الأنبياء في جميع معجزاتهم إلا ما استثنى منها.

ومنها: اطِّلاعه على كتب تفسِّر القرآن سلفًا وخلفًا؛ ليعرف أسرار الكتاب والسنَّة، ومنازع الأئمة المجتهدين، ويعرف التفسير والتأويل وشرائطه، ويتبحَّر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاداتها حتى يبلغ الغاية.

ومنها: كثرة الاطِّلاع على مقالات للسلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها، ومن أخذ بالظاهر، ومَنْ أوَّل، ومَنْ دليله أرجح من الآخر.

ومنها: تبحُّره في علم الأصوليين، ومعرفة منازع أئمة الكلام.

ومنها: وهو أهمها معرفةُ اصطِّلاح القوم فيما عبَّروا عنه مِنْ التجلِّي الذاتي والصوري، وما هو الذات وذات الذوات، ومعرفة حضرات الأسماء والصفات، والفرق بين الحضرات، والفرق بين الأحدية والواحدية، ومعرفة الظهور والبطون، والأزل والأبد، وعالم الغيب والكون، والشهادة والشئون، وعالم الماهيَّة والهويَّة، والسُكر والمحبَّة، ومَنْ هو الصَّادق في السُكر حتى يسامح، ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك، فمن لم يعرف مرادهم كيف يحلُّ كلامهم، أو ينكر عليهم بما ليس هو من مرادهم انتهى.

ونقل الإمام القزويني في كتابه «سراج العقول» عن إمام الحرمين: أنه سُئل عن كلام الصوفية، فقال: لو قيل لنا: فقولوا ما يقتضي التكفير من كلامهم مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمعٌ في غير مطمعٍ؛ لأن كلامهم بعيدُ المدرك وعين المسلك، يغترف من تيار بحر التوحيد، ومن لم يُحط علمًا بنهايات الحقائق لم يحصل من دلائل التكفير على وثائق، كما أنشد بعضهم في هذا المعنى:

تركنا البحـارَ الزَّاخـراتِ وراءنـا فمن أين يدري النَّاس أيـن توجُّهنـا

وسُئل شيخ الإسلام تقي الدين السبكي عن حكم غلاة المبتدعة وأهل الأهواء والمتفوِّهة بالكلام على الذات المقدَّسة؟ فقال: اعلم أيها السائل أن كل مَنْ خاف من الله ﷻ استعظم القول بالتكفير لمن

يقول لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله؛ إذ التكفير أمرٌ هائلٌ عظيم الخطأ؛ لأن مَنْ كفَّر شخصًا فكأنه أخبر أن عاقبته في الآخرة الخلود في النار أبد الآبدين، وأنه في الدنيا مُباح الدم، والمال لا يملك مسلِّمةً، ولا تجري عليه أحكام المسلمين في حياته ولا بعد مماته، والخطأ في ترك ألف كافرٍ أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم امرئ مسلم.

وفي الحديث: «**لأن يُخطئ الإمامُ في العفو أحبُّ إلى الله تعالى من أن يخطئ في العقوبة**».

ثم إن تلك المسائل التي يُفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم في غاية الدقة والغموض؛ لكثرة سعتها، واختلاف قرائنها، وتفاوت دعاويها، والاستقصاء في معرفة الخطإ من سائر صنوف وجهه، والاطِّلاع على حقائق التأويل وشرائطه في أماكنه، ومعرفة دلائله في التوحيد وغوامضه إلى غير ذلك مما هو مُتعذِّرٌ على أكابر علماء عصرنا، فضلاً عن غيرهم، وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير معتقد في عبارة فكيف يحرِّرها اعتقاد غيره من عباراته! فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن صرَّح بالكفر، واختارهُ دينًا، وجحد الشهادتين، وخرج عن دين الإسلام، وهذا نادرٌ وقوعه؛ فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع والتسليم للقوم في كل شيء قالوه مما لا يخالف صريح النصوص انتهى.

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في مقدمة «الطبقات» قال: أخبرني الشيخ أمين الدين الإمام بجامع «الغمري» بمصر أن شخصًا وقع في عبارة موهمة للتكفير، فأفتى علماء مصر بتكفيره، فلما أرادوا قتله قال السلطان: هل بقي أحدٌ من العلماء لم يحضر؟ فقالوا: نعم، الشيخ جلال الدين المحلي أشاج المنهاج، فأرسل السلطان وراءه فحضر، فوجد الرجل في الحديد بين يدي السلطان، فقال الشيخ: ما لهذا؟ فقالوا: كفر. فقال: ما مستند مَنْ أفتى بكفره؟ فبادر الشيخ صالح.

وقال: قد أفتى والدي شيخ الإسلام الشيخ سراج الدين البلقيني في مثل ذلك بالتكفير. فقال الشيخ جلال الدين المحلي: يا والدي أترى أن يُقتل رجلٌ مسلمٌ مُوحدٌ يحبُّ الله ورسوله بفتوى أبيك؟! حلُّوا عنه الحديد. فجرَّدوه، فأخذه الشيخ جلال الدين بيده، وخرج والسلطان ينظر فما تجرَّأ أحدٌ أن يتبعه.

وكان الشيخ محيي الدين العربي -قُدِّس سرُّه يقول كثيرًا: ما تهبُّ على قلوب العارفين نفحاتٌ إلهيةٌ، فإن نطقوا بها جهَّلهم بها كُمَّل العارفين، وردَّها عليهم أصحاب الأدلَّة من أهل الظاهر، وغاب عنهم أن الله سبحانه وتعالى كما أعطى أولياءه من الكرامات التي هي فرع المعجزات فلا بدع أن يُنطق ألسنتهم بالعبادات التي تعجز العلماء عن فهمها.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني -رحمه الله تعالى: ومن شكَّ في هذا القول فلينظر في كتاب «المشاهد». أو كتاب «عنقاء مغرب» للشيخ محيي الدين. أو كتاب «الشعائر» لسيدي محمد وفا، أو كتاب «خلع النعلين» لابن قسي.

فإن أكثر العلماء لا يكاد يفهم منه معنًى مقصودًا لقائلٍ أصلاً؛ بل خاصٌّ بمن دخل مع ذلك المتكلم

حضرة القدس، فإنه لسانٌ قدسيٌّ لا يعرفه إلا الملائكة، أو من تجرَّد عن هيئة البشرية، أو أصحاب الكشف الصحيح.

وكان الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ﷺ يقول بعد اجتماعه على الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ وتسليمه للقوم: من أعظم الدليل على أن طائفة الصوفية قعدوا على أعظم قواعد الشرع وأساسه ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق، ولا يقع شيء قط من ذلك لفقيه إلا إن سلك طريقهم كما هو مشاهدٌ.

وكان الشيخ عز الدين قبل ذلك ينكر على القوم ويقول: وهل لنا طريقٌ غير الكتاب والسنة؟ فلمَّا ذاق مذاقهم وقطع سلسلة الجدل بكراسة الورع صار يمدحهم كل المدح، ولما اجتمع الأولياء والعلماء في وقعة الإفرنج بالمنصورة قريبًا من ثغر دمياط جلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ مكين الدين الأسمر والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وأضرابهم وقد قرأ بعضهم عليهم رسالة القشيري، وصار كل واحد يتكلم، إذ جاء الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه فقالوا له: نريد أن تُسمعنا من معاني هذا الكلام. فقال: أنتم مشايخ الإسلام، وكبراء الزمان، وقد تكلمتم فما بقي لكلام مثلي موضعٌ. فقالوا: لا بدَّ من ذلك. فحمد الله، وأثنى عليه، وشرع يتكلَّم، فصاح الشيخ عز الدين من داخل الخيمة، وخرج ينادي بأعلى صوته: هلمُّوا إلى هذا الكلام القريب العهد من الله تعالى، رحمة الله عليهم أجمعين.

وذكر الإمام الغزالي في «الإحياء» عن بعض العارفين أنه كان يقول: من لم يكن له نصيبٌ من علم القوم يخاف عليه من سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به والتسليم لأهله إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق مما نسب المنكرون إلى الشيخ محيي الدين والشيخ عمر بن الفارض وغيرهما القول بالحلول والاتحاد.

قال الشيخ عبد الغني الشامي رحمه الله تعالى: وحاشاهم من ذلك؛ بل حاشا أدنى مريد سالك في طريق الصوفية الصَّادقين إلى يوم القيامة مِنْ خطور ذلك في بالهم، أو من إمكانه عندهم، وكيف أمر مستحيل عند المتمسِّكين بالعقول من علماء الكلام وغيرهم فما بالك بالذين هم أعلى منهم مِنْ المتمسِّكين بالإيمان، والفتح، والكشف، والإلهام بعد القيام بحسن المعاملة الشرعية في الظاهر والباطن من غير بدعة مع الإخلاص، واليقين، والزهد، والورع، وإن أشبهت كلماتهم على غير أهل طريقهم، وفَهِمَ منها علماء الإنكار المنكبُّون على الدنيا قبائح المفهومات، فإن الأعمال بالنيَّات، ولكل امرئ ما نوى، والمرء عدوٌّ ما جهله:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا ... وآفتُهُ مِنَ الفهم السقيم

وكل الضلالات التي تفهمها علماء الظاهر من كلام المحققين من أهل الله تعالى، ويشنِّعون بها عليهم بين العوامّ والجهَّال؛ لتنقص رتبتهم عندهم، ويحظون بالرفعة في الدنيا، والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى كلامه.

إذا تقرر ذلك فما وقع في الفتاوى البزازية من قوله: قال علماؤنا: مَن قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم، يكفر، انتهى.

يعني (تعلم): الغيب بقرينة السياق، وهو مشكل إذ لا يكفر بمجرد هذا القول مع احتمال التأويل، كما قال في التترخانية: لا يكفر بالمحتمل؛ لأن الكفر نهاية في العقوبة، فيستدعي نهاية في الجناية، ومع الاحتمال لا نهاية، انتهى.

وفي شرح الهداية للمحقق كمال الدين ابن الهمام، بعد سرد كثير من ألفاظ التكفير، والذي تحرر أنه لا يفتى بتفكير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف، ولو رواية ضعيفة، انتهى.

وهو مأخوذ من الخلاصة وغيرها، إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد لا يوجبه، فعلى المفتي أن يميل لعدم التكفير، انتهى.

قال في النهر:

غير أنه يراد بالوجوه الأقوال والاحتمالات، لكن يؤيد الأول ما في الصغرى: الكفر شئ عظيم، فلا أجعل المؤمن كافراً متى وجدت رواية لا يكفر، انتهى.

وقول هذا لا يقتضي أن يراد بالوجوه في كلام الخلاصة: الأقوال فقط؛ بل الوجوه في كل كلامه مستعملة في كل منها أخذًا من قول ابن الهمام: أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان كفره اختلاف.

وفي جامع الفصلين: روى الطحاوي عن أصحابنا: لا يخرج الرجل من الإيمان إلا بجحوده ما أدخله فيه، ثم ما يتبين أنه ردة يحكم بها، وما يشك أنه ردة لا يحكم بها؟ إذ الإسلام الثابت لا يزول بشك مع أن الإسلام يعلو؛ فيبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن يبادر بتكفير أهل الإسلام، مع أنه يقضي صحة إسلام المكره، ثم قال: قدمت هذه المقدمة؛ لتكون ميزانًا فيما نقلته في هذا الفصل من المسائل، فإنه قد ذكر في بعضها أنه يكفر مع أنه لا يكفر على قياس هذه المقدمة، فليتأمل انتهى.

نعم من اعتقد أنه يعلم جميع ما استأثر الله بعلمه؛ فهو كافر لا محالة.

وقد وردت النصوص المتظافرة الدالة على علم الموتى، وسؤالهم في القبر، ونعيمهم وتعذيبهم وتزاورهم، وندب زيارتهم، والسلام عليهم، وخطابهم خطاب الحاضرين العاقلين، وعلمهم أحوال الدنيا، وأنهم يسرون ببعضها ويساءون ببعضها، وأنه يؤذيهم ما يؤذي الحي، وغير ذلك مما يطول ذكره، ولا يمكن استقصاؤه.

وفي هذا القدر كفاية لمَن أذعن وسلم، والله تعالى بحال أوليائه أعلم، والحمد لله على الإتمام، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

تمت الرسالة بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه على يد كاتبها أفقر العباد وأحوجهم إلى الملك الوهاب، الفقير عرفة خطاب، غفر الله له ولوالديه، ولمَن دعا لهما بخير، ولجميع المسلمين، ولمَن قرأ فيها، ولمَن سمعها أو ملكها.

فائدة:

روى القسطلاني ﷺ أنه رأى النبي ﷺ في النوم فقال: «**يا رسول الله هل لشاطبية أبي القاسم فائدة؟ فقال ﷺ: مَن حفظها دخل الجنة، فقال: مَن لا قدرة له على حفظها؟ قال: مَن مات وهي في بيته دخل الجنة**»[1] هكذا رواه بعض أهل العلم.

وكان الفراغ من نسخها يوم الخميس المبارك ١٣ ربيع ثاني سنة ١١٢٠ هـ من الهجرة المنيفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

ملك الفقير إلى الله تعالى الفقير محمد المرحومي بلدًا، القاطن بمصر المحروسة، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين.

* * *

(١) حديث كشفي، وروي أيضًا عن أبي القاسم الشاطبي، كما في ترجمته، ذيل نظم الشاطبية (ص١٠٣).

فيض العليّ ذي الجلال
بإثبات كرامات الأولياء
في الحياة وبعد الانتقال



تصنيف

الشيخ العلامة المحدث أحمد الجوهري الخالدي

المتوفى ١١٨١ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هذا فيض الملك ذي الجلال بثبات ايمان
الاوليا في الحيا وبعد الانتقال تاليف
الشيخ العلامة المحقق سيدي
احمد الجوهري الخالدي غفر
الله له ونفعنا به
ببركاته امين
يارب العا
لمين



صورة الغلاف

من رأى في المنام فسيراني في اليقظة [illegible] صريح في ذلك
دليل واضح وبرهان ثابت حتى يجيء ذلك [illegible] لذي رأى ذلك في
المشرقين والمغربين كذلك واعلم ان رؤيته صلى الله عليه
وسلم مناما اجمع عليها بنص الاحاديث منها قوله صلى
الله عليه وسلم من رآني مناما فقد رآني حقا واما رؤيته
يقظة فهي حق ثابتة بالادلة شرعية من الاكابر الاولياء
والصوفية منهم الامام الشيخ السيوطي كان اذا توقف في
حديث يسأله يقظة ويقول له [illegible]
[illegible]
[illegible]
يقظة ممكنة غير مستحيلة لانه صلى الله عليه وسلم حي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] النبي الكريم [illegible]
[illegible] بحسن المسالك من فضله ومنه
الله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الثانية

ترجمة المصنف

هو الشيخ العلامة أحمد بن الحسن بن عبد الكريم بن محمد بن يوسف بن كريم الدين، الكريمي، الخالدي، الأزهري، الشافعي، القاهري، المعروف بالجوهري.

والخالدي: نسبة للصحابي الجليل: خالد بن الوليد، والجوهري: لأن والده كان يبيع الجواهر.

ولد سنة ١٠٩٦ هـ، وقيل: ١٠٩٩، وتوفي سنة ١١٨١.

جلس للتدريس والإفتاء بالجامع الأزهر حوالي ستين سنة.

من مصنفاته:

- هداية الراشدين لحل شرح أم البراهين.
- منوّرة القلوب.
- فيض العلي الودود في تحقيق مسألة الوجود.
- فتح العلي الجليل في تحقيق مسألة العلم بالمستحيل.
- مناهل الكرماء في فضل العلماء.
- الفرق بين كلام الماتريدي والأشعري.
- شرح صلاة الشيخ الأكبر.
- الفتح المبين في تعلقات رب العالمين.
- سهام الطعن والفوز في قلب من وصف بالعجز.

وغيرها كثير من الرسائل في التصوف، والتوحيد، وعلم الكلام.

وانظر: ترجمته في:

- سلك الدرر للمرادي (٨٧/١).
- عجائب الآثار للجبرتي (٤٠٠/١).
- فهرس الفهارس للشيخ الكتاني (٢٢١/١).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأفضل الصَّلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، كُلَّما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

اعلم، وفَّقنا الله وإيَّاك لما هو الحق المبين، وأفاض عليَّ وعليك من نفحات قربه، ولذَّة أنسه، حتى نعرف الحق ونطرح الباطل والشيطان الرجيم.

إن أولياء الله لا خوف عليهم، وهم العارفون به حسب الإمكان، المواظبون على الطاعات، المجتنبون للمعاصي، المعرضون عن الإنهماك في اللذات والشهوات، موجودون في كل زمان؛ لعموم قوله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم السَّاعةُ»**[1].

فهذا دليلٌ على بقائهم إلى يوم القيامة، وكراماتهم ثابتة، وتصرفهم بإذن الله تعالى باق، لا ينقطع بالموت أبدًا.

والدليلُ على ذلك: إنه من الأمور الممكنة التي هي أثر قدرته تعالى، وكل ما كان كذلك فإنه جائز الوقوع، لا ينكره إلا جهولٌ، طُبِعَ على قلبه، واستولى الشيطان على فكره.

ويجوز أن يُقال لسيدي أحمد البدوي، وأضرابه أنهم أولياء، وأنهم متصرفون بإذن الله تعالى.

والدليل على ذلك: ما شاع وذاع وملأ الأسماع من الإخبار بذلك عنهم- رضي الله عنهم.

ويجوز التوسل بهم إلى الله تعالى، والاستغاثة بهم، وبالأنبياء، والمرسلين، وبالعلماء، والصالحين بعد موتهم؛ لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بموتهم.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٤٩٦)، وبنحوه في البخاري (٦/٢٦٦٧)، ومسلم (٣/١٥٢٤)، والترمذي (٤/٥٠٤).

والدليل على ذلك في الأنبياء: إنهم أحياءٌ في قبورهم يصلون ويحجون، لما وردت به الأخبار الصحيحة(١)، وتكون الإغاثة بهم معجزة.

(١) روى أبو داود بسند صحيح عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام**» صدَّر به البيهقي باب الزيارة، واعتمد على ذلك جماعة، منهم الإمام أحمد -رحمه الله تعالى؛ لتضمنه فضيلة رده ﷺ، وهي عظيمة، وهذا الحديث استدل به البيهقي لحياة الأنبياء، ثم قال السمهودي بعد أن ذكر أحاديث في رده ﷺ السلام على مَن يسلم عليه.

وقد ذكر ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» كما نقله ابن عبد الهادي: إن الشهداء؛ بل كل المؤمنين إذا زارهم المسلم، وسلم عليهم؛ عرفوه، وردوا عليه السلام.

قال الإمام السمهودي: فإذا كان هذا في حق آحاد المسلمين، فكيف بسيد المرسلين ﷺ، فهو ﷺ يسمع من يسلم عليه عند قبره، ويرد عليه عالمًا بحضوره عند قبره، وكفى بهذا فضلاً حقيقيًا بأن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل إليه.

وفي «توثيق عرى الإيمان» للبارزي عن سليمان بن سحيم: رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت: «**يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك، أتفقه سلامهم؟ قال: نعم، وأردّ عليهم**».

ولابن النجار عن إبراهيم بن بشار: حججت في بعض السنين فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر النبي ﷺ، فسمعت من داخل الحجرة وعليك السلام، ونقل مثله عن جماعة من الأولياء والصالحين، ولا شك في حياته ﷺ بعد الموت، وكذا لسائر الأنبياء عليهم السلام حياة أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله بها في كتابه العزيز، وهو ﷺ سيد الشهداء، وأعمال الشهداء في ميزانه، وقد قال ﷺ كما رواه الحافظ المنذري: «**علمي بعد وفاتي كعلمي في حياتي**»، ثم ذكر أحاديث في حياة الأنبياء عمومًا إلى أن قال، ولابن ماجه بإسناد جيد عن أبي الدرداء ؓ مرفوعًا: «**أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة، فإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدًا لن يصلي عليَّ إلا عرضت صلاته عليَّ حين يفرغ منها، قال: قالت وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت، إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام، فنبي الله حي يرزق**» هذا لفظ ابن ماجه انتهى كلام السمهودي.

وفي كتاب «غوث العباد ببيان الرشاد» للعلامة الشيخ مصطفى أبي سيف الحمامي بعد إيراده هذا الحديث، يعني: حديث ابن ماجه، وأحمد، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم في رواية قوله ﷺ:

=

«إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» ومن هذا الوادي ما رواه ابن سعد، والبزار بسند صحيح.

ورواه أيضًا القاضي إسماعيل، والحارث في مسنده، وهو قوله ﷺ: «**حياتي خير لكم، تحدثون، ويحدث لكم**»: أي تحدثون شئونًا، ويحدث لكم أحكامها، وقال: «**فإذا أنا مت كانت وفاتي خيرًا لكم، وتعرض عليّ أعمالكم، فإن رأيت خيرًا حمدت الله، وإن رأيت شرًّا استغفرت لكم**»، فهذه أعمال أمة بأسرها صلاة عليه، ﷺ كما يُفهم من الحديث الأول، وسواها كما يُفهم من الحديث الثاني.

أخبر ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى: أنها تعرض عليه، فيحمد الله لخيرها، ويستغفر لشرها، ومَن في الدنيا له ذرة من العقل ينكر حياة من هذا حالهُ، ولا يفهم أن هذا العرض على الروح؛ بل هو على البدن مع روحه من غير شك كما يفيده قوله ﷺ: «**إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» جوابًا لمن استبعد عرض العمل عليه ﷺ بعد موته وهو ببدنه، وبدنه بعد الموت بلي وانتهى، فأفهمه ﷺ أن أجسام الأنبياء حية لا تبلى، وهذا العرض عليه ببدنه ليقتلع من نفسه ذلك الاستبعاد، ويزيد لك بصيرة في حياة الأنبياء في قبورهم قوله ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يّصلون**» رواه أبو يعلي والبيهقي، وهذا حديث لم يقتصر على حياته هو ﷺ؛ بل تعدى إلى جميع الأنبياء، فيحكم عليهم بأنهم أحياء في قبورهم يفعلون فعل الأحياء في الدنيا، وهو الصلاة ذات الركوع والسجود والقيام والقعود والقراءة وذكر الله تعالى، وهي أعمال لو شك شاكٌ في حياة فاعلها؛ لكان شاكًا في حياة نفسه انتهى.

وقد ذكر الشيخ مصطفى الحمامي: «غوث العباد» أدلة كثيرة في حياة الأنبياء واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار إلى أن قال: وأظنك بعد هذا البيان أصبحت، وحياة الأنبياء في قبورهم عندك من الأمور البديهية، غير أني أرجو أن لا تنسى مع ذلك كله أن الأنبياء في عالم البرزخ الآن، فلا تقل إذا كانوا أحياء، فلماذ لا نراهم يذهبون بيننا ويجيئون كما كانوا في الدنيا؟ فإن لعالم البرزخ أحكامهُ، يعني: لا يراهم إلا من رُفع عنه الحجاب إلى آخر كلامه، فمَن شاء فليراجعه؛ لأنه نفيس جدًا، انتهى «غوث العباد ببيان الرشاد» للحمامي.

وفي «جواهر البحار» نقلاً عن خلاصة الوفا أيضًا، قال الأستاذ أبو منصور البغدادي: قال المتكلمون المحققون من أصحابنا إن نبينا ﷺ حي بعد وفاته، وإنه يسرُّ بطاعات أمته، وإن الأنبياء لا يبلون مع

وكذلك الشهداء أيضًا أحياءٌ عند ربهم، شُوهدوا نهارًا جهارًا يقاتلون الكفار، كما صرَّح بذلك الأئمة الأخيار.

والدليل على ذلك في الأولياء: إن أهل الحق قاطبة على أنها تقع من الأولياء أمور خارقة للعادة، بقصدٍ وبغير قصدٍ، يجريها الله تعالى على أيديهم بسببهم.

والدليل على جوازها أنها أمورٌ ممكنةٌ، لا يلزم من جواز وقوعها محال، وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع.

أمَّا في الحياة: فكما في قصة مريم -عليها السلام- ورزقها الآتي من عند الله على ما نطق به الكتاب العزيز: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكما في قصة أبي بكر ﷺ وأضيافه، كما في الصحيح[١]، وجريان النيل بكتاب عمر ﷺ[٢].

ورؤيته وهو على المنبر في المدينة وجيشه بنهاوند، حتى نادى أمير الجيش: «يا سارية الجبل» محذرًا من وراء الجبل لمكر العدو هناك، وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين[٣].

وشرب جدنا خالد بن الوليد ﷺ سيف الله المسلول السُّمَّ، ولم يتضرر به[٤].

=

أنّا نعتقد ثبوت الإدراكات؛ كالعلم والسماع لسائر الموتى، ونقطع بعود حياة لكل ميت في قبره، ونعيم القبر وعذابه ثابت، وهو من الأعراض المشروطة بالحياة؛ لكنه لا يتوقف على البنية.

وأمَّا أدلة الحياة في الأنبياء فمقتضاها أنها مع البنية مع قوة النفوذ في العالم، والاستغناء عن العوائد الدنيوية، ثم بعد ذلك ذكر الإمام السمهودي أحاديثًا وآثارًا كثيرة في فضل زيارته ﷺ، وأنه حي في قبره.

(١) انظر: اليواقيت والجواهر لسيدنا الشعراني (١٠٢/٢).

(٢) انظر: الرياض النضرة للمحب الطبري (٧٣/٢).

(٣) انظر: مناقب سيدنا عمر لابن الجوزي (ص١٩٣).

(٤) انظر: تهذيب الكمال (٤٢٣/٥)، والتهذيب للحافظ (١٠٧/٣).

وقد جرت خَوارق على أيدي الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا يمكن إنكارها لتواتر مجموعها.

وقد سُئل بعض الأئمة الأكابر عمن قال: إن من كرامة الولي أن يقول للشيء: كُن، فيكون.

فأجاب هذا الإمام بأن من قاله صحيح؛ إذ الكرامة من الأمر الخارق للعادة، يظهره الله على يد وليّه، ومعلوم أنه فضل الله، وأَثَرُ قدرته أجراه على يد هذا الشخص كرامة له.

فليس بينهما إلا التحدي ودعوى المعارضة، فمرجع الكرامة إلى قدرة الله تعالى.

نعم من أراد استقلال الولي بذلك، وأنه لا مدخل لقدرة الله تعالى كافرٌ قطعًا، ولا أحد من المسلمين يعتقد ذلك، أعني كون الولي يستقل بذلك، فمن اعتقد في أحد من المسلمين؛ لأنه يريد بذلك الاستقلال فهو ضالٌ مُضلٌ، فإن الأصل حمل المُسلمين على الصواب.

وهم لا يريدون ذلك أصلاً حاشاهم خصوصًا الأئمة الذين صرَّحوا بكراماتهم، فإنهم برآء من ذلك كله؛ لأنهم عارفون محققون فلا تصدر عنهم فلتة أصلاً، فهذه الأشياء يعني كراماتهم مشاهدة لا يمكن إنكارها.

والدليل على ثبوتها بعد مماتهم أيضًا ما ورد في الصحاح أنه مرَّ بقبر ثابت البناني فوجده يصلي في قبره[١].

---

(١) هو ثابت بن أسلم: الإمام الرباني أبو محمد البناني المتعبد الناحل، المجتهد الذابل، وقد قيل: التصوف محافظة الحرمة، ومداومة الخدمة، قال في الإحياء: كان من أولياء الله، وقال أنس ﷺ: إن للخير مفاتيح وإن ثابتًا من مفاتيحه، وأوصى له بمثل نصيب ابنه فلم يقبله، وما روى عن الحسن ﷺ أنه أن ما أوسع لأحد قط في مجلسه إلا لثابت، وكان أعبد أهل زمانه يصوم الدهر كله ويقوم الليل أجمع ولا يمر بمسجد إلا دخله وصلى فيه ركعتين، وكان إذا مروا بقبره سمعوا منه قراءة القران، وكان يقول في حياته: اللهم إن كنت أعطيت أحدًا أن يصلي في قبره فأعطني، فلما دُفن سقطت لبنة فأرادوا إخراجها فرأوه يصلي فيه حالا وشهد ذلك من حضر جنازته.

وقد نقل ذلك الشعراني في بعض كتبه وهو حجةٌ، ووقعت أمور بعد موهم كثيرة.

منها: ما نقله بعض أكابر الحنفية في كرامات الإمام الأعظم أبي حنيفة ﷺ

=

ونقل صاحب الحلية أن صاحب الترجمة كان يسلم على الملكين الكاتبين إذا سلم من صلاة الصبح وإذا سلم من صلاة المغرب، فما مات حتى كلماه شفاهًا وصارا يخبرانه عن أحوالهما في السماوات، وصورة سلامه عليهما: السلام على الملكين الكريمين الكاتبين الحافظين، اكتبا بسم الله الرحمن الرحيم (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد)، اعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم. أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأشهد أن الجنة حق، وأن النار حق وأن الساعة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، اللهم إني وهذا اليوم وهذه الليلة خَلْقَان من خلقك فلا تبتليني فيه أو فيها إلا بالتي هي أحسن، ولا ترين لي فيه جراءة على محارمك ولا ارتكابًا لمعصيتك ولا استخفافًا بحق ما أفرطت علي، اللهم إني أعوذ بك في هذا اليوم أو هذه الليلة من الزيغ والزلل ومن البلاء والبلوى ومن الظلم ومن دعوة المظلوم ومن شر شماتة الأعداء، ومن شر كتاب قد سبق، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا مصيبتي في ديني ولا تسلط علي بذنوبي من لا يرحمني يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين. ومن كلامه الصلاة خدمة الله في الأرض لو علم شيئًا أفضل منها ما قال: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران:٣٩] وقال: كابدتُ الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة، واشتكى عينه فقال له الكحال: اضمن لي أن لا تبكي تبرأ عينك، فقال: لا خير في عين لا تبكي ولم يفعل، وقال: ما على أحدكم أن يذكر الله كل يوم ساعة فيربح يومه، وقال: إني لأعلم حين يذكرني ربي، قيل له: كيف، قال: إذا ذكرته ذكرني، وأعلم حين يستجيب لي، وذلك إذا وجل قلبي واقشعر جلدي وفاضت عيناي وفتح لي الدعاء، وقال: إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى الذكر وعليهم من الآثام أمثال الجبال فيقومون لا شيء عليهم منها وقال: طوبى لمن ذكر الله ساعة الموت وما أكثر عبد ذكره إلا ربيء في علمه.

وانظر: الكواكب الدرية (١٧٤/١).

أن الخضر كان يذهب لقبره ويقرأ عليه علم الشريعة بناءً على أن الخضر وليٌّ لا نبيٌّ.

ومنها: ما نقله الشيخ الشعراني لما ذهب به شيخه الشناوي[1] إلى ضريح سيدي أحمد البدوي، فمد يده سيدي أحمد ﷺ من القبر وأخذ عليه العهد للشعراني، وقال له الشناوي: يكون نظرك يا سيدي عليه.

ومنها: ما حكاه الشعراني قال ﷺ: ذهبت لزيارة الإمام الشافعي ﷺ فطلع من القُبَّة الشريفة وأجلسني على قُبَّة القاضي بَكَّار، وجاءني ببطيخ في غير أوانه، وقال لي: يا عبد الوهاب كُلْ فإنَّ ملوك الدنيا بحسرة هذه القعدة معي، ودعا لي.

ومنها: أمورٌ كثيرةٌ، وقعت لهم بعد الموت.

ومنها: ما أخبر به سيدي عبد الوهاب وهو حجةٌ وإمام حاشاه من الكذب أنه قال: تخلفت سنة عن المولد الشريف الذي يعمل في كل عامٍ لسيدي أحمد؛ لضعف قام بي، فإذ أنا بسيدي أحمد ﷺ واقف عليَّ يقظة بجريدة خضراء ومعه سبعان أسودان، وقال لي: يا عبد الوهاب أتتخلف عن مولدٍ يحضره المصطفى والأنبياء والأولياء من سائر الأقطار؟ وأشار بالجريدة التي في يده فإذا الأكفان خارجة من قبورها من السند والهند وقاف[2]، وتأتي كلها لمقامه ﷺ فقال لي: يا عبد الوهاب أنت أعجز أم هؤلاء؟ وقال لي: وكَّلْتُ بك هذين السبعين يأتياني بك، فقال الشعراني: كل وليٍّ يدعو بقصَّاده إلا سيدي أحمد البدوي؛ فإنه يدعو الناس بنفسه ومجيئه بالأساري يعني سيدي أحمد البدوي بعد موته مما أجمع عليه، وأطبق عليه الجمع الكثير المتواتر.

---

(١) قال الإمام الشعراني: هو شيخي وقدوتي، كان من الأولياء الراسخين في العلم أهل الإنصاف والأدب في أولاد الفقراء، وفُقِد ذلك كله بعد الشناوي.. وانظر: الطبقات الكبرى (٢/١٢٠).

(٢) قاف: المُحِيط بالدُّنْيا، وفي كتاب العَين: الأحقاف جبل محيط بالدنيا من زبرجدة خضراء تلهب يوم القيامة فيحشر الناس عليه من كل أُفق. وقيل: وانظر: معجم البلدان (١/١١٥)، والدر المنثور للسيوطي (٧/٥٨٨).

وأخبرني من أثق به أنه رأى أسيرًا مقيَّدًا، وهو نازل يهوي، وقعد ثلاثة أيام مدهوشًا لا يدري أين هو، ثم بعد أن أفاق قال: إن النصارى لما ضربوني أخذت ولدهم وقتلته، فناديت بأعلى صوتي: يا سيدي أحمد يا بدوي أغثني.

فإذا يدٌ من الهواء التقفتني فما شعرت إلا وأنا في هذا المكان، ومعلوم أن هذا لا ينكره إلا من طُبِعَ على قلبه، فرأى الباطل حقًّا، ورأى الحق باطلاً؛ لسخافة عقله، ولضلال فكره، نعوذ بالله من زلة عاقل سوَّلت له نفسه الحمقاء، وفكره المختل لقصور علمه وضلال عقله، وقال في حق أولياء الله ما قال.

وقد قال ﷺ في الأحاديث القدسية المروية عن الله تعالى: «**من آذى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»(١).

وذلك كناية عن هلاكه، والعياذ بالله، ومقته، وبعده عن الله ﷻ، وعمن اختارهم لحضرته، ويُخشى على من والاهم أو أحبهم أو جالسهم أن يحدث في قلبه ما طُبِعَ به على قلوبهم، فيجب هجرهم في الله تعالى ومجانبتهم؛ لقوله تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

والعبرة بعموم اللفظ، وإن كانت الآية مخرَّجة على سبب فيصح الاستدلال بها في هذا المقام، وأنه يخشى على جاحد ذلك، أعني بذلك من أنكر كرامات الأولياء أحياءً وأمواتًا، المقت والبعد عن الله بل يُخشى عليه من سوء الخاتمة.

وأما قول صاحب «**بدء الأمالي**»: كرامات الولي بدار دنيا، فأجابوا عنه بأن معنى كلامه ﷺ ما قاله الأئمة المحققون من الحنفية، وشارحي كلامه بأجوبة من جملتها، وهو الصحيح أن البرزخ في حكم الدنيا، وأنه ليس من الآخرة كما صرَّح بذلك الحافظ في شرح البخاري(٢).

فقال: إن النصف الأول من الموقف ملحقٌ بالدنيا، فالبرزخ أولى، ومن

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٨٤)، وشرحه السيوطي في رسالته: «القول الجلي في حديث الولي».
(٢) انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (٣/١٢٧)، (٧/٢٩).

جملتها أنه نصٌّ على وقوعها بدار الدنيا، فيفهم بطريق الأولى وقوعها بعد الموت؛ لتجرد الروح عن الهيكل الظلماني، فيصير التصرف للروح أقوى من الجسم معها؛ لأن الروح لا تفنى، وبعد الموت لها قوة العلم، وقوة التصرف والتشكل، خصوصًا أرواحهم أعظم مما كانت حال اتصالها بالجسم.

ومنها: أجوبة أخرى فلا يظن بصاحب «بدء الأمالي» أنه مخالفٌ لأهل السُّنة، بل هو على هدًى ونور من ربه سبحانه وتعالى، وأن كلامه في غاية الصحة لمن نوَّر الله قلبه، ولا يفهم من كلامه أنه لا يقول بكرامة الولي بعد الموت؛ لأنه لا يقول ذلك إلاَّ من طُبِع على قلبه والعياذ بالله.

واعلم أن مما يجب اعتقاده على كل مكلفٍ أن الأوتاد والأنجاب والأبدال ونحوهم موجودون[1].

---

(١) قال الشيخ الصيادي في «قلائد الزبرجد» شرح حكم مولانا الرفاعي أحمد (ص١٥٢) بتحقيقنا: قد تكلم القوم وغيرهم في القطبية والغوثية، واختلفت فيها الروايات.

فقال قومٌ من الصوفية: القطب من جنس الأولياء من بني آدم من أمة النبي ﷺ يأكل، ويشرب، وينكح، ويأتي بالعزائم، والرخص، ويجاهد هواه، قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام، يقوم ويقعد مقتفيًا آثار رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: إن الله سبحانه وتعالى اصطفى لنفسه من خلقه في كل زمن ثلاثمائة وهم: خُلَّص الأولياء.

وسبعين وهم: الأبدال، والنجباء.

وأربعين وهم: الأوتاد.

وعشرة وهم: النقباء.

وسبعة: وهم العرفاء.

وثلاثة وهم: المختارون.

وواحدًا وهو: القطب الغوث، فإذا قُبض القطب الغوث يختار من الثلاثة واحد يجعل مكانه.

ويختار من السبعة واحد يضم إلى الثلاثة.

ويختار من العشرة واحد يضم إلى السبعة.

ويختار من الأربعين واحد يضم إلى العشرة.

=

ويختار من السبعين واحد يضم إلى الأربعين.

ويختار من الثلاثمائة واحد يضم إلى السبعين.

ويختار من الخلق واحد لإتمام الثلاثمائة، ولا يزال كذلك إلى يوم القيامة.

وعلى رأي هذه الطائفة أن الغوث قد يكون من غير أهل البيت النبوي، خلافًا لجماهير العارفين من الصوفية -رضي الله عنهم، فإنهم يقولون: إن القطب الغوث لا يكون إلا من أهل بيت النبي ﷺ.

ولا يخفى أن القطب لغةً: قلب الرحى: أي عمودها الذي تدور عليه.

ويُقال: قطب القوم: أي سيدهم الذي ينتهي إليه رأيهم، ويدور عليه أمرهم.

ومن هنا اصطلح الأولياء -رضي الله عنهم- على تسمية رئيسهم ومقدمهم بالقطب.

وقد اتفقوا جميعًا مع اختلاف رواياتهم أن القطب لا يكون في كل زمان إلا واحدًا، وهو الغوث الفرد الجامع الذي يتلقى الأوامر الباطنة من رسول الله ﷺ، ويبثها على أصحاب النوبة -رضي الله عنهم.

وأظن أن أصحاب النوبة المرادون بحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- وهو قوله ﷺ: «**خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه، وأدخل في الأربعين مكانه يعفون عمَّن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله**».

وقد وقع الغلو في بعض المتصوفة، فإنهم حصر بعضهم هذه المرتبة المباركة، أعني: القطبية في مشايخهم ورجال طريقتهم كالسادة الشاذلية، فإنهم يقولون: إن القطب الغوث لا يكون إلا شاذليًّا.

وقد صرَّح بذلك ابن عباد الشاذلي المغربي في رسالته، وذكر لبعضهم قصيدة يمدح بها السادة الشاذلية يقول فيها: «خدامهم أستاذ كل زمان»: يعني بخدامهم الذي هو أستاذ كل زمان القطب الغوث- قدَّس الله سرَّه.

وإني لفي معزل إن شاء الله عن هذه المبالغة، والغلو والجرأة، وإني أعتقد أن الوهب الإلهي لا ينحصر في طائفة من الطوائف، ولا في طريقة من الطرائق على أنه سبحانه وتعالى لا حجر عليه، يهب ما شاء لمن شاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

هذا مع أن فضل الأستاذ أبي الحسن الشاذلي -قُدِّس سرُّه- وأتباعه السالكين على منهجه المتمسكين بالسنة السنية، والطريقة المحمدية، لم تزل حرمتهم في كل زمن محفوظة، وبأعين التعظيم ملحوظة، وقد جاء فرقة من المتصوفة بوجه آخر، فإن بعضهم جعل القطبية تارة أصالة، وتارة وكالة، تعطى لأناس بالأصالة، ولأناس عن أناس بالوكالة فهذا الوجه حالة كونه ليس بمقبول فكذلك غير معقول.

=

وقد كنت رأيت في كتاب: «الفيض الوارد» للعلاّمة الفاضل السيد محمود أفندي الألوسي المرحوم مفتي العراق عليه رحمة الخلاّق، ما نصّه:

قد ذكر الإمام الربّاني مجدد الألف الثاني في مكتوباته، أن القطبية كانت لأئمة أهل البيت أصالة، وصارت من بعدهم وكالة حتى ظهر الشيخ عبد القادر الكيلاني -قُدّس سرُّه- فأعطيها أصالة، حتى إذا ذهب إلى حظائر القدس أعطيها من جاء بعده وكأنه عنه، فكل الأقطاب من بعده نوابه، ووكلاؤه، ولا يزال الأمر كذلك حتى يظهر المهدي فيعطاها أصالة.

وفي قوله -قُدّس سرُّه:

غَرَبَت شُمُوس الأوَّلِين وشَمسُنَا ... أَبَدًا عَلَى فُلكِ العُلا لا تَغرُب

رمز إلى ذلك، فليحفظ انتهى.

فكنت أتعجب كيف سكت المرحوم المومئ إليه، مع غزارة علمه، وسعة اطلاعه، وحدة ذهنه، وقوة بارقة فهمه، واعتصابه كما يدرك من مؤلفاته للحق وأهله، وكيف لم يكتب على هذه المقولة الواهية شيئًا، ولا زالت تتلجلج هذه القصة أحيانًا في الخاطر، حتى وقفت له -رحمه الله- على تفسيره روح المعاني، الذي شيد به من محكمات الحكم الشرعية أرفع المباني، فرأيته كتب في الجزء السابع من تفسيره المذكور المبرور فيما كتبه على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ما نصّه:

والآية متضمنة الوعد منه ﷻ لأهل بيت نبيه ﷺ بأنهم إن ينتهوا عما ينبئ عنه، ويأتمروا بما يأمرهم به، يذهب عنهم لا محالة مبادئ ما يستهجن، ويحليهم أجل تحلية بما يستحسن، وفيه إيماء إلى قبول أعمالهم، وترتب الآثار الجميلة عليها قطعًا، ويكون هذا خصوصية لهم، ومزية على من عداهم، من حيث إن أولئك الأغيار إذا انتهوا وائتمروا لا يقطع لهم بحصول ذلك، ولذا نجد عباد أهل البيت أتم حالاً من سائر العباد المشاركين لهم العبادة الظاهرة، وأحسن أخلاقًا، وأزكى نفسًا، وإليهم تنتهي سلاسل الطرائق التي مبناها كما لا يخفى على سالكيها التخلية والتحلية اللتان هما جناحان للطيران إلى حظائر القدس، والوقوف على أوكار الأنس حتى ذهب قوم إلى أن القطب في كل عصر لا يكون إلا منهم.

خلافًا للأستاذ أبي العباس المرسي حيث ذهب، كما نقل عنه تلميذه التاج ابن عطاء الله إلى أنه قد يكون من غيرهم.

ورأيت في مكتوبات الإمام الفاروقي الربّاني مجدد الألف الثاني قُدّس سرُّه ما حاصله أن القطبية لم تكن

على سبيل الأصالة إلا لأئمة أهل البيت المشهورين، ثم إنها صارت بعدهم لغيرهم على سبيل النيابة عنهم، حتى انتهت النوبة إلى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني -قُدِّس سرُّه النوراني، فنال مرتبة القطبية على سبيل الأصالة، فلما عرج بروحه القدسية إلى أعلى عليين، نال من بعده تلك الرتبة سبيل النيابة عنه، فإذا جاء المهدي ينالها أصالة كما نالها غيره من الأئمة -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، انتهى.

قلت: -المزيدي-: وكذلك السادة الرفاعية حصروا القطبانية في مشيختهم، كما صرح بذلك الشيخ الصيادي، وشيخه الرواس، وأيضًا السادة التجانية وغيرهم.

ثم قال الصيادي: وهذا مما لا سبيل إلى معرفته والوقوف على حقيقته إلا بالكشف، وأنّى لي به.

والذي يغلب على ظني أن القطب قد يكون من غيرهم، لكن قطب الأقطاب لا يكون إلا منهم؛ لأنهم أزكى الناس أصلاً، وأوفرهم فضلاً.

وأن من ينال هذه الرتبة منهم لا ينالها إلا على سبيل الأصالة دون النيابة والوكالة، وأنا لا أعقل النيابة في ذلك المقام.

وإن عقلت قلت: كل قطب في كل عصر نائب عن نبينا عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأكمل السلام.

ولا بدع في نيابة الأقطاب بعده عنه ﷺ، كما نابت عنه الأنبياء قبله، فهو ﷺ الكامل المكمل للخليقة، والواسطة في الإفاضة عليهم على الحقيقة، وكل من تقدمه عصرًا من الأنبياء، وتأخر عنه من الأقطاب والأولياء نواب عنه ومستمدون منه.

وأقول: إن السيد الشيخ عبد القادر -قُدِّس سرُّه- وغمرنا بره قد نال ما نال من القطبية بواسطة جده ﷺ على أتم وجه وأكمل حال.

فقد كان ﷺ من أجلة أهل البيت حسينيًّا من جهة الأب، حسنيًّا من جهة الأم، لم يصبه نقص: لو أن وعسى وليت، ولا ينكر ذلك إلا زنديق أو رافضي ينكر صحبة الصديق، ورأى أن قوله ﷺ:

أَفَلَتْ شُمُوسُ الأَوَّلِينَ وشَمْسُنَا أَبَدًا عَلَى شَمْسِ العُلا لا تَغْرُبُ

لا يدل على أن من ينال القطبية بعده من أهل البيت الذين عنصرهم، وعنصره واحد نائب عنه ليس له فيض إلا منه، بل غاية ما يدل عليه، ويومئ إليه ظهور استمرار ظهور أمره، وانتشار صيته، وشهرة طريقته، وعموم فيضه لمن استفاض على الوجه المعروف عند أهله منه، وذلك مما لا يكاد ينكر، وأظهر من الشمس والقمر انتهى.

ورد فيهم عدة أحاديث، ولا يعول على من طعن فيها، بعضها تقوى ببعضٍ.

=

فرأيت أنه -رحمه الله- استعمل قلمه فحاجًا في هذا الباب يطوف طرق الرقائق، فيأتي بأوضح الحقائق، أو غواصًا يغوص بحور الحقائق فيستخرج ضرر الرقائق، على أنه التزم جانب الأدب مع القوم الكرام، والآل العظام، فما أهمل مقدارهم، ولا استخف منارهم وذكر مال الشيخ -قُدِّس سرُّه- من المنـــزلة، وذكره بما يليق له، واستدل بكلماته المباركة على استمرار ظهور أمره، وطريقته، وصيته، وشهرته.

وغير خافٍ أن ما استدل به من كلمات الشيخ -قُدِّس سرُّه- وقع مثلها.

وأصرح منها من جماعة أجلاء من إخوانه الأولياء.

ومنهم من شهد لهم غيرهم بهذا الظهور كسيدنا الرفاعي ﷺ، فإن جماعة من أعظم خواص الأولياء شهدوا له بدوام دولة الطريقة، واستمرار بركة الحقيقة في بيته وذريته إلى يوم القيامة بإذن الله.

ادَّعى الوصول إلى مرتبته، والاطِّلاع على رتبته فكذبوه.

أي إخواني: هذا رجلٌ لا يعرف ولا يحد، هذا رجلٌ انسلخ من علائق بشريته وعوائق نفسه كانسلاخ الثوب عن البدن، والأولياء في عصرنا هذا كبارهم وصغارهم المشارقة والمغاربة الأعارب والأعاجم عيال عليه، يستمدون منه ويأخذون عنه، وهو شيخ الكل في الكل، يسحُّ النوال من حجرة جده ﷺ على قلبه، وهو يقسمه على الرجال في الأرضين، ولا ينقطع مدده بإذن الله.

قلت: وخلاصة القول أن العطاء الرباني لا حدَّ له، ولا حجر لأحد عليه، ومذهب سيدي علي الخواص ﷺ الذي نرتضيه أن القطبانية بالأصالة لا يشترط فيها النسبة لأهل البيت بالنسب الشريف -وهو النسب الطيني- وإنما تحققت بالنسب الديني، كما ثبت للختم الشيخ الأكبر -قدس الله سره، ولا تختص بعربي أو عجمي.

واعلم أن هناك مشارب وأذواق وأقوال في مسألة الفردانية والغوثية والختمية، كلها إن شاء الله حقٌّ، وتحمل على الخاص والعام، والمشرب والذوق، ومسلك طريق السادة الكرام، فافهم يهديك الله إلى الصواب.

بل قال بعض الحفاظ: إن بعضها صحيح(١).

وفي «**المواهب اللدنية**»: وقد خَصَّ الله هذه الأمة الشريفة بخصائص لم تؤتها أممٌ قبلها، أبان بها فضلهم والأخبار والآثار ناطقة بذلك.

ثم قال فيها:

منها: إن منهم أقطابًا وأوتادًا ونجباءً وأبدالاً، عن أنس مرفوعًا إلى النبي ﷺ: «**الأبدالُ: أربعون رجلاً، وأربعون امرأة، كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلاً، وإذا ماتت امرأة أبدل مكانها امرأة**»(٢).

رواه الطبراني في الأوسط بلفظ: «**لَنْ تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن عليه السلام، فبهم تُسقون، وبهم تُنصرون، ما مات منهم أحدٌ إلا أبدل الله مكانه آخر**»(٣).

هكذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام.

ورواه ابن عدي بلفظ: «**البدلاء أربعون: اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات منهم واحدٌ أبدل الله مكانه آخر، فإذا جاء الأمر قُبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة**»(٤).

ولأبي نعيم في الحلية عن ابن عمر -رضي الله عنهما- رفعه إلى النبي ﷺ: «**خيارُ أمتي في كل قرن خمسمائة، والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون، ولا الأربعون، كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه آخر وهم في الأرض كلها**»(٥).

وفي تاريخ بغداد للخطيب عن الكناني رضي الله عنهما قال: النقباء ثلاثمائة، والنجباء سبعون، والبدلاء أربعون، والأخيار سبعة، والعُمُد أربعة،

---

(١) انظر: رسالة الإمام السيوطي: «الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال».

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (١/١١٩).

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/٣٠٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٣).

(٤) رواه الديلمي في الفردوس (٢/٣٦)، وابن عدي في الكامل (٥/٢٢٠).

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٨)، والديلمي في الفردوس (٢/١٧٥).

والغوث واحد، فمسكن النقباء المغرب، ومكبسن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سائحون في الأرض، والعُمُد في زواياها، مسكن الغوث مكة، فإذا عُرِضَت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء، ثم النجباء، ثم الأبدال، ثم الأخيار، ثم العمد، فإن أجيبوا وإلا ابتهل فيها الغوث، فلا تتم مسألته حتى تُجاب دعوته.

وقال الحافظ ابن حجر: الأبدال وردت في عدة أخبار، فيها ما هو صحيحٌ.

وأما القطب فورد في بعض الآثار: «وإذا مات القطب جُعل مكانه خيار الأربعة، وإذا مات أحد الأربعة جُعل مكانه خيار السبعة، وإذا مات أحد السبعة جُعل مكانه خيار الأربعين، وإذا مات أحد الأربعين جُعل مكانه خيار الثلاثمائة، وإذا مات أحد الثلاثمائة جُعل مكانه خيار الصالحين. وإذا أراد الله تعالى قيام الساعة أماتهم أجمعين، وبهم يدفع الله عن عباده البلاء وينــزل قطر السماء» كما في السيرة الشامية.

قال الإمام اليافعي في كتابه: «**كفاية المعتقد ونكاية المنتقد**»[١]:

قال بعض العارفين: الصالحون كثير مخالطون للعوام لصلاح الناس في دينهم ودنياهم، والنجباء في العدد أقل منهم، وهم نازلون في الأمصار العظام، لا يكون في كل مصر منهم إلا واحد بعد واحد، فطوبى لبلدة كان فيها اثنان منهم، والأوتاد واحد في اليمن، وواحد بالشام، وواحد في المشرق، وواحد في المغرب، والله يدير القطب في الآفاق الأربعة في أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء.

وقد سُترت أحوال القطب[٢] عن العامة والخاصة، غَيرة الحق عليه، غير أنه

---

(١) ويعرف بنشر المحاسن الغالية.

(٢) قال سيدي محمد وفا -قدس سره-: قلب القطب هو اسم الله الأعظم، ووجه ذاته الأكرم، الذي قام به الخلق والأمر، وعليه مدار السر والجهر، «**وكل قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابعه**»، كقلبٍ واحدٍ، فهم ألسنته الناطقة، وكلماته الصادقة، وأقلامه الفاتقة والراتقة، ولو برز جامع عالم

يرى عالمًا كجاهل، أبله كفطن، قريبًا بعيدًا، سهلاً عسرًا، آمنًا حذرًا، وكشف أحوال الأوتاد للخاصة، وكشف أحوال البدلاء للخاصة والعارفين، وستر أحوال النجباء والنقباء عن العامة خاصة، وكشف بعضهم لبعضٍ، وكشف أحوال الصالحين للعموم والخصوص؛ ليقضي أمرًا كان مفعولاً.

انتهت عبارة هذا الإمام العارف بالله تعالى.

فإذا تبيَّن لك هذا، وتحققت كلام الأئمة الأعلام، فيجب عليك اعتقاد أن أولياء الله موجودون، وكراماتهم محققة، وأنهم عرائس المملكة، ولا يرى العرائس المجرمون الذين طبع الله على قلوبهم نعوذ بالله من زلة عاقل لا يدري عواقب الأمور، ولم يأخذ العلم عن أهله، ولا التصوف بنقله، بل خَبَطَ خَبْط عشواء، وركب متن عمياء، نعوذ بالله من مضلات الدين، ونعوذ بك أن تلحقنا بأهل الخيبة والخسران يا حنَّان يا منَّان، يا سُلطان يا ديَّان.

=

القدرة لفسد نظام عالم الحكمة. قال تعالى: ﴿وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧].

والقطب معلومٌ بالغيب، مجهولٌ بالعين، معروفٌ عند الحق بالحق، متنكرٌ عند الخلق بالخلق، يأتي الله لكل صورةٍ بحقها في صورة جمع فرقها، حتى لو جاءهم في غير الصورة التي يعرفونه فيها، ويعبدون الله من وجهها، قالوا: إنا نعوذ بالله منك، وجمدوا على تعوذهم وإنكارهم، حتى يُتصور لهم في صورة معبودهم الذي عرفوه، ويتجلّى لهم في صورة تربيتهم الذي ألفوه، أقرُّوا به وصدقوه، واتبعوه من ذلك الوجه، ووافقوه.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١].

والقطب اسم بدل من اسم الله ﷻ، وهو المهيمن على أسماء النـزول كما أن اسم الله تعالى هو المهيمن على أسماء الرفيع الأعلى، وكما أن لله تسعًا وتسعين اسمًا كذلك للقطب تسعًا وتسعين اسمًا، كل اسمٍ من أسمائه تعالى هو عين غيبه، وظاهر باطنه، ووجه ذاته، وتجلّي أسمائه وصفاته، فمن عرفه عرف الله، ومن ينكر عليه فلا حول ولا قوة إلا بالله. انظر: النفائس (ص١١٣) بتحقيقنا.

خاتمة
نسأل الله حسنها

إذا علمت ذلك، وتحققت ما هناك.

فاعلم أن تصريف كل وليّ حيًّا وميّتًا على مُقتضى القدرة الأزلية والعلم القديم، إنما هو تابعٌ لتصريف المصطفى ﷺ وبإذنه، وهو ﷺ بإذن الله تعالى.

فإذا كان كذلك فكل تصريفٍ واقع في الكون فهو بإذن المصطفى ﷺ؛ لأنه عليه السلام ملأ الكون، وذلك كما قاله الجلال السيوطي:

إن الذي أراه أن جسده الشريف لا يخلو منه زمانٌ، ولا مكانٌ، ولا محلٌّ، ولا عرشٌ، ولا لوحٌ، ولا كرسيٌّ، ولا قلمٌ، ولا برٌّ، ولا بحرٌ، ولا سهلٌ، ولا وعرٌ، ولا برزخٌ، ولا قبرٌ.

وإن امتلاء الكون الأعلى به كامتلاء الكون الأسفل به ﷺ، وكامتلاء قبره، فتجده مقيمًا في قبره طائفًا حول البيت، مقيمًا بين يدي ربه، تام الانبساط بإقامته في درجة الوسيلة.

ألا ترى الرَّائين له ﷺ يقظةً أو منامًا في أقصى المغرب يوافقون الرَّائين له كذلك في تلك الساعة بعينها في أقصى المشرق، كما قال القائل:

وَلَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

فإن قال القائل: كيف يصحُّ أن يحل جسم واحد في جميع المحال؟

فالجواب: إن من كذب على النبي ﷺ فقد استحق والعياذُ بالله تعالى الصدّ، ومن أحدث في أمره الشريف ما ليس منه فهو رد.

فما ذكرناه في هذا المدّعي بفيض الإلهام، ولا يتوقف في صحبته إن شاء الله تعالى أحدٌ من أهل الأفهام، إلاّ الشاذ النادر من أهل الأوهام، وأصحاب الإيهام والأوهام.

وإذا لم ترَ الإمام فسلم للناس ذوات الأبصار، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، علينا إذًا أن نقول: لا فراق إلا بجميلٍ، ولا يصح قول إلا بدليلٍ.

قلنا على ذلك أدلة نقلية صحيحة، وبراهين وجودية قطعية عقلية.

فأما الدليل النقلي: ما رويناه في عوالينا الصحيحة، ومسانيدنا الثابتة الرجيحة كما هو ثابتٌ عند جميع الحفاظ، وعند جميع أهل المعاني أنه ﷺ ليلة أُسري به، رأى أخاه موسى عليه السلام قائمًا يصلّي في قبره، مجانبًا إلى بيت المقدس، ورآه أيضًا بين يديه، وصلّى موسى عليه السلام خلفه ﷺ مقتديًا به ﷺ أسوة بالأنبياء -عليهم السلام.

ثم فارقه، وصعد النبي ﷺ إلى السماء الرابعة فوجده فيها، أو في غيرها على ما رُوي.

ورُوي أنه وجد آدم في الأولى، وعيسى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، وعليهم جميعًا السلام، على أنه يصح أن يكون رأى موسى عليه السلام فيهما جمعًا بين الروايتين.

فإذا كان هذا لموسى عليه السلام وهو دون نبينا ﷺ في المرتبة، فنبينا ﷺ يكون موجودًا في كل مكان، وفي كونه مقيمًا بقبره أجدى، وأحق، وأحرى، وأولى؛ لوجود موسى عليه السلام في السماء الرابعة والسادسة، مع أن نبينا فارقه في بيت المقدس، وفارقه في قبره قائمًا يصلّي، لكن يختص نبينا ﷺ بامتداد الكون به عن موسى عليه السلام وعن غيره؛ لأنه تقرب وترقّى ليلة الإسراء إلى ما لا قدرة لملك مقرَّب ولا نبي مرسل على الوصول إلى تخطية خطوة منه، ولذلك تخلف رئيس الملائكة جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى محتجبًا بقوله: ﴿**وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ**﴾ [الصافات: ١٦٤].

وتخلّف إبراهيم عليه السلام في السماء الرابعة، وتخلف موسى عليه السلام في الرابعة والسادسة.

إلى غير ذلك من الأدلة النقلية على ذلك[١].

وكذلك ما ثبت عندنا في عوالينا الصحيحة، ومسانيدنا الثابتة الرجيحة،

---

(١) انظر: النور الوهاج في الإسراء والمعراج للشيخ الأجهوري (بتحقيقنا).

كما هو ثابتٌ عند إمام الأئمة الحفاظ، الإمام البخاري وغيره من أن الملكين يقولان للمقبور في قبره: «**ما تقول في هذا الرجل؟**[(١)]».

لأن اسم الإشارة وهو: (هذا) لا يُشار به إلا للحاضر، هذا هو الأصل في حقيقة معناه.

قول بعض المحققين من المحدثين: (يمكن أن يكون حاضرًا ذهنًا) لا سبيل إليه؛ لأنا نقول له: ما الذي دعاك إلى هذا التجوز، والعدول عن الحقيقة؟.

إلى ذلك فوجب أن يكون حاضرًا بجسده الشريف ملازم له، فإذا سُئل مائة ألف ألف في آنٍ واحدٍ في وقتٍ واحدٍ كان عند كل منهم بجسده ﷺ فثبت أنه ملأ الكون.

ومما يُستدل به من البراهين على ذلك، وأنه ملأ الكون، وأنه تصرف فيه بإذن ربه أن يُقال:

من الممكن المعقول في المشاهدة في رأي العين، أن يجعل الله نبيه محمدًا ﷺ بمكان كمكان جعل فيه البدر والهلال، فيراه الذي في أقصى الأرض من أقصى المغربِ إلى أقصى المشرق وهو فرد، وضوءه ملأ الأكوان.

وكذلك عين الشمس والزهرة، وبقية الكواكب والنجوم، فإنه قد اشترك في رؤيتها كل من كان على وجه الأرض؛ لأن الله قد جعل له مكانًا يقتضي ذلك، فلا يدع أن يكون قدر النبي ﷺ بطيبة كذلك.

ولا غرو أن يجعل الله شخص نبينا بمنـــزلة غير طيبة: أي المدينة يُرى فيها ويُشاهد؛ لكونه ﷺ نورٌ، وذاته نورٌ، وصفاته نورٌ، وجسمه نورٌ، وكل شخص يراه على حسب قربه منه.

فمن الناس المقربين من اجتماعه بالنبي ﷺ بمصر مثلاً أقوى من اجتماع بعض الحجاج به عند محل قبره؛ إذ من الناس من حضورهم كالغيبة، ومن الناس غيبتهم أحضر من الحضور.

(١) رواه البخاري (١/٤٤٨).

ألا ترى البحر الطّامي أبا يزيد البسطامي(١) لما حجّ ثلاث مرات لما لم

(١) ذكره الشيخ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وترجمه فأحسن، وقال: ومنهم التائه الوحيد القائم الفريد البسطامي أبو يزيد تاه فغاب، وهام فآب، غاب عن المحدود وآب إلى موجد المحسوسات والمعلومات، فارق الخلق ووافق فأيد بإخلاء السر وأمد باستيلاء الذي إشاراته فانية، وعباراته كامنة لعارفيها صائنة، ولمنكريها فاتنة.

اسمه طيفور بن عيسى بن شروشان وكان جده مجوسيًا فأسلم وكان سبب إسلامه على ما ذكره شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي قدس الله روحه أنه كان يخالط شروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ولده وأنكر عليه صحبة شروشان، وقال له: رجل مجوسي تصاحبه؟ فقال لوالده: هو رجل مرضي الخصال لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي وإنما أحبه لذلك، فقال له والده: قل له: إن أبي يجيئك ضيفًا، فأخبره فقال: نعم إن فعل فعلي الهدية والكرامة، فلما حضر إبراهيم وأحضر شروشان الطعام. قال له: لا آكله حتى تعطيني مرادي وتقضي حاجتي. قال: وما ذاك؟ قال: أن تسلم. قال: أفعل وكرامة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده رسوله، فكان هذا سبب إسلامه. وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه في يومه وغير يومه، وفي الأجانب من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركًا واستسعادًا، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور، ولا زال المشايخ المتقدمون في عصره يزورونه ويتبركون بدعائه وهو عندهم من أجل العباد والزهاد وأهل المعرفة بالله. قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلمي رحمه الله: مات أبو زيد عن ثلاث وسبعين سنة، وهو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسن في المعاملات، ويحكى عنه في الشطح أشياء منهـــا مالاً يصح ويكون مقولاً عليه يرجع إلى أحوال سنية وفراسة حادة ورياضة لأصحابه حسنة. مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين.

ذكر معنى أقواله المشهورة عنه في الشطح: «سبحاني سبحاني ما أعظم شاني».

قال الشيخ أبو النصر السراج رحمه الله: وقد قصدت بسطام فسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك، وعلى تقدير صحة ذلك، فنقول: قوله سبحاني سبحاني على معنى الحكاية عن الله ﷻ أنه يقول: سبحاني سبحاني لأنا لو سمعنا رجل يقول:

لا إله إلا أنا فاعبدني، لا يختلج في قلوبنا شيء غير أنا نعلم أنه هو ذا يقرأ القرآن، أو هو يصف الله بما وصف به نفسه، وكذلك لو سمعنا دائما أبا يـــزيد وغيره وهو يقول: سبحاني سبحاني، لم نشك أنه يسبح الله ويصفه بما وصف به نفسه.

=

وكذا قال: الشيخ شهاب الدين السهروردي في العوارف: وما يحكى عن أبي يــزيد قوله: سبحاني حاشا لله أن يعتقد في أبي يــزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى.

قال: وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله أنا الحق.

قيل لأبي القاسم الجنيد قدس الله روحه إن أبا يــزيد يسرف في الكلام، وقال: وما بلغكم عن إسرافه في كلامه؟ قيل يقول: «سبحـــاني سبحـــاني ما أعظم شأني». فقال الجنيد:

إن الرجل مستهلكٌ في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق تعالى فنعته، فنطق به ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنًا من الحق به، ألم تسمعوا بمجنــون بني عامــر لما سئل عــن اسم نفسه؟ فقال: ليلى، فنطق بنفسه ولم يكن من شهوده إيــاه فيه، وقيل له: من أنت؟. قال: أنا من ليلى ومن ليلى أنا.

وأما ما حُكي عنه قوله: «ضربت خيمتي بإزاء العرش» فإن صح عنه أنه قال ذلك فهذا غير مجهول أن الخلق كلهم والكون وجميع ما خلق الله تحــت العــرش، أو بإزاء العرش يعني: وجهت وجهي نحو ملك العرش، ولا يوجد في العالم موضع إلا وهو بإزاء العرش، فلا سبيل للمتعنت إلى هذا الطعن.

وأما ما حُكي عنه أنه قال: «خضت بحرًا وقف الأنبياء بساحله» فقد تكلم الناس على مقالته هذه بأشياء على قدر أذواقهم، ونذكر هنا ما قاله الشيخ الكبير أبو الحسن الشاذلي -قدس الله روحه- فإنه أقرب إلى أفهام الناس.

قال: إنما يشكو أبو يــزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء عليهم السلام، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض، أي: فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: وهذا الذي فسربه الشيخ كلام أبي يــزيد هو اللائق بمقام أبي يــزيد.

وقد قال: إن جميع ما أخذ الأولياء من ما أخذ الأنبياء كزق مُلئ عسلاً، ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء وتلك الرشاحة هي للأولياء.

وقال: والمشهور عن أبي يــزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب.

وحُكي عنه أنه وصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارته وقعد في المسجد ينتظره، فجاء ذلك الرجل وتنخم في حائط المسجد فرجع أبــو يــزيد ولم يجتمع بــه، وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمن على أسرار الله، وما جاء عن الأكابر أُولي الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أوّلناها لهم لما علمناه من استقامتهم وحُسن طريقتهم،

يصل لمزيد القرب أهلاً إلاّ في المرة الثالثة.

قال ﷺ: حججتُ ثلاث مرات:

- ففي المرّة الأولى: رأيت البيت، و لم أرَ ربّ البيت.

=

وقد قال ﷺ: «ولا تظنّنّ بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملاً» انتهى كلامه -قدّس الله سرّه العزيز.

وأما قوله في بعض كلامه: رفعني وأقامني بين يديه، يعني: أشهدني ذلك وأحضر قلبي لذلك؛ لأن الخلق بين يدي الله سبحانه لا يذهب عليه منهمَ نفس ولا خاطر ولكن يتفاضلون في حضورهم لذلك ومشاهدتهم له، ويتفاوتون في صفائهم عجب من كدورة ما يحجب بينهم وبين ذلك من الأشغال القاطعة والخواطر المانعة، والله تعالى أعلم. وأما قوله: قال لي وقلت له، فإنه يشير بذلك إلى مناجاة الأسرار وصفاء الذكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار في آناء الليل والنهار.

واعلم أن العبد إذا تيقن بقرب سيده منه ويكون حاضر القلب مراقب الخواطر فكل خاطر يخطر خطر بقلبه كأن الحق سبحانه يخاطبه بذلك، وكل شيء يتفكره بسره فكأنه يخاطب الله به إذ الخواطر وحركات الأسرار، ما يقع في القلوب بدوه من الله تعالى وانتهاؤه إلى الله، فهذا على هذا المعنى، والله أعلم. وفيما ذكرته كفاية وهذا الباب واسع، وقد شرح الشيوخ ما نسب إليه من الكلام المغلق على أفهام بعض الناس كسيد الطائفة الجنيد والشيخ أبي النصر السراج وغيرهما قدس الله أرواحهم.

قال الجنيد -قدّس الله روحه: الحكايات عن أبي يـــزيد مختلفة، والناقلون عنه فيما سمعوه متفرقون، وذلك لاختلاف الأوقات الجارية عليه بما فيها والاختلاف بالمواطن المتداولة بما خص منها فكل يحكي عنه ما ضبط من قوله، ويروي ما سمع من تفصيل مواطنه.

وقال الجنيد أيضًا: وكأن كلام أبي يـــزيد -رحمة الله عليه- بقوته وغوره وانتهاء معانيه مغترف من بحر قد انفرد به، وجعل ذلك البحر له وحده.

وقال الجنيد أيضًا: كل الخلق يركضون فإذا بلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا.

وقال أبو الحسين: ولعمري لقد كان يبدو منه الشيء بعد الشيء على سبيل الغلبة لا يجوز أن يتخذها الإنسان دعوى يدعيها. وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت علي بن بندار، يقول سمعت أبا بكر بن محمود يقول: بلغني أن أبا حفص قدم على أبي يزيد، فقال له: يا أبا يـــزيد: يبلغنا عنك في كل وقت أشياء منكرة، فقال: إنما يخرج الكلام مني على حسب وقتي، ويأخذه كل بحسب وقته ثم ينسبه إلي، والله أعلم.

وانظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/٤٠، ٣٣)، وفيات الأعيان (١/٣٠١)، الرسالة القشيرية (١٧)، طبقات الصوفية للسلمي (٨)، والكواكب الدرية (١/٢٤)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/٨٩)، وروضة الحبور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور لابن الأطعاني (ص١٨) بتحقيقنا.

- وفي المرّة الثانية: رأيت رب البيت ولم أرَ البيت.

- وفي المرّة الثالثة: لم أرَ البيت ولا ربِّ البيت.

فكان الحاصل من مقالته، ومن اعتبار حاله:

- أن حجته الأولى: من حج العوام في سائر الأعوام.

- وأن الثانية: كانت في بداية مقام الفناء، ففني عن رؤية كل محسوسٍ، فلم يرَ أحدًا أحق بالوجود من الله تعالى، وهذا معنى قوله: رأيت ربّ البيت ولم أرَ البيت. وإلاّ فربُّ البيت لا يجوز أن يُرى في الدنيا.

- وكانت نفسه في الحجة الثالثة ليست موجودة معه حتى يرى بها شيئًا، ففني في فناء قرب الحق تبارك وتعالى فناءً كليًّا، وأشار إليه القائل:

فَيَفْنَي ثُمَّ يَفْنَى ثُمَّ يَفْنَى فَكَانَ فَنَاؤُهُ عَيْنَ البَقَاءِ

ففي مقل هذه الغيبة يحصل الحضور، وقد دلّت الأدلة على أن الأنبياء يسيرون في الكون.

هذا ما رويناه في كتاب «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام[1]» لجلال السيوطي: إن النبي ﷺ كان يطوف بالبيت خفية، فسلم على شيءٍ في الهواء، فسُئل عن ذلك فقال: «رأيت عيسى بن مريم يطوف بالبيت فسلّم عليّ وسلمت عليه».

فاستقر الحال على أن عيسى عليه السلام كما قال الحافظ السيوطي والذهبي وغيرهما: نبيٌّ، ورسولٌ، وصحابيٌّ، وأنه أفضل الصحابة، وأن الأنبياء والمرسلين يسيرون في الكون لنفعهم ونفع العباد، وأن النبي ﷺ ملأ العوالم كلها العلوية والسفلية؛ لأنه لو لم يكن الأمر كذلك لزم منه أنه متى سار يصير قبره خاليًا منه، ويكون الزائر إنما يزور الضريح فقط. وهذا لا يقول به أحدٌ.

وأيضًا قوله عليه السلام: **«من رآني في المنام فسيراني في اليقظة[2]»**.

من أصرح صريح، وأدل دليل، وأقوى برهان، وأثبت حُجّة على ذلك،

---

(١) مطبوع ضمن الحاوي للفتاوي (٢/١٥٥، ١٦٧).

(٢) رواه البخاري (٦/٢٥٦٧)، ومسلم (٤/١٧٧٥).

فكم راءٍ له في المشرقين والمغربين.

كذلك ولا يصح أن يقصر معنى الحديث على رؤيته في الآخرة؛ لأن سائر الأمم تراه يومئذٍ فيمن رآه في الدنيا ومن لم يره(١).

---

(١) فوائد جليلة: قال الأبشيهي -رحمه الله- في المحاسن: ومن محاسن ما نقله المجد اللُّغوي في كتابه: ما روي عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ صلَّى عَلَى روح محمَّدٍ فِي الأرواح وعَلَى جسده فِي الأجساد وعَلَى قبرِه فِي القُبُور رآني فِي منامِهِ، ومن رآني فِي منامه رآني يومَ القيامةِ، ومَنْ رآني يومَ القيامةِ شَفعتُ لـــه، ومَنْ شفعتُ لـــه شربَ من حوضي، وحرَّم الله جسده عَلَى النَّار» ذكره أبو القاسم السبتي فِي كتابه «الدرُّ المنظم فِي المولد المعظَّم».

وزاد بعضهم: «وعَلَى اسمه فِي الأسماء، وعَلَى صورته فِي الصور، وعَلَى نوره فِي الأنوار».

وزادني بعضهم: القول والفعل والعمل والعلم، فقال: «وعَلَى قوله فِي الأقوال، وعَلَى فعله فِي الأفعال، وعَلَى عمله فِي الأعمال، وعَلَى علمه فِي العلوم».

وزاد بعضهم: «ما رسم به»، ثم نظر إِلَى صفة جسده الشريف، فذكر: شعره الشريف وثغره وجيده ونحره ونحره، ثم زادني ذلك ذكر بطنه، وظهره، وختم بذكر قبره الشريف ﷺ، ولازم صلاة الروح هذه من العارفين جماعةٌ عَلَى هذه الصورة، فكان يرى النبيَّ ﷺ يقظةً، كأبي الحمائل السروي وغيره، والشيخ نور الدين الشوني، والشيخ عبد الوهاب الشعراني، ورأى النبيَّ ﷺ بفضل هذه الصلاة جماعةٌ: منهم الشيخ أبو الحسن الكفوري شيخنا عفا الله عنه، ورآه ما يزيد عن مائه مرةٍ، وأعطاه علامةً للشفاعة، وقال لـــه: الموعد الموقف، وقال لـــه فِي مرةٍ أخرى: نحن صحبناك من الصغر، وكان دَيِّنًا ورعًا زاهدًا.

والشيخ نور الدين الشوني كان يراه يقظةً، أخبر عنه الشيخ شهاب الدين البلقيني عفا الله تعالى عنه، وأخبرني من أثق به بحضرة شيخ الإسلام البهنسي عفا الله تعالى عنه، رآه ما يزيد عن مائة مرةٍ، وأعطاه علامةً للشفاعة: أنه رأى النبيَّ ﷺ بمجيئه الأزهر فِي إحياء ليلة الجمعة وسيِّدنا عيسى بن مريم عن يمينه وملأ من الصحابة، فقال النبيُّ ﷺ لعيسى عليه السلام: يا ابن مريم هل فِي حواريك مثل هذا يجمع للصلاة عليَّ؟ وقد نصره الله تعالى، وأخذت عنه العلماء، ودعا لأهل المجلس، وقد بسط يديه. قَالَ الرائي: فأردت أن أقوم. قال: جعلك الله منهم، فلازمت معهم ليلة الإثنين وليلة الجمعة ومجالسهم، فرأيت الخير، وكان يخبر أنه يرى النبيَّ ﷺ، وكان الشيخ شهاب الدين البلقيني -عفا =

الله تعالى عنه- يخبر بالعجائب من بركة الصلاة عليه، وكذلك ولده الشيخ صالح -عفا الله تعالى عنه، وكان الشيخ عبد القادر القشاشي يراه في صلاة التراويح.

وأخبرني الشيخ شحاته الحلبي زائر القرافتين: أن الشيخ بركات الزائر رأى النبيَّ ﷺ سبع مرات، وأوصاه بالشيخ شاهين المجذوب، وقال: هو مع الفرقة الناجية.

قلت: ولعله أراد بها العاملين بالكتاب والسنَّة، أو أراد شاهين المذكور أنه مع الفرقة الناجية ولو بسطته ذكر من رأى النبيَّ ﷺ وهو يصلي صلاة التراويح، هذه لما وسعه هذا الكتاب.

وبالجملة: إن ثواب هذه الكيفية لها لا يُحصيه إلا الله تعالى.

قال العارف بالله تعالى الإمام الكيزاني: يعطيه الله ثوابًا عدد الأرواح، وثوابًا عدد الأجساد، والأشباح: جمع شبح، والمراد بذلك: الملائكة، ومن ليس لهم جسم، ويعطيه الله ثوابًا بعدد كلّ صورةٍ من الخلق، والدواب، والطير، والوحش، والذر، والبعوض وغير ذلك، والمراد بالنور: الملائكة الكروبيون، وحور الجنَّة، ثم نظر إِلَى ثواب كل قولٍ نطق به اللسان من أعمال الخير إِلَى يوم القيامة، وكل عملٍ من الأعمال المأمور بها، وكل علم جاء عنه؛ وأما رسمه فهو ما وسمت به أمته، وما وسم الله تعالى به كل عارفٍ، والوسم مذكور خلاف الرسم، وسوف يأتي ذكر الرسم فِي الكيفيات، أو لعله أراد ما وسمت به الصالحون كالغرة المذكورة والتحجيل، وغير ذلك من خصائص هذه الأمَّة الشريفة.

ثم نظر إِلَى جسمه الشريف، فبدأ بذكر شعره؛ لمضاعفة الثواب فِي ذلك وجيبه وثغره، ولما رأى ما نطق به من الحكمة، وناهيك بالقرآن العظيم وثوابه، وصدره، وما حوى بكل خيرٍ، وبطنه وما وعى، فهذا تقريرٌ حسنٌ عرفنا به قدر هذه الصلاة الشريفة، وإن أصلها واردٌ فِي السنة وزيادة، وإن شاء الله تعالى يأتي ذكر رسمه الشريفة فِي الباب الرابع مبيّنًا مفصّلاً، فإن ذكر هذه الألفاظ حسنٌ، وأنها ليست ببدعةٍ، ومن ذكر ذاته الشريفة، وما حوت توسُّلاً وتفرُّعًا، فلا يعترض فِي ذلك، فإنها كالدعاء المأثور المستخرج من أقواله ﷺ.

واعترض بعض الفقهاء عَلَى هذا التقرير، فمقت، ومات فِي قرية بغير دفنٍ، ولم أرَ ما تلمّح به غير الاعتقاد، وأقول ما قالت مشايخنا وسادتنا: هذه الصلاة معتقدٌ، أو هي: اللَّهُمَّ صل وسلم عَلَى روح نبينا محمَّدٍ فِي الأرواح، وصل وسلم عَلَى جسده فِي الأجساد، وصل وسلم عَلَى قبره فِي

=

القبور، وصل وسلم عَلَى اسمه فِي الأسماء، وصل وسلم عَلَى صورته فِي الصور، وصل وسلم عَلَى نوره فِي الأنوار، وصل وسلم عَلَى قوله فِي الأقوال، وصل وسلم عَلَى فعله فِي الأفعال، وصل وسلم عَلَى عمله فِي الأعمال، وصل وسلم عَلَى علمه فِي العلوم، وصل وسلم عَلَى رسمه فِي الرسوم، وصل وسلم عَلَى شعره فِي الشعور، وصل وسلم عَلَى ثغره فِي الثغور، وصل وسلم عَلَى بطنه فِي البطون، وصل وسلم عَلَى ظهره فِي الظهور، وبعضهم ختم هذه الصلاة بذكر اسمه الشريف، وبعضهم ختمها بذكر قبره الشريف، وبعضهم قدَّم وآخر وكلُّ ذلك حسنٌ.

وأخبرني الوالد عن شيخ الإسلام الرملي -عفا الله تعالى عنه: أنه كان يحبُّ هذه الصلاة، ويقول: لها أصل، ولو لَمْ يكن فِي ثوابها إلا ما وعد ﷺ بقوله: «رآنِي فِي مَنَامِهِ، وشفعتُ لـه، وشربَ مِنْ حوضِي، وحرَّم الله جسدَه عَلَى النَّارِ» لكان خيرًا كثيرًا، انتهى. انظر: محاسن الأخيار (ص٧١) بتحقيقنا.

وقال محمد فتحا بن كنون: ومن المقرَّر عند العلماء الأعلام أنه يعمل بجميع ما يتلقَّاه العارفون منه ﷺ في اليقظة والمنام.

وقد علم أن أخباره ﷺ قسمان: قسمٌ عامٌ وهو ما أمر ﷺ أن يخاطب به عامة الناس، كتشريع الشرائع، وتحديد الأحكام، وتبيين الفرض من النفل، والحلال من الحرام، وهذا القسم انقطع بوفاته ﷺ.

والقسم الثاني: خاصٌّ، وهو ما أُمر به ﷺ ألا يخاطب به إلا الخواص، وهذا لم ينقطع بوفاته ﷺ، فلا يزال يلقيه إلى آخر الدهر لمن أهلَه الله له بحكم الاختصاص.

قال سيِّدنا ﷺ: من توهَّم أنه ﷺ انقطع جميع مدده عن أمته ﷺ كسائر الأموات، فقد جهل رتبة النبي ﷺ، وأساء الأدب معه، ويخشى عليه أن يموت كافرًا إن لم يتب من هذا الاعتقاد.

وقال الهاروشي رحمه الله: سألت شيخنا العياشي -رحمه الله تعالى- عن الثواب المذكور في بعض فضائل الأعمال المروية عن غير النبي ﷺ، كقولهم: (من صلَّى على النبي ﷺ بالصلاة الفلانية فهي بمثابة فدية، أو الصلاة الفلانية تعدل عشرة آلاف، أو غير ذلك).

فأجاب بأن ذلك مما يُلهمه الله تعالى الأولياء، يرونه مكتوبًا بقلم القدرة على حجرٍ، أو ورقٍ، أو شجرٍ، أو يسمعون الهاتف، أو يتلقونه عن النبي ﷺ في النوم أو اليقظة انتهى.

قال في البغية: قلت: أو تخاطب به عوالمهم اللطيفة، وهو أصلٌ متينٌ من الأصول المعتمدة عندهم، دليله من السُّنة قوله ﷺ: **«إنه كان فيمن قبلكم محدثون»**.

=

=

وفي رواية: «**مكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، وإن كان في أمتي فعمر منهم**»، كما قال ﷺ انتهى.

قلت: ودليله من القرآن قوله تعالى حكايةً عن الخضر عليه السلام: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ [الكهف:٨٢]، بناءً على أن الخضر وليٌّ فقط.

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ [الحجر:٧٥].

ومن السُّنة أيضًا قوله ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله**» انتهى.

وهذا من أقسام الإلهام، وهو معنى يجده الولي في نفسه، يثلج له الصدر، وينشرح له القلب من غير تعلق حس ولا خيال.

ومن أقسامه أيضًا: ما يكون متلقى بالخيال في عالم الخيال، وهى المبشرات المُشار إليها بقوله تعالى: ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ [يونس:٦٤]، وهي: «**الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له**».

ومن أقسامه أيضًا: ما يكون حسًّا في حسٍّ على ذي حسٍّ.

ومن أقسامه: ما يجدونه مكتوبًا بقلم القدرة في ورقةٍ مثلاً، وهو الذي كان يقع لأبي عبد الله بن قضيب البان وغيره، انتهى.

ومنه ما وقع للقطب البكري؛ فإنه توجَّه إلى الله تعالى مدة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ، فيها سر جميع الصلوات، فنــزلت عليه صلاة الفاتح مكتوبة بقلم القدرة في ورقةٍ من نور.

فإن قلت: فما علامة كون الكتابة التي في الورقة مثلاً من عند الله حتى يجوز للولي العمل بما فيها؟

فالجواب: إن علامة ذلك كما في «الفتوحات» أن تكون تلك الكتابة تُقرأ من كل ناحيةٍ على السواء، لا تتغيَّر، كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها.

قال الشيخ محيي الدين: وقــد رأيت ورقة نزلت على فقيرٍ في المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة، فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين، انتهى.

وبالجملة والتفصيل:

فهو ﷺ موجودٌ بين أظهرنا معنًى، وجسمًا، وروحًا، وسرًّا، وبرهانًا.

وقد صرّح الجلال السيوطي بأن النبي ﷺ يسير في الكون، وأن الجسم الشريف مقيمٌ بالقبر المنور.

قلنا: معنى كلام الجلال ومراده به تمييز نبينا محمد ﷺ عن سائر الأنبياء والمرسلين بخصوصية يستقيم له بها المقصود في ذلك، وهو المعنى الذي ذُكر آنفًا، وإلا فجميع الأنبياء مشاركون له في الشكل، والمثال، والتطور، وتعدد الأشباح.

بل الأبدال كما قدمنا يفعلون في حياتهم ذلك وفي قوتهم، بل وخاصة المؤمنين، بل وعامتهم الذين لم يشغلهم عن ذلك شاغلٌ من موبقات الذنوب وعزائم الكروب.

وقد نقل ابن القيم عن صالح المري أنه تخلف عن حضور الجمعة، فلما جاء متداركًا رأى بعض الأرواح قد تشكلت وجلست على ظاهر قبورها، وأنهم قالوا: أبطأت عن صلاة الجمعة.

فقال لهم: أتعرفون الجمعة؟

قالوا: نعم، ونعرف ما يقول الطير في جو السماء.

وفي هذا الباب من هذا القبيل ما لا يكاد يُحصر.

قالوا: إن الأموات يعلمون الشيء قبل حدوثه.

* * *

تتمة

اعلم أن رؤية المصطفى ﷺ منامًا مجمع عليها بنص الأحاديث.

منها: قوله ﷺ: «مَنْ رآني فقد رآني حقًّا فإن الشيطان لا يتمثّل بي[1]».

واختُلف هل المرئي في النوم ذاته الشريفة بعينها، أو مثاله؟[2].

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٢٩٠)، ومسلم (١٧٧٥/٤).

(٢) ولا يقيد ذلك برؤية صورته الشريفة؛ لأنه ﷺ يظهر في صورة الأولياء والصالحين من هذه الأمة، وهذا صحيح إلا أنهم نصوا على أن رؤيته ﷺ في صورته الأصلية المذكورة في الشمائل لا تحتاج إلى تعبير، بخلاف رؤيته على غيرها، فهي محتاجة إلى التعبير، قاله في البغية.

وقال الشيخ كنون: قال الشيخ جاسوس في شرح الشمائل ما نصّه في سمط الجوهر الفاخر: وقد اختلفوا في رؤياه ﷺ، هل تكون إلا على صورته المعلومة التي كان عليها في الدنيا، أو يُرى في صورته المعلومة وغيرها، والصحيح التعميم، وإن رؤياه في أي حالة كانت هي حقٌّ، ليست باطلة ولا أضغاثًا، إلا أنه إن رُئي على غير صورته المعروفة في حياته احتاجت إلى التعبير والتأويل، وهذا والله أعلم بشرط أن يكون لصورته الحقيقية بقاء، فيكون مثال ذلك.

كما إذا كان لك شخص من أقاربك تعرفه معرفةً تامةً، فغاب عنك مدة مديدة، ثم اتصلت به وقد شابَ وصار شيخًا، وكان حين غاب عنك شابًا لم يشب، أو غيَّرته الشمس وسوَّدته، وقد ذهب أبيض، أو وقع له أثرٌ في وجهه، أو نقصٌ في بعض أعضائه، فإنك مع ذلك لا تمتري فيه أنه الشخص الذي غاب، بخلاف ما لو أتاك غيره وادَّعى أنه هو، وهو مخالفٌ له في صورته الأصلية، والمعنى والسر الذي امتازت به صورته عن غيرها، فإنك لا تقبل دعواه أصلاً، ولو احتجَّ عليك بما عسى أن يحتج به، ولعل هذا يجمع بين قول من قال: لا يُرى إلا على صورته المعروفة، وبين قول من قال: يُرى في كل صورة.

وأما لو رأى في المنام شخصًا مخالفًا لصفة النبي ﷺ من كل وجه، فقال له أنه النبي ﷺ، وقيل له ذلك فيه، أو توهمه في نومه، فالظاهر أن رؤياه غير صحيحة، وتلك الصورة التي رأى غير محفوظة من الشيطان. انتهى باختصار.

والمحققون من أصحاب سيدي أحمد التجاني ﷺ كانوا يتقيَّدون برؤية صورته، أو قوله لهم: «أنا محمدُ بن عبد الله»، أو نحو ذلك من القرائن الصريحة، حذرًا من الكذب على رسول الله ﷺ. قاله في البُغية.

=

بعضهم صرّح بالأول، وبعضهم صرّح بالثاني.

وبعضهم فصّل وقال: إن رآه على صفة الحقيقة التي خُلق عليها فهو ذاته، وإلا فالمثال.

وأما رؤيته ﷺ يقظةً فهي حقٌّ ثابتة بالأدلّة عن جماعة من أكابر الأولياء والصوفية:

منها: ما وقع للجلال السيوطي، كان إذا توقف في حديثٍ يسأله يقظةً، ويقول له النبي ﷺ: «قلته يا شيخ السُّنَّة».

=

ثم قُسّم الناس في استعمال هذه الأسباب قسمان:

قسمٌ لم يستعملوها لنظرهم؛ لما هم عليه من العيوب والنقائص، فلا يرون أنفسهم أهلاً لرؤيته، فيقولون لها: إن كنت صادقة في شوقك إليه فاتَّبعي سنته وطريقته؛ لتتحقق لك محبّته، كما قيل:

وَمَنْ يَدَّعِي حُبَّ الرَّسُولِ وَلَمْ يَكُنْ ... بِسُنَّتِهِ مُسْتَمْسِكٌ فَهُوَ كَاذِبُ

عَلَامَةُ صِدْقِ المَرْءِ فِي الحُبِّ أَنْ يُرَى ... عَلَى سُنَنٍ كَانَتْ عَلَيْهَا الحَبَائِبُ

ولتستعين على طاعته بدوام الصلاة عليه، كما قال البوصيري:

وَتَزَوَّدْ التَّقْوَى فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِع ... فَمِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ تَزَوَّدْ

وهذا لملازمته الذُّل والانكسار يوشك أن يجبر الله كسره بأن يرفع له الحجاب؛ حتى يرى النبي المختار ﷺ؛ لحديث: **«أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»**.

الثاني: قومٌ غلب عليهم الشوق، ولم يبالوا بما هم عليه من العيوب، معتقدين أن برؤيته ﷺ تزول العيوب، وتتطهّر القلوب بمياه الغيوب، وتحصل السعادة، وتزول الشقاوة، كما قال البوصيري:

لَيْتَهُ خَصَّنِي بِرُؤْيَةِ وَجْهِهِ ... زَالَ عَنْ كُلِّ مَنْ رَآهُ الشَّقَاءُ

وهذا أيضًا جدير بقضاء وطره؛ لقوله تعالى: **﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾** [النمل:٦٢]، وقوله: **«أنا عند حُسن ظن عبدي بي»**.

والفريقان معًا على صواب واشتياق، لكن الفريق الأول غلب عليهم شهود عيوبهم.

والثاني غلب عليهم الشوق، **﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾** [الإسراء:٢٠] انتهى من البغية. وانظر: حل الأقفال لقراء جوهرة الكمال (ص٤٦) بتحقيقنا.

ومنها: ما وقع للأستاذ أبي العباس المرسي فإنه قال: لو غابت عني رؤية المصطفى ﷺ يقظة طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين.

ومنها: ما وقع للشيخ محيي الدين بن عربي أنه قال: إنَّا معاشر الصوفية نُصَلِّي، ونُسَلِّم عليه حتى يصير يجالسنا، ونجالسه ﷺ.

ولكن ذكر الإمام الشعراني أنه لا يراه يقظةً إلاّ من أُزيل عن قلبه سبعون ألف حجاب، وإلا فلا يراه يقظةً أبدًا.

ورؤيته ﷺ يقظةً ممكنة غير مستحيلة؛ لأنه ﷺ حيٌّ الدارين، وملأ الكونين وسرهما، فلا يُستبعد ذلك إلا من طُبع علىٰ قلبه. وذلك:

- إما برفع الحُجُب بين الشخص وبينه ﷺ حتى يراه في مكانة حيًّا، غضًّا، طريًّا، كما وُضع في قبره.
- وإما بانزواء الأرض للرائي كرامةً لذلك الولي، ورفع الموانع العائقة عن الرؤية، أو لكون ﷺ ملأ الكون نوره، فإذا انقشع عن القلب ظلمة الرَّان رأى ذلك النور المحمدي عنده، وخاطبه، وجالسه، وهو عنده وهو جالسٌ في مكانه.

وليس بمستحيلٍ ولا بعيدٍ أصلاً، ولا يحتاج لفترة ولا لغموض عين أصلاً، خلافًا لمن قال به، وإن جلَّ ناقلوه؛ لأن للأولياء أحوالاً وكرامات خرجت عن دائرة العقل، فلا ينكرها إلاّ من لم تهب عليه نفحاتهم[1].

---

(١) **فائدة جليلة**: من محاسن المواهب اللدنيَّة: أن أبا محمد البغدادي رأى النبيَّ ﷺ في المنام، وشكا إليه الفقر، فقال لــه: قل اللَّهُمَّ صل عَلَى محمَّد وعَلَى آل محمَّد، وهبْ لنا اللَّهُمَّ من رزقك الحــلال الطيب المبارك ما تصون به وجوهنا عن التعرُّض إِلَى أحد من خلقك، واجعلْ لنا اللَّهُمَّ إليه طريقًا سهلاً من غير تعبٍ ولا نصبٍ ولا منَّةٍ ولا تبعةٍ، وجنِّبنا اللَّهُمَّ الحرام حيث كان وأين كان وعنــد من كان، وحل بيننا وبين أهله أعداءنا، واقبض عنَّا أيديهم، واصرف عنا قلوبهم؛ حتَّى لا تنقلب إلا فيما يُرضيك، ولا نستعين بنعمتك إلا عَلَى ما تحبُّ، يا أرحم الراحمين.

قال البغدادي: فما إن تممتها فجاءني الغنى في تمام شهري.

وقال السخاوي مثل ذلك.

=

وحكى أبو محمد القسطلاني: أنه رأى مثل هذه الرؤيا، قال: والله رأيتها بعينها.

وزاد البيهقي في آخرها في محاسن من رآه في المنام: كانت تترادف عليَّ الدنيا، وأنا أعرض عنها، وعرفت أن ذلك من بركة هذا الدعاء، وعلَّمته لمن أحبُّ من إخواني، فأغناهم الله تعالى ببركة النبيِّ ﷺ.

ومن محاسن ما ذكره السمرقندي الفقيه في «تنبيه الغافلين» في باب فضل الصلاة عَلَى النبي ﷺ: قَالَ الطائي: قَالَ لي المظفَّر السمرقندي: دخلت يومًا في مغارة، فضللتُ الطريق، فإذا أنا بالخضر عليه السلام قد رأيته، فقال لي: تجد معي: أي امشي، فمشيت معه، فظننت، فقلت: لعله خضرٌ، فقلت: ما اسمك؟ فقال: خضر بن أنشا أبو العباس، ورأيت معه صاحبًا، فقلت: ما اسمك؟ فقال: إلياس بن سام. فقلت: رحمك الله تعالى، هل رأيتما محمدًا ﷺ؟ قال: نعم. فقلت: بعزة الله تعالى وبقدرته لتخبراني شيئًا حتَّى أروي عنكما. فقال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: **«مَا مِنْ مؤمنٍ صلَّى عَلَى محمَّد ﷺ إلا نضَّر له قلبَه ونورَّه الله ﷻ»**، وسمعت الخضر وإلياس يقولان: كان في بني اسرائيل ابنٌ يقال له: أشمويل، قد رزقه الله تعالى النصر عَلَى الأعداء، وأنه خرَجَ في طلب عدوٌ له، فقالوا: هذا ساحرٌ، يسحر أعيننا، ويفسد عساكرنا، فنجعله في ناحية البحر ونهزمه، فخرج في أربعين رجلاً، فجعلوه في ناحية البحر، فقال أصحابه: كيف نعمل؟ قال: احملوا، وقولوا: صلَّى الله عَلَى محمد، فحملوا، وقالوا: اللَّهُمَّ صل عَلَى محمَّد، قال: فصار أعداءهم في ناحية البحر فغرقوا أجمعين، قَالَ الخضر: كان ذلك بحضرتنا. وسمعتهما أيضًا يقولان: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: **«مَا مِنْ مؤمنٍ يقول: صلَّى الله عَلَى محمَّد إلا حبَّبه النَّاسُ، وإنْ كانُوا بَغَضُوهُ، ووالله لا يحبُّونَه حتَّى يحبَّه الله ﷻ»**.

وسمعناه يقول عَلَى المنبر: **«مَنْ قَالَ: صلَّى الله عَلَى محمَّدٍ فقد فتحَ عَلَى نفسه سبعين بابًا مِنَ الرَّحْمَة»**.

وسمعتهما يقولان: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ صلَّى عَلَى محمَّدٍ طهَّر الله قلبَه مِنَ النِّفاقِ كمَا يُطهِّر الثوبَ الماءُ»**.

وسمعتهما يقولان: جاء رجل من الشام إلَى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أبي شيخٌ كبيرٌ، وهو يحبُّ أن يراك. فقال: «آتني به». فقال: إنَّه ضرير البصر. فقال: قل له: **«لِيَقُلْ فِي سبع أسبوع: يعني فِي سبع ليالٍ: صلَّى الله عَلَى محمَّدٍ؛ فإنَّه يراني فِي المنامِ، حتَّى يروي عنِّي الحديثَ»**. ففعل، فرآه في المنام، فكان يروي عنه الحديث. ذكره الذهبي في الميزان (٥/٢٢١).

ومن محاسن الكواكب السيَّارة فِي زيارة القرافتين: ما نُقل عن أبي الخير الأقطع التيناتي قال: دخلت المدينة وأنا بفاقة، فأقمت خمسة أيامٍ ما ذقت ذواقًا، فتقدَّمت إِلَى القبر، وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله، فتنحَّيت، ونمت خلف المنبر، فرأيت النبيَّ ﷺ فِي المنام، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعليٌّ بين يديه- رضي الله تعالى عنهم- فحرَّكني عليٌّ، وقال: قم؛ فقد جاء رسول الله ﷺ. فقمت إليه، وقبَّلت بين عينيه، فدفع إليَّ رغيفًا، فأكلت نصفه، وانتهيت، فإذا فِي يدي نصف الرغيف، فصلَّيت عليه، وسلَّمت، ودعوت الله تعالى، وسألته الرحمة والعزَّ به.

ومن محاسن كتاب المصباح قال: أتى رجلٌ من خراسان إِلَى أبي الفضل، وقال له: إنَّ النبي ﷺ يسلم عليكم، ويقول لك: لا تقطع هذه الصلاة عليه. فبكى، فأقسم عليه، فقال: إِنِّي أقول فِي كلِّ ليلة: اللَّهُمَّ صل عَلَى مُحمَّد وعَلَى آله وأصحابه، عدد أنعام الله وأفضاله. فأخذها عنه، وحلف بالله أنه ما كان يعرفه ولا يعرف اسمه حتَّى عرفه رسول الله ﷺ؛ فدفع له شيئًا من الدنيا، فقال: لا أبيع رسالة رسول الله ﷺ بالعرض الفاني.

وقال بعض الكتبة: كنت أكتب الحديث، فإذا وصلت إِلَى ذكره كتبت: عليه السلام، فرأيت النبي ﷺ فِي المنام وهو يعاتبني، وقال لي: ما لك لا تتمُّ الصلاة عليَّ فيما كتبت؟! فكتبت بعد ذلك: ﷺ، فرأيت أن الله تعالى ربَّا لي ذلك حتَّى صار كلُّ حرف كالجبل العظيم.

وقال الطبري حاكيًا عن الحسن بن موسى الحضرمي المعروف بابن عجيبة: قال: كنت أكتب الحديث ولا أكتب الصلاة عليه، فرأيت النبيَّ ﷺ فِي المنام، وقال لي: ما تكتب الصلاة عليَّ؟! فانتبهت فزعًا، وآليت عَلَى نفسي لا أقطع ذكر الصلاة عليه ﷺ.

قال القسطلاني فِي «مسالك الحنفا»:

رُوي عن الطبراني: أنه رأى النبيَّ ﷺ فِي المنام وله إشراقٌ وجمالٌ باهرٌ، فقال له: السلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، يا رسول الله، قد ألهمني الله كلمات أقولهن. قال: وما هنَّ؟ قال: اللَّهُمَّ لك الحمد بعدد من حمدك، ولك الحمد بعدد من يحمدك، ولك الحمد كما تحبُّ أن تُحمد، اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّد بعدد من صلَّى عليه، وصلِّ على مُحَمَّد بعدد من لم يُصلِّ عليه، وصلِّ على مُحَمَّد كما تحبُّ أن يصلَّى عليه. فتبسَّم رسول الله ﷺ حتى بدت ثناياه، ورأى النُّور يخرج من التفليج الذي بين ثناياه فِي منامٍ طويلٍ.

وقال شيرويه: سمعت عبد الله بن مكي يقول: سمعت أبا الفضل القوساني يقول: أتى رجلٌ من خراسان، فقال: رأيت النبي ﷺ فِي منامي، وأنا فِي مسجد المدينة، وقال: إِذَا أتيت همدان فأقرئ

خاتمة النسخة

نسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يحشرنا في زمرة وتحت لواء هذا النبي الكريم، بجاهه عند ربه، وأن يسلك بنا أحسن المسالك، وأن يجعلنا من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والحمد لله رب العالمين

وسميتها: «فيض الإله المتعال بإثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال».

أو: «فيض العلي ذي الجلال بإثبات كرامات الأولياء بعد الانتقال».

وصلّى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا آمين.



***

عليٌّ بن أبي الفضل بن زيرك منّي السلام. قلت: يا رسول الله، لماذا؟ قال: لأنه يصلّي عليَّ كل يَوْمٍ مائة مرة. ثم قال: أسألك أن تعلمنيها. قال: إنه يقول: اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ النبيِّ الأمّيِّ، وعلى آل مُحَمَّدٍ، جزى الله مُحَمَّدًا ﷺ ما هو أهله. فلما أتى همدان سأل عنه ولم يكن يعرفه، فأخذها عنه، فأتيت ابن زيرك وسألته، فأخبرني أنه أعطاه الكيفية، وقال: أخذها عنّي، وحلف أنه ما كان يعرفني ولم يعرف اسمي حتى عرَّفه له رسول الله ﷺ، وقال لي: عرضت عليه برًّا ردَّه عليَّ، وقال: ما أبيع رسالة رسول الله ﷺ بعرض الدنيا، ومضى، فما رأيته بعد.

السهم القوي
في نَحْرِ كل غَبِي وغَوي

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي

المتوفى سنة ١١٩٧ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي





كتاب

السهم القوي في نحر كل غبي وغوي

من تأليف سيدي أحمد

السجاعي الشافعي

الأحمدي

نفع الله به آمين

مؤلف في ذكر كرامات الأولياء

كفاك ربك كم يكفيك واكفة

كفكافها ككمي كان منكلك تكر كرا ككر الكر في كبد

تحكي مشكشكة كلكلت كرك الفلك

... يحكي كوكب الفلك

صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نصب لدينه من دفع عنه الرعاع وأزال بنور
الحق ظلام الباطل وإن كانت لكثرة أهله بملا بسائر البقاع والصلاة
والسلام على سيد الأنبياء وعين الأصفياء بلا نزاع سيدنا ومولانا
محمد صاحب المعجزات التي فاقت الشمس سنيا والقمر في الشعاع
وعلى آله وأصحابه أولي الكرامات في الحياة وبعد المماة للمشاهدات
لمن فارق الابتداع وعلى التابعين وتابعي التابعين لهم بإحسان
وعلى من خالف هوى النفس فرجع إلى الحق وما زاغ أما بعد
فيقول الراجي من مولاه حسن المساعي أحمد
ابن الشيخ أحمد السجاعي الشافعي الأحمدي إن السنة المحمدية
المشرقة البهية صارت غريبة عزيزة في هذه الأزمان المتأخرة
الردية لكثرة أهل البدع وتكلموا بما يفسد الاعتقاد وأوهموا
الجاهلين فصدوا الصلحاء وطعنوا بما ينافي فبئسما قدمت لهم
أنفسهم وبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا عالمين فيما تكلم به
قوم رعاع وإذا عوضوا الحرمان ونسبوا الابتداع إنكار
كرامات الأولياء أحياء وأمواتا ومنها إنكارهم على المسلمين
زيارة الأولياء لقطب الأقطاب السيد البدوي واعتراضهم
عليهم بما يقع فيه من المخالفات لرب الأرباب ومنها وقد
اتسع قولهم من أين لنا أنهم ماتوا على الإسلام ومنها
تكفيرهم الوليين العظيمين الجليلين القطب الكبير سيدي
محيي الدين بن عربي والقطب الجليل سيدي عمر ابن الفارض
نفعنا الله بهما آمين وقد سئلت في إبطال هذه الدعاوي
التي ليست خافية على من له نور وبصيرة من أهل الإيمان

بالأدلة

أنها أمور خفية فضلوا
وأضلوا وباءوا من الله
بالطرد والإبعاد وأكثر
ما يقع ذلك منهم في
المجالس المختلطة بجهالة
الظلم وحب الدنيا للقوم
الأولين

الظاهر

صورة الصفحة الأولى

ثم قال اعني السيوطي كم من امام كان في عصره في حجاز وشام
ومصر وما منهم احد وجه اليه انكارا ولا اعطاه مقدارا ولا اقام
له منارا وذلك لما نشأ هدوه من سني احواله وتواتر عندهم
من انه يحب عاشقها واله وقد كان الشيخ قبل تجرده من الفقها
الاعلام وولي القضا والاحكام وقد سئل الشيخ ابلغني عن
شيخنا الحافظ ان الكل هو ويسئل عن الابيات التي
ينكر تعليه فانكرها خوفا ممن يتعلق ظاهرها ويتبعه
فما يلزمه من انكار القول تنقيص صاحبه ولا الازرا بمقامه
والتفريط في واجبه ثم نقل عن ابن السبكي انه قال فتحرينا
فلم تحققها ينكر على الصوفية الاوحط لكنا الله ويكون
فايتم وصمي ولبعضهم بريتم
يتوهيب فرد ولقد فرضت عليه زيارة ابن الفارض
لا عزوانا بري وكي حملا موجه ابدا كيوم العرض تحت العارض
فيهما ملخصا هذا وقال العلما رضي الله عنهم انه يجوز
ليسلم كلامه على محمل حسن اذا كان في كثير خلافه ولو كان
فبكل رواية ضعيفة وبالجملة والتفصيل فالكلام على هذه
المسايل يستدعي جلة من التطويل لكن هذه النبذة
فيها اشارة الى ما يستكفي بها من له بصيرة ربانية ويرجع
بها عن المنازعات ان كان ممن نجا في زيا لعظيم وسواد
ربه عن دخوله فيما لا يعنيه والتكلم في اوليا الله الذي هو حبيبه
سو الخاتمة والمقت من الله والخزي والانتقام جعلنا
الله ممن اتعظ بغيره ولم تكن موعظة لسواه وختم لنا
بخاتمة السعادة وحفظنا من كيد الشياطين وادخلنا
الجنة مع العلما العاملين بمنه وكرمه امين امين امين

وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه
وسلم

صورة الصفحة الأخيرة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمصنف

هو الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي البدراوي الأزهري : فقيه شافعي مصري.

نسبته إلى (السجاعية) من غربية مصر.

له تصانيف كثيرة أكثرها شروح وحواش ورسائل ومتون منظومة في علوم الدين والأدب والتصوف والمنطق والفلك.

منها:



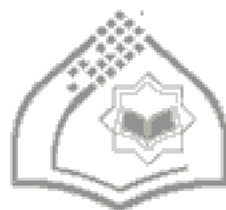
- الدرر في إعراب أوائل السور.
- شرح معلقة امرئ القيس.
- شرح لامية السموأل.
- حاشية على شرح القطر لابن هشام في النحو.
- حاشية على شرح ابن عقيل للألفية في النحو.
- منظومة في الاستعارات.
- فتح المنان في بيان مشاهير الرسل التي في القرآن.
- النور الساري شرح مختصر ابن أبي جمرة للبخاري.
- شرح متن الكافي في العروض والقوافي.
- البصائر في معرفة آخر الليل والنهار.

ولأحد تلاميذه رسالة سماها: «فهرس مؤلفات السجاعي».

توفي ﷺ سنة ١١٩٧ هـ.

وانظر ترجمته في:

عجائب الآثار للجبرتي (٧٥/٢)، ومعجم المؤلفين لكحالة (٩٧/١).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي نصب لدينه من ذبَّ عنه الرِّعاع، وأزال بنور الحق ظلام الباطل، وإن كان لكثرة أهله يملأ سائر البقاع.

والصَّلاة والسَّلام على سيد الأنبياء، وعين الأصفياء بلا نزاع سيدنا ومولانا محمد صاحب المعجزات التي فاقت الشَّمس ضياء، والقمر في الشُّعاع، وعلى آله وأصحابه أولي الكرامات في الحياة وبعد الممات، المشاهدات لمن فارق الاتباع، وعلى التابعين، وتابع التابعين لهم بإحسان، وعلى من خالف هوى النفس فرجع إلى الحق وما ارتاع، آمين.

أما بعد...

فيقول الرَّاجي من مولاه حسن المساعي أحمد بن الشيخ أحمد السجاعي الشَّافعي الأحمدي:

إن السُّنة المحمدية المشرَّفة المحمية لما صارت غريبة عزيزة في هذه الأزمان المتأخرة الرديئة، وكَثُر أهل البدع، وتكلموا بفاسد الاعتقاد، وأوهموا الجاهلين أنها أمور خفية فضلوا وأضلوا، وباءوا من الله بالطرد والإبعاد، وأكثر ما يقع ذلك منهم في المجالس المظلمة بظلام الظلم، وحب الدنيا للقوم الجاهلين، قصدًا لصيدهم حطامها الفاني، فبئسما قدمت لهم أنفسهم، وبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا عالمين، فمهما تكلَّم به قومٌ رعاعٌ، وأذاعوه فأورثهم الحرمان، وسوء الابتداع إنكار كرامات الأولياء أحياءً وأمواتًا.

ومنها: إنكارهم على المسلمين زيارة الأولياء كقطب الأقطاب السيد أحمد البدوي، واعتراضهم عليه بما يقع فيه من المخالفات لرب الأرباب.

ومنها: وهو أشنع مما قبله قولهم: من أين لنا أنهم ماتوا على الإسلام؟

ومنها: تكفيرهم الوليين العظيمين الجليلين، القطب الكبير سيدي محيي الدين ابن عربي، والقطب الجليل سيدي عمر بن الفارض، نفعنا الله بهم.. آمين.

وقد سُئلت في إبطال هذه الدعاوي التي ليست خافية على من له نور وبصيرة من أهل الإيمان، بالأدلة الواضحة التي هي كالشمس في ربعة النهار، فأحببت الدُّخول في سلك السُّنة النبوية، ورجوت بركة كرامات أولياء الله تعالى، والنجاة من عذاب الدُّنيا وعذاب النار، وسميته: «**السَّهم القوي في نَحْرِ كُلِّ غَبيّ وغَوي**».

فقلت: أما كرامات الأولياء، فاعلم أن الكرامات جمع كرامة، وهي أمرٌ خارقٌ للعادة، غير مقرونٍ بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها، يظهر على يد عبدٍ ظاهر لصلاح، ملتزم بمتابعة نبي كُلِّف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح علِم بها أو لم يعلم، فتمتاز بعدم الاقتران المذكور عن المعجزة، فلا تلتبس بها، وتبقى مقدمتها عن الإرهاص، وهو ما يظهر على يد الأنبياء قبل النبوة، كتظليل الغمام لنبينا ﷺ، وبظهور الصلاح عما يُسمَّى معونة، كما يظهر على يد بعض عوام المسلمين، تخليصًا لهم من المحن والمكاره، وبالتزام متابعة نبي إلى آخره عن الخوارق المؤكدة لكذب الكاذبين، وتُسمَّى إهانة ،كبصق مسيلمة - بكسر اللام - في بئر غدير الماء ليزداد ماؤها حلاوة، فصار ملحًا أجاجًا، وبالمصحوبية بصحيح الاعتقاد ...إلخ، عن الاستدراج كما خرج السِّحر عن جهات عدة.

ودليل الجواز أن ظهور الخارق أمرٌ ممكنٌ في نفسه، وكل ما هو كذلك فهو صالحٌ لشمول القدرة لإيجاده.

ودليل ذلك الأمر وإمكانه أنه لا يلزم من فرَض وقوعه بحال، ودليل الوقوع ما جاء في الكتاب العزيز من قصة مريم -عليها السلام- وولادة عيسى - على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام - من غير زوج مع كفالة زكريا لها عليه السلام، وكان لا يدخل عليها غيره، وإذا خرج من عندها أغلق عليها سبعة أبواب، وكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، ومن قصة «آصف» وإتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام.

وقد تواتر وقوع الكرامات من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم إلى وقتنا هذا، وقد أطال العلاّمة اللّقاني، وولده الكلام على ذلك عند قوله في جوهرته:

لِلأَوْلِيَاءِ الكَرَامَة ... وَمَنْ نَفَاهَا انْبِذَنْ كَلامَهِ

فإني أطرح كلام من ينفيها من المعتزلة، ومن جرى على طريقهم.

وقد قال العلامة النسفي في عقائده: «كرامات الأولياء حقٌّ، فتظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولي، من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة، وظهور الطعام والشراب واللِّباس عند الحاجة، والمشي على الماء وفي الهواء وكلام الجماد والعَجماء، وغير ذلك من الأشياء، ويكون ذلك معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته؛ لأنه ظهر بها أنه ولي ولا يكون وليًّا إلاّ إن كان محقًّا في ديانته، برسالة رسوله» انتهى.

وقد أقرّه شارحه سَعد الدين، وغيره من أئمة أهل السنة، أسعد الله جميعهم، وخذل أعداءهم.

إذا علمت هذا اتضح لك أن الفاعل للكرامات كالمعجزات إنما هو الله تعالى وحده، لكن أظهرها الله-سبحانه وتعالى- على أيدي أهل طاعته الموصوفين بما تقدم إكرامًا لهم، وإذلالاً لمنازعيهم وخصمائهم، وليس لهم في ذلك اكتساب، ولا لهم على ذلك اقتدار.

فمن نسب لهم في ذلك فعلاً فقد ضلّ، وحاد عن الطريق المستقيم؛ إذ مذهب أهل السنة والجماعة أن العبد لا يخلق شيئًا من الأفعال، بل المنفرد بالخلق والإيجاد هو الله الفاعل المختار.

وحينئذ لا فرق في إظهارها على يد أحد منهم بين كونه حيًّا وميتًا، وإنكار أهل الجهل والبُهتان وقوعها على يد الأموات لاعتقادهم الفاسد أن الفاعل هو صاحب الكرامة، وقد علمت بطلانه، وأنه مبني على قاعدة أهل الاعتزال والملامة، ثم رأيت في «**نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله والكرامة بعد الانتقال**» تأليف شيخ الإسلام الشريف شهاب الدين أحمد الحموي الحنفي ما نصّ على ذلك.

«فإن قلت: ما الدليل على جواز وقوع الكرامة بعد الموت وعدم اختصاصها بحال الحياة؟ قُلت: الدليل على ذلك أن الكرامة بعد الموت أمر ممكن جائز الوقوع، فالكرامة بعد الموت جائزة الوقوع، إذ لو لم نَقُل بجواز الوقوع للزم توضيح أحد طرفي الممكن، وهو محال، وأيضًا لو قلنا بعدم جواز الوقوع مع كونها مخلوقة لله ومقدورة له إذ هي من جملة الممكنات [وقدرته تعالى[1]] متعلقة بجميع الممكنات إيجادًا وإعدامًا [على وفق إرادته[2]] تعالى لزم تعجيز القدرة - تنـــزهت قدرته تعالى.

والدليل على الوقوع ما نقله الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن أحد الصحابة -رضي الله عنهم- ضرب خباءه على قبر ولا يحسب أنه قبر، فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها.

فقال ﷺ: «**هى المانعة هي المنجية من عذاب القبر**[3]» رواه الترمذي، وقال شارحه الفاضل الفيومي: حديث غريب، ورواه الحاكم انتهى مُلخصًا.

ولبعضهم سؤال هو: ما المؤدي إلى اعتقاد أُناس فيما يؤدي إلى الهلاك ويردي؟

فزعموا أن لا كرامة تبدو لولي بعد المقام بلحد.

والجواب لبعضهم هو: المؤدي إليه رؤية خلقّ العبد أفعاله، وليس المؤدي من له الخلق والأمر، فإنه معيدٌ لما يشاء ومبدئ.

ثم قال الشهاب الحموي: ولا يعارض ما حررناه في المنظومة المسماة: «بدء الأمالي[4]» من قوله:

---

(١) ما بين [ ] طمس بالأصل، وصوب من نفحات القرب.

(٢) ما بين [ ] طمس بالأصل.

(٣) رواه الترمذي (١٦٤/٥)، والبيهقي في الصغرى (٥٥٣/١).

(٤) هي للقاضي الأوشي الفرغاني.

كـــرامات الـــولي

لأن الدنيا عبارة عن كُلّ المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الدار الآخرة، ولا شكَّ أن البرزخ من المخلوقات الموجودة في الدار الآخرة، فالمراد بالدنيا في كلامه[1] ما قابل الآخرة، وهي ما بعد البعث من القبور لا ما قبله، حتى يشمل ما بعد الموت إلى البعث، وإن احتمله الكلام احتمالاً غير مؤيد بدليل.

ومن ثمة نقل ابن القيم عن أبي يعلي: إن عذاب القبر من الدنيا، لانقطاعه قبل البعث بالفناء، ولا يعرف أمد ذلك، وأيده الجلال في «شرح الصدور» ويؤيده ما أخرجه هنَّاد بن السري في «الزهد[2]» عن مجاهد قال: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة، فإذا صيح بأهل القبور، يقول الكافر: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا من مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢]، فيقول المؤمن من جنبه: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢].

في المواهب اللدنية بإسناد صحيح إلى عكرمة مولى ابن عباس: إنه سئل عن يوم القيامة: أهو في الدنيا أم في الآخرة؟ فأجاب: بأن نصفه الأول الذي يقع فيه الفصل والحساب من الدنيا، ونصفه الأخر الذي يقع فيه الانصراف إلى النار من الآخرة، انتهى.

فإذا كان يوم القيامة بعد فناء البرزخ وما يتعلق به حكم في نصفه الأول بأنه من الدنيا فبالأولى أن يحكم على البرزخ أنه من الدنيا حقيقة، فعلى هذا يؤخذ جواز وقوع كرامات الأولياء بعد الموت من قوله: (بدار دنيا).

ومن ثمة لم يتعرض أحد فيما رأيته [في شروح النظم[3]] مع كثرتها إلى التصريح بانقطاع الكرامات، بل قال شارحه الجلال البخاري: التقييد بدار دنيا؛

---

(١) أي: العلامة الأُوشي.

(٢) رواه هناد في الزهد (٣١٩) بتحقيقنا.

(٣) ما بين [ ] طمس بالأصل.

لأن الاختلاف بين أهل السنة والمعتزلة وقع فيها؛ لأنها دار محل كرامة جميع المؤمنين.

وقال شارحها السمهودي: ينبغي أن يكون ظهور الكرامات في حال موتهم أولى من ظهورها حال حياتهم؛ لأن النفس صافية من الأكدار والمحن وغيرها، وقد شُوهد ذلك في كثير منهم بعد موتهم، وقد يدخل ذلك في كلام الناظم، فإن قوله: «بِدَارِ دُنْيَا» صَادِقٍ بِحَيَاتِه وَبَعْدَ مَوْته انتهى.

وبهذا ظهر أن من احتجَّ بهذا البيتَ على انقطاع الكرامات بعد الموت، حتى نُسب إلى مذهب الإمام أبي حنيفة القول بانقطاع الكرامات بالموت واهم، وعن طريق الهدي ضال، إذ لم يثبت في شيء من كتب مذهب أبي حنيفة أُصولاً وفروعًا، القول بانقطاع الكرامات بالموت، بل لم يثبت في شيء من كتب المذاهب الثلاثة، فمن ادعى ذلك فعليه البيان، وعند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان انتهى كلام الشهاب الحموي مُلخصًا.

قُلت: يُؤخذ منه إجماع الأئمة- رضي الله عنهم- على وقوع الكرامات من الأولياء في الحياة وبعد الممات، فالمخالف لهم خارق للإجماع لا يُعول عليه، ولا يُلتفت إليه في جدالٍ ونزاع، ومن الشاهد المحسوس حفظ الله تعالى لمن أراد زيارته بحسن إخلاص واعتقاد صحيحٍ من شر الأعداء المراقبين له، ومن قُطاع الطريق، فلا يقع خلاف ذلك إلا نادرًا.

فهذه كرامةٌ عظيمة، وأما ما يقع من الأُنس الباطني(١)، والإشراق

---

(١) قال أهل التحقيق: الأُنس: هو ظهور علامات تشعر النفس بنيل المراد، وحقيقته: مَد يد الأطماع إلى اقتطاف ثمر المواصلة، وغايته: تصرف العبد في ملك الرب؛ اعتمادًا على التحقيق بصحة المحبة التي توجب رفع علل المغايرة انتهى.

والأُنس له أقسام: فأُنس بالخلوة، وأُنس بالعبادة، وأُنس به تعالى وهو المراد هنا.

أما الأنس بالخلوة فصاحبه ينقص بالانفصال عنها، والأنس بالعبادة يتم بحسب اعتمادها مع النظر إلى وعد جزائها، والأنس به تعالى ينشأ عن كمال المعرفة بعظمته تعالى وجلاله وجماله، وباقي كمالاته من الإنعام، وانفراده بالأحكام، وصاحبه يستوي عنده الاجتماع بالخلق والانفراد عنهم، وهو =

الظاهري، وحُسن الحال لمن ذكر، فأمر يعرفه من ذاقه من أهل اليقين[1]، ولا ينكره إلا المحروم المطرود عن باب الفضل والإحسان.

قال المحقق الشهاب ابن حجر في فتاويه ما نصه: «[وجاء عن[2]] المشايخ العارفين والأئمة الوارثين أنهم [قالوا: أقل عقوبة[3]] المنكر على الصالحين حرمان بركتهم قالوا: [ويخشى عليه] سوء الخاتمة نعوذ بالله من سوء القضاء و[وقال بعض[4]] العارفين: من رأيتموه يؤذي الأولياء، وينكر مواهب الأصفياء، فاعلموا أنه محاربٌ لله، مبعودٌ مطرودٌ عن حقيقة قرب الله.

وقال الإمام المجمع علَى جلالته وإمامته أبو تراب النخشبي ﷺ: إذا أَلِف القلب الإعراض عن الله، صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى.

وقال الإمام العارف شاه بن شجاع الكرماني: ما تعبَّد متعبدٌ بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى؛ لأن محبتهم دليل على محبة الله ﷻ» انتهى.



=

خلق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فسبب الأنس معرفة العبد كمـالات الـرب، ورغبته ورهبته بتجليات الوعد والوعيد، وثمرته بحر لا يمكن حصره، وفضل لا يمكن عده.

(١) قال الشيخ القاشاني في «لطائف الأعلام»: اليقين هو السكون والاطمئنان لما غاب، بناءً على ما حصل به الإيمان، وارتفع الريب عنه، فإذا حصل السكون والاطمئنان بما غاب بناءً على قوة الدليل بحيث يستغني بالدليل عن الجلاء فذلك علم اليقين، وإذا حصل السكون بالاستغناء عن الدليل لاستجلاء العين بشهود الفعل الوحداني الساري في كل شيء فذلك هو عين اليقين، والإشارة بالمظهر الكوني في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:٧]، والرؤية لا تكون إلا في المظهر، فإذا استقرَّ فجر التجليات أولا ثم طلع شمس التجلي الذاتي ثانيًا فذلك هو حق اليقين.

وقال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به: اليقين هو تمييز العلم الذي لا يحتمل النقيض، وحقيقته: تصورٌ يُنـزل المسموع منـزلة المشهود، وغايته: استغناء النفس عن كل مسموع بما حصل به في داخل الذهن؛ لأن عين الجمع لا يعتبر الخارج؛ لاستغنائه عنه، فلا يفتقر إلى المطابقة، الأول علمه، والثاني عينه، والثالث حقه اهـ.

(٢) طمس بالأصل، استدرك من الفتاوى الحديثية للعلامة ابن حجر الهيتمي (ص ٣٣١).

(٣) طمس بالأصل، استدرك من الفتاوى الحديثية للعلامة ابن حجر الهيتمي (ص ٣٣١).

(٤) طمس بالأصل، استدرك من الفتاوى الحديثية للعلامة ابن حجر الهيتمي (ص ٣٣١).

ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قوله ﷺ في الحديث الصحيح القدسي:

«**من آذى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»[١] أي: أعلمته أني محارب له، ومن حارب الله لا يفلح أبدًا. قال العلماء: لم يحارب الله إلا كافر انتهى.

قال الإمام السبكي: وإني لأعجب كل العجب من المنكر، وأخشى عليه المقت انتهى.

قلت: ومن أذية أولياء الله إيقاع المعاصي، كالغيبة والنميمة وسائر المحرمات بأمكنتهم، وكثرة اللغط[٢] فيها بغير ذكر الله المصحوب بخشية الله تعالى، نسأله سبحانه وتعالى بهم الحفظ من جميع المكاره، ونسأله من فضله الدخول في حزبهم إلى أن نلقاه تعالى وهو راضٍ عنا. آمين.

وإذ قد سمعت كل ما سبق فهمت أنه لا اعتراض عليهم بشيء مما يقع في أمكنتهم من آحاد الناس، ولنضرب مثالًا كالشمس المنيرة، لا يصد عنه إلا أعمى البصر أو البصيرة، هو أن بعض الأموات من آحاد الناس يبالغ أهله في التجهيز والتكفين وفي تشريف قبره، وإظهاره بين المسلمين بجعل [ما يسوغ] لعاقل أن ينسب للميت شيء من ذلك، أو يلوم عليه فيما يقع هنالك.

والحاصل أن الله قد أكرم أحبابه في الحياة وبعد الممات، فهو الفاعل جل جلاله لا غيره من سائر الممكنات.

ومن المقرر عند السادة الأعلام أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة، بشرط عدم التحدِّي، وهو ادعاء النبوة، فاعرف المقام.

وأما إنكار أهل الضلال زيارة أهل الله الواصلين لكل كمال، فهو زيادة في الحرمان لما ورد عن سيد ولد عدنان ﷺ، من طلب زيارة قبور المسلمين على الإطلاق، فما بالك بزيارة أهل الله وخاصته، ولا سيما أهل بيت المصطفى ﷺ المطلوب زيارة أكرامهم بالاتفاق.

---

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٨٤)، وابن حبان (٢/٥٨)، والطبراني في الكبير (١٢/١٤٥).

(٢) اللغط: صوت وضجة لا يُفهم معناها، كالغوغاء.

وقد قال مولانا سبحانه في كتابه العزيز: ﴿**قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ**﴾ [الشورى: ٢٣].

قال أهل التفسير: المعنى لا أطلب على ما أتعاطاه من التبليغ والبشارة نفعًا إلا أن تَودوا قرابتي.

رُوي أنها لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «**عليٌّ وفاطمة وابناهما**» ذكر ذلك البيضاوي.

وقيل في الآية غير ذلك، وطلب مودتهم لا يختص بحال الحياة، قال صاحب «الحصن الحصين [(١)]»: وجُرِّبت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة.

وقال العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي: «وقد كان الإمام الشافعي يقول: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب».

قال العارف بالله سيدي أحمد زروق: قال أبو عبد الله: وإذا كانت الرحمة تنــزل عند ذكرهم، فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم عليهم، والخروج من هذه الدّار وهو يوم وفاتهم، فزيارتهم [قربة لهم][(٢)]، وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم فهي مستحبة إن سلمت من محرم أو مكروه في أصل الشرع كاجتماع النساء، وتلك الأمور التي تحدث لبعضهم، فإن القساوة لا دواء لضرها إلا زيارة ساكني تُرب الألحاد، ولرب زورة عارف أزكى بها منها على الزُّهاد والعُبّاد، ولخير أعمال العبيد جلوسهم عند الولي هنيهة.

ورأى بعض الصالحين النبي ﷺ في المنام فسأله عن أفضل الأعمال؟ فقال ﷺ: «أفضل الأعمال جلوسك عند ولي من أولياء الله قَدر حَلب شاة، قال: حيًّا كان أو ميتًا يا رسول الله؟ قال: حيًّا كان أو ميتًا»[(٣)].

---

(١) هو الشيخ ابن الجزري القارئ.

(٢) طمس بالأصل.

(٣) هو حديث كشفي ذكره السادة الصوفية في كتبهم.

قال الشيخ سيدي محمد بن ناصر: وهذا أقل ما ينبغي أن يمكث الزائر بين يدي الولي.

ومن كلام سيدي إبراهيم التازي ﷺ وأرضاه: «زيارة أرباب التُّقى مَرْهَم يبرئ، ومفتاح أبواب الهداية والخير، وتُحدث في صدر الخلي إرادة، وتشرح صدرًا ضاق من سعة الوزر، وتنصر مظلومًا، وترفع خاملاً، وتكسر معدومًا، وتجبر ذا كسر، ولا فرق في أحكامها بين سالك مُربٌ ومجذوب وحي وذي قبر وذي الزهد والعبادة، فالكل منعمٌ عليهم، ولكنْ ليست الشمس كالبدر، فزر وتأدّب تأدب مملوك مع الملك الحر، عليك بها، فالقوم باحوا بسرها، ووصوا بها يا صاح، في السر والجهر» انتهى مُلَخصًا من «الفتح المبين والدر الثمين» للشيخ عبد الله الهاروشي المغربي.

وأما ما يقع في أماكنهم من المخالفات فهم برآء من ذلك، ولا ينسب إليهم شيء من تلك القبائح، ولا لَوم عليهم في أمر من الأمور، بل هي منسوبة لمن اكتسبها، وليس لأحد من أدنى المسلمين فعل ذلك أو يهواه، ولو كان من أكبر أصحاب المعاصي، بلْ يعتمد أنه رذيلة ويبالغ في كتمه عن أعز الإخوان إلا من زادت فيه، فابتلي بها وتجاهر بالامتحان، يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن، فكيف بالخاصة من أهل الله؟ والعجب كل العجب من هذه الفرقة الضالة، تنكر منهم الكرامات بعد الممات! ويذمونهم بما يقع في مقاماتهم من المخالفات! فإن أثبتوا أن لهم في المخالفات منعًا فاعترضوا عليهم بذلك فليقرّوا بالكرامات، وليثبتوها بالقياس على ما هنالك، فليتركوا تفاصيل الأحوال، أليس قد وقع في مقام سيد الأصفياء وزين الأنبياء - عليه وعليهم الصلاة والسلام- كثير من المخالفات وهم - عليهم الصلاة والسلام - أحياءٌ في قبورهم بلا خلاف؟ فهل يحل لمؤمن أن يقول: إن الرسول ﷺ رضي بذلك أو أحبه؟ بل إن تفوه بهذا كان من المرتدين، وكيف يرضى مؤمنٌ بمخالفة مولاه؟ وهل لأحد مع الله شيء؟ نعم، هو واقع بإرادته تعالى، كما هو مذهب أهل السنة: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وأما قولهم: من أين لنا أنهم ماتوا على الإسلام؟ فهو قول خبيث، يجر لقائله الوبال والوقوع في مهاوي البُهتان والضَّلال؛ إذ ذاك يجره إلى الشك في نفي الصُّحبة عن أصحاب رسول الله ﷺ بأن يقول هذا الخبيث: من أين علمتم أنهم ماتوا على الإسلام؟ فإن أقرَّ بموجب هذه المقالة قُلنا له: يا خاسر الدين، يا عدوه، هُم خاصة المسلمين، هُم نجوم الإسلام ومصابيحه بشهادة سيد المرسلين ﷺ، فقد ألزمت نفسك الشَّك في بقائهم على أكمل الحالات بعد الموت، فحُرمت بركة أنوارهم وأسرارهم، وفاتك من الخيرات أعظم فوت.

وإن قال كلامي في غير هذه العصابة المرضية قُلنا له: أي فرق؟ وهم سادات الأولياء وأعاظمهم بغير مريّة، بل ربما جرَّه إلى الكُفر والعياذ بالله تعالى بأن يصرح في حق الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بتلك العبارة الشنيعة، فما أقبح ذلك الخبيث وأقل حياءه! وهو لو قيل له: لا نصلي عليك بعد موتك، ولا ندفنك في مقابر أهل الإسلام لتقطع غيظًا واشتاط غضبًا وامتلأ سُمًّا من ذلك الكلام، وكيف نصلي على من لا يدري هل مات على الكفر أو الإيمان؟!.

وهو معتزٌ بذلك على غيره، أفلا يسلم ذلك في نفسه؟ وهو يزعمه على أهل الإيقان، فإن لم يرض بذلك لنفسه، فكيف يتجارى على من عمُر برضا الله في رَمسه؟ ومما يكذبه صريح قوله ﷺ بزيارة القبور على العموم، ولم يقل لا تزوروا إلا من تحققتم موته على الإسلام، ومما يجري على ألسنة تلك الجماعة في استدلالهم على منع زيارة الأولياء وأهل الطاعة قوله ﷺ :

«لا تُشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاث مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا»[1].

وقد أخطئوا في فهم المراد منه، فقد قال الشهاب الخفاجي الحنفي في شرحه على «الشفا» الصحيح أن معناه: لا تُشد لنذر العبادة فيه، ولذا قالوا: لو نذر الصلاة في غيرها لم يلزم، ولا يكره شدّ الرِّحال لبعض الأماكن المتبرك بها،

(١) رواه البخاري (١/٣٣٨)، ومسلم (٢/١٠١٤).

أو لزيارة من فيها من الصالحين أو لطلب العلم)، بل قد يكون هذا واجبًا عليه انتهى.

ثم نقول: إن من البراهين القطعية على موتهم مؤمنين وعلى الإسلام آيات القرآن العظيم، تأمل منها قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا**﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فانظر كيف حكم سبحانه بعدم الانفصام لمن آمن بالله.

ومنها قوله تعالى: ﴿**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤]

ومنها: التعاليق الكثيرة في القرآن نحو: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**﴾ [الكهف: ١٠٧].

فهذه أدلة تضافرت ظواهرها على حصول الثواب لمن آمن، وكل ما كان كذلك، فهو يفيد القطع شرعًا بالموت للمؤمنين على الإسلام، وإلا لزم خلف الوعد، وهو مُحال شرعًا.

ومن قواعد الدِّين عند المحققين أن الأدلة إذا تضافرت ظواهرها على شيءٍ أفادت القطع.

وأما الأحاديث الواردة في نحو ذلك، فهي أكثر من أن تُحصى.

وأما حديث: «**وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراعًا..** [1]» إلخ.

فهو محمولٌ على من في قلبه مرض، والقاسية قلوبهم بشهادة الكتاب والسنة لمن عنده أدنى فِطنة، وممن في قلبه مرض، والقاسية قلوبهم، هؤلاء الذين يتكلمون في أولياء الله تعالى ويسيئون الظن بهم.

وأما استشكال بعض أهل العلم قول بعضهم: إن الصلاة على النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري (٣/١١٧٤)، ومسلم (٤/٢٠٣٦).

مقبولة قطعًا؛ لأنها لو كانت مقبولة لقطعنا قطعًا ثبوت المصلي على الإسلام، وليس كذلك فهو محمول أنه إشكال بالنسبة للتجويز العقلي فقط.

وإلا فنحن قاطعون بموته على الإيمان شرعًا أخذًا مما قدمنا، فليفهم مما قدمنا ذلك، هذا في حق مجرد المؤمن الصادق، فكيف بخواص الله تعالى كالإمام ابن العربي والإمام عمر بن الفارض؟ وأما تكفير هذين الإمامين الجليلين فمن فرط الاعتداء ومن مجاوزة الحدود.

وبذلك رجع معتقد هذا بالرد، وقد تكرر السؤال عنهما من العلماء الأعلام، فأجابوا بأحسن جواب، وقاموا على الطاعنين فيهما سهام الملام.

قال الإمام المحقق والشهاب المـــدقق علم المتأخرين، وأستاذ العارفين الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي في فتاويه ما نصه:

«إن الشيخ محيي الدين بن عربي -رحمه الله ورضي عنه- إمام جَمَع بين العلم والعمل».

كما اتفق على ذلك من يعتد به، وقد ذكر بعض المنكرين في ترجمته أنه وصل لمرتبة الاجتهاد، وحينئذ فإسلامه متيقن، وكذلك علمه وعمله وزهادته وورعه، ووصوله في الاجتهاد في العبادات إلى ما لم يصل إليه أكابر أهل الطريق، فلا يجوز الإقدام على تنقيصه بمجرد التهور والتخيلات التي لا مستند لها يُعتد به، بل يستصحب ما علم من إسلامه وعلومه ومعارفه.

هذا ما يتعلق بذلك، وأما المنسوبة له، فالحق أنه واقع فيها ما ينكر ظاهره، والمحققون من مشايخنا، ومن قبلهم على تأويل تلك المشكلات فإنه جارته على اصطلاح القوم، وليس المراد منها ظواهرها ثم قال: والحاصل أنه يتعين على كل من أراد السلامة لدينه، أ نه لا ينظر في تلك المشكلات، ولا يعول عليها.

وسواء قلنا: إن لها باطنًا صحيحًا أم لا، وألا يُعتقد في ابن عربي خلاف ما عُلم منه في حياته من الزهد والعبادة الخارقين للعادة، وقد ظهر له من الكرامات ما يؤيد ذلك منها ما حكاه صاحب «القاموس» أنه لما فرغ من تأليف كتابه: «الفتوحات المكية».

جعله وهو ورق مُفرَّقًا على ظهر الكعبة، فمكث سنة لم يُطرْ الريح منه ورقة، ولا وصلت إليها قطرة مطر على كثرة أمطارها ورياحها، فسلامة تلك الأوراق من المطر والريح مع مكثها سنة على السطح من الكرامات الباهرة الدالة على إخلاصه في تأليفه هذا الكتاب وأنه بريء مما نُسب إليه فيه وفي غيره.

وقد تعدد هذا السؤال والجواب في «فتاوى الشهاب» المذكور أربع مرات، وللحافظ السيوطي في «الانتصار» لابن عربي قال فيه: سُئل شيخ شيخنا شيخ الإسلام بقية المجتهدين شرف الدين المناوي عن ابن عربي.

فأجاب بما حاصله أن السكوت عنه أسلم، وهذا هو اللائق بكل ورِعٍ يخشى على نفسه.

والقول الفصل عندي في ابن عربي طريقة لا يرضاها [من] أهل العصر ممن لا يعتقده، ولا من يحط عليه، وهي اعتقاد ولايته، وتحريم النظر في كتبه، فقد نُقل عنه أنه قال: نحن قوم يحرُم النظر في كتبنا.

وذلك أن الصوفية اصطلحوا على ألفاظ وأرادوا بها معان غير المعاني المتعارفة منها، فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم والظاهر كفر، نص على ذلك الغزالي في بعض كتبه، وقال: إنه تشبيه بالمتشابه في القرآن والسنة، والمتصدي لتكفير ابن عربي لم يخف سوء الحساب، وأن يقال له: هل ثبت عندي ما بطريق المقبول في نقل الأخبار؟ وأنه قال هذه الكلمة بعينها وأنه قصد معناها المتعارف، فالأول: لا سبيل إليه لعدم السند الذي يعتمد إليه في مثل ذلك، ولا عبرة بالاستفاضة الآن، وعلى تقدير ثبوت أصل الكتاب عنه ، فلا بدَّ من ثبوت كل كلمة لاحتمال أن يَدُسَّ في الكتاب ما ليس من كلامه عدوٌ أو مُلحد.

والثاني: إنه قصد بهذه الكلمة ما لا سبيل إليه أيضًا، ومن ادعاه كذب؛ لأن أمور القلب لا يطَّلع عليها إلا الله.

وقد سأل أحد أكابر العلماء بعض الصوفية في عصره: ما حملكم على أن اصطلحتم على هذه الألفاظ التي يستبشع ظاهرها؟ فقال غيره على طريقنا

هذا من أن يدعيه من لا يحسنه، ويدخل فيه من ليس من أهله والمقرئ للنظر في كتب ابن عربي أو قراءتها لم ينصح نفسه، ولا غيرها، بل ضرَّ نفسه وضرَّ المسلمين كل الضُّر، ولا سيما إن كان من القاصرين في علوم الشرع، والعلوم الظاهرة فإنه يَضِل ويُضِل، وعلى تقدير أن يكون المقرئ بها عارفًا فليس من طريق القوم إقراء المريد نحو ذلك من كتب التصوف؟ ولا يُعرف[1] هذا العلم من الكتب [فقط] انتهى ملخصًا.

وقد تكلم علماء الحنفية في ذلك في كتبهم بما يشفي العليل، ففي «معروضات» مفتي الحنفية أبي السعود ما سقنا من قال عن «فصوص الحكم» للشيخ محيي الدين بن عربي أنه خارج عن الشريعة، وقد صنفه لإضلال خلق، ومن طالعه مُلحد.. ماذا يلزمه؟.

فأجاب: نعم، فيه كلمات تُباين الشريعة، لكنّا تيقنّا أن أحد الهنود افتراها على الشيخ- قدّس الله سرّه- فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات انتهى.

وقد أثنى عليه صاحب «القاموس» ثناءً عظيمًا في سؤال ورد عليه إلى أن قال: وإني أصفه وهو يقينًا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظني أني ما أنصفته.

وَمَا عَلَي إذَا مَا قُلـــتُ مُعْتَقَـــدِي ... دَعِي الـــجَهُول يَظُنّ الجهْل عُدْوَانَا

واللهِ واللهِ العَظِـــــــــــيم ... وَمَـــنْ أَقَـــام حُجـــةً لله بُرْهَانَـــا

إن الّذِي قُلْتُ بَعْضًا مِـــن مَنَاقِبِـــه ... مَا زِدْتَ إلاَّ لَعَلِي زِدت نُقْـــصَانَا

ثم قال: ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها انشرح صدره لفك المعضلات وحل المشكلات انتهى[2].

---

(١) في الأصل يرقد

(٢) والحاصل: كما أن الإنسان آخر الكائنات؛ فكذا لسان الشرع آخر الألسنة، وفوق لسان الشريعة لسان الطريقة، وفوقه لسان المعرفة، وفوقه لسان الحقيقة، ولكل مقام مقال رجال.

=

وقد أثنى عليه العارف سيدي عبد الوهاب الشعراني لا سيما في كتابه: «تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء»(١).

فقد جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: أبهموا ما أبهم الله، وفصّلوا ما فصّل الله.

ولم يكن أحدًا من أولياء هذه الأمة مأذونًا لإظهار بعض الأسرار، إلا حضرة الشيخ الأكبر، والمسك الأزفر، والكبريت الأحمر، قُدّس سرُّه الأطهر، ومن عداه أُمروا بالسكوت، أو بالرموز لا غير، وكذا فوق مرتبة الإنسان مرتبة المواليد، ثم مرتبة العناصر، ثم مرتبة الطبيعة الكلية، ثم مرتبة الأرواح، ثم مرتبة الأعيان الثابتة، ثم مرتبة الشئون الذاتية الغيبية، ولا اسم ولا رسم، ولا نعت ولا وصف فوقها.

وبعبارة أُخرى: فوق مرتبة الإنسان الخاص، وهي مرتبة الولاية، وفوقها مرتبة الإنسان الأخص، وهي مرتبة النبوة، وفوقها مرتبة الإنسان الذي هو أخص الأخص، وهي مرتبة الرسالة، وفيما بعد المرتبة الأولى يظهر الإنسان في صورة الحق بالفعل، فهو إذًا حق خلق.

وأما في المرتبة الأولى فهو وإن كان ظاهرًا في صورة الحق، لكن بالقوة لوجود الحجاب والجهل والغفلة، كشف الله من بصائرنا ذلك الحجاب آمين.

(١) قلت: فشيخنا الإمام والختم الثاني هو من تغني معرفته عن الإشارة إليه، وإن كانت معرفته مستحيلةً على غير أبناء جنسه، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، وأنشدوا:

إيَّـــاكَ واسم العامرية أنَّنـــي ... أغارُ عليها من فم المتكلِّمِ

أغارُ عليها أن يراها سوايَ بلْ ... أغارُ عليها أن أرها لغيرتي

فهو ممن ورثوا: «لا يعرف قدري غير ربِّي»، فكان من موروثه ﷺ مُربَى ولغيره مُربِي، سُتروا في الدنيا؛ تخلقًا بأخلاق سيدهم، وغدا: (أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)، خاتم الولاية المحمدية، حجَّة الله على أوليائه، العين التي يشرب بها عباد الله، الولي، الكامل، المقرَّب، السند، العالم بالله تعالى، المؤيَّد من الله ورسوله في جميع شئونه، سيدنا محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي، المعروف بالشيخ ابن العربي ﷺ، ونفعنا به في الدارين، آمين، وأماتنا على محبته ومحبة جميع الصالحين، آمين.

ولد ﷺ في يوم الإثنين السابع عشر من رمضان عام خمسمائة وستين هجرية، الموافق الثامن والعشرين من يوليه سنة ألفٍ ومائة وخمسٍ وستين ميلادية في مدينة مرسية إحدى ولايات الأندلس (المعروفة الآن بإسبانيا)، وكان أبوه من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتصوف، وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأةً دينيَّةً نورانيَّةً صالحةً، وما كاد لسانه ﷺ يبين حتى دفع به =

والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب الكافي، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزًا في القراءات، ملهمًا في المعاني والإشارات، وكان ﷺ من الموقعين عند بعض ملوك المغرب، ثم أنه طرقه طارقٌ من الله، فخرج في البراري على وجهه، إلى أن نزل في قبرٍ، فمكث فيه مدةً، ثم خرج من القبر يتكلّم بتلك العلوم التي نُقلت عنه.

وقال الشيخ المناوي في «الطبقات»، وقال بعضهم: برز الشيخ منفردًا مؤثرًا للتخلّي والانعزال عن الناس ما أمكنه، حتى أنه كان لا يجتمع به إلا الأفراد، ثم آثر التأليف، فبرزت عنه مؤلفاتٌ لا نهاية لها، تدلُّ على سعة باعه في العلوم الظاهرة والباطنة، وأنه بلغ مبلغ الاجتهاد في الاختراع والاستنباط وتأسيس القواعد والمقاعد، التي لا يدركها ولا يحيط بها إلا من طالعها بحقها.اهـ.

ولم يزل سائحًا في كل بلدٍ بحسب الإذن المحمدي، ثم يرحل منها، ويخلف ما ألّفه من الكتب فيها، وكان آخر إقامته بالشام، وكان ﷺ متقيّدًا بالكتاب، محمولاً بالسنّة.

ويقول: كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك.

وله ﷺ كراماتٌ أكثر من أن تُحصى، ومن أجلّها مؤلفاته التي لم يجد الزمان بمثلها، وعجز أرباب العقول العقيمة عن النسج على منوالها، ومنها: الإخبار به قبل زمنه على لسان الحكيم الترمذي حين ألف كتابه «**ختم الأولياء**»، فأخبر أنه لا يحلّ تلك الأسئلة إلا رجلٌ من أهل الولاية، يكون اسمه على اسمي واسم أبيه على اسم أبي، فكان هو الشيخ الأكبر؛ لأن اسم الحكيم الترمذي محمد ابن علي.

ومنها: إخباره ﷺ عن السلطان سليم وعن دخوله الشام قبل زمن هذا السلطان، فوقع الأمر على ما أخبر به، وبنى عليه السلطان قبره المعروف بسبب ذلك.

واختلف الناس في شأنه ﷺ: بين معتقدٍ، أو مسلّمٍ، أو منكرٍ، ونعوذ بالله من الإنكار، ذلك فضله يؤتيه من يشاء من عباده، لم نشاركه في خلقٍ حتى نشاركه في تقسيمٍ، وإذا أردنا أن نبيّن المنكرين من المعتقدين فلا بدَّ أن نأخذ في الاعتبار ما يلي:

أن كتب ومؤلفات الشيخ الأكبر ﷺ قد علمها واطّلع عليها جميع علماء الإسلام من وقت الشيخ إلى يومنا هذا، ومن يقل بغير هذا فقد نسب الجهل إلى علماء الإسلام، وحاشاهم من ذلك؛ لأن كتبه وعقائده أشهر من أن يُشار إليها، وما من بلدٍ مسلمٍ أو حتى غير مسلمٍ إلا وكتب الشيخ موجودةٌ فيه، معلومةٌ عند علمائه، وإذا نظرنا إلى المتكلمين في كتب الشيخ وعقائده نجدهم كالآتي:

أولا: المسلمون للشيخ علومه وسكتوا عن التكلّم فيه، ومنهم شيخ الإسلام النووي؛ فإنه اُستفتي في الأمر، فكتب قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ

=

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤]، لكن الذي عندنا: أنه يحرم على كل عاقلٍ أن يسيء الظن بأحدٍ من أولياء الله ﷺ، ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم، ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق.

وقال في «شرح المهذب»: ثم إذا أوِّل فليؤول إلى سبعين وجهًا، وإن لم يقبل عنه إلا تأويلاً واحدًا، ما ذلك إلا تعنُّتٌ انتهى.

ليت شعري! ومن يستبرئ لدينه مثل هذا الحبر الآن، وكذلك شيخه الخوري حين أُستفتي، فقال: اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية، والتسليم واجبٌ، ومن لم يذق ما ذاقه القوم ويجاهد مجاهداتهم لا يسعه من الله الإنكار عليهم انتهى.

وتبعهم على ذلك خلقٌ كثيرون؛ سالكين طريق السلامة.

ثانيًا: المنكرون علوم الشيخ ﷺ ومقامه: وهم فريقان: الأول: من قصد الإنكار لحسدٍ، أو حظِّ نفسٍ، أو نتيجة لما فهمه بفهمه السقيم لكلام الشيخ، وهم نفرٌ معدودون: كابن تيمية، وقام بالردِّ عليه علماء أكابر في العلم أجلاء في الفضل. منهم: الشيخ محمد المزجاجي في كتابه «**هداية السالك في أسنى المسالك**»، والشيخ محمد المكي في كتابه «**عين الحياة في معرفة الذات والأفعال والصفات**»، والشيخ إبراهيم الكوراني (الملقب بمجدد الأشاعرة) في مواضع متفرقة من كتبه، وأفرد لذلك كتاب «**مطلع الجود في تحقيق التنزيه في وحدة الوجود ومشرع الورود إلى مطالع الجود**»، وهو شرحٌ على استشكالٍ في الكتاب السابق، والشيخ النابلسي في كتابه «**الرد المتين على منتقص العارف بالله سيدي محيي الدين**»، وهو من أقواها في الرد، والشيخ الشعراني في كتابه «**القول المبين في الرد عن الشيخ محيي الدين**»، وهو يدافع عن الشيخ بنقل نصوصه، ومنهم كذلك القاري، والتفتازاني، وقام بالرد عليهما الشيخ عمر حفيد العطار الدمشقي في كتابه «**الرد على المعترضين على الشيخ محيي الدين**»، وتناول كلامهما مسألةً مسألةً، وقد طُبع هذا الكتاب قديمًا، ومنهم أيضًا البقاعي، ورد عليه الجلال السيوطي في رسالته «**تنبئة الغبي في تبرئة ابن العربي**»، وكذلك الشيخ محمد بن جمعه الحصكفي في كتابه «**ترياق الأفاعي في الرد على الخارجي البقاعي**»، وإن كان سبب التأليف هو رسالة البقاعي في الشيخ ابن الفارض ﷺ، وكذلك قد أفتى في الشيخ ابن الخياط، وردَّ عليه العلامة الفيروزآبادي في كتابه «**الرد على المعترضين على الشيخ محيي الدين**»، أو «**الاغتباط بمعالجة ابن الخياط**»، أما العلاء البخاري وكذلك السخاوي فلم يخرج إنكارهما عن واحدٍ ممن ذُكروا، فكلامهم مكرَّرٌ، والرد على من ذكروا ردًا عليهم.

=

وأما الفريق الثاني ذكره الشيخ المناوي في «**الكواكب**»، فقال: فريقٌ قصد بإنكاره تنفير الناس عن مطالعة كتبه؛ لما اشتملت عليه من المُشكَلات وغويص المعضلات، فلم يقصدوا بإنكارهم حظًّا نفسانيًّا.

قلت: ومنهم بعض الصوفية ممن يعتقدون بولايته وقطابته، مع نهي أتباعهم عن النظر في كتبه؛ خشية أن يفهموا بالفهم السقيم أقوال الشيخ، فيظن به سوءً، فيهلك مع الهالكين.

واعلم أني ذكرت لك ما وقفت عليه من المؤلفات مما هو تحت يدي، وإلا فإن الردَّ على الاعتراضات الوارد بسبب الفهم السقيم على الشيخ ﷺ كثيرةٌ، أكثر من أن تستقصى.

ومنها على سبيل المثال «**الجانب الغربي في حل مشكلات الشيخ ابن عربي**» للشيخ محمد المكي.

ولا يخفى عليك أيضًا أن الرد على من ذكروا منثورٌ في كتب القوم، وفي فتاوى مشايخ الإسلام ومؤلفاتهم.

هذا فضلاً عن أن بعض من ذكروا عليه اختلافًا بين أهل الإسلام كابن تيمية فإن العلماء قاموا عليه في كثير من الأمور التي خرق بها إجماع المسلمين، كمسألة (الزيارة النبوية الشريفة) وغيرها من المسائل في علم الكلام، وراجع في ذلك «**شفاء السقام**» للتقي السبكي، «**ودفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك للإمام أحمد**» لتقي الدين الحصني، وغيرها كثيرٌ؛ ولكن العبرة عندنا في الدفاع عن الشيخ هي بالقول لا بالقائل، حتى وإن لم يكن معتبرًا عند أهل العلم.

ثالثًا: المدافعون عن الشيخ والمحبين له، وهم كل أهل التصوف من عصر الشيخ إلى قيام الساعة، وكل من كان محبًا لهم، أو تابعًا لهم من الفقهاء وعامة المسلمين، ونتبرك بذكرهم، فنقول: منهم العز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وصلاح الدين الصفدي في تاريخ مصر، والشيخ زروق، فقال: هو أعرف بكل فنٍ من أهله، وحيث أطلق القوم (الشيخ الأكبر) فمقصودهم هو انتهى.

والشيخ كمال الدين ابن الزملكاني قال في كتابه المؤلف في النبي والملك: كان الشيخ ابن عربي بحرًا زاخرًا في المعارف الإلهية.

والشيخ قطب الدين الشيرازي، وقاضي القضاة الشمس البساطي المالكي، وبدر الدين ابن جماعة، وقيل أن له شرحٌ على «الفصوص»، والشيخ تقي الدين السبكي، وقد ترجمه قائلاً: كان الشيخ محيي الدين آيةً من آيات الله. والشيخ سراج الدين المخزومي، أَلَّف في الرد عنه كتابًا حافلاً أكثر الشيخ الشعراني النقل منه في مقدمة «اليواقيت»، وشدَّد فيه الشيخ المخزومي على أن شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني لم يفتِ في الشيخ بسوءٍ، وجعل يستشهد لذلك. وكان القاضي شمس الدين الخونجي الشافعي يخدمه خدمة العبيد.

والشيخ اليافعي في إرشاده، كان يقول في ذلك: إن حكم إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق حكم ناموسة نفخت في الجبل تريد إزالته من مكانه بنفختها.

وكذا أثنى كثير من العلماء والعارفين على الإمام الجليل سيدي عمر بن

=

والشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي، وغيرهم كثيرٌ مما لا يحصيهم العدُّ رضي الله عن جميعهم.

رابعًا: وهم ممن لم يعرف لهم إنكارٌ، ولا قولٌ بتسليم ولا محبّة من علماء الإسلام، فالقول فيهم: أن جميعهم كما قدَّمنا قد علموا بمؤلفات الشيخ وعقيدته، وإلّا للزمهم الجهل بأمور المسلمين، وإنهم مؤيّدون لعقيدة الشيخ وعلومه، مقرُّون بعلوّ منـــزلته ورفعته، وإلا لو كان الأمر كما توهمه المنكرون لأخذنا جميع علماء الإسلام بقول القائل: (الساكت عن الحق شيطانٌ أخرس)، وإما أن يكون سكوتهم لخوف المؤيدين للشيخ وهذا بعيدٌ، فلم يبق إلا أن يكونوا مقرّين، فيكون كل من لم يفتِ في الشيخ بشيءٍ محبًا له، مقرًا بعقيدته، وإنما كان المانع له عن تبيين القول ما رآه من سفسطة المنكرين، وقوة ما ردَّ به مشايخ الإسلام عليهم.

تعقيب: اُستفتِي الحافظ الذهبي، وكان من المنكرين على الشيخ بسبب «الفصوص» مع تقريره لجميع مؤلفاته عن قول الشيخ في «الفصوص»: أنه أُعطي الكتاب من الحضرة النبوية الشريفة، فقال: ما أظن أن مثل الشيخ محيي الدين يكذب أصلاً. انتهى.

فهل هذا يعدُّ رجوعًا عن قوله في «الفصوص»، الله أعلم!.

تنبيه: اعلم أننا لا نعتبر أحدًا من مشايخ الإسلام المذكورين حجَّةً على الشيخ الأكبر، فإن كانوا هم مشايخ للإسلام فهو شيخ الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان وما فوقه من مراتب الدين؛ إذ من شروط الوراثة المحمدية أن يكون أعلم الناس في عصره بالكتاب والسنة، وأكثر أهل عصره اتّباعًا لهما، ومعاذ الله أن يكون واحدًا من غير الوارثين لسيدنا محمد ﷺ حجَّةً عليهم، فكل واحد من المحمديين حجَّةٌ لأخيه، وليس غيرهم حجَّةً عليهم، وإنما قول هؤلاء المشايخ رضي الله عنهم حجَّةٌ علينا؛ لأننا بعقولنا المقيدة وبجهلنا لحقائق الدين لم نكن لنقبل علوم المحمديين؛ فجعلنا إقرار من هو أقرب إلينا في مرتبة العقل والفكر النظري كالواسطة التي قبلنا بها تلك العلوم؛ لقربهم من مرتبتنا العقلية، وإن كانوا هم فوقنا في تلك المرتبة؛ لوسع اطّلاعهم على النصِّ الشرعي الظاهر.

واعلم أن هذا القول ليس قدحًا في علماء الشريعة معاذ الله، بل هو إعلامٌ على علوِّ مرتبة الوراثة المحمدية، بل إن ممن ظهروا بالعلم الظاهر كالأئمة الأربعة هم عند القوم من أهل الوراثات، وإن اختلفت مراتبهم بين وتد أو صدِّيق، أو غير ذلك من مراتب الولاية.

وبالجملة: فإن القول في الشيخ الأكبر نفعنا الله به في الدنيا والآخرة أعظم من أن يحمله هذا الكتاب، وليس هذا محل بسطه، وإن شاء الله سنقوم بتحقيق الكتب التي تدافع عن الشيخ والتي سبق ذكرها، ونذكر الدليل والشواهد على كل مقولة أو عقيدة أو فتوى.

ولنختم تلك الترجمة بما ذكره سيدي عبد الوهاب ﷺ: رأيتُ في واقعة الشيخ الأكبر قدَّس الله سرَّه ومعه سيدنا آدم عليه السلام، فقال الشيخ لسيدنا آدم عليه السلام هذا الولد يحبنا كثيرًا، وكنت في هذا الوقت مُولعًا بقراءة كتب الشيخ والرد عنه والأجوبة عن مسائله، فقال لي سيدنا آدم: يا ولدي، ألم تقرأ القرآن؟ فقلت: بلى يا سيدي. فقال: ألم تقرأ قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفارض، قصم الله كل من يعارض هذا الإمام، وقال العلماء -رضي الله عنهم- إنه لايجوز تكفير مسلم، وللحافظ السيوطي ﷺ مؤلف سماه: «قمع المعارض في نصرة ابن الفارض[1]» نقل فيه عن ابن القاسم صاحب «الدلالة على الله[2]» ما نصه: «إن الله لينتقم لأوليائه ممن آذاهم، ويعاقب من لم ينصرهم، فإيَّاك وإيَّاهم، فإنهم حمى الله في أرضه، وخزي الله واقع بمن عاداهم، وإن الله ليغضب لغضبتهم، ويرضى لرضاهم، وإن الله إذا أراد بقوم خيرًا وفقهم للسُنة، وحبَّب إليهم أولياءه، وإذا أراد بقوم شرًا، خذلهم في طريق البدعة، وحبَّب إليهم أعداءه».

وقال: «إذا استهزأ من يدعي السنة بأهل الحق من الزَّاهدين، وصارت مجالس العلم والذكر معادن الخوض في أعراض المؤمنين، وصارت المساجد مواطن ذكر الدنيا، ولم تبال العامة ما نقص من دينها في سلامة دنياهم، فهؤلاء عمَّهم الله بالعقاب، وسلط عليهم شرارهم، فساموهم سُوء العذاب، ولا ينجلي عنهم ذلك إلا بمتاب».

وقال: «إن الله حتَّم على نفسه لأوليائه أن يعزّ نصرهم ممن آذاهم بثلاث عقوبات أو واحدة منهنّ: إما بتعريف الهموم في الدُنيا بمحبة الفخر والتكاثر، أو عمى القلب عن التصديق خاصة الله، أو موالاة أعداء الله».

ثم قال: أعني السيوطي، كم من إمام كان في عصره في حجازه وشامه ومصره ما منهم أحد وجه إليه إنكارًا، ولا حطّ له مقدارًا، ولا هدم له منارًا؛ وذلك لما شاهده من سني أحواله،س وتواتر عندهم من أنه محبٌ عاشقٌ واله.

وقد كان الشيخ قبل تجرده من الفقهاء الأعلام، وولي القضاء والأحكام، وقد مثّل الشيخ البلقيني عن الشيخ فقال: ما أُحبُّ أن أتكلم فيه.

وسُئل عن الأبيات التي أنكرت عليه فأنكرها خوفا ممّن يعتقد ظاهرها ويعيبه مما يلزم من إنكار القول وتنقيص صاحبه ولا الازدراء بمقامه ولا التفريط في واجبه.

ثم نقل عن ابن السبكي أنه قال: قد جربنا، فلم نجد فقيهًا يُنكر على الصوفية إلا ويهلكه الله، وتكون عاقبته وخيمة، ولبعضهم يرثيه:

---

(١) وهو مطبوع.

(٢) طبع لأول مرة بتحقيقنا، دار الكتب العلمية-بيروت.

لَمْ يَبْقَ صَـيِّبُ مُزْنَـةٍ إلاَّ وَقَـدْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ زِيَارَةُ ابْـنِ الْفَـارِضِ
لاَ غَرْوَ أن يُـسْقَى ثَـرَاهُ وَقَبْـرُهُ بَاقٍ لِيَوْمِ الْعَرْضِ تَحْـتَ العَـارِضِ

انتهى مُلخصًا(١).

(١) قلت: فالشيخ المترجم له هو العارف بالله تعالى سلطان العاشقين سيدي عمر بن أبي علي بن مرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، ولد سنة ستٍّ وخمسين أو ستين وخمسمائة، نشأ تحت كنف أبيه، في عفافٍ وصيانةٍ وعبادةٍ وديانةٍ، بل زهدٍ وقناعةٍ وورعٍ، فلمَّا شبَّ وترعرع اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن الحافظ ابن عساكر وعن الحافظ المنذري وغيره، ثم حُبِبَ إليه الخلاء، وسلوك طريق القوم، فتزهَّد وتجرَّد، وصار يأوي إلى الجبل الثاني من المقطم، والمساجد المهجورة مرة، ثم يعود إلى والده، فيقيم عنده مرة، فيشتاق للتجرد فيعود إلى الجبل، وهكذا حتى ألف الوحش وألفه الوحش، فكان لا يفرُّ منه، ومع ذلك لم يُفتح عليه بشيءٍ، حتى أخبره شيخه الشيخ أبو الحسن على البقال أنه إنما يفتح عليه في مكة شرَّفها الله، فخرج فورًا في غير أشهر الحج، ولم تزل الكعبة أمامه حتى دخلها، وانقطع بوادٍ بينه وبين مكة عشر ليالٍ، ففتح عليه فصار يذهب من ذلك الوادي إلى مكة، فيصلِّي بها الخمس ويعود إلى محله من يومه، وأنشأ غالب نظمه حالتئذٍ، وأقام على ذلك نحو خمسة عشر عامًا، ثم رجع إلى مصر، فأقام بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر، وعكف عليه الأئمة، وقُصِدَ من العام والخاصِّ، حتى أن الملك الكامل كان ينـزل لزيارته، وسأله أن يعمل له ضريحًا عند قبره، بالقبة التي بناها على ضريح الإمام الشافعي، فأبى، وكـان ﷺ جميلاً نبيلاً حسن الهيئة والملبس، فصيح العبارة، حسن الصحبة والعشرة، وذكر أنه رأى المصطفى ﷺ في نومه، فقال: (إلى من تُنسب؟). فقال: يا رسول الله إلى بني سعد، قبيلة حليمة. فقال له ﷺ: (بل نسبك متصلٌ بي). وكان له أحوالٌ كريمةٌ وكراماتٌ عظيمةٌ، ومن أجلِّها ديوانه الذي اعترف بحسنه الموافق والمخالف، لا سيَّما القصيدة التائية المسماة بـ«نظم السلوك».

روى ابن بنته عنه: أنه لما أتمَّها رأى النبيَّ - عليه الصلاة والسلام - في المنام، فقال: يا عمر، ما سميت قصيدتك؟ قال: سميتها: «لوائح الجنان وروائح الجنان»، فقال له ﷺ: لا، بل سمها: نظم السلوك. وقد اعتنى بشرحها جمعٌ من الأعيان: كالسراج الحنفي الهندي قاضي الحنفية بمصر، وكان كثير المحبة للشيخ، حتى أنه عزَّر ابن أبي حجلة؛ لتكلُّمه في الشيخ بما لا يرضي الله، والشمس البسطامي،
=

والجلال القزويني الشافعي، غير متعقّبين ولا مبالين بكلام المنكرين الحسّاد.

وكذا شرحها الشيخ الفرغاني، وهو الشارح الأول لها، وأقدم المؤيدين له. حكى أن الشيخ صدر الدين القوني عرض لشيخه الشيخ محيي الدين بن العربي. فقال له: لهذه العروس بكرًا من أولادك، فشرحها الشيخ الفرغاني، وهو من تلامذة الشيخ القوني، وكذلك شرحها الشيخ القاشاني والشيخ القيصري وغيرهم، وعلى القصيدة الخمرية عدة شروح، أحدها لابن كمال باشا، وكذلك اليائية، وقد شرحها الإمام السيوطي، وقد شرح الديوان كله بعض العارفين: كالشيخ النابلسي ﷺ.

قال الذهبي: كان سيِّد شعراء زمانه. **وقال ابن العماد في** ((**شذراته**)): **أفضل الشعراء على الإطلاق.**

ولم يزل الشيخ على حاله، راقيا في سماء كماله ﷺ حتى احتضر، فسأل الله أن يحضره في ذلك الهول العظيم جماعةً من الأولياء، فحضره جماعةٌ: منهم البرهان الجعبري، فقال كما حكاه سبط الشيخ: رأيت الجنة لما مثلت له، بكى وتغيَّر لونه، ثم قال:

إن كان منـــزلتي في الحب عندكم ... مـــا رأيتُ فقـــد ضيَّـــعتُ أيامـــي

قال: فقلت له: يا سيدي هذا مقامٌ كريمٌ. فقال: يا إبراهيم رابعةٌ وهي امرأةٌ تقول: (وعزَّتك ما عبدتك رغبةً في جنتك، بل لمحبَّتك)، وليس هذا ما قطعت عمري في السلوك إليه، فسمعتُ قائلاً يقول له: ما تروم؟ قال: أروم وقد طال المدى منك نظرة ... البيت، فتهلل وجهه، وقضى نحبه، فقلت: إنه أُعطي مرامه انتهى.

وقد افترى على الشيخ ﷺ من يدعى بالبقاعي، الذي ظهر أنه يعمل بعمل أهل الجنة، ولكن غلبت عليه شقوته، وسبق عليه الكتاب، فصار من أهل العذاب، المنسوب إليه التفسير المشهور، المسمّى بنظم الدرر، والحق أنه ليس له، كما هو معلوم عند أهل العلم، فألف رسالةً، وإن شئت قلت ضلالةً في تكفير الشيخ، ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ الصف:٨]، ولكن هيهات هيهات: ﴿**وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ**﴾ فقيَّد الله لهذا البقاعي الجاهل الشيخ العالم الكامل أبو عبد الله محمد بن جمعه الحصكفي ﷺ (توفي سنة ٨٩٥هـ) من جعله سيفًا لدينه، يذبُّ عنه سفاهة ذوى الأحلام، فألَّف هذا الشيخ الجليل الصالح كتابًا في الرد على ذاك الشقي أسمَّاه ((**ترياق الأفاعي في الرد على الخارجي البقاعي**))، وهو كتابٌ حافلٌ في الرد على ذاك الغافل، و((الانتصار)) للشيخ ابن الفارض منبع الفضائل، وإن شاء الله سينشر هذا الكتاب قريبًا، وكذلك أيضًا الشيخ السيوطي فألف مقامةً سماها ((**قمع المعارض في نصرة ابن الفارض**))، وقد دافع عن الشيخ وغيره من أكابر

=

أئمة الأولياء الكثير من العلماء، وقد وقفنا على الكثير من تلك الكتب، والتي لا يزال أكثرها مخطوطًا، والتي لو نشرت لما كان لهذا الجهل والتجرؤ على أولياء الله وجودٌ، ولعلمنا حقيقة أن تلك العلوم والمعارف التي أظهرها القوم هي غاية هذا الدين الخاتم، وأنها مقصود الشرع الشريف، ولَعَلِمَ من أنكرها أو من لم يعرفها أنه ما عرف عن الدين وعن رسول الله ﷺ إلا اسمه، لا غير.

وإن شاء الله سنقوم بتحقيقها وإخراجها للناس، وذلك لما رأينا أن معظم كتابات اليوم عن علم التصوف الإسلامي خالية تمامًا مما استند إليه القوم من الدليل الشرعي، فصار الكلام في الفلسفات والنظريات والنقل من المستشرقين وكأنّ الكاتب ليس مسلمًا، ولم يقف على كتاب اسمه القرآن، ولم يؤمن بنبيٍّ خاتمٍ اسمه محمَّدٌ ﷺ، وكأنه يتكلم عن غير مسلم ـ معاذ الله ـ في موضوعٍ لا يمسُّ الدين، أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبينٌ، فبالله عليك يا أخي هل ترى علوم التصوف إلا قسمين: قسمٌ: أمرك باتّباع الشرع المطهَّر من عبادةٍ: كذكرٍ أو صلاةٍ على رسول الله أو قراءة قرآنٍ أو حسن معاملةٍ مع الخالق والخلق؟!

وقال في ذلك الإمام الجنيد سيِّد الطائفة قُدِّس سرُّه: علمنا هذا مشيَّدٌ بالكتاب والسنة.

وفي ذلك القسم ألفوا «الإحياء»، و«قوت القلوب»، و«الرسالة القشيرية».

والقسم الآخر: وهو أسرار الدين والعقيدة العظمى في الله وفي رسوله ﷺ، وهو العلم المسمَّى بعلم الحقائق: «كالفتوحات المكيَّة»، و«الإنسان الكامل»، وتلك الكتب ما تكلَّمت إلا بأنَّها مستمدةٌ من السيد الأعظم ﷺ، وأن الصحابة رضوان الله عليـــهم كان عندهم تلك العلوم وأعظم، وأقاموا الدليل الشرعي على ذلك، وإن شئت فراجع «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»، وبالله عليك هل سمعت ولو ممن ينكر على السادات الصوفية أن واحدًا منهم كان محبًا للدنيا أو طلب من آخر ترك أمرٍ في الشريعة أو كان يجبر أحدًا على تعظيمه؟! لا، والله.

وانظر كل كتب التراجم ولو المنكرين عليهم كما ذكرت فإنك لن تجد مثل هذا، ولن تسمع إلا أنه كان زاهدًا عابدًا ورعًا، لا يقيم لنفسه على أحدٍ وزنًا، فأنصف الحق من نفسك، واستبرئ لدينك.

وصار باحثينا القارئين لتلك الكتابات يتعدون على الشريعة وعلمائها بدون أدنى تعب في البحث عن الأدلة الشرعية، ولو وقف أحدهم على قوله: (إنَّ الله عِنْدَ لسانِ كلِّ قائلٍ وقلبه) لما تجرأ بالطعن على ما يجهل، ولأفتاه قلبه: إياك والإنكار على ما تجهل، فإنك لم تُحط بعلم الله، فلا تتحكم على

=

هذا؛ وقال العلماء رحمهم الله إنه لا يجوز أن نسلم كلامه إلا على محمل حسن،

=

الله، قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٤].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

والحاصل: كما ذكره الإمام عبد الرءوف المناوي في «الكواكب الدُّرية» أنه قد اختلف في شأن صاحب الترجمة ـ ويقصد الشيخ ابن الفارض وابن العربي والعفيف التلمساني والقونوي وابن هود وابن سبعين وتلميذه الششتري والصفار وابن المظفر رضي الله عنهم- من الكفر إلى القطبانية، وقد كثرت التصانيف من الفريقين في هذه القضية، ولا أقول كما قال بعض الأعلام: سلِّم تسلمْ، والسلام، بل أذهب إلى ما ذهب إليه بعضهم من أنه يجب اعتقادهم وتعظيمهم، ويحرم النظر في كتبهم على من لم يتأمَّل لتنـــزيل ما فيها من الشطحات على قوانين الشريعة، وقول بعض أئمة الفقه والأثر: (أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم) غير معتبرٍ، وإن جلَّ قائله؛ كيف وهو قد ملأ كغيره كتبه الفقهية والحديثية بتأويل النصوص والوجوه؟! واعتنى عليه بالجمع بين الكلامين المتناقضين، وتنـــزيل الخلاف على حالين.

وقد وقع لجماعةٍ من الكبار الرجوع عن الإنكار، وكان العزُّ بن جماعة ينكر، فرأى في منامه جماعةً قد أوقفوا بين يدي الشيخ، وقيل له: هؤلاء منكرون. فقطع ألسنتهم؛ فانتبه مذعورًا، ورجع.

وقال لي شيخنا الرملي: إن بعض المنكرين رأى أن القيامة قد قامت، ونصبت أواني في غاية الكبر، وأغلي فيها الماء حتى تطاير منها الشرار، وجيء بجماعةٍ ضبائر ضبائر، فسلقوا فيه حتى تمرى العظم واللحم، فقال: من هؤلاء؟ فقيل: الذين ينكرون على ابن العربي وابن الفارض انتهى.

مات رضي الله عنه سنة اثنين وثلاثين وستمائة، ودفن بالقرافة بمصر، ورُئيَ في النوم، فقيل له: لِمَ لا مدحت المصطفى ﷺ في ديوانك؟ فقال:

أرى كلَّ مدحٍ في النبيِّ مقصِّرًا ... وإن بالغ المثنـــي عليه وكثَّرا

إذا اللـــه أثنى بالذي هو أهـــله ... عليه فما مقدار ما يمدح الورا

وقد قال أحد العلماء بالله: إن الشيخ ابن الفارض يأتي يوم القيامة يمدح الله على رؤوس الأشهاد، ويقال له: امدحنا كما كنت تمدح في الدنيا.

ولنختم تلك الترجمة بعد ما نوَّهت لك على حقيقة الإنكار على السادة الصوفية بقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨].

أو كان في كفره خلاف، ولو كان ذلك رواية ضعيفة.

فبالجملة والتفصيل: فالكلام على هذه المسائل يستدعي جملة من التطويل لكن هذه النبذة فيها إشارة إجمالية يكتفي بها من له بصيرة ربانية، ويرجع بها عن المنازعات إن كان ممن يخاف مقام ربه العظيم، وسؤال ربه عن دخوله فيما لا يعنيه والتكلم في أولياء الله الذي يُوجب سوء الخاتمة والمقت من الله والخزي والانتقام.

جعلنا الله ممن اتعظ بغيره ولم يكن موعظةً لسواه، وختم لنا بخاتمة السعادة وحفظنا من كيد الشياطين، وأدخلنا الجنة مع العلماء العاملين بمن وكرمه. آمين آمين آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه وسلم



***

السيوف الصقّال
في رقبة من ينكر
كرامات الأولياء بعد الانتقال



تأليف

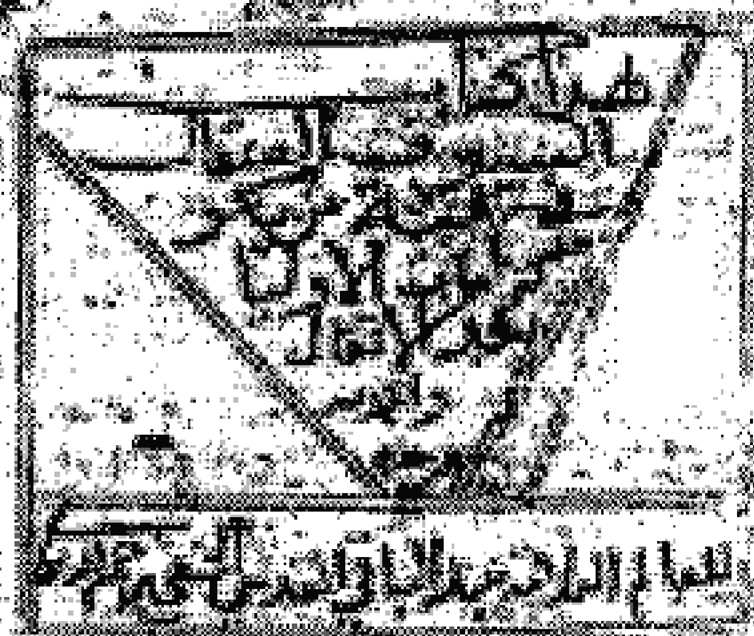
الشيخ الإمام عبد الباقي بن عبد الرحمن الخزرجي المقدسي

المتوفى سنة ١٠٧٨ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي





صورة الغلاف

صورة الصفحة الأولى



التعريف بالمصنف

هو الشيخ عبد الباقي بن عبد الرحمن بن علي بن محمد علي بن خليل بن محمد بن محمد بن إبراهيم الخزرجي المقدسي الأصل، المصري، الحنفي، إمام الأشرفية.

فقيه مشارك في بعض العلوم. من تصانيفه الكثيرة:

- الرمز في شرح الكنـــز في فروع الفقه الحنفي.
- روضة الآداب في أربع مجلدات.
- السيوف الصقال في رقبة من ينكر كرامات الأولياء بعد الانتقال.
- توفي – رحمه الله– سنة ١٠٧٨ هـــ.

وانظر ترجمته في:

- خلاصة الأثر للمحبي (٢/٢٨٥).
- هدية العارفين (١/ ٤٩٦).
- معجم المؤلفين (٢/٤٣).



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي منح أولياءه الكرامات بعد الممات.

وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له.

وأشهد أن سيِّدنا محمدًا عبده ورسوله الذي على المرسلين فضله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه السادة الفضلة، وتابعيهم وتابعي تابعيهم القادة الكملة.

وبعد ...

فقد اشتهر السؤال في هذا الزمان على كرامات أولياء الرحمن بعد انتقالهم إلى البرزخ بإذن الملك الدَّيان.

هل يجوز القول بجوازها أم لا؟ وأنكرها بعض ممن اتبع هوى نفسه جهلاً، فألحَّ عليَّ بعض الإخوان في كتابة شيء في ذلك.

فقلت: ليس في تصريح شيخ الإسلام محيي الدين بن الشحنة في ضمن جواب سؤال عن ذلك مطلب، فإنه صرَّح بأن منحهم الإلهية لا تنقطع عنهم بعد الموت، وأطلعتهم على الجواب، فألحوا علي أن أكتب شيئًا في ذلك.

فقلت لهم: إني لست هنالك، وليس عندي آلة تعين، وأنا بين طلبة العلم فقيرٌ حقيرٌ مسكينٌ، ولسان حالي يقر عن مقالي، كما قال الشاعر:

لعمرَ أبِيْكَ مَا نُسِبَ العُلاَ ... إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيا كَرِيْمُ

وَلَكِنَ البِلاَدَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ ... وَصَوَّحَ نَبْتُهَا رَعِي الهَشِيم

ذاكرًا ذكر السؤال والجواب بنصهما، وذاكرًا ما فتح الله بعدهما.

فأقول نص السؤال كما نقلته من خطِّه طيَّب الله ثراه، وأكرم ما به، وجعل من الرحيق شرابه:

سُئلت عمن يزور الصالحين من الموتى، فيقول عند قبر الواحد منهم:

يا سيدي فلان، أنا مستجيرٌ بك، أو متوسلٌ بك أن يحصل لي كذا وكذا.

أو يقول: يا رب أسألك بمنـزلة هذا الرجل أو بسره أو بعلمه أن تفعل لي كذا وكذا!.

وهذه العبارات حسنةٌ أم غير حسنة، أو بعضها حسنٌ وبعضها قبيحٌ! وما كانت السلف تقول عند زيارة قبور الصالحين؟

وهل إذا قال شخصٌ عند قبر رجلٍ صالحٍ: متى حصل لي كذا وكذا، أجئ بكذا كذا. هل يلزم الوفاء به أم لا؟!.

فأجبت: زيارة القبور مندوبٌ إليها، وقبور الصالحين آكدٌ في الاستحباب، وينبغي الدعاء عندها؛ لأن لتلك البقعة شرفًا وفضلاً بوجود ذلك الصالح فيها، وقد اشتهر عند أهل بغداد إجابة الدعاء عند قبر معروف الكرخي(١).

---

(١) هو من كبار المشايخ المذكورين بالزهد والورع والفتوة، مُجاب الدعوة، يُستسقى بقبره، وهو من موالي الإمام عليّ الرِّضا ﷺ، صحب داود الطائي، ومات ببغداد سنة مائتين ودُفن بها.

ومن كلامه: إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فتح عليه باب العمل وأغلق عليه باب الجدل.

وكان يقول: ما أكثر الصالحين، وما أقل الصادقين فيهم.

وكان يقول: العارف يرجع إلى الدنيا اضطرارًا، والمفتون يرجع إلى الدنيا اختيارًا.

وكان يقول: إذا عمل العالم بالعلم أحبته قلوب المؤمنين، وكرهه كل من في قلبه مرضٌ.

وكان يقول: إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا زوى عنه الخذلان، وأسكنه بين الفقراء الصادقين، وإذا أراد بعبدٍ شرًّا عطَّله عن الأعمال الصالحة، حتى تكون أثقل عليه من الجبال، وأسكنه بين الأغنياء.

وكان يقول: من قال: اللَّهُمَّ أصلح أمة محمد، اللَّهُمَّ أرحم أمة محمد، اللَّهُمَّ فرج عن أمة محمد، كتبه الله من الأبدال.

وانظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي (ص٨٣، ٩٠)، الرسالة القشيرية (١٢)، حلية الأولياء (٣٦٠/٨، ٣٦٨)، صفة الصفوة (٧٩/٢، ٨٣)، تاريخ بغداد (١٩٩/١٣)، مرآة الجنان (٤٦٠/١)، طبقات الحنابلة (٣٨٠/١)، نفحات الأنس (٥)، اللمع (١٨٥)، وفيات الأعيان (١٣٦/٢)، والتعرف (١١)، الطبقات الكبرى للشعراني (٨٤/١)، طبقات ابن الملقن (٥٨)، معروف الكرخي لابن الجوزي.

وإنه الترياق المجرب[١].

اشتهر ذلك أيضًا في قبورٍ كثيرةٍ من الصالحين، فإن الدَّاعي عقب عبادة وهي زيارة ذلك القبر.

وعقب قراءة إن كان قد قرأ شيئًا من القرآن كما هو الغالب، وذلك أقرب إلى الإجابة.

ولا امتناع في التوسُّل بالصالحين؛ فإنه ورد التوسُّل بالنبي ﷺ، وبصلحاء أمته حظ مما يعهد من خصائصه ﷺ، يمنحه الله تعالى لمن يشاء منهم، وهي بركة تَّمت عليهم[٢].

وقد توسَّل عُمرٌ بالعباس -رضي الله تعالى عنهما-[٣].

وأما الروح: فحيَّة، وقد ورد ما يدل على اتصالها به.

وأما قوله: أنا أطلب منك أن يحصل لي كذا كذا، فأمرٌ منكرٌ!! فالطلب إنما هو من الله تعالى، والتوسُّل إليه بالأعمال الصالحة أو بالصالحة أو بأصحابها أحياءً وأمواتًا لا يُنكر، فإن المنح الإلهية لم تنقطع عنهم بموتهم، والذي كانت السلف تقوله عند زيارة القبور ما علمهم إياه رسول الله ﷺ، وهو:

«**سلامٌ عليكم دار قومٍ مؤمنين ومؤمنات**.. إلخ[٤]»، ولا بأس بالدعاء بغير ذلك.

---

(١) هو قول الإمام إبراهيم بن الحزري، كما في طبقات السلمي، وتاريخ بغداد (١٢٢/١).

(٢) قلت: فقد ثبت بالأدلة جواز التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد انتقاله، وكذلك الاستغاثة بقبر النبي ﷺ، وجواز التوسل بالأنبياء والصحابة والصالحين، فورد توسل الإمام الشافعي بالإمام أبي حنيفة عند قبره، وتوسل الإمام الخلال شيخ الحنابلة، والشافعي بقبر موسى الكاظم، وتوسل الأئمة بسلسلة آل البيت -عليهم السلام- واستشفاء الحافظ المقدسي وتوسله بقبر الإمام أحمد، وسقيا الله سبحانه لمن استسقى بالإمام البخاري وقصد قبره متوسلاً، وتعظيم المجاورين للبخاري والتوسل بهم تعظيمًا لهم.

والتوسل جوزه الأئمة الأربعة، وعليع الغزالي والسبكي وابن الحاج والشوكاني، والشهاب الرملي، وحسن العدوي، والنووي، والسامري، والعلاء المرداوي، والبهوتي، ومحمد بن علي المقدسي، والنبهاني، ومحمد الحامد، والشيخ الشعراني، والسحيمي، وابن القيم يثبت الواسطة بين الله ﷻ وعباده، وانظر: تفصيل ذلك في «التأمل في حقيقة التوسل» للشيخ عيسى الحميري حفظه الله تعالى ونفع به.

(٣) رواه البخاري (٣٤٢/١).

(٤) رواه أحمد (٣٠٠/٢).

وقوله: متى حصل لي كذا كذا أجئ لك بكذا وكذا: إن لم يقترن به لفظ الالتزام ولا نذر لم يلزم شيء.

وإن اقترن به ذلك، فإن أراد التصدق على الفقراء المجاورين لضريحه، أو عمارة مشهده حيث احتيج، لزم الوفاء به.

وإن أراد تمليكه لنفس الميت، فهو لاغ لا يجب به شيء. والله تعالى أعلم.

انتهى ما رأيته بخطه.

أقول مستمدًّا منهم المدد والعَون: يُؤخذ من قوله: (لأن الموت إنما طرأ على الجسد إلخ).

ومن قوله: (لأن المنح الإلهية لم تنقطع عن الأولياء بموتهم)، وقوع كرامات الأولياء بعد موتهم وجوازها؛ لأن المنح هي العطايا والإكرام التي خصَّها الله تعالى لهم، ومن جملتها الكرامات.

ولقد اعتضد هذا بما وقع لكثير من الأولياء بعد موتهم من الكرامات، كما هو منقولٌ من القوم كالرسالة للقشيري وغيرها، ولا ينكر ذلك إلا جاحدٌ للكرامات، وقد قرب رأيه إلى رأي المعتزلة، قبَّحهم الله تعالى، سيأتيك ذكر بعض شيء من كراماتهم بعد الموت؛ تأييدًا لك في الجزم؛ لتفوز بالإمداد منهم.

فإن قال قائلٌ: إن شيخ الإسلام محب الدين ابن الشحنة لم يعز هذا إلى أقوال أئمتنا.

فنقول له:

أولاً: مثل هذا الإمام حجة فيما يقول من الكلام.

إذا قالت حزام فصدقوها؛ فإن القول ما قالت حزام.

فلولا اطلع على نقول أئمة مذهبه في ذلك لما قاله بفمه، وسطره بقلمه.

وثانيًا: قاله فهمًا من إطلاقات كلامهم.

وثالثًا: إنه جارٍ على قواعدهم، وهو كان أحرى بفهم ذلك من قواعدهم من غيره بدرجات.

فإن قال قائلٌ: فلِمَ لم نطلع عليها؟.

فنقول: هذا لقصر باعنا، وعدم اطلاعنا على كتب أئمتنا في ذلك.

فإن قلت: لِمَ لَمْ يقل شيخ الإسلام: لأن الكرامات دون المنح؛ ليكون نصًّا صريحًا في المقصود؟.

قلت: هذا أعم من ذلك؛ لأن المنح جمع منحة، وهي العطية، والعطية أعم من أن يكون أمرًا خارقًا للعادة كالكرامة، وغير خارقٍ كقبول شفاعتهم وغيرها من المقامات، فإن أراد أن ينص أن العطايا باقية لهم بعد الموت بنوعها، فإنه دليلٌ ظاهرٌ في إثبات ذلك، وليعلم أن إظهار الكرامة على يد الولي في حياته بإقدار الله تعالى وبخلقه لها، ولا استحالة في ذلك؛ لأنها من الممكنات، والقدرة تتعلق بعموم الممكنات، فكذلك بعد الموت.

ولا فرق في أن موت الولي لا يمنع من ذلك؛ لأن الموت إنما طرأ على الجسد، وأما الروح فحيّة، كما صرَّح به شيخ الإسلام ابن الشحنة في أثناء جوابه، فلا منع في وقوع ذلك ولا إنكار، فإن القول بعد جوازه ترجيح بلا مرجح.

وأيضًا إنا لو قلنا بعدم جواز وقوع الكرامات من الأولياء مع أن الله تعالى الخالق لها، والمقدر لها، وهي من الممكنات التي تدخل في تعلق القدرة للزم نسبة القدرة إلى القصور، تنـــزَّهت قدرة الله تعالى عن ذلك، وهذا من أقوى الأدلَّة، فتدبره.

إيقاظ وتنبيه:

ودفع وهم ما يوهمه قول قاضي القضاة الأُوشي في منظومته: «بدء الأمالي» من قوله: (كرامات الولي بدار دنيا) من اختصاص الكرامات بحال الحياة ممنوع؛ لأن البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا.

ألا ترى إلى ما قالوه: من أنه ينقطع فيه العذاب حتى عن الكفار بين النفختين، فيجدون لذة المنام، فإذا نُفخ فيه أخرى، يقول الكافرون: ﴿**يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا**﴾، فيقول المؤمن: ﴿**هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس:٥٢] فافهم ذلك.

وأصْرَحَ منه ما ورد بإسناد صحيحٍ إلى عكرمة مولى ابن عباس —رضي الله عنهما— أنه سُئل عن يوم القيامة أهو من الدنيا أم من الآخرة؟

فأجاب: بأن نصفه الأول الذي يقع فيه الفصل والحساب من الدنيا، ونصفه الآخر الذي يقع فيه الانصراف إلى النار والجنة من الآخرة. انتهى كذا في المواهب اللدنية، ونقله المناوي في أول شرحه الكبير على الجامع الصغير.

فإذا كان هذا يوم القيامة بعد فناء البرزخ، وما يتعلق به حكم في نصفه الأول أنه من الدنيا، فبالأولى أن يحكم على البرزخ بأنه من الدنيا حقيقة، وهذا أمرٌ ظاهرٌ فاحفظه.

على أن في حقيقة الدنيا عند المتكلمين قولين:

أحدهما: ما على الأرض من الجو والهواء، وأظهرهما: كل المخلوقات من الجواهر والأعراض والموجودات قبل الدار الآخرة.

ولا شك في شمول التعريف الثاني للبرزخ؛ لأنه مخلوق قبل دار الآخرة، فيؤخذ جواز وقوع كرامات الأولياء بعد موتهم من قولهم: (بدار دنيا).

فافهم ذلك فإنه من أوضح المسالك.

ثم إني بعدما كتبت هذا اطلعت على بعض الشروح، يقول العبد الفقير:

فرأيت الجلال البخاري في شرحه قوله: (بدار دنيا) التقييد (بدار دنيا)؛ لأن الاختلاف وقع فيها؛ لأن دار العقبى محل كرامة جميع المؤمنين انتهى.

وقال شارحٌ آخر: وإنما قيد بدار دنيا؛ لأن الاختلاف فيها، وأما العقبى فهي دار محل كرامة لجميع المؤمنين من قوله لها: (كون): أي وجود وتحقق؛ لأن الكون عبارة عن حصول الشيء، وذلك عبارة عن معجزة للرسول الذي ظهرت الكرامة لواحدٍ من أمته؛ لأنه يظهر أنه وليٌّ، ولا يكون وليًّا إلا باتِّباعه في أقواله وأفعاله انتهى.

وقال شارحٌ آخر: قوله: (كرامات الولي) مبتدأ، وقوله: (لها كون) مبتدأ وخبر قُدِّم عليها، والجملة في محل رفع خبرًا للمبتدأ الأول، وقوله: (بدار دنيا) تتعلق بالكون، والمراد منه الثبوت والوقوع انتهى.

وأوضحه أخونا في الله تعالى الشيخ الكامل الفاضل الشيخ يحيى المغربي فقال:

لا يسبق إلى الفهم أن قوله: (بدار دنيا) ظرف مستقر واقع حالاً من الولي هو المضاف إليه؛ لأن المضاف ليس عاملاً في المضاف إليه، ولا جزءًا، ولا كجزء.

وإنما هو ظرف متعلق بالكون: أي لها وجود بدار دنيا، خلافًا للمعتزلة فافهم.

وقال المغربي في شرحه ما نصّه:

وقيد بالدنيا لأنها محل الاختلاف، والظاهر استمرار الكرامات لهم بعد موتهم في البرزخ، بل هو أولى من حال حياتهم؛ لصفاء نفوسهم عن الأكدار، وقد شُوهدت كثرة الكرامات من كثيرٍ منهم بعد الممات، أما الآخرة فدار الكرامة لكل المؤمنين انتهى.

وهذا تأييد لهذا القول المؤيد بالبرهان بكلام أهل العرفان.

وقال العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الجواهر والدرر.

سألت شيخنا عمن وقع له صلاة من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والأولياء في قبره كثابت البناني: هل يُكتب له ثواب تلك الصلاة مدة البرزخ أم عمله لا ثواب فيه كأهل الجنة؟

فقال الذي أعطاه الكشف: إن الله تعالى يكتب له ثواب عمله إلى أن يخرج من البرزخ.

فقلت له: فهل يتوضئون في قبورهم لذلك؟

قال: لا حاجة لهم إلى الوضوء؛ لعدم وقوع الحدث منهم.

فقلت له: فهل يؤذنون ويقيمون؟

فقال: نعم، كما ورد في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فقلت له: فهل يُكتب لهم ثواب قضاء حوائج الناس إذا خرج شخصٌ منهم من قبره وقضى حوائج الناس؟

فقال: نعم، يُكتب لهم ثواب ذلك، كحكم صلاتهم في البرزخ على حد سواء.

فقلت له: هل الصورة التي تخرج من قبورهم ملك أو صورة تنشأ من همتهم بحسب اعتقاد صاحب الحاجة منهم؟

فقال: كل ذلك يكون، فتارة يوكل الله تعالى بقبر ذلك الولي ملكًا يقضي حوائج الناس كما وقع للإمام الشافعي، وسيدي أحمد البدوي، والسيدة نفيسة- رضي الله تعالى عنهم- وتارة يخرج الولي بنفسه ويقضي الحاجة؛ لأن للأولياء الإطلاق في البرزخ والسراح لأرواحهم.

فقلت له: هل حكم الأنبياء كذلك؟

فقال: نعم، لكن من وقع له خطاب من قبر نبي، فذلك عين النبي لا مثال له، وأما إذا سمع الخطاب من غير قبره فهو مثال لا حقيقة؛ لأن ذات النبي متنـــزهة عن كلفة المجيء والرَّواح.

فقلت: هل يقع لأهل البرزخ الاجتماع بكل من أراده أم لا؟

فقال: البرزخ من حيث هو مطلق، لكن ما كل أحد يقع له فيه الانطلاق والسراح، وإن غالب الناس مسجون فيه بأعمالهم، وما ظهر الانطلاق فيه إلا للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والأولياء بحسب درجاتهم، ومن هنا وقع لبعضهم الاستعانة بسيدي أحمد البدوي، وسيدي إبراهيم الدسوقي، وغيرهما فأغاثوه وخلصوه من عدوه، أو من الغرق، أو نحو ذلك انتهى.

وقال أيضًا في الجواهر والدرر: قلت لشيخنا: ما السبب في أن سيدي أحمد البدوي وسيدي إبراهيم الدسوقي وغيرها من أشياخ الطريقة يجيبون مريديهم من قبورهم إذا ناداهم، ولم نرَ أحدًا من طلبة العلم يجيبه شيخه أو إمام مذهبه إذا ناداه من قبره؟ [1].

---

(١) نقل ذلك سيدي مصطفى البكري في السيوف الحداد ونصه: ولقد سألني أخونا في الله الشيخ مصطفى بن عمرو الخلوتي -ختم الله له بالحسنى- فقال لي: هل يصح للعبد في الدار الآخرة أن يتنفَّل؟.

=

فقلت له على سبيل الفرض: لا؛ لأنها ليست دار تكليف، وإنما هي دار جزاء ونتائج أعمال.

أمَّا إذا كان على سبيل التلذُّذ وإظهار العبوديَّة، واشتهت نفسه الشريفة ذلك فلا مانع أن يجود عليه السيِّد المالك، فقال: إني سررت بجوابك سرورًا عظيمًا؛ لأني لما رأيت ضَعف البنية في هذه الدار عن الوفاء بحقوق العبودية التي عليها المدار وقصر عمرها، سألت الله تعالى أن يمنَّ عليَّ في الدار الآخرة بصلاة ركعتين أتمثَّل فيهما للوقوف بين يديه خمسمائة وعشرين ألف عام؛ لأفوز بلذَّة ذاك المقام.

وقد سألت الشيخ قاسم المغربي رحمه الله تعالى هل يمكن ذلك؟

فأجاب بالمنع وكأنك ألبستني في هذه الليلة خلعة عظيمة.

وحال الشيخ مصطفى حال العارفين الذين قال في وصفهم سيدي محي الدين ﷺ في كتاب «العبادلة»: تنقضي أعمار العارفين وهم مع الحق على أول أقدامهم فلم تفِ لهم أعمارهم بما تعلَّقت به هممهم من إقامة حقوق الحق التي عليهم، وهم في الغيب مشهودون وفي الشهادة مغيبون، فهم ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وليس وراء الآلاف مرتبة، فإنها آخر مراتب أسماء الإعداد فيها يفرَّق كل أمرٍ حكيم.

وعن العارف ظهر هذا الفرقان في العلم والروح، فيها تنـــزَّل به الروح الأمين على قلبك تنـــزُّل الملائكة.

كذلك قلب العارف مختلف الملائكة بضروب الأوامر، فإذا طلع الفجر زالت ليلة القدر، فصار نورًا بعد ما كان ذا وجهين، وهنا أسرارٌ لأهل الله مصونة عن أعين الأغيار آه آه آه إن إبراهيم لحليم أواه.

قال الشعراني ﷺ في «الجواهر والدرر» وهذا الكتاب التقطه من فوائد شيخه سيدي علي الخواص ﷺ الكبريت الأحمر: سألت شيخنا ﷺ عن صلاة ثابت البناني في قبره كما ذكروه في «طبقات الأولياء» هل يُثاب عليها كما يثاب على ما كان من أعماله قبل الموت.

فقال: نعم، لكن بحكم خرق العادة لقوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله»، فالبرزخ معدود في حق مثل هذا من وقت التكليف.

بل قال بعضهم: إن وقت التكليف باقٍ حتى يسجد أهل الأعراف سجدة يرجح بها ميزانهم، ثم يدخلون الجنة.

قال: فلولا أن تلك السجدة في زمن التكليف ما أغنت عنهم شيئًا والله أعلم.

فقلت له: إذا لم يتحقَّق العبد في دار الدنيا بمقام من المقامات، فهل يعطاه في الآخرة؟

=

فقال ﷺ: إن سأل ذلك من باب المنّة فجائز أن يعطاه، وإن كان من باب الجزاء فلا فلا؛ إذ الترقّي في الآخرة لا يكون إلا في أعمالٍ حصّلها المكلّف هنا ولو في البرزخ على ما في قصة ثابت في قبره على ما قدمناه.

فقلت له: فإذا صدقت نيّة العبد في شيء، وتعلقت همّته بحصوله، فهل يكون له في الآخرة؟

فقال: نعم إن شاء الله تعالى كما إن من مات قبل الفتح عليه في طريق القوم يُرفع إلى محل همّته.

وقال في موضع آخر: سألت شيخنا ﷺ عمّن وقع له صلاة في قبره كثابت البناني هل يكتب الله له ثواب تلك الصلاة مدة البرزخ، أم عمله لا ثواب فيه كأهل الجنة؟

قلت: أفهمَ تمثيله أن هناك أعمالاً ولا ثواب فيها.

وفي الحديث: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلّون، ولا يبولون، ولا يتغوّطون، ولا يتمخّطون ولكن طعامهم ذلك جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس». رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود عن جابر.

قال: فقال الذي أعطاه الكشف: إن الله تعالى يكتب له ثواب عمله إلى أن يخرج من البرزخ.

فقلت له: فهل يتوضأون في قبورهم لذلك؟

فقال: لا حاجة لهم إلى وضوء؛ لعدم وقوع الحدث منهم.

فقلت: فهل يؤذّنون ويقيمون؟ فقال: نعم.

كما ورد في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقلت له: فهل يكتب لهم ثواب قضاء حوائج الناس إذا خرج شخص من قبره، وقضى حوائج الناس؟

فقال: نعم يُكتب له ثواب ذلك كحكم صلاتهم في البرزخ على حدٍ سواء.

فقلت له: هل الصورة التي تخرج من قبورهم صورة ملك، أو صورة تنشأ من هممهم بحسب اعتقاد صاحب الحاجة فيهم.

فقال: كل ذلك يكون، فتارةً يوكّل الله تعالى بقبر ذلك الولي ملكًا يقضي حوائج الناس، كما وقع للإمام الشافعي، وسيدي أحمد البدوي، والسيدة نفيسة، وتارة يخرج الولي بنفسه، ويقضي الحاجة؛ لأن للأولياء الإطلاق في البرزخ والسراح لأرواحهم.

فقلت له: فهل حكم الأنبياء كذلك؟

فقال: نعم لكن مَن وقع له خطاب من قبر نبي؛ فذلك عين النبي لا مثال له، وأمّا إذا سمع خطابه من غير قبره؛ فهو مثالٌ لا حقيقة؛ لأن ذات النبي منــزّهة عن كلفة المجيء والرواح.

=

فقال: السبب في ذلك صحة الاعتقاد، والرابطة بين مشايخ الطريق ومريديهم، بخلاف طلبة العلم مع أشياخهم، فلما كان المريد يعتقد في شيخه أنه حيٌّ في قبره يسمع إجابته، ولما كان الفقيه لم يصل إلى هذه الدرجة لم يجبه شيخه.

فليس عدم الإجابة أو وجودها راجعًا إلى الأشياخ، وإنما راجع إلى المريد.

فإن الإمام الشافعي والإمام الليث عندنا أفضل من المشايخ الذين أجابوا مريديهم، ولكن لما نقص اعتقاد الطلبة في أئمتهم واستبعدوا فلم يجيبوهم.

فقلت: قد وقع لسيدي علي الخواص أنه زار الإمام الشافعي مرة وسأله عن مسألة، فأجابه عنها في القبر.

وكذلك وقع له مع السيدة نفسية -رضي الله عنها.

فقال: السر في ذلك أن كلام الأموات لا يسمعه إلا من تحقق بكتمان الأسرار، ولذلك ورد أن البهائم تسمع صوت الميت في قبره؛ لأنها ليست من عالم التعبير.

وقال العارف الشعراني أيضًا في الطبقات في ترجمة العارف القطب سيدي شمس الدين محمد الحنفي أنه قال في مرض موته:

مَن كان له حاجة فليأتِ إلى قبري، ويطلب حاجته أقضيها له، فإن ما بيني وبينه غير ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجلٍ انتهى.

قال بعضهم: علم من كونه قاله في مرض موته أن الولي يتصرف في البرزخ بعد موته بإذن الله تعالى، فيكون ما قاله قبل ذلك.

= فانظر رحمك الله بعين الإنصاف إلى ما قدّمناه من السادة الأشراف، وصفاتهم الحميدة وأقوالهم السديدة، وكونهم بعد خروجهم من دار التكليف لم يدّعوا أعمال البر، وبعضهم يطلبها في دار الجزاء والتشريف، واقتدائها الأخ بمن سلف، وترج مِن منّه أن يغفر لك ما قد سلف. وانظر: السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد (ص١٩٤) بتحقيقنا.

ونقل الشعراني عنه قوله: إذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد، وإن حصل مدد للزائر بعد الموت، أو قضاء حاجة فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت، يعطي الزائر من المدد على قدر مقام المزور انتهى.

محمولاً على أنه قال قبل أن يعلمه الله بالمقام أن الولي يتصرَّف بعد الموت، فلما أعلمه به قاله قبل موته.

وبهذا حصل دفع التنافي بين كلاميه وهو ظاهرٌ فتأمله.

خاتمة

نسأل الله تعالى حُسنها في ذكر قطرة من بحر كراماتهم؛ لتكون تأييدًا لما سبق إيضاحه، وتفتق سره.

فمنها: ما ذكره شيخ مشايخي الشهاب أحمد السبكي في شرح التثبيت عند ذكر الإمام أحمد بن حنبل أنه أسلم لما رُئيت جنازته عشرون ألفًا من اليهود والنصارى والمجوس.

ومنها: ما ذكره العلاَّمة الكرماني في أول شرح البخاري في آخر ترجمته ما نصه[1]: ولما دُفن فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك.

وظهر سوارٍ بيضٍ في السماء مستطيلة حذاء القبر، وكانوا يرفعون التراب منه للبركة حتى ظهرت الحفرة للناس، ولم يكن يقدر على حفر القبر بالحراس خشب مشتكات، فكانوا يأخذون ما حواليه من التراب والحصيات، ودام ريح الطيب أيامًا كثيرة حتى تواتر عند جميع أهل تلك البلاد.

وأمثال هذه الكرامات الإلهيات لا يستعظم بالنسبة إلى أمثال هؤلاء العباد، رفع الله تعالى ذكره الشريف، وقد فعل، وجعل له لسان صدق في الآخرين، وقد جعل. انتهى قول الكرماني.

قوله: (وأمثال هذه) إلخ، يفهم بأن كرامات الأولياء بعد الموت جائزة

---

(١) انظر: مقدمة الشيخ الكرماني لشرح البخاري (١/١٢).

الوقوع، بل واقعة إلى أن تقع الواقعة، ومنها ما رأيته في بعض التذاكر.

وأخبرني بعض إخواني من الشافعية أنها في أول شرح ابن حجر على المنهاج، والذي رأيته نقل عن المقريزي أنه قال:

من أبدع ما حُكي عن مناقب الإمام الشافعي ﷺ أن الوزير نظام الملك لما بنى المدرسة النظامية ببغداد، سنة أربع وسبعين وسبعمائة أحب أن ينقل الإمام الشافعي من مقبرته بمصر إلى مدرسته، وكتب إلى أمير الجيوش بدر الدين وزير المنتصر بالله يسأل في ذلك، وجهز له هدية جليلة، فركب أمير الجيوش في موكبه، ومعه أعيان الدولة ووجوه المصريين من العلماء وغيرهم، وقد اجتمع الناس لرؤيته، فلما نبش القبر شقَّ ذلك على الناس وماجوا، كثر اللغط، وعلت الأصوات، وهموا برجم أمير الجيوش والثورة به، فسكتهم وبعث يعلم الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بصورة الحال، فأجاب السؤال بإمضاء ما أراد نظام الملك، فقرأ كتابه بذلك على الناس عند القبر، وطُردت العامة والغوغاء من حوله، ووقع الحفر حتى انتهوا إلى اللَّحد، فعندما أرادوا قلع ما عليه من اللبن خرج من اللَّحد رائحة عطرة، وأسكرت من حضر فوق القبر حتى وقعوا صرعى، فما أفاقوا إلا بعد ساعة، فاستغفروا الله تعالى مما كان منهم، وأعادوا ردم القبر كما كان، وانصرفوا.

وكان يومًا من الأيام المذكورة بمصر، وتزاحم الناس على قبر الإمام الشافعي ﷺ يزورنه مدة أربعين يومًا بلياليها، حتى كان من شدة الزحام لا يتوصل إليه إلا بعناء ومشقة زائدة، وكتب أمير الجيوش محضرًا بما وقع، وبعث به وبهدية عظيمة مع كتابه إلى نظام الملك، فقُرئ هنا المحضر والكتاب بالنظامية ببغداد، وقد اجتمع العالم على اختلاف طبقاتهم لسماع ذلك، وكان يوم وصوله يومًا مشهودًا انتهى[١].

وفيه كرامة ظاهرة للإمام بعد موته.

---

(١) انظر: الخطط للمقريزي (٣/٤٨١).

ومنها: ما نقله المنذري مخرجًا له عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: ضرب بعض أصحاب رسول الله ﷺ خباء على قبر وهو لا يعلم أنه قبرٌ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، ضربت خبائي على قبرٍ، وأنا لا أحسب أنه قبرٌ، فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبي ﷺ: «هي المانعة وهي المنجية من عذاب القبر[1]» انتهى.

أقول: وهذا دليلٌ على جواز وقوعها بتقريره ﷺ لحديث الصحابي، فصار سكوته تقريرًا ودليلاً شرعيًّا، فتأمله.

ومنها: ما في رسالة القشيري عن الشيخ أبي سعيد الخرّاز قال: كنت مجاورًا بمكة فخرجت يومًا من باب بني شيبة، فرأيت شابًّا حسن الصورة ميتًا، فنظر في وجهي وتبسّم، فقلت: أحياة بعد الموت؟.

فقال: أما علمت أن الأحياء أحياء وإن ماتوا، وإنما يُنقلون من دارٍ إلى دارٍ.

ومنها: ما في الرسالة أيضًا عن بعضهم قال: كنا في مركب فمات رجلٌ منا، فأخذنا في جهازه، وهممنا أن نلقيه في البحر، فجفَّ البحر جفًّا، فنـــزلت السفينة على الأرض، فخرجنا فحفرنا له قبرًا ودفناه، فلما فرغنا جاء الماء وارتفعت السفينة وسرنا.

ولو أردت تتبعًا لجاءت الرسالة في مجلدات، وهذا القدر القليل يكفي الحاذق النبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال مؤلفها -رحمه الله: تمت الرسالة على يد جامعها فقير رحمة ربه عبد الباقي المقدسي الحنفي- عفا الله تعالى عنه- سنة ١٠٧٥هـــ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

والحمد لله وحده

وصلّى الله على سيّدنا محمد وسلم تسليمًا

---

(١) رواه الترمذي (٥/١٦٤)، والطبراني في الكبير (١٢/١٧٤).

رسالة في كرامات الأولياء
وإنها لا تنقطع بموتهم



تصنيف

الشيخ أحمد بن الشهاب أحمد العجمي الوفائي

المتوفى ١٠٨٦ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي



رسالة في كرامات الأولياء وإنها
لا تنقطع بموتهم للعلامة
الشيخ احمد العجمي
نفعنا الله



خصوصيه ساعره مجموعه
٢٦٥
٢١٢١



صورة الغلاف

نزعان فاحدهما نصف له وان لم يتجه عددها ومنه قول العرب نصف السنة

حضر ونصفها سفر اي ينقسم لزمانين وان تفاوتت مدتهما انتهي وقد

ذكر المناوي في شرح الثاني جبريل في ثلاث بقين من ذي القعدة فقال دخلت

العمرة في الحج الي يوم القيمة ان يوم القيمة من الدنيا بمعني انه خاتمتها

ولا يعارضه خبر اشفع يوم القيمة لان صدره من الدنيا واخره من الاخرة

كما يصرح به ما رواه المزي في التهذيب ان الحجاج سال عكرمة عن يوم

القيمة امن الدنيا ام من الاخرة فقال صدره في الدنيا واخره من الاخرة

فاذا كان صدر يوم القيمة من الدنيا فبالاولي ان البرزخ من الدنيا اعتبارا

فنابد وانقطاع ما فيه قبل يوم القيمة فان يوم القيمة اوله حين قيام

الموتي من قبورهم والبرزخ من وقت الموت الي البعث قال في التهذيب البرزخ

الحاجز بين الشيئين وما بين الدنيا والاخرة من وقت الموت الي البعث فمن

مات دخل في البرزخ انتهي وهذا صريح في ان البرزخ ليس من الدارين

لكنه لا ينافي كونه من الدنيا حكما بالاعتبار المتقدم

كما هو صريح بالاخبار المتقدمة والله اعلم

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي

اله وصحبه وسلم

تسليما كثيرا

صورة الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمصنف

هو الشيخ الإمام العارف بالله سيدي أحمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ابن محمد المعروف بالعجمي الشافعي، الوفائي، المصري.

عالم مشارك في بعض العلوم.

ولد في ٣ رجب سنة ١٠١٤هـ.

وتوفي في ١٨ ذي القعدة سنة ١٠٨٦هـ.

من مصنفاته:

- شرح ثلاثيات البخاري.
- تنـزيه المصطفى المختار عما لم يثبت من الأخبار والآثار.
- نتيجة الأفكار فيما يعزي إلى الإمام الشافعي من الأشعار.
- مشيخة عدَّد فيها مشايخه ومن أجازه.
- رسالة في كرامات الأولياء.
- وانظر ترجمته في:
- خلاصة الأثر للمحبي (١٧٥/١).
- فهرس الفهارس للكتاني (٧٨/١).
- معجم المؤلفين لكحالة (٩٧/١).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديَّ، وأن أعمل صالحًا ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصَّالحين، ولك الحمد حمدًا يوافي نعمك، ويدافع نقمك، ويكافئ مزيدك ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد يا رب العالمين، وصلواتك وسلامك على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، المؤيد بدوام الآيات البينات والمعجزات والكرامات في الحياة وبعد الممات ويوم الدين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وتابعيهم بإحسان أبد الآبدين.

وبعد ...

فيقول العبد الفقير أحمد بن الشهاب العجمي عامله الله بلطفه الخفي والجلي:

قد اشتهر الآن على ألسنة الوعاظ أن كرامات الأولياء تنقطع بموهم، وأن التوسل والاستغاثة بهم غير جائزين، وليس كما زعموا، بل الحق الحقيق أن كرامات الأولياء لا تنقطع بموهم؛ لأنّ مرجعها كالمعجزة إلى قدرة الله تعالى التامة العامة، المحيطة المتعلقة بجميع الممكنات بأسرها إيجادًا وعدمًا على وفق إرادته الأزلية التي يترجح بها أحد طرفي الممكن على مقابله فلا يمنع منها شيء على قدرته وإرادته.

وهذا أمر قطعي متفق عليه البتة عند أهل السنة والجماعة، ومعنى تعلق القدرة والإرادة بجميع الممكنات، أن ما سوى الله تعالى وصفاته من الموجودات واقع بقدرته وإرادته ابتداء حيث لا مؤثر سواه.

قال المولى التفتازاني:

«وهذا مذهب أهل الحق وقليلٌ هم»، وقال شيخنا الغنيمي وهو خاتمة محققي الحقيقة: «وإن شئت قلت: معنى تعلقهما بجميع الممكنات أنهما لا يقفان عند حدٍّ يُقال فيه: هذا آخر التعلقات».

وإذا كان مرجع الكرامات إلى قدرة الله تعالى كما تقرّر، فلا فرق بين حياتهم ومماتهم، فإنها بمحض خلقه وإيجاده لها أكرمهم بها، وأجراها على أيديهم وبسببهم تارة بفعلهم واختيارهم وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم، وتارة بالتوسل إلى الله تعالى بهم.

وليس لهم مشاركة للبارئ سبحانه البتة، فلا يظن بمسلم ولا بعاقل توهم ذلك فضلاً عن اعتقاده، فكيف يحكم على مثبت الكرامة لهم بالكفر؟ مع كون ثبوتها هو الحق الذي لا يحيد عن وجوب اعتقاده لثبوته بنص الكتاب والسنة واتفاق جمهور السلف والخلف وكتبهم طافحة بهم.

وإنه جائز وواقع وشائع وذائع، بل متواتر تواترًا يفيد اليقين لا مِرية فيه بوجه البتة حتى كاد أن يلحق بالضروريات بل بالبديهيات، فقد اتفقت كلمة علماء الإسلام قاطبةً على أن معجزات نبينا ﷺ لا تنحصر؛ لأن فيها ما أجراه الله تعالى ويجريه لأوليائه من الكرامات أحياءً وأمواتًا إلى يوم القيامة.

وذلك أمر يضيق عنه نطاق الحصر بالضرورة قطعًا، وإن ذلك من جملة معجزاته ﷺ الباقية بعد موته الدالة بالضرورة دلالة قطعية على صحة نبوته، وعموم رسالته التي لا ينقطع رواتها، ولا تجددها بتجدد الكرامات في كل عصر من العصور إلى يوم القيامة، كما قرره ابن الصلاح وغيره.

قال بعض الأئمة ومطالعة الصفوة وغيرها:

«يحصل العلم بوقوعها ضرورة».

وقد رأينا من كراماتهم أحياءً وأمواتًا ما يُوجب ذلك، فلا ينكرها إلاَّ مخذولٌ فاسدٌ الاعتقاد في أولياء الله تعالى، نفعنا الله ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم.

وذكر الجلال السيوطي أن النبي ﷺ، وسائر الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أحياءٌ رُدت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا، وأذن لهم في الخروج من قبورهم، والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي، وأورد نقولاً وأحاديث كثيرة.

ثم قال: «وحصل من مجموع هذه النقول، والأحاديث أن النبي ﷺ

يتصرف ويسير بجسده وروحه حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيَّب عن الأبصار كما غُيِّبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم».

فإذا رفع الله الحجاب عمَّن أراد الله إكرامه برؤيته، رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك، ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال.

قال ابن القيم: «هذا مع القطع بأن روحه ﷺ في أعلى عليين أو الجنة أو السماء، وأن لها بالبدن اتصالاً، بحيث تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ، وإنما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوي ليس فيه ما يشابه هذا، أو أمور البرزخ والآخرة على نمط غير مألوف»[1] انتهى.

وذكر الشريف الصفوي أن أجساد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - تصعد وتـــنــزل في أسرع وقت، كما أن الله تعالى أسرى بعبده في جزء من الليل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، بل العرش، والعلم عند الله تعالى انتهى.

كما قال الفهامة ابن حجر: «عمَّ كُلًّا بما يناسب ما هو عليه، فإنه خليفة الله الأعظم الذي جعل جوائز كرمه، وموائد نعمه طوع يديه وإرادته، يعطي منها من يشاء، ويمنع منها من يشاء، وأنه لا يمكن لأحد أن يصلٍ على تلك الحضرة الإلهية من غير طريقه ﷺ، وأن من سوَّلت له نفسه اللعينة شيئًا من ذلك كان سبب حرمانه وقبيح قطيعته وخسرانه، ومن ثَمَّ رآه ﷺ بعض الصُّلحاء في النوم فقال: يا رسول الله! ما تقول في ابن سينا؟ قال: أراد أن يصل إلى الله من غير طريقي فقطعته، ويشهد بذلك المحققون على كفره ودوام شقاوته[2]، نعوذ بالله من ذلك».

وقال الإمام السبكي: التوسل به ﷺ حسنٌ في كُلِّ حال قبل خلقه، وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنياوبعد موته في مدة البرزخ، وبعد البعث في

---

(١) انظر كلامه في كتاب «الروح» له (ص٤٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) قلت: قيل أن الشيخ ابن سينا - رحمه الله - قد تاب قبل موته، كما ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان (١٥٧/٣، ١٦٢).

عرصات[1] القيامة والجنة.

وقال: لا فرق بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع به ﷺ أو بغيره من الأنبياء، وكذا الأولياء، وإن منعه ابن عبد السلام بغير نبينا ﷺ.

قال العلامة ابن حجر: «الاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لها معنى في قلوب المسلمين إلاّ التوسل إلى الله تعالى به لعلو قدره ومكانته وجاهه وكرامته، وأنه لا يخيب السائل به والمتوسل إليه بجاهه، فهو تعالى مستغاث في الحقيقة، والغوث منه خلقًا وإيجادًا، والنبي ﷺ مستغاث أيضًا، والغوث منه نسبًا وكسبًا ومستغاث به، والباء للاستغاثة، وقد يكون معنى التوسل به طلب الدُّعاء منه، إذ هو حي يعلم سؤال من سأله، كما ورد ذلك، مع قدرته على السبب في سؤال ما سُئل فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربه، وأنه ﷺ يُتوسل به في كل حال قبل بروزه في هذا العالم، وبعده، في حياته وبعد وفاته، وكذلك في عرصات القيامة، فيشفع إلى ربه تعالى، وهذا مما قام عليه الإجماع، وتواترت به الأخبار.

وبالجملة: فإطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو سببًا وكسبًا أمر معلوم لا شكّ فيه لغة ولا شرعًا، والنـزاع في ذلك نزاع في الضروريات». انتهى مُلخصًا.

وقد سُئل شيخ الإسلام الشهاب الرَّملي الأنصاري الشافعي -رحمه الله تعالى- عمّا يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: «**يا شيخ فلان**» ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والصالحين، وهل للمشايخ إغاثة بعد موتهم؟ فأجاب: الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم؛ لأن معجزة الأنبياء، وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم.

أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يُصلّون ويحجون، كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة فيهم معجزة لهم.

---

(١) هو: كل موضع واسع لا بناء فيه.

وأما الشُّهداء فهم أيضًا أحياءٌ استشهدوا جهادًا وهم يقاتلون الكفار، وأما الأولياء فهي كرامةٌ لهم، فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة، يجريها الله بسببهم.

والدليل على جوازها، أنها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال، وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع.

والدليل على الوقوع قصة مريم، ورزقها الآتي من عند الله تعالى على ما نطق به التنــزيل، وقصة أبي بكر وأضيافه، كما في الصحيح، وجريان النيل بكتاب عمر ورؤيته، وهو على المنبر جيشه بنهاوند حتى قال لأمير الجيش: «يا سارية الجبل» محذرًا له من وراء الجبل لكمون العدو هناك، وسماع سارية كلامه، وبينهما مسافة شهرين، وشُرب خالد السُّم من غير تضرر منه.

وقد جرت خوارق عادات على أيدي الصحابة والتابعين، ومن بعدهم لا يمكن إنكارها لتواتر مجموعها.

وبالجملة: فما جاز أن يكون معجزة لنبيٍّ جاز أن يكون كرامة لوليٍّ لا فارق بينهما إلا التحدى انتهى.

قال إمام الحرمين: «المَرضي تجويز خوارق العادات في معرض الكرامات، وإنما تمتاز عن المعجزات بخلوها عن دعوى النبوة، حتى لو ادعى الولي النبوة صار عدو الله لايستحق الكرامة بل اللعنة والإهانة».

وقال السعد التفتازاني في «شرح المقاصد»:

«وبالجملة فظهور كرامات الأولياء تكاد تلحق بظهور معجزات الأنبياء، وإنكارها من أهل البدع ليس بعجب؛ إذ لم يشاهدوا ذلك في أنفسهم، ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم في العبادات، واجتناب السيئات، فوقعوا في أولياء الله تعالى أهل الكرامات يأكلون لحومهم، ويمزقون أديمهم جاهلين كون هذا الأمر مبنيًا على صفاء العقيدة، ونقاء السريرة، واقتفاء الطريقة.

بل العجب من قول فقهاء بعض أهل السُّنة فيما يروى عن إبراهيم بن

أدهم[1] أنه روى بالبصرة وبمكة يوم التروية أن من اعتقد جوازه، فقد كفر،

(١) هو الحازم الأحزم العارف الأعزم، كان عن المقطوع المرذول ذاهلاً، وبالمرفوع الموصول متشاغلاً، كان شرع الرسول منهاجه، واختياره ﷺ مزاجه، ألف الميمون الموصول، وخالف المفتون المخذول، أصله من أولاد ملوك بلخ فخرج يتصيد فهتف به هاتف من قربوس سرْجه: ما لهذا خلقت ولا به أمرت، فنـــزل عن فرسه ونـــزع ثيابه، ولبس جبة وساح، وفي رواية أنه بينما هو يركض فسه سمع صوتًا فوقه ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥] اتق الله وعليك بالزاد ليوم المعاد، فرفض الدنيا وعمل للآخرة، وهام بالبادية، وفي رواية أنه لما سمع النداء نـــزل عن فرسه ودفع ثيابه لصياد وأخذ ثياب الصياد ومر هائمًا فرأي على الأثر إنسانًا وقع عن قنطرة فقال له وهو في الهواء: قف فوقف في الهواء لا يسقط ولا يصعد حتى وصل إليه فأخذ بيده وألقاه على القنطرة سالمًا وما ذاك إلا لكمال صدق توبته وعظيم حسن نيته فأعظم بها من كرامة ما أسناها ومرتبة ما أعلاها، ولقي الخضر عليه السلام بالبادية فعلمه الاسم الأعظم وقال له: لا تدع به على أحد بينك وبينه عداوة فتهلكه في الدنيا والآخرة واعبد ربك على تحقيق المشاهدة والمراقبة، واعلم أنه أقرب إليك من حبل الوريد، ثم دخل مكة وصحب الفضيل وسفيان الثوري، وكان لا يأكل إلا من عمل يده كالحصاد وحراسه البساتين، ومر به جندي، وهو يحرث كرمًا فاستطعمه عنبًا فأبي فعلاه بالسوط فطأطأ رأسه وقال: اضرب رأسًا طالما عصى الله فأعجز الرجل منه، وكان يخلط الدقيق بنحو الثلث رمادًا ويعجنه ويقول هيهات أن يقوم أحدنا بقيراط من شكره وكان به علة البطن فقام في ليلة واحدة نيفًا وسبعين مرة وفي كل مرة يتوضأ ويصلي ركعتين، وكان يلبس مرقعة زنتها ستون رطلاً ونام ليلة عن ورده فتكدر فنودي في سره كن عبدًا لنا تسترح فإن أقمناك قم وأن انمناك نم وليس لك في الوسط شي، قال الغزالي رحمه الله: وكان ابن أدهم والثوري رضي الله عنهما يطويان ثلاثًا ثلاثًا ويأكلان في الرابع، قال: وليس ذلك خارجًا عن العادة بلهو قريب يمكن الوصول إليه بالمجاهدة، ولما قدم سفيان الثوري رضي الله عنه الرملة أرسل إليه ابن أدهم رحمه الله أن تعال فحدثنا فجاءهم فقيل له: تبعث إليه بمثل هذا هكذا قال: أردت أن انظر كيف تواضعه.

وقال: لا تنال درجة الصلحاء حتى تجوز ست عقبات، تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدة، وتغلق باب العز، وتفتح باب الذل، وتغلق باب الراحة، وتفتح باب الجد، وتغلق باب النوم، وتفتح باب السهر؛ وتغلق باب الغنى، وتفتح باب الفقر وتغلق باب الأمل، وتفتح باب التأهب للموت.

وقال: إن أحببت أ تكون وليًا فلا ترغب في شيء من الدارين وفرغ نفسك لله وأقبل عليه يقبل عليك.

=

والإنصاف ما قاله النسفي، وقد سُئل عما قيل: إن الكعبة كانت تَزُور أحد الأولياء، هل يجوز القول به؟

فقال: نقض العادة لأهل الولاية جائز عند أهل السُّنة» انتهى مُلخصًا.

ونقل العلامة ابن حجر ثم المناوي عن اليافعي: «إن الأئمة اتفقوا على بلوغ الكرامة مبلغ المعجزة في جنسها وعظمها، وأنه لا فرق بينهما إلا دعوي النبوة فقط، وأنه لم يشترط أحد منهم كُون الكرامة دون المعجزة في جنسها فدلَّ على استوائهما فيما عدا التحدي من سائر الخَوارق حتى إحياء الموتى» انتهى.

قال النووي- رحمه الله تعالى: «الصواب وقوعها بقلب الأعيان ونحوه» انتهى.

نعم! قد يرد في بعض المعجزات نص قاطع على أن أحدًا لا يأتي بمثله أصلا كالقرآن، وهو لا ينافي الحكم بأن كل معجزة لنبي جائز أن تكون كرامة لوليٍّ لأن الامتناع هنا العارض، وهو أن ذلك من خصوصياته ﷺ، ومثله المعراج يقظة بالروح والجسد وعلم الخمس الذي استأثر الله بها.

وفي السيرة الشامية، وغيرها ذهب أهل السُّنة إلى جواز الكرامات، وممن نقل جوازها إمام المتكلمين القاضي أبو بكر الباقلاني، والإمام أبو بكر بن فورك، وإمام الحرمين في الإرشاد، والإمام أبو حامد الغزالي في الاقتصاد، والإمام

=

وقال: علامة نور القلب أن يكون أكثر هَم صاحبه العبادة وأكثر كلامه الثناء على الله وحكايات الصالحين.

وقال: لقيت الخضر عليه السلام بمكة فقدم لي قدحًا أخضر فيه سكباج (لحم بخل) وقال لي: كُلْ فرددته، فقال: سمعت الملائكة تقول: من أعطي و لم يأخذ سأل و لم يعط.

مات بالجزيرة سنة اثنتين وستين ومائة وحمل فدفن بصور، وقبره بها مشهور، وقال ابن عساكر: غزا في البحر، فمات فيه فدفن في بعض جزائر البحر في بلاد الروم ﷺ.

وانظر: الكواكب الدرية ترجمة رقم (٤٠) بتحقيقنا.

الرباني المترجم بشيخ الكُلِّ أبو القاسم القشيري في الرسالة، والإمام الفخر الرازي، ونصر الدين الطوسي في قواعد العقائد، وحافظ الدين النسفي، والقاضي البيضاوي في طوالعه ومصباحه، والعفيف اليافعي، والشيخ أبو الوليد ابن رشد(١). ونص كلامه في أجوبته:

«إن إنكارها والتكذيب بها بدعة وضلالة يبثها في الناس أهل الزّيغ والتعطيل الذين لا يقرون بالوحي والتنزيل، ويجحدون آيات الأنبياء والمرسلين» انتهى.

قال العلامة ابن حجر وغيره:

«الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين، وكثير من غيرهم خلافًا للمعتزلة، ومن قلدهم في بهتانهم وضلالهم من غير روية ولا تأمل أن ظهور الكرامات على يد الأولياء، وهم القائمون بحقوق الله تعالى، وحقوق عباده لجمعهم بين العلم والعمل، وسلامتهم من الهفوات، والزّلل جائز عقلا ونقلا؛ إذ لو لم تكن الكرامة جائزة الوقوع لم تقع، وقد ثبت وقوعها بنص الكتاب والأحاديث والآثار المسندة الخارجة عن الحصر والتعداد وآحادها، وإن لم تتواتر، فالمجموع يفيد القطع بلا إشكال كيف ووقوع التواتر على ذلك قرنًا بعد قرن وجيلاً بعد جيل، وكتب العلماء شرقًا وغربًا عجمًا وعربانًا ناطقة بوقوعها متواترة تواترًا معنويًا لا ينكره إلا غبي أو معاند.

قال: وليس العجب من إنكار المعتزلة للكرامات، فإنهم خاضوا فيما هو أقبح من ذلك.

وأنكروا النصوص المتواترة المعنى عن النبي ﷺ، كسؤال الملكين وعذاب

(١) وانظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات للباقلاني، وأصول الدين للبغدادي (ص١٨٤)، والإرشاد (ص٣١٦)، والعقيدة النظامية (ص٧٠)، والاعتقاد للبيهقي (ص١٩٥)، والأربعين في أصول الدين (ص٣٨٤)، وبحر الكلام للمصنف (ص٥٦)، وتبصرة الأدلة له أيضاً (٥٨٦/٢)، ونهاية الأقدام في علم الكلام (ص٤٩٧)، وشرح المقاصد (١٣٩/٢)، ورسالة التوحيد (ص٢٤٤)، ومختصر شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٠٧)، وشرح العقائد النسفية (١٩٤/١)، والمواقف (٢٨٨/٨)، وشرح الفقه الأكبر (ص٧٩)، ونشر الطوالع (٢٤٥)، وشرح مطالع الأنظار (ص٢١٣)، وعدة رسائل في إثبات الكرامات (بتحقيقنا).

القبر والحوض والميزان، وغير ذلك من عظيم كذبهم، وافترائهم لتقليدهم لعقولهم الفاسدة وتحكيمهم لها على الله وآياته وأسمائه وصفاته وأفعاله. فما رآوه موافقًا لتلك العقول السفيهة الفاسدة اللئيمة قبلوه، وما لا ردوه، ولم يبالوا بتكذيبهم القرآن والسنة والإجماع لأن كلمة الغضب حقة عليهم، وقبائح المذام تسابقت إليهم» انتهى[1].

وقال شيخ مشايخنا الشمس الرَّملي:

«كرامات الأولياء مشاهدة لا يمكن إنكارها، فالذي نعتقده ثبوت كراماتهم في حياتهم وبعد وفاتهم ولم ينقطع بموتهم، ويخشى على جاحد ذلك المقت والعياذ بالله تعالى.

وقال شيخنا الشوبري- رحمه الله تعالى-:

«ويترتب على من منع جميع ذلك التعزيز اللائق بحاله الرادع له، ولأمثاله عن الخوض في مثل هذه المسائل، وتهوره بمثل ذلك، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وقد نقل العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراوي أن بعض مشايخه ذكر له أن الله تعالى يُـوكل بقبر الولي ملكًا يقضي حوائج الناس، كما وقع للإمام الشافعي والسيدة نفيسة وسيدي أحمد البدوي.

وتارة يخرج الولي من قبره بنفسه، ويقضي الحاجة؛ لأن للأولياء الإطلاق في البرزخ والمراح لأرواحهم.

قال: «وإذا خرج شخص منهم من قبره على صورته، وقضى حوائج الناس يكتب له ثواب ذلك كحكم صلاتهم في البرزخ» انتهى.

ونقل صاحب «بدائع الزهر في وقائع الدهر» عن ابن الجوزي:

«إن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة في كل يوم وقت الصبح يتعلم منه علم الشريعة، فلما مات أبو حنيفة سأل الخضر ربه تعالى أن يـرد إلى أبي حنيفة روحه في قبره حتى يتم له علوم الشريعة.

فكان يأتي كل يوم وقت الصبح على جري عادته يستمع منه مسائل الفقه

---

(١) انظر: الفتاوى الـ... للعلامة ابن حجر (ص٣٠٠).

والشريعة من داخل القبر، وأقام على ذلك خمس عشرة سنة حتى أكمل علم الشريعة له بعد موته» انتهى.

وقال الشيخ عفيف الدين اليافعي: «الأولياء ترد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السماوات والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبي ﷺ أبي موسى في قبره قال: وقد تقرر ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهلٌ، ونصوص العلماء في حياة الأنبياء كثيرة فلنكتف بهذا، والأخبار الواردة عن حاله، وحال الأنبياء في البرزخ مصرحة بأنهم ينطقون ويتزاورون كيف شاءوا لا يمنعون من شيء، بل وسائر المؤمنين الشهداء وغيرهم ينطقون في البرزخ بما شاءوا غير ممنوعين من شيء.

ولم يرد أن أحدًا يمنع من النطق في البرزخ إلا من مات عن غير وصية».

وقال الشيخ تقي الدين السبكي: «حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا، ويشهد لهم صلاة موسى عليه السلام في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسدًا حيًّا، وكذا الصفات المذكورة ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدُّنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب، وأما الإدراكات كالعلم والسمع فلا شكَّ أن ذلك ثابت لهم، وكسائر الموتى» انتهى.

وفي «الجوهر المنظم[1]»: «ثبت أن حياة الأنبياء ولا شكَّ أنها أكمل من حياة الشُّهداء، مع أنَّا نعتقد ثبوت نحو السمع والبصر لكل ميت، وعود الحياة له في قبره، كما ثبت في السُّنة ،ولم يثبت أنه يموت بعد، بل ثبت نعيم القبر وعذابه، وإدراكهما مشروط بالحياة لكن يكفي حياة جزء يقع به الإدراك، ولا يتوقف على حياة البنية خلافًا للمعتزلة. وأما أدلة حياة الأنبياء فمقتضاها حياة الأبدان كحالة الدنيا مع الاستغناء عن الغذاء، ومع قوة النفوذ في العالم، وقصة سماع ابن المسيب للأذان والإقامة من القبر الشريف مشهورة.

---

(١) للعلامة ابن حجر الهيتمي رضي الله عنه.

وقال: «نحن نؤمن ونصدق بأنه ﷺ حيٌّ يُرزق، وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض، وكذا سائر الأنبياء، والإجماع على هذا قيل، وكذا العلماء والشهداء والمؤذنون.

وصحَّ أنه كشف عن غير واحد من العلماء والأولياء، فوجدوا لم تتغير أجسادهم **نعم الظاهر** من الأدلة أن حياة الشهداء أقوى من حياة الأولياء للنص عليها في القرآن، ودون حياة الأنبياء؛ لأنهم بها أولى وأحرى، والتفاوت فيها بمعنى التفاوت في ثمراتها غير بعيد، وفي حصول هذه الحياة لشهداء الآخرة فقط كالغريق والمبطون توقف.

وأكّد جمهور العلماء على أن حياة الشهداء حقيقية.

وقيل: للروح فقط، وقيل: للروح والجسد بمعنى أنه لا يبلى وأنه تستمر فيه أمارات الحياة من الدم وطراوة البدن، وهذا هو المشاهد في أبدانهم، كما صح أن جابر بن عبد الله، وعمرو بن الجموح، وهما من شهداء أُحد حفر السيل قبرهما بعد ست وأربعين سنة، فوجدوا لم يتغيروا، وكان أحدهما جُرح، فوضع يده على جرحه، فأميطت ثم أرسلت، فعادت كما كانت، وأصابت المسحاة قدم حمزة بعد خمسين سنة، فسال منه الدم» انتهى.

وبالجملة: فصرائح الأخبار والآثار والروايات، ونصوص جمهور العلماء سلفًا وخلفًا في دوام كرامات الأولياء، ووقوعها في حياتهم، وبعد مماتهم لا تنحصر كما تقرر وأما قول السراج الأُوشي- بضم الهمزة وكسر الشين المعجمة- في عقيدته اللامية:

كرامات الولي بـــدار دنيـــاه   لها كون فهم أهـــل النـــوال

فقد ذكر شُرَّاحها ما أطلق عليه أئمة أهل السنة من ذكر هذه المسألة في عقائدهم.

وحاصله أن كرامات الأولياء حقٌّ ثابت موجود واقعٌ في دار الدنيا يجب الإيمان بها عند أهل السنة، خلافًا للمعتزلة ومقلديهم، حيث أنكروا وجودها بالكلية فقوله:

كرامات الولي مبتدأ مضاف للولي وأل فيه للجنس، ولذا أعاد عليه ضمير الجمع، وجملة لها كون خبر المبتدأ، وقوله بدار دنيا متعلق بكون، وهو عبارة عن حصول الشيء، وهو وجوده وتحققه في الأعيان.

وقال بعض الشُرّاح: «التقييد بدار الدنيا؛ لأن الاختلاف وقع فيها لا في دار العقبى لأن دار العقبى محل الكرامة لجميع المؤمنين» انتهى.

وقد توّهم بعض الوعاظ من هذا التقييد أن الكرامات تنقطع بالموت وهو توهم فاسد بلا شك؛ لأن الدنيا كما في« فتح الإله» اسم لمجموع هذا العالم المتناهي، ومن ثم قال: في« القاموس» الدنيا نقيض الآخرة.

وقال غيره: هو ما على وجه الأرض من الجو والهواء.

وقيل: هي كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الدار الآخرة.

قال النووي – رحمه الله تعالى–:

«وهو الأظهر، وتطلق على كل منها مجازاً، وعند محققي القوم كل ما تعلق دركه با لحس «دنيا»، وما تعلق دركه بالعقل « أخرى»، لتقدم الأولى في الظهور» انتهى.

وعلى الأظهر فلا شك في شمول الدنيا للبرزخ باعتبارأنه مخلوق موجود في الدنيا قبل الآخرة، وهو من وقت الموت إلى البعث من القبور على ما يأتي، ومن ثم نقل ابن القيم عن أبي يعلي أن عذاب القبر من عذاب الدنيا؛ لانقطاعه قبل البعث بالفناء والبلاء.

وفي تفسير الخازن قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وهو شهادة أن لا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] يعني في القبر عند السؤال، وفي الآخرة عند البعث والحساب.

بل في «المواهب» عن عكرمة بسند صحيح أن يوم القيامة نصفه الأول الذي يقع فيه الفصل والحساب من الدنيا، ونصفه الآخر الذي يقع فيه الانصراف إلى النار والجنة من الآخرة، انتهى.

ولعل المراد من كونه نصفين أنه قسمان أولهما: من البعث من القبور إلى فصل القضاء، وثانيهما: لا نهاية له قال في« الفتح المبين» في حديث أحمد: «**الطهور نصف الإيمان**[1]». النصف يُطلق ويُراد به أحد قسمي الشيء، فإن كل شيء تحته نوعان: فأحدهما نصف له، وإن لم يتجه عددهما، ومنه قول العرب: «نصف السنة حضر، ونصفها سفر» أي: ينقسم لزمانين، وإن تفاوتت مدتهما، انتهى.

وقد ذكر المناوي في شرح «أتاني جبريل» في ثلاث بقين من ذي القعدة فقال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة أن يوم القيامة من الدنيا بمعنى أنه خاتمتها، ولا يعارضه خبر: «أشفع يوم القيامة»؛ لأن صدره من الدنيا، وآخره من الآخرة، كما يصرح به ما رواه المزي في«التهذيب» أن الحجاج سأل عكرمة عن يوم القيامة، أمن الدنيا أم من الآخرة؟ فقال: «صدره في الدنيا، وآخره من الآخرة، فإذا كان صدر يوم القيامة من الدنيا، فبالأولى أن البرزخ من الدنيا باعتبار فنائه، وانقطاع ما فيه قبل يوم القيامة، فإن يوم القيامة أوله حين قيام الموتى من قبورهم، والبرزخ من وقت الموت إلى البعث. قال في «التهذيب»: «البرزخ: الحاجز بين الشيئين، وما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات دخل في البرزخ» انتهى.

وهذا صريح في أن البرزخ ليس من الدارين، لكنه لا ينافي كونه من الدنيا

---

(١) تقدم تخريجه.

حكمًا بالاعتبار المتقدم، كما هو صريح في الأخبار المتقدمة[١]. والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

***

(١) قال قطب المحققين سيدي علي وفا قدس سره: البرزخ وسط حاجز، وحِجر محجور بين الدنيا والآخرة، ينتهي بالحصول في آخرها، وأول الأول خيره في حق كل أهل مستقر حصولهم في مستقرهم.

وقال أيضًا: صورة الدُّنيا هيكل جسماني ليس في استعداده أن تنكشف فيه الحقيقة المدرِكة بتخيل وإحساس احتيازي، إلا وذلك الإحساس غالب على ذلك التخيل ممد له بلا عكسٍ، والإدراك الذي هذا شأنه هو حقيقة الدنيا ومتعلقاته كلها دنيويات من حيث هي متعلقاته، وصورة البرزخ هيكل جسماني ليس في استعداده أن تنكشف فيه النفس المدرِكة، إلا بإدراك تخيله وإحساسه عكس الدنيوي، وهذا الإدراك حقيقة البرزخ، وصورة الأخرى هيكل جسماني ليس في استعداده أن تنكشف فيه النفس المدرِكة إلا بإدراك تخيله وإحساسه، متكافئان متلازمان، وهذا الإدراك هو حقيقة الآخرة، ومظهر كل صورةٍ من هذه الصور زمانها ومكانها. فالدنيوي مهما أحسه تخيله بلا عكسٍ، والبرزخي عكسه، والأخروي مهما تخيله أحسه، ومهما أحسه تخيله، فأمره دائم لهذا التلازم، ومتعلقات كل إدراكٍ هم بحكمه من حيث هي متعلقاته، فإدراك النبات والجماد والأجنة والنوام والموتى، وأصحاب المكاشفات الكونية كلها إنما هو إدراكٌ برزخيٌّ، وأما الإدراك النبوي المحمَّدي حيث أظهر لجلسائه في إحساس ما ظهر في إحساسه من الأشباح الملكية فكان أخرويًّا، وأما من أحسَّ شيئًا من ذلك بنفسه فكشفه برزخي؛ ولولا انتقال استعداد مَن أحسَّ ما لا يحسه جلساؤه إلى الحكم البرزخي لم يكشف ذلك، ومن هنا يطّلع المتبصر على الأسرار، فافهم.

فتاوى شرعية

- فتوى شيخ الإسلام مفتي الديار المصرية سابقًا: محمد بخيت المطيعي.
- فتوى الشيخ الإمام من كبار علماء الأزهر: يوسف الدجوي.
- فتوى إمام الأئمة الحجة قامع أهل البدعة: إبراهيم السمنودي.



تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فتوى شرعية
في كرامات الأولياء

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية الأسبق – رحمه الله تعالى–[1] والسجل المذكور طرف نجله سعادة أحمد مختار بخيت بك.

السؤال: سأل حضرة عبد الجواد سيد إبراهيم المدرس بدرب الجماميز بالقاهرة حارة السادات رقم ٤ بتاريخ ١٩٤٠/٧/٢٤ م.

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد بخيت المطيعي، رحمه الله تعالى، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد..

فقد حضر لدينا بعض المتمشيخين، وجرى بيننا حديث في موضوع؛ هل الأولياء لهم تصرف فيما يجري في الكون، وفي الوساطة بين الله وعباده في قضاء حاجاتهم؟

فأقرَّ ذلك الأستاذ بدعوى من مقتضيات كراماتهم، وخالفته في ذلك مستدلاً بأن هذا الرأي يخالف صريح القرآن، ونصوص الشرع، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦]، ومعنى قربه من السائل أنه لا يحتاج في إجابة دعوه إلى وساطة أحد من خلقه، وإن ادعاء أن

---

(١) هو شيخ الإسلام محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي: مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها. ولد سنة ١٢٧١ هـ = ١٨٥٤ م– في بلدة «المطيعة» من أعمال أسيوط.

وتعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه. وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة ١٢٩٧، واتصل بالسيد جمال الدين الافغاني. ثم كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد عبده. وعين مفتيًا للديار المصرية سنة ١٣٣٣ – ١٣٣٩ هـ = ١٩١٤– ١٩٢١ م ولزم بيته يفتي ويفيد إلى أن توفي بالقاهرة.

له كتب، منها (إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة) و (أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدع من الأحكام) و (حسن البيان في دفع ما ورد من الشبه على القرآن) و (إزاحة الوهم) في مسألة الفوتوغراف وغيرها، وحواشٍ كثيرة في الأصول والعقيدة وعلم الكلام، والتصوف، وكُتبه ورسائله قيد التحقيق لدينا. وتوفي ﷺ سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م.

للأولياء تصريفًا في الكون يقتضي أنهم شركاؤه فيما يقدره في خلقه، والله تعالى يقول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، إلى غير ذلك مما يقتضيه ظاهر النصوص الشرعية، فما رأي فضيلتكم في هذا الموضوع، نرجو إيضاح هذا الموضوع الخطير مدعمين رأيكم فيه بالأدلة والبراهين؛ لنستنير فيه بثاقب رأيكم، وغزير علمكم جعلكم الله سراجًا منيرًا.

هذا.. وقد زاد الأستاذ على قوله السابق أن في القطر المصري سبعة لهم التصريف، وعدَّ منهم: السيد البدوي، والفرغل، وإمامنا الشافعي، والسيدة نفيسة، فهل لهذا أصل في الدين؟

الجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، اطلعنا على هذا السؤال.

ونقول: اعلم أن الله تعالى قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ*لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢- ٦٤].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، فأنت ترى أن الله تعالى قد بين لنا أن له أولياء، وأن هؤلاء الأولياء هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، وبين حالهم في الدنيا، فقال تعالى:

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف:١٣]: أي أنهم بلغ من أمرهم في معاملاتهم وكافة شئونهم أن شيئًا مما قدر لهم لا يفوتهم، ولا يحزنون على شيء قد فاتهم؛ لأنهم يعلمون حق العلم أن كل ما قدره الله لهم، وعلم أن يكون لهم لا بدَّ أن يصل إليهم، فلا يفوتهم منه شيء، فهم مصدقون بالقضاء والقدر.

فإن فاته شيء مما يطلبه لا يحزن على فوته لاعتقاده أنه لم يقدَّر له؛ ولو قدر له ما فاته، كما أن ما وصل إليه إنما وصل بقضاء الله وقدره، فهو واثق بالله تمام الوثوق؛ ولذلك وعدهم بأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ووصفهم أيضًا بأنه يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب إيمانهم، كما يشعر بذلك تعليق الحكم بإخراجهم بالإيمان الذي استفيد من الموصول والصلة.

فالولي شرعًا بمقتضى هاتين الآيتين: هو من يتولى الله تعالى ويتخذه مولى

له، فيؤمن به ويتقيه ويمتثل أوامره، ويتجنب نواهيه، ويتولاه الله تعالى بأن يوفقه فيخرجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم، فكل مؤمن له قسط من الولاية على قدر قسطه من إشراق نور الإيمان في قلبه وتقواه، أو شرح صدره للإيمان والإسلام.

وإذن فكل مؤمن ولي، وإنما تختلف درجات الولاية على حسب اختلاف درجات التقوى، فمن المؤمنين مَن يتقي الخلود في النار بأن يكون مؤمنًا عاصيًا، ومنهم من يتقي دخول النار بأن يكون مؤمنًا مطيعًا لله في كل أعماله مراقبًا له تعالى في سره وجهره معتقدًا تمام الاعتقاد أن الله تعالى معه أينما كان، وأنه لا يكون في شأن ولا يعمل من عمل إلا والله معه حين يفيض في الشأن أو العمل راجيًا ثواب الله تعالى خائفًا من عقابه.

وقد عرَّف علماء الكلام الولي بأنه: هو العارف بالله تعالى، وصفاته المواظب على الطاعات، والمجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، فهو القائم بحقوق الله، وحقوق العباد حسب الإمكان؛ ولذلك قال عبد السلام صاحب الجوهرة في الولي: إنه هو من تولى الله تعالى أمره، فلم يكله إلى نفسه، ولا إلى غيره لحظة، أو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا المعنيين واجب تحققه حتى يكون الولي وليًا عندنا في نفس الأمر انتهى.

وهذا الولي بالمعنى الأخص، وهو المراد من قول صاحب الجوهرة[1]:

وَأَثْبِتَنْ لِلأَوْلِيَا الْكَرَامَهْ ... وَمَنْ نَفَاهَا فَانْبِذَنْ كَلاَمَهْ

فهو الولي الذي تظهر على يديه الكرامة، وأمَّا الولي بالمعنى الأعم: فهو الذي يشمل كل مؤمن، ويتحقق فيه المعنيان متى تحقق فيه الإيمان المنجي من الخلود في النار، سواء انضم معه الإيمان والتقوى المنجيان من الدخول في النار أم لا، بخلاف الولي بالمعنى الأخص الذي تقدم.

وقال علماء الكلام: يجب الاعتقاد بأن للأولياء كرامة حال حياتهم في

---

(١) انظر: شرح الصاوي على الجوهرة (ص٣٣٩).

الدنيا، وبعد موهم إلى يوم القيامة، والمراد أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد الكرامة: أي حقيقتها بمعنى جوازها ووقوعها لهم، كما ذهب إليه جمهور أهل السنة.

ومعنى الكرامة: أمر خارق للعادة — عادة البشر - غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعة مصحوبة بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح علم بها، أو لم يعلم، فتمتاز بعدم الاقتران المذكور عن المعجزة، فلا تلتبس بها، وينفي مقدمتها عن الإرهاص، وما يظهر على يد الأنبياء قبل النبوة كتظليل الغمام لنبينا محمد ﷺ، وبظهور الصلاح عما يسمَّى معونة، كما يظهر على يد بعض العوام المسلمين تخليصًا لهم من المحن والمكاره، وبالتزام متابعة نبي .. إلخ، عن الخوارق المؤكدة لكذب الكاذبين وتسمَّى (إهانة)؛ كبصق مسيلمة الكذاب في بئر عذبة الماء لتزداد حلاوة؛ فصارت ملحًا أجاجًا، وبالمصحوبية بصحيح الاعتقاد .. إلخ، عن الاستدراج كما خرج السحر من جهات عدة.

والدليل على حقية الكرامة كما قال الحموي في كتاب: «نفحات القرب والاتصال» نقلاً عن سعد الدين التفتازاني في «شرح العقائد النسفية» ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم، بحيث لا يمكن إنكاره خصوصًا الأمر المشترك، وأيضًا الكتاب ناطق بظهورها من مريم، يعني على القول بأنها وليَّة لا نبيَّة، وهو الصحيح، ومن صاحب سليمان عليه السلام انتهى.

وكذا قصة أهل الكهف.

وفي رسالة السجاعي في إثبات كرامة الأولياء ما نصه:

دليل الوقوع ما جاء في كتاب العزيز من قصة مريم -عليها السلام- وولادتها عيسى عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام، من غير زوج مع كفالة زكريا لها عليه السلام، وكان لا يدخل عليها غيره، وإذا خرج من عندها أغلق عليها سبعة أبواب، وكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف انتهى.

على أن ما قصَّه الله تعالى علينا من قصة مريم قاطع في ظهور الكرامة على يدها، فقد قال الله تعالى في سورة مريم إكرامًا لها: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم:١٦] إلى آخر ما اشتملت عليه الآيات من خوارق العادات مما لا يستطيع

أحد إنكاره، وهي من الأولياء على الصحيح.

وأمّا الدليل على جواز وقوع الكرامات للأولياء بعد مماتهم، فهو ما نقله الحافظ عبد العظيم المنذري في كتاب «الترغيب والترهيب» حيث قال عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: «**ضرب أحد الصحابة خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبي ﷺ هي المانعة، هي المنجية من عذاب القبر**»[1]، رواه الترمذي وقال: حديث غريب انتهى.

من الحموي ومثله في «مشكاة المصابيح»، وقد راجعنا الترمذي؛ فوجدنا هذا الحديث فيه في نسخة مطبوعة طبع بولاق، وقال: إنه حديث حسن غريب.

وقال مُلا علي القاري شارح «مشكاة المصابيح» نقلاً عن ابن ملك: فيه دليل على أن بعض الأموات يصدر عنه ما يصدر عن الأحياء انتهى.

وقال الحموي عقب إيراده هذا الحديث في كتابه المذكور آنفا: وهذا دليل على وقوع الكرامة بعد الموت بتقريره ﷺ، حيث أقر قراءة الميت سورة الملك، وقال: «**هي المانعة، هي المنجية من عذاب القبر**»، وتقريره ﷺ دليل شرعي، كما في محله من كتب الأصول انتهى.

وبناءً على ما ذكر قال العلامة التفتازاني كما نقله الحموي في كتابه: إن ما يظهر من الخوارق بعد موت الأنبياء يكون كرامةً لهم لا معجزة، فمَن أطلق لفظ المعجزة فقد فعل لخلاف كرامة الولي، إذ لم تعتبر في حقيقتها دعوى الولاية، وقصد إظهار الكرامة، بل الولي مُظهر لها إذ هي كما تقدم: الأمر الخارق للعادة، وهو الفعل الذي لا يدخل تحت كسب العبد واختياره؛ بل هو حاصل بفعل الله، و الولي مظهر له–أي محل لظهوره– وفي هذا الأمر لا فرق بين حياة الولي وموته انتهى.

ومن ذلك تعلم أن ما ظهر من التصرفات على يد الأولياء لا يخالف صريح القرآن؛ لأن هذا التصرف الذي ينسب للأولياء هو نوع من الكرامات، وهو فعل الله وخلقه، يظهره الله إكرامًا لهم، تارةً بإلهام وتارة بمنام، وتارة بدعائهم وتارة بفعلهم واختيارهم، وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم، بل قد يحصل من الصبي المميز، وتارة بالتوسل إلى الله تعالى بهم في حياتهم وبعد

(١) تقدم تخريجه.

مماتهم مما هو محكي في القدرة الإلهية.

ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك قبل الموت وبعده نسبتهم إلى الخلق والإيجاد والاستقلال بالأفعال، فإن هذا لا يقصده مسلم، ولا يخطر ببال أحد من العوام فضلاً عن غيرهم، فصرف الكلام إليه، ومنعه من باب التلبيس في الدين والتهويش على عوام الموحدين، فلا يظن بمسلم-بل ولا بعاقل- توهم ذلك فضلا عن اعتقاده، وكيف يحكم بالكفر أو بمخالفة القرآن على مَن اعتقد ثبوت التصرف لهم في حياتهم، وبعد مماتهم، حيث كان مرجع ذلك كله إلى قدرة الله تعالى خلقًا وإيجادًا، إلى آخر ما أطال به الشيخ الحموي في كتابه «نفحات القرب والاتصال» المطبوع تاليًا لـــ «شفاء السقام» للإمام السبكي في المطبعة الأميرية سنة ١٣١٨ هـــ.

فما قاله ذلك الأستاذ لحضرة السائل حق، وأمَّا ما زاده أخيرًا بقوله: إن في القطر المصري سبعة.. إلى آخر ما قال، فالتصريف الذي ينسب لهؤلاء السبعة هو عبارة عن إكرام الله تعالى لهم، وإظهار خارق العادات لمن يتوسل بواحد منهم في أي شيء من الأشياء التي تكون كرامة للولي، وليس هذا التوسل ممنوعًا أصلا؛ لما علمت مما تقدم من أن المتوسل بالولي إنما يطلب من الله إجابة طلبه إكرامًا لهذا الولي لاعتقاده أن هذا الولي أقرب منه إلى الله تعالى، وهذا لا فرق فيه بين الحي والميت لما تقدم من أن الفاعل هو الله تعالى؛ بل إنه بعد الموت أقرب منه حال الحياة الدنيوية؛ لأن الروح بعد الممات غير مشغولة بتدبير شئون البدن.

وهذا لا مانع من اعتقاده بناءً على ما اشتهر عن هؤلاء السبعة من إكرام الله تعالى لهم بعد مماتهم، كما يكرمهم حال حياتهم، ولكن لا يجب اعتقاد أن فلانًا بعينه ولي، وأن الله أظهر الكرامة على يده فلم يقل أحد من العلماء بوجوبه على أحد بحيث يكفر جاحده، بل يجوز لكل مسلم بإجماع الأمة أن ينكر صدور أي كرامة كانت من أي شخص كان على التعيين، ولا يكون عن سنة صحيحة، ولا منحرفًا عن الصراط القويم، فإنه لم يجئ في الشرع إلا: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولم يقل أحد بأنه جاء في الشرع زيادة على ذلك، وأن فلانًا بعينه ولي الله.

ولكن مَن ينكر أن لله أولياء معينين، فهذا هو المخالف للقرآ ن والإجماع وأهل السنة، وأمَّا التوسط في قضاء الحوائج، فإليك ما كتبناه في مقدمة «شفاء

السقام» للإمام السبكي، وها هو نصه (ص ١٤): وكما جاز يتوسط حي في قضاء مصلحة حي أو ميت، والفعل لله وحده، والأرواح باقية على الحياة، وأفعالها في عالم الملك إنما تظهر بواسطة البدن بالحياة الحيوانية، فإذا مات وفقد الحياة الحيوانية بقيت نفسه وروحه على حياتها الملكوتية، وتعلقت بجسمه تعلقًا آخر على وجه آخر يعلمه الله تعالى، كما دلَّ عليه نعيم القبر وعذابه، فإذا كان الفعل في الواقع ونفس الأمر، إنما هو للنفس والروح، والجسم آله يظهر بها الفعل، والروح باقية خالدة، ففعلها باق، وتصرفها في أفعالها لا يتغير إلا بعدم ظهور الأفعال بواسطة البدن، فلا مانعٌ عقلاً أن يكون بعض أرواح الأولياء والصالحين بعد موت الأجساد سببًا بدعائها وتوجهها إلى الله تعالى في قضاء حوائج بعض الزائرين لهم المتوسلين بهم، بدون أن يكون لها مدخل في التأثير.

وأي فرق بين التوسط بالأحياء في قضاء الحوائج مع الاعتقاد ألا فاعل -أي لا خالق للفعل- غير الله، وبين توسط أرواح الأموات في اعتقاد ذلك؟ والقول بأن ملوك الدنيا إنما يحتاجون إلى الوسائط لجواز الغفلة عليهم عن حوائج الناس بخلاف العليم الخبير- سفسطة ظاهرة، وتمويه على العقول، فإن الملك ووسائطه واسطة في قضاء حوائج الطالب من الله تعالى حيث إن لا فاعل سواه ولو كان اتخاذ الواسطة شركا بعد اعتقاد أن المؤثر هو الله تعالى وحده لكانت معاونة بعضنا بعضًا في قضاء المصالح شركًا، وهذا باطل بالضرورة، لما يترتب عليه من بطلان الشرائع، وفساد نظام العالم، وعدم نسبة الأفعال الاختيارية إلى فاعليها، فتبطل الحدود والزواجر ويختل النظام، فعليك بالإنصاف.

قال المناوي في شرح عينية ابن سيناء في النفس: قال الناظم في كتاب «زيارة القبور»: تعلق النفس بالبدن عظيم جدًا حتى أنها بعد المفارقة تشتاق وتلتفت إلى أجزاء البدنية المدفونة، فإذا زار إنسان قبر آخر، وتغاضى عن العلائق الجسمانية، والعلائق الطبيعية، توجهت نفسه إلى العالم العقلي، فتواجه نفسه نفس الميت، وتحصل منهما المقابلة، كما في المرآتين، فيرتسم صورة عقلية بطريقة الانعكاس، ويحصل لها بذلك كمال، أ.هـ.

وبعد أن نقلنا عن الغزالي وابن حجر ما يتعلق بذلك قلنا: فانظر إلى ما نقلنا من كلام حجة الإسلام الغزالي، وكلام ابن حجر؛ لتعلم أن ما كتبوه ونشروه في بعض الجرائد منسوبًا إلى هذين الإمامين، قد حرَّفه عن مواضعه الذين كتبوه.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

ألم يعلموا أن زيارة القبور تارة يقصد بها الموعظة بالأموات، وهذه تعم جميع القبور والأموات، وتارة يقصد بها الاستمداد والتبرك بالمزور، وهذا يختص بالأنبياء والأولياء والصالحين؟

ألم يعلموا أن الإنسان يستأثر بتصوراته، وأن نفسه تحت قهر سلطان الوهم؟

فكم من إنسان تحقق أن سيقتل لا محالة؛ فتصور الموت واقعًا به، فمات بسبب ذلك قبل أن يقتل، كذلك إذا زار الإنسان مشهد الحسين ﷺ، واعتقد أنه بمكان طاهر بين يدي ابن بنت رسول الله ﷺ استولى عليه الخشوع والخضوع، وامتلأ قلبه إخلاصًا، فيدعو الله مخلصًا موقنًا بالإجابة خصوصًا إذا اعتقد أن روح الحسين تسأل الله تعالى إجابة دعاء زائره، أليس ذلك سببًا في إجابة الدعاء، وقضاء حوائج الزائرين المخلصين، والله هو المؤثر؟

ولا نرى مسلمًا ولو عاميًا يتوهم- فضلاً عن أن يعتقد- أن لله شريكًا في خلقه، فمهما اعتقد الزائر أن المزور أطهر منه روحًا، وأصفى نفسًا بما أعطاه الله تعالى من الكمال الإنساني، وإن كان العوام لا يستطيعون التعبير عما تكنه صدورهم من حسن العقيدة، وكمال الإيمان «اللهم إيمانًا كإيمان العجائز» فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا؟.

فتوى فضيلة الشيخ الدجوي(١)

في التحذير من المجازفة بالتكفير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه.

أما بعد ...

فإن التكفير أمرٌ كبير لا يصح لمسلم يشفق على دينه أن يقدم عليه خصوصًا للمستدلين أو المتأولين، وإني لا أدري كيف يكفرون مَن يقول إن الله خالق كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، والمتوسل ناطق بهذا في توسله؟

فإن المتوسل إلى الله تعالى بأحد الأصفياء قائل: إنه لا فاعل إلا الله، ولم ينسب إلى مَن توسل به فعلاً ولا خلقًا، وإنما أثبت له القربة والمنـــزلة عند الله تعالى، وهي ثابتة لا شك فيها، وبها يشفع ﷺ للخلائق يوم القيامة، وبهذا الاعتقاد الراسخ الذي يكاد أن يكون فطريًا في النفوس كلها ذهبت الخلائق يوم القيامة إلى الأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم عند الله تعالى على أن المؤمن قد خرج بمقتضى إيمانه بأن الله ليس له شريك، وأن لا إله إلا هو حتى أننا لو رأيناه أسند شيئًا لغير الله ﷻ علمنا بمقتضى إيمانه أنه من الإسناد المجازى، لا حقيقي.

وقد قررنا ذلك في نحو قوله: «أنبت الربيع البقل» وفرقنا بين صدوره من المؤمن وصدوره من الكافر، فالمستغيث لا يعتقد أن المستغاث به من الخلق مستقل في أمر من الأمور غير الله تعالى، أو راجع إليه، وذلك شيء مفروغ منه، ولا فرق في ذلك بين الأحياء والأموات، فإن الله خالق كل شيء، ولا تأثير عندنا لشيء في شيء بنفسه، فهذا هو ما عليه جماعة أهل الحق.

وقد قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص:١٥].

---

(١) هو الشيخ يوسف بن أحمد بن نصر بن سويلم الدجوي.
مدرس من علماء الأزهر، ضرير. من فقهاء المالكية. ولد ولد سنة ١٢٨٧ هـ =١٨٧٠م، في قرية «دجوة» من أعمال القليوبية. وكف بصره في طفولته بمرض الجدري. وتعلم بالأزهر.
له كتب، منها: خلاصة علم الوضع، وتنبيه المؤمنين لمحاسن الدين، وسبيل السعادة في الأخلاق، والجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف في الكتاب الشريف، رسائل السلام.
وتوفي سنة ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦ م بعزبة النخل (من ضواحي القاهرة)، ودفن في عين شمس.

وقال تعالى: ﴿إِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال:٧٢].

قال تعالى: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء:٨]... إلخ، ما في الكتاب والسنة، وهو كثير في لسان الشرع، ومعروف في بديهة الفطر، وأعجب العجب أهم لا يتحاشون الإسناد إلى الجمادات، ولا يمتعضون منه، فيقولون: أرواني الماء، وأشبعني الخبز، ونفعني الدواء.

فإذا سمعوا مثل ذلك الإسناد إلى النبي ﷺ قامت قيامتهم، وتبجح سفهاؤهم- وهم يحسبون أهم يحسنون صنعًا- وإننا نسألهم، وهم أكثر الناس تراميًا على الناس: هل تعتقدون أن مَن تسألونه في قضاء حاجاتكم خالق مع الله مستقل؟ فإذا اعتقدتم ذلك كنتم أولى بالإشراك.

وإن قلتم: إننا نذهب إليه ونسند له الفعل والإعطاء والمنع على سبيل المجاز والتسبيب، فإن الله جعله من الأسباب التي يجري عندها الخير ويخلقه. قلنا لكم: إننا كذلك، فلا فرق بيننا وبينكم. وإن فرقتم بين الأحياء والأموات قلنا: لا فرق، فإن الفاعل في الكل هو الله تعالى، لا الحي ولا الميت، وإذا كان التوسل في الحقيقة بمنزلة المتوسل به عند الله تعالى، والفعال هو الله ﷻ لم يكن هناك معنى للتفرقة بين الحي والميت، فإن منزلته ميتًا كمنزلته حيًّا، على أن تلك التفرقة لا ينبغي صدورها من مؤمن فضلًا عن عالم، فإن الأرواح بعد موتها باقية مدركة فاهمة على نحو ما كانت عليه في حياتها، أو أشد، ولذلك يتساءلون عن الأحياء ويفرحون ويحزنون بما يكون منهم، ويدعون لهم إلى آخر ما جاء في السنة، وقد دعى آدم عليه السلام لنبينا ﷺ ليلة المعراج، وقد شرع لنا أن نخاطبهم خطاب الحاضر المشاهد في قولنا: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» ونخاطب النبي في كل صلاة بقولنا: «السلام عليك أيها النبي» وتعرض أعمالنا عليه، فإن وجد خيرًا حمد الله، وإن وجد غير ذلك استغفر لنا.

بل تعرض أعمالنا على آبائنا وأهلينا كما جاء في السنة، وقد رأى النبي ﷺ موسى عليه السلام يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة، وراجعه ﷺ عن إبراهيم عليه السلام، وقد اجتمعت الأنبياء في بيت المقدس ليلة المعراج، وخطبوا وقالوا و فعلوا، ورأى النبي ﷺ موسى يلبي في الحج، وغيره من الأنبياء، وسمع بعض الصحابة ذلك الميت الحج الذي ضرب خباءه على قبره يقرأ القرآن ... إلخ، وما جاء في السنة الغرّاء.

وقد أثبت ابن تيمية، وهو مرجعهم الوحيد ومؤسس مذهبهم كرامات

الأولياء في كتبه، وإن كان يتناقض كثيرًا، والمبطل لا بد له من التناقض، ولكنه كان عالمًا كبيرًا لا يتخبط تخبط هؤلاء، ولا يجهل جهلهم، وإن كان قد طغى به علمه، وعلت عليه أنانيته فأوقعته فيما وقع فيه.

وكذلك ابن القيم، وهو من أئمتهم أثبت في كتابه: «الروح[1]»: إن الروح القوية كروح أبي بكر ﷺ ربما هزمت جيشًا إلى آخر ما قال.

وكذلك الشوكاني- وهو من أئمتهم أيضًا- أثبتت جواز التوسل به ﷺ، بل بغيره من الأولياء والعلماء، وردَّ على ممن قال بقصر الجواز عليه ﷺ بأن المدرك فيه واحد، وهو مزية التوسل به وقربة، ومنـــزلته عند الله تعالى، وإن كان الشوكاني متناقضًا أيضًا، وغالطًا في التطبيق، والمبطل كما قلنا، فلا بد أن يغلط ويتناقض.

وكذلك الألوسي[2]- وهو ممن ينتسب إليهم- قرر أن الأرواح الشريفة لها تصرف في هذا العالم موافقا في ذلك للفخر الرازي، وغيره في قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات:٥]، - على ما أظن- وعلى كل حال فلا يتم مذهب الوهابيين إلا إذا أثبتوا أن مَن نادى رسول الله ﷺ أو توسل به قد جعله إلهًا مع الله قالوا: إن ذلك من لوازم النداء والاستغاثة.

قلنا لهم: إنكم إذًا أول المشركين وأكبر الضالين، فإنكم أكثر الناس استغاثة بالمخلوق، وقد قلنا ذلك إلزامًا ليجعلوا الإيمان قرينة على ما يصدر من المؤمن.

وليس يتم لهم مذهب أيضًا إلا إذا قالوا: إن الأرواح قد فنيت بالموت، وكذبوا الكتاب والسنة التي أثبتت لحياة للأرواح كلها حتى أرواح الكفار، كما في حديث القليب وغيره، أو قالوا إنها باقية لكن ضاعت منـــزلتها عند الله تعالى، أو لا تستطيع أن تدعو الله تعالى في أمر من الأمور، أو سلبت منها قوتها وجميع مواهبها، فلا يمكنها أن تعمل شيئا، وكذبوا بذلك صرائح ما جاء عن النبي ﷺ والسلف الصالح اتباعًا لوساوسهم، فإذا قالوا ذلك وخالفوا المعقول والمنقول كانوا أجهل الجاهلين، وأضل الضالين، ولسنا نضل معهم القول في

(١) انظر: كتاب الروح لابن قيم (ص١٠٣).

(٢) قلت: بل إن الشيخ محمود الآلوسي عالم صوفي متحقق أبرز في كتبه اتباعه لمنهجية السادة الصوفية، وهذا واضح في تفسيره الصوفي الإشاري المسمى «روح المعاني»، ولا يجوز نسبته إليهم، فقد ذكر الشيخ الكوثري أنه قد حُرِّف وحُذف الكثير من أقواله في الانتصار للسادة الصوفية كالشيخ الأكبر وغيره، ومن شاء فليراجع تفسيره فسيجد روح التصوف بارزة فيه.

هذه العجالة بأكثر من هذا، وإنَّا والله نحب أن يكون المؤمنون أخوة كالبنيان يشد بعضه بعضًا قائلين قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

أسأل الله أن يزيل الشحناء والبغضاء التي تحلق الدين من قلوب المسلمين، وأن يرشد إخواننا الوهابيين إلى ما فيه الخير والهدى، وألا يجعلهم فتنة للناس إنه سميع قريب مجيب.

يوسف الدجوي

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

كلمة الشيخ الدجوي في تصرف الأولياء

قال الشيخ: قرأت بجريدة أهرام اليوم (٩ يوليه ١٩٢٣م) سؤالاً موجهًا للعلماء يقول سائله: إن خطيب مسجد بالدبابية بجهة بركة السبع قال على المنبر: «إن الله سبحانه وتعالى أعطى السيد البدوي حق التصرف بملكه العزيز» فقاطعه أستاذ آخر قائلاً له طبقًا لشريعة الإسلام: ليس لله شريك. فترتب على ذلك تأخير الصلاة بضع دقائق حصل في خلالها نزاع بين المصلين إلى آخر ما جاء بالسؤال، ثم طلب حضرته من العلماء القول في ذلك، وقد جاءني خطاب من بعض أهل تلك الجهة منذ أيام، فأحلته على بعض الفضلاء ليجيب عنه على صفحات الصحف كما طلب صاحب الخطاب الكلمة الذي لا أذكر اسمه الآن.

فلمَّا قرأت ما قرأت على صفحات الأهرام، علمت أن الأستاذ الذي حول إليه السؤال لم يجب عنه فبادرت بكلمتي تلك الموجزة معتذرًا لحضرة السائل الأول.

أمَّا الخطيب فإنه كما يقول السائل الأول والثاني فهو جاهل جهلاً كبيرًا، وإن كان حسن النية معروفًا بالدين -وأظنه كذلك- كان من أصدقاء الشريعة الجهلاء، وعدو عاقل خير من صديق جاهل.

أما مسألة الأولياء، فالناس فيها على طرفي نقيض من الإفراط والتفريط، والأمر فيها واضح جدًّا لدى أرباب البصر في الدين، والرسوخ في العلم لا يحتاج إلى تلك الطنطنة الكبرى، متى حسن التفاهم وغلب الإنصاف، ولكن أنَّى لنا بذلك، والإنسان هو الإنسان، ليست مسألة الأولياء إلا كغيرها من المسائل المشاهدة التي لا يختلف فيها اثنان، فإن التفاوت بين الأرواح بمنــزلة التفاوت

بين الأجسام، فكما خلق الله الأجسام متفاوتة تفاوتًا كبيرًا فيما بينها، فمنها القوي والأقوى والضعيف والأضعف سنة الله في الأشياء كلها.

كذلك الأرواح متفاوتة التفاوت، أو أشد ولها مقويات ومتضاعفات كالأجسام سواء بسواء، وفي بعضها قصور جبلي لا يمكن زواله، فتكون بمنـــزلة الجسم الذي خلق ناقصًا أو فاقدًا لبعض الحواس، ومنها ما يكون ضعفه عرضيًا يمكن علاجه، فيكون كالجسم الذي يطرأ عليه آفة تستطيع الأطباء أن تعالجها.

وللأرواح نواميس معروفة عند أهلها، وقد أسسها الأنبياء والمرسلون وتبعهم العلماء العاملون، فلهم في ذلك من الأصول والقوانين التي تحفظ للأرواح صحتها، وتعيدها إليها إذا فقدتها ما لأطباء الجسوم من قانون الحمية، ومعالجة الأمراض.

فإذا قلنا: إن للروح القوية بطبعها أو التي تقوّت باستعمال الأدوية التي تقوي عليها الأرواح الضعيفة، كان ذلك بمنـــزلة الجسم الضعيف، وللأرواح أفعال لها نواميس أخرى ليست كنواميس المادة، ويقرّب هذا لك أن الحاسد يؤثر في المحسود من غير ملامسة ولا مجاورة؛ لأن هذا التأثير نفساني لا جسماني، وللحاسد نفس قوية إلا أنها شريرة لا خيرة، والفعل في كل ذلك لله تعالى، وإنما الأجسام والأرواح مظاهر لما أودعه الله فيها من الخصائص والقوى المختلفة على حسب ما اقتضته حكمته. فليست إلا بمنـــزلة الآلات التي اقتضى رأي صاحبها أن يجعل بعضها صغيرًا وبعضها كبيرًا، وبعضها قويًا وبعضها ضعيفًا، فإذا أظهرت تلك الآلات مقتضايتها التي أرادها منها، فلا يُقال أنها شاركت مخترعاها ومالكها، فلو فرضنا أن هذا المخترع أمكنه أن يمتعها بإرادة واختيار لكانت هي الإنسان بعينه، ولم يكن لها معه أدنى شركة، وإنما هي مظاهر تامة أو ناقصة لقدرته وعلمه، وبديع صنعه تظهر من خصائصها، أو نقول من دلائل قدرته على قدر ما أراد منها، وهي بعد في تصرفه إن شاء أبقاها، وإن شاء أفناها، وإن شاء أحاطها بالموانع، وإن شاء أمدها بالقوى المختلفة ... إلخ، فكيف تعقل الشركة مع ذلك كله؟ وأي فرق بعد هذا التقرير بين الأجسام والأرواح؟ ولماذا يكون هذا شركًا دون ذاك، أليست هذه سنة الله في جميع الأشياء؟ لم يخلقها تمثل إبداعه الذي لا يحيط به محيط، وهي تحت قدرته يعطيها ما شاء، ويسلبها ذلك إن شاء.

لعمر الحق إن الحقائق التي جاءت بها الشرائع واضحة لا مرية فيها، ولكن ضل الناس في فهمها إلا من أعطاهم الله بصرًا نفاذا، وقلبًا مستنيرًا، وقليل ما هم.

ثم نقول من وجه آخر: إن الفعل لله تعالى، وليس دعاء الناس عند الله بمنزلة واحدة فمنه المقبول، ومنه المردود على قدر ما لهم من ميراث النبوة، وعلى حسب حالهم فيما بينهم وبين الله تعالى، فلا غرو أن يجيب بعضًا ويرد بعضًا، والإنسان على الحقيقة إنما هو الروح، فالناس بعد الموت لم يفقدوا إلا أجسامهم التي إذا نظر إليها من حيث هي أجسام كانت جماداً صرفًا، فلسنا نيئس ممن سبقنا بالموت، قال تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣]. هذا، وليعلم أن أفاعيل الأرواح مما أثبته الملل كلها، ولأهل الهند في ذلك أشياء كثيرة من الرياضات والأعاجيب، وقد ذكرها الفلسفة القديمة بتوسع كبير، وللمذهب الروحاني أنصار كثيرون بأوروبا وأمريكا بالرغم عن المادية التي لم تشع في عصر من العصور شيوعها الآن.

أمَّا الروحانيون الكاملون من أولياء المسلمين وأكابرهم، فلا يضارعهم غيرهم من الأمم الأخرى، لا قوة ولا كثرة، وعندنا من المشاهدات ورواية الثقات ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وفي كتب الصحيح على عهد النبي ﷺ، وعهد الصحابة، ومن بعدهم شيء كثير من ذلك، فالمسألة لا ينكرها الدين ولا العلم ولا الفلسفة، وليس فيها من الشركة شيء، ولكن جهل الجاهلون، فكثر المتفيقهون ودب فينا داء الأمم قبلنا، فتقاتلنا على الفتيل والنقير، ولو فهمنا لوجهنا جهودنا إلى ما هو أهم من هذا في ديننا ودنيانا.

وفكرُكَ في مدَى أمرٍ كبيرٍ ... كفكرِكَ في مدى أمرٍ حقيرِ

وربّ صغيرةٍ ضيّعتَ فيها ... زمانًا كان ينفعُ في الكبيرِ

وإن للعامة ما يليق بهم، وللخاصة ما هو جدير بهم.

وقد قال بعض الحكماء: لا يصلح الرجل إلا إذا ترك مالا يعنيه واشتغل بما يعنيه، فإذا فعل ذلك أوشك أن يفتح له قلبه. فرحم الله امرءا عرف قدره، وأقبل على شأنه، وترك كل موضوع للمبرزين فيه حتى لا يكون لفرد من أفراد الأمة صورة شوهاء بدخوله فيما لا يحسنه، وكلامه فيما لا يعنيه، فإذا فعل ذلك، ولم يتكلم في الأشياء إلا ذووها كان للأمة صورة كلها جمال وكمال، هذا ما حضرني في الوقت والمنصف يكفيه القليل، والمعاند لا ينفعه الكثير انتهى.

جواب للشيخ للسمنودي(١)

السؤال: ماذا لو كان موضع لم يُدفن فيه أحدٌ وظنَّ أنَّ فيه وليًّا؟

قال سيدي أحمد بن المبارك: قال لي الشيخ هذا لما تكلمت معه في شأن أحد السادات الموتى، كثر زيارة الناس له، فظهر النفع عليه وشفاء المرضى عند ضريحه فقال: إن قلوب أتباع سيدنا محمد ﷺ لها شأنٌ عظيم عند الله تعالى، ولو أنها اجتمعت على موضع لم يُدفن فيه أحد، وظنت فيه وليًّا، وجعلت ترغب إلى الله تعالى في ذلك الموضع، فإن الله تعالى يسرع لها بالإجابة.

قال: وسيدي يحيى اليوم – يعني: يوم هذه الحكاية – هو الذي يتولى التصرف في ذلك، ثم قال: وقد يقع هذا أيضًا في الأولياء الأحياء فقد يكون الرجل مشهورًا بالولاية عند الناس وتقضى بالتوسل به إلى الله تعالى الحوائج ولا نصيب له في الولاية، وإنما قضيت حاجة المتوسل به على يد أهل التصرف، وهم -رضي الله تعالى عنهم- الذين أقاموا ذلك الرجل في صورة الولي ليجتمع عليه أهل الظلام مثله وهم الذين يتصرفون تبعًا للقدر، فهو عندهم بمنزلة الصورة التي يجعلها صاحب الزرع في فدانه ليطرد بها العصافير، فهي تظن الصورة رجلاً فتهرب منه، وذلك في الحقيقة من فعل صاحب الفدان لا من فعل صاحب الصورة، فكذلك أهل التصرف -رضي الله عنهم- يقيمون ذلك الرجل ويجمعون عليه أهل الظلام مثله، والمتصرف فيهم خفي عنهم ولم يظهر لهم لأنه حق، وهم لا يطيقون الحق.

قلت في الجواب عن هذا السؤال الذي لم أرى لأحد جوابًا عنه:

إن ما ذكره هؤلاء الأساتذة المذكورون محمولٌ على أنه كان قبل أن

---

(١) هو الشيخ الإمام الحجة إبراهيم بن عثمان بن محمد بن داود العطار السمنودي المنصوري الأزهري: فاضل مصري. له كتب، منها: سفينة العلوم، طبع بمجلدان منه، سيف أهل العدل، نصرة الإمام السبكي في الرد على الصارم المنكي (تحت قيد الطبع بتحقيقنا)، رسالة في الربا، الأخبار الغيبية، سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية. انتقل بعد ١٣٢٦ هـ.

يعلمهم الله تعالى بإلهام مثلاً أن الولي يتصرف بعد الموت، بدليل أن أحدهم وهو سيدي محمود الحنفي قد قال في مرض موته: من كان له حاجة فليأت إلى قبري ويطلبها أقضها له ، فإن ما بيني وبينه ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب ليس برجل.. كما نقله عنه العلامة الشنواني في حواشيه على الجوهرة، والعارف الشعراني في طبقاته عند ترجمته، وبهذا يحصل التوفيق بين كلامه.

أو يقال في الجواب عن ذلك ما قالوه: قد يكون في بعض الأوقات دون بعضها، فقد قال العارف بالله الشعراني: ذكر لي بعض مشايخي أن الله يوكل بقبر الولي ملكًا يقضي الحوائج، وتارة يخرج الولي من قبره ويقضي الحوائج انتهى[1].

***

قلت: وتمّ بحمد الله وتوفيقه الانتهاء من تحقيق هذا المجموع الباهر، المسمى بـــ «جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال» جمع وإعداد وتحقيق العبد الفقير: أحمد فريد المزيدي الشافعي الأزهري القادري الشعراني المصطفوي.

وذلك بدارنا الحقيقة المصطفوية لتحقيق تراث السادة الصوفية.

جوال: ٠١٠١٤٦٣٠٢٧

***

(١) انظر: سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية (٣٢٥/١).

فهرس